

كلود حجاج

إنسانُ الكلام

مساهمة لسانية في
العلوم الإنسانية

ترجمة:

د. رضوان ظاظا

المنظمة العربية للترجمة

كلود حجاج

إنسانُ الكلام

مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية

ترجمة:

د. رضوان ظاظا

مراجعة:

د. مصباح الصمد

د. بشام بركة

المنظمة العربية للترجمة

الفهرسة أثناء النشر - إصدار دار الطليعة للطباعة والنشر
حجاج، كلود

إنسان الكلام: مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية /
كلود حجاج؛ ترجمة رضوان ظاظا؛ مراجعة مصباح الصمد وبسام
بركة.

٤٣٢ ص. - (لسانيات ومعاجم).

يشتمل على فهرس عام.

ISBN 9953 - 410 - 60 - 7

١. الألسنية. أ. العنوان. ب. ظاظا، رضوان (مترجم).
ج. الصمد، مصباح (مراجع). بركة، بسام (مراجع). هـ. السلسلة.
410

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تُعبر بالضرورة

عن اتجاهات تبنها المنظمة العربية للترجمة»

Hagège, *L'homme de Paroles*

© Librairie Arthème Fayard, 1985

جميع الحقوق في الترجمة

العربية محفوظة لـ:

المنظمة العربية للترجمة

بناية شاتيل، شارع ليون، ص. ب. ٥٩٩٦ - ١١٣

الحمراء - بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ - لبنان

هاتف: ٧٥٣٠٣١ (٩٦١١) / فاكس: ٧٥٣٠٣٢ (٩٦١١)

e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

يصدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الفرنسية في لبنان - قسم التعاون
والعمل الثقافي - وذلك في إطار برنامج جورج شهادة للمساعدة على النشر.

«Cet ouvrage, publié dans le cadre du Programme d'Aide à la Publication Georges
Shéhadé, bénéficie du soutien du Ministère des Affaires Etrangères, et du Service de
Coopération et d'Action culturelle de l'Ambassade de France au Liban»

نشر وتوزيع: دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

ص. ب. ١١١٨١٣

الرمز البريدي: ٩٠ ٧٢٠ ١١٠

تلفون: ٣١٤٦٥٩ / فاكس ٣٠٩٤٧٠ - ١ - ٩٦١

الطبعة الأولى: كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٣

المحتويات

تعريف بالمؤلف ٩

القسم الأول

حول بعض إنجازات اللسانيات أو نقاط استدلال العنصر الإنساني

الفصل الأول: رحلة النوع، تعدد الألسنة ١٩

وصار الجسد كلمة ١٩

المتنوع وأسطورة الواحد ٢٥

اللغة والفطرة ٢٩

الفصل الثاني: المختبر الكرويوني ٣٩

العودة وظلها ٣٩

الولادات الثلاث ٤١

النموذج الأساس والتعلم ٤٥

مفهوم البساطة: أوهام وقائع ٤٨

الفصل الثالث: الكليات في الألسنة والاختلافات التصنيفية ٥٧

صدمة التنوع ٥٧

أشراك الترجمة وفتحها ٦١

البحث عن الكليات ٦٧

حدود التباعد بين اللغات، توجهات عامة ٧٠

تمايز الأنماط على خلفية الكلي ٧٤

الفصل الرابع: الكتابة والشفاهة ٩١

مجنو الكتابة ومجنو الكلام ٩١

الكتابة: الاختراع والأحلام ٩٥

دروس الشفاهة ١٠٩

الكتابة من حيث هي غاية ١١٣

الشفاهة والكتابة والمجتمع ١٢٠

القسم الثاني - فائدة هذه المعرفة أو الكون والخطاب والمجتمع

١٢٩	الفصل الخامس: موطن اللبيل
١٢٩	معنى الأصوات أو الثاني الذي لا ينقسم
١٣٢	الدليل والاختلاف
١٣٦	الأدلة والفرد والتواصل
١٤٣	حيوية الأدلة
١٦١	القواعد الأيقونية
١٦٤	حلم اللسان السحري
١٦٩	الفصل السادس: اللغة والواقع والمنطق
١٦٩	اللسان والعالم
١٧٣	القطبية الفعل - اسمية
١٨٨	منطق الألسنة
٢٠٣	الفصل السابع: نظام الكلمات ونظام العالم
٢٠٣	الخلافاً حول النظام الطبيعي
	القواعد والسياسة، نظام "الحكومة القديمة" وحكومة "الثورة"،
٢١٦	أو الوضوح الفرنسي
٢٢٤	نظام الكلمات، الصم - البكم ونسبة الطبيعي
	المتوالية التصاعدية والمتوالية التنازلية، التأملات النظرية
٢٢٩	التكوينية - الاجتماعية
٢٣٧	تنوع الأنساق
٢٤٣	قانون الثاني الثقيل
٢٤٥	تخطيط الوحدة وصقل العالم عن طريق السلسلة الكلامية
٢٤٩	الفصل الثامن: أمسياد الكلام
٢٤٩	تهويم كمال اللسان
٢٥١	صناع المقول
٢٥٨	اللسان مصدر أم مورد؟ الحاسوب واللسانيات
٢٦٢	حامي الألسنة، عذو الدولة
٢٦٥	اللسان، تلك السلطة المَغفلة

القسم الثالث - الغاية النظرية أو الإنسان المتحاور

٢٧٣	الفصل التاسع: نظرية وجهات النظر الثلاث
٢٧٣	الإطار العام
٢٧٩	وجهة النظر الصرفية النحوية
٢٨١	وجهة النظر الدلالية الإحالية. إنتاج المعنى وتلقيه
٢٩٢	وجهة النظر المنطوقية الهرمية. التداولية
٣٠٩	الفصل العاشر: اللسانيات الاجتماعية العملية أو نحو نظرية للتواصل
٣٠٩	العلاقة التخاطبية
٣١٣	الناطق النفسي الاجتماعي
٣١٧	مجالات القيود
٣٢١	مجالات المبادرات
	مساكنات الكلام: الانقطاعات وازدواج المعنى والتواطؤات التفسيرية
٣٢٩	والمخالفات التضمينية
٣٣٨	الابتكار الفردي، اللغة الشعرية
٢٤٢	الناطق و"وظائف" اللغة
٣٤٧	حساب المعنى
٣٥١	الفصل الحادي عشر: تأرجح الكلام
٣٥١	الزمن اللساني والزمن الاجتماعي
٣٦٣	الكلام المتغير
٣٧٥	الفصل الثاني عشر: حب الألسنة
٣٧٥	من اللغة إلى الكلام، مروراً باللسان ولسان والألسنة
٣٧٧	شَغَفُ القول، وما يقال
٣٧٩	الاستيهام الميتالساني
٣٨٣	الألسنة موضوع عشق
٣٨٧	خاتمة
٣٩١	الثبت التعريفي
٣٩٥	ثبت المصطلحات
٤٢١	فهرس عام

تفضل بعض قراء الطبعة الأولى لهذا الكتاب، وبينهم عددٌ من اللسانيين المتمرسين، بتقديم العون لي عن طريق آرائهم النقدية البناءة. وقررت أن آخذها بعين الاعتبار في الطبعة الحالية. فلقد قمت بتصحيح ما يناهز اثنتي عشرة صفحة أو إدخال بعض التعديلات فيها. ومع أن ذلك لا يشكل سوى نسبة ضئيلة بالنسبة إلى مجمل حجم الكتاب، فإن الطبعة الثانية الحالية هذه ليست بالتالي متطابقة تماماً مع الطبعة الأولى. أود هنا توجيه شكري بصورة خاصة إلى السيدات والسادة س. بوشورون، ج. بولان، ج. ديشان، ك. جاك، ك. توميسين، ك. تروكيه وأ. سوفاجو.

تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦

كلود حجاج

تعريف بالمؤلف

ولد كلود حجاج عام ١٩٣٢ ، ودخل مدرسة المعلمين العليا التي تقع في شارع أولم بباريس عام ١٩٥٥ . حصل عام ١٩٥٨ على شهادة الأستاذية في الآداب الكلاسيكية ، وتعلم على يد عدد من كبار الأماثلة الفرنسيين والأميركيين في مجال اللسانيات المتخصصة . ولقد استكمل كلود حجاج تحصيله هذا في بلاد عديدة جلب من إحداها (إفريقيا الوسطى) مادة أطروحته لنيل دكتوراه دولة التي حاز عليها عام ١٩٧١ . إن كلود حجاج مسكونٌ حقيقةً بحب اللغات منذ نعومة أظفاره ، فلطالما آمنَ بأنَّ التأمل النظري في لغة البشر ، وهو ما يتزع إليه ويميل منذ زمن بعيد ، لا بدَّ وأن يتغذى من نسخ الاحتكاك المباشر والمعيش مع مختلف اللغات وكما ينطق بها أصحابها في بيئتهم الطبيعية . وهكذا يعمل الإجراء الاستقرائي ، المنطلق من مادة تتسم بأكبر قدر ممكن من الاتساع ، على ضبط المنهج الافتراضي/ الاستنباطي . لهذا السبب نرى كلود حجاج ، وامتد أكثر من عشرين سنة ، يجوب العالم لدراسة اللغات البشرية في مواقعها ، من اللغات الإفريقية إلى اللغة الصينية ، ومن اللغات الهندية الأميركية إلى اللغات الأوقيانوسية ، ومن اللغات السامية إلى لغات أوروبا .

أما أهم المؤلفات التي رافقت هذه المسيرة النظرية والتجريبية في آنٍ معاً فهي :

- *La langue mbum de Nganha (Cameroun), phonologie, grammaire*, Paris, Société d'études linguistiques et anthropologiques de France, 1970, 2 vol.

- *Profil d'un parler arabe du Tchad*, Paris, Geuthner, 1973.
- *Le problème linguistique des prépositions et la solution chinoise (avec un essai de typologie à travers plusieurs groupes de langues)*, coll. Linguistique publiée par la Société de linguistique de Paris, Louvain, Peeters, 1975.
- *La grammaire générative, réflexions critiques*, Paris, P.U.F., 1976.
- *La phonologie panchronique*, Paris, P.U.F., 1978 (en collaboration avec A. Haudricourt).
- *Présentation d'une langue amérindienne: le comax laamen (Colombie britannique)*, Paris, Association d'ethnolinguistique amérindienne, 1981.
- *La structure des langues*, Paris, P.U.F., Que sais-je?, 1982.
- *La réforme des langues: histoire et avenir*, Hambourg, Buske, 1982-1984, 3 vol. (en collaboration avec I. Fodor).
- *La langue palau (Micronésie), une curiosité typologique*, Munich, Fink, 1986.

تمهيد

لقد نالت الدراسة النظرية للألسنة واللغات، بوصفها موضوع معرفة عن الإنسان، في كافة أنحاء العالم، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى ستينيات هذا القرن، حظوةً رافقها ازدهارٌ عظيم. حتى إن بقية العلوم الإنسانية بدت، ولفترة ما، مفتونةً بها. والحقيقة أن هذه الدراسة كانت تنزع إلى أن تصبح نموذجاً يحتذى به لأن غايتها تمسّ أعمق ما في الجنس البشري، ولأنها ابتدعت خطاباً دقيقاً ومنظماً. والحق أن صيغها المشدّبة لم تكن تبدو ذات صلة بالذاتية ومجازاتها الهزيلة.

ومع كل ذلك فقد أصبحت تلك الهيمنة مثارَ جدل منذ حوالي خمس عشرة سنة. ويمكن القول إن الحالة، في بعض النواحي، قد أصبحت معكوسة. إذ يبدو اليوم أن التطوّر الباهر الذي حصل في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس وغيرها قد أقصى المختصين في اللغة عن الطليعة، فصاروا بمثابة المؤخّرة المُجذّدة التي تنتج أعمالاً تتميز بغلوها التقني ولا تلتزم دائماً وعودها القديمة بالكشف عن العديد من الأسرار المرتبطة بالظواهر الإنسانية.

إن تلك الحالة تثير التعجب. فمهما كان المستقبل الذي تخبئه الألفية الثالثة الوشيكة للإنسان يمكننا القول إن نهاية القرن العشرين هي حقاً زمنُ اللسان، مثلما هي زمنُ الاكتشافات الكونية والإنسان الآلي والذرة وعلم الوراثة. ويبدو واضحاً أن التطوّر المذهل الذي طرأ على وسائل الاتصال، والثورة المعلوماتية والتوسع غير المحدود في العلاقات الاجتماعية، وجميعها إجراءات يتبذّر فيها تحكّم نسبي

بالرغم من طريق احتزال لمساكنات، قد صاعقت بصورة لامتناهية استخدام الكلام الشفهي أو المكتوب أو المنشوت من آلة التسجيل إلى لتلفاز مروراً بالمذياع والصحافة والكتب، ومن لقاءات الفقه إلى أبسط حوار خاص عن طريق الكابل إذ الحس البشري، في هذا الربع الأخير من القرن، عارق في حصن محبط هائل من الكلمات ولعذاب

من المهم إذن التساؤل حول الموضع الذي ما برج الإنسان يحتله اليوم في الجهد الرمي إلى التعريف بالإنسان إنها ملكة متميزة تحيط به تذبذباً من كل جانب (من ألقاظ وعبارات) وهي في آن معاً أدوات طبيعية لترسيخ بروعه الاجتماعي، وقد تكون أيضاً عصاة في وجه أسروائه. وبقد ولد هذا الكتاب من قصير محدّد هو إظهار الإسهام الذي ما تزال اللسانيات قادرة على تقديمه في توصيف ماهية الإنسان، موضوع المعرفة العرب هذا، والذي شأت حوله علوم باعة اعتقيد سُمّت بالإنسانية فقد بتدني الإنسان أمام هذه العلوم، وسرايط منطقية مأكبر وعميص، طوراً كحقل معرفة يمكن سيقه برصوح، وطوراً نراه يحيط جهودها لما في سلوكه من أمور لا يمكن السّز بها. وربما هي سمه تنطوي على الأمل وعلى الرجوع من كل آلات التدمير التي التي بصنعها الإنسان لنفسه، وعلى الرجوع من كل تلك الميول التي يملأ بها عقيرته الملتسة فسحات الصبء فتكون فوقه وفوق دريته سماء مريئة، يبقى لإنسان كائناً قادراً على كل التصرفات لمنقصة كما أن الإنسان مخلوق متعطش إلى معاجاه دته، أفقه من خلال تلك الحاضيه التي لديه والتي يسولها هذا الكتاب إنها أهله الملحاحه للحوار مع أقرانه، وميله إلى ممارسة التبادل بدءاً مما يؤسس لكافة التبادلات الأخرى والذي يتيح لها فرصة التحقق، وأعني به التبادل الكلامي فهو الإنسان العاقل (homo sapiens) بوصفه أولاً إنساناً باطقاً (homo loquens)

* * *

هذا الكتاب الذي يبيح التأمل النظري فيه المجال وسعاً أمام المعطيات المأذنة، بسط مأذنه وفق مرحل ثلاث تتمم حور مهب ندرحني في عرض الموضوع فهو معرض أولاً الحالة الراهنة لبعض الموجهات الأساسية في البحث في مجال البده (لقسم لأول)، ثم البصر التي تؤكد أهمية ما أسهمت فيه اللسان في معرفة الإنسان (المسم الثاني)، وأخيراً النظرية اللسانية لما هو إنساني وجماعي والتي يمكن ساؤها على هدين الأساس (المسم الثالث). فالتصور الذي سطلو منه صمباً هذا المشروع ويوجه إشكاليته هو تصور بفاعلي أسمياه هـ حواراً

في القسم الأول الموسوم بـ «حول بعض بعبارة اللسانيات، أو بباط استدلال البصر الإنساني»، يقوم بداية بإبرار كيف تقلدت ملكة اللسان، وهي أصلاً منقوشة في لشجرة لورائنة، مكنوى بجماعياً جعل من البعث محولة وسمها بالقطرة الباطنة وناولها مستقلة عن البعات التي تحقق من خلالها ومن ها كانت فرصة بعدد البعات البديني مقابل فرصية وحدانية اللسان بوصفه مقبرة (الفصل الأول وحده النوع، تعدد الألسنة) ثم تظهر أهمية لعوامل الاجتماعية وعلاقة التأثير المتبادل التي تربطها بالأساق البيولوجية وسلط الضوء عليها بفصل درامه تحرية طبيعية مادرة في العلوم الإنسانية بقدّمها بكون ألعاب أهلي لمستعمرات البديمة البعات الكريول (les créoles) (الفصل الثاني المحتر الكريولي) وبصف إلى هذه المعايير البعبه، كنوصح لبك لعلاقة البديلة نفسها، دراسة لبواصر البولية التي تدور، في مجالات البصوبات والقواعد وللمردب، قائدة للبصيم، أو التي يمكن استعمالها، على العكس من ذلك، كأسس لتفسير البعات البشيرة إلى أنماط مبسة (الفصل الثالث البليات في الألسنة والاختلافات البصيفية) ثم تظهر أخيراً كيف أن بتداع البعبه، وعلى لرغم من أنها برشح لبوت بصوره حرسه متوسلة البش المفعّل أو لمرجاً لآثر ما، كاشعة عن إعرات

الجماليات، لم يزل من هيمته الشعاع المرتبطة بتوسع السياقات الاجتماعية للكلام (الفصل الرابع الكنية واشغاله)

يقوم القسم الثاني، المعنون - «فائدة هذه المعرفة، أو الكون والخطوط والمجتمع»، بتوجيه سائح القسم الأول وهو عائيه أنثروبولوجيه إذ يظهر درسه الأدلة* (الألفاظ) التي تتشكّل منها اللغات أن صعوبات الوجود ضمن الجماعة يؤلّد سئ لسانية مسجمة ومتناسكة إلى حدّ ما، عائنها بفل رسائل يمكن لجميع نداولها وتأويلها، على الرغم من تدخل الرعدات الفردية والحاجات، المعبرية التي تحلحل، من وقت لآخر، استقرار هذه السئ (الفصل الخامس موطن الدليل) تلقى اللسانات بالمشروع الأنثروبولوجي وتسهم فيه حين تظهر ارتباط استقلالية اللغة - أمام المعكّر من جهة والعالم الذي تتحدّث عنه من جهة أخرى والأنظمة المسطقية أحياناً - بمساهمات الحوار (الفصل السادس اللسان وأنواع والمسطق)، وارتباط هذه الأخيرة أنصاً بكيفية بطق، الخطوط بالعالم (الفصل السابع نظام الكلمات ونظام العالم) يعنى أحياناً أن المعرفة السئ تقدّمها عن الإنسان معبئة سدوكه الحطائي يمكن لها أن تمهد لاستعلان ثقفي أو سياسي، أي لاستخدام قدرة اللغة لعباد سلطوية (الفصل الثامن أسد الكلام)

يبدو القسم الثالث، «العامة النظرية أو الإنسان المتحدور»، كقطعة الوصور الطبعية لهذه المسيرة إذ بطق هذه الساء المطري أولاً على المسطوي بوصفه ظاهرة تُتخ وتؤوّل، ويستقي ثلاث مفارقات متكاملة (الفصل التاسع بطرية وجهات النظر الثلاث) ثم يوسع انعاش وهو منظور عام عن لعلاقة التحدورية والخواص الإنسانية التي تحددها (الفصل العاشر اللسانيات الاجتماعية العملاسة، أو نحو

(*) يستخدم رمز "دليل"، ج "أداة"، مقابل المصطلح اللساني الفرنسي signe انسجام مع المصطلحين الآخرين المتداولين في اندس اللساني العربي الحديث وهب "دال" و "مدور" المقابلين للمصطلحين الفرنسيين signifiant, signifié (المعجم)

نصرية للتواصل) وتقود لمكانة المحصنة للعامل لاجتماعي إلى
 وسط نقطه مركبة تتعلق بظاهرة المتغيرات البنية (الفصل العادي
 عشر بأرجح الكلام) ويسهي المسحّ دراسة دفع بسعي الباحث
 البشري إلى نريه عقلاي من خلال المودح النظري الذي مقترحه
 (الفصل الثاني عشر حت الألسه)

* * *

في بداية العام ١٩٨٢، رودني المكرة التي يمثل هذا الكتاب
 شكها اسحر. لا يصح أن ستمر إصرار الدراسات البنية على
 الاعكاف المتجسد في كتاب أشه ف تكون بالمساجاة، سيما يجدر
 انسان في قلب احسن الشري وإبه لرهان بالأكيد، في وصعا
 لحاني، أن يرعب أحد ما بإطلاع الجمهور على بعض نتائج علم هو
 في سعيه إلى بناء خطاب عقلاي عن الإنسان يتوحي الدف ولا
 أدري ما إذا تمكّث من كسب برهان من الواجب القول إسي لمبت
 في شخص أوديل حاكوب، هناماً وصعه صدر كانا بمثابة تشجيع
 عظيم لي، وكذلك كنت الافتراحات المعقدة التي قدمها قارئه سيهة
 أعتبر شكرها من دواعي سروري

كما أوجه شكري أيضاً إلى جميع من منحوني من وقتهم
 وجهدهم لمساعدتي بصنعتهم، وأخص بالذكر أ دوفور، وح
 دوفور، وم وف غاسيه، وس بلاتيل، ون روفيل - ماكديلد

دريس، شاط/فراير ١٩٨٥

ك ح

I

**حول بعض إنجازات اللسانيات
أو
نقاط استدلال العنصر الإنساني**

الفصل الأول

وحدة النوع،

تعذر الألسنة

وصار الجسد "كلمة"

من المريح، وعلى العكس من المفكر الشائعة، ألا يرجع لتوَعُّ الكبير في اندعات المعروفة اليوم إلى لغة أصلية وحيدة بشرية كلها فانو حدة، إن وَجَدَتْ، هي وحدة الملكة للعبوة التي تحضّر الجسم الشرقي لا وحدة اللغة بعد ذاتها والعرضية التي مطرحها هنا هي التي ترى، في البدء، حسناً واحداً (وحدانية لتكوّن السلالي) لا لغة واحدة (تعذبه التكوّن اللعوي)

ليس بالأمر السهل تحديد بدايات مطلقة في التاريخ لا بل تردد الصعوبة باضطراب، من وجهة نظر منطقية وفي ضوء الاحتمالات لعملية الانتقال إلى حاضرها على حد سواء، كلما أمعنا النظر في لهوة السحيفة التي يعتقد أن الجسم الشرقي خرج منها وبالنسبة لأي محاولة لتأريخ "لحظة ظهور الإنسان على الأرض" بدقة هي محاولة لا تقوم إلا على الفرضيات والمفاهيم، تقدم أحدث الدراسات الأنتروبولوجية حججاً تدعم انسياب ما قبل التاريخي الذي يمكن تحديد مرحله وإن بصورة تقريبية فمد أربعة إلى خمسة ملايين سنة بدأ من يمثلون الجسم لشرقي (Homo) بانتعير عن إنسان إفريقي الجنوبية، المديم (Australopithecus) اندي لم يفرص مع ذلك وبقي يعيش ربما طويلاً إلى حد لمحددين منه ثم ظهر جسّد الإنسان الماهر (homo habilis) عبر مجموعة من المراحل تمتد إلى

نصبة ملايين من السنين ويمكن تحديد فترة ظهوره قبل حوالي ٢,٢٠٠,٠٠٠ سنة، أي بين العصر البليو-بليستوسيني (وهذا العصر يقع بين العصر الثالث والعصر الرابع من ماريخ الأرض) والعصر البليستوسيني الحديث ولقد «نطقنا» منذ جسد الإنسان المعاصر، حركة توسع بطيئة ودأب اتحاه واحد كذب بمثابة معاصرة مدهلة يُعبر الإنسان الحديث اليوم محضتها، بانتظار نتائج أخرى ستأتي بعد عدة ملايين من السنين القادمة قد تحلوا لحال مصورها سيما يعجز العلم عن التكهن بها

تقع المناطق التي نَمَّ تحديد ظهور حذا الأول البعيد فيها، وباسطار ظهور اكتشافات أخرى، في إفريقيا لشرقية والجنوبية هناك، وبصورة خاصة، ثلاث مناطق، شكّل شريطاً متتابعاً تقريباً، تبين أنها مناجم مثمرة وفقاً للسجلات الأخيرة تقع المنطقة الأولى منها في إثيوبيا في مواقع ملكا كونسوريه (Melka Kunturé) وحدار (Hadar) (في مقاطعة وولو Wollo في عمار Afar) ووادي أومو (Omo) أما لثانيه فتقع في كسا شرق توركانا (Turkana)، غربي البلاد وتقع الأخيرة في سرايا في موقع أولدوفاي (Olduvai) ولم ينتظر حبال الشعوب بطبيعة الحال الشواهد الملموسة، التي قدّمها السجل الحديث والمعاصر عن آثار تعود إلى ما قبل التاريخ، لتحديد موقع مهد الإنسانية في تلك النحوم الأنثوية الأسطورية إذ توصل حيال المؤرخ ليوناني ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) (في القرون الأولى قبل الميلاد) إلى النتيجة نفسها من خلال الأحكام ببلد المنطقة وسكانها، عبر رحلات طويلة قام بها إلى هناك إلا أن نديد ليوم فرائض ماذبة أكثر مصداقية من الحكايات والأساطير المؤسسه

لقد اكتشفت فرق من علماء الأنثروبولوجيا^(١) في مواقع النقب

(١) ل. ليكي (L. Leakey) وب. توبا (P. Tobias) وج. نيبه (J. Napier) عام ١٩٦٤، ثم أ. كوبر (Y. Coppens) وب. كلارك هاويل (F. Clark Howell) وج. سافيريون (Chavaillon) وم. طيب (M. Tazeb) ود. جوهانسون (D. Johanson) بعد ذلك =

الثلاثة المذكورة، كما في مواقع أخرى عديدة حولها تعود إلى حقبة ما قبل لتاريخ، كمية كبيرة من الأدوات تُشكل ما يسمى بثقافة الحجارة المصنولة، أي شظايا صخور مصمومة بشكل حميف لتصبح أدوات تُستعمل للحف والعلق والنقّطع، بالإضافة إلى أدوات مدنية وغيرها ولا يعني وجود هذه الأدوات بالطبع أنّ البدائيين لديهم صنعوها بمثلون الجنس الشرقي بالمفهوم الحديث إلا أنّ هذه المخلوقات البشرية تبقى أول الكائنات الحيّة التي تُنسب إليها لا بعض الحواضن السيولوجية وحسب، بل ولأعرص المصنوعة أيضاً ويمرص انتدغ طرائق تلك الصبغة وتنفذها - وهي طرائق تسم عن خبره طويده مثلها مثل سظم شاذ جماعي يمثل أهمه الصيد الذي يربط به بقاء النوع - قدراي في الترميز بالإضافة إلى برور وعي ما وإدراك استبطاني للمشاعر كما تتلارم مع ذلك الأمر ملاحظة معدها أنّ حجم قحف الجمجمة عند هذه المخلوقات البشرية قد رء بالمعارفة مع مثيليه عند إنساني إفريقيا لجنوية القدمين (Australopithecus robustus) و (Australopithecus boisei) وهما احمر سلاله إنسان إفريقيا لجنوية القدم، سما بطور حجم منطقة الصدغ وأحدث منطقة بروك (L'are de Broca) بالظهور وهما يرتبطان على انساني، عند لإنسان اليوم، بالذكورة واللبه إن محيطاً شياً منحنياً هو وحده القادر على صنم تلك الشروط العديدة لملائمة لظهور جنس حديد يمثل هذه الخصوصه يد يصعب تصوّر اجتماع عوامل يمثل هذا القدر والسظيم وتحققها بصورة مطانم في موقع سنه متفرقة إفريقيا الشرقيه والجنوبية هي مكان لوحيد في العالم الذي

بأعمالهم عند كويسر في كتابه *Le singe, l'Afrique et l'homme*. Paris, Fayard, 1983
 coli «Le temps des sciences», 1983 (بدون هذا القسم بالكثير بعد الكتاب كما يمكن
 العودة إلى كتاب س ر هارنات (S R Harnad) وهذا د سيكس (H D Steklis) وح
 لانكستر *Origins and Evolution of Language and Speech*, Annals
 of the New York Academy of Sciences, vol 280, New York, 1976

تم فيه الكشف عن محلفات تُنسب إلى الإنسان الماهر وعليها
التالي، بحسب ما عرفه اليوم، اعسار تلك المنطقة من العالم مهد
الإنسانية

غير أن مشكلة تبقى مع ذلك قائمة فما العملية التي ولدت
نلك الحصائص الأساسية المحددة لظهور حسي جديد، مهما كان
موقف من انحرافات التي نتحدث عن صعوبات قامت بعملية صياغة
فائقة السرعة للمرحلة التالية؟ وما هي الأحداث التي تسبب، وقل
بحديد تلك الهوية، بذلك الظهور المندرج لمخلفات بشرية كانت
ولا شك تحمل في شيفرتها الجينية أهلية لغوية وإن لم تستخدمها
بالكامل؟ ويبدو من المحتمل أن تكون عريف، في أوج العصر
لثلاثي المتوسط، قد تعرضت لانقلاب مصاحي حاسم قرر مصير
الجس الشري فيد التكون ولقد دام هذا الانقلاب المصاحي مئات
الآلاف من السنين وأدى، مع وجود فترات هدوء قصيرة، إلى تحويل
مناطق السافانا الإفريقية الشرقية إلى مساحات من السهوب غير
الخصبة وسرعت هذه الظاهرة الطبيعية التطور الذي أدى إلى ظهور
الإنسان الماهر، وهذا ما ندعو هنا إلى تأويله بحسب وجهة نظر
الداروينية الحديثة وإذا اضطرت حد الإنسان إلى أن يتأقلم مع محيط
بيئي جديد فرض عليه ندون رجعة، ولو ساء شديد، فقد طور شيئاً
فشيئاً قدرات خاصة من أجل البقاء في وسط معاد له، مع ما رافق
ذلك من روال الأفراد عبر العصور على ذلك التأقلم روالاً لا رجعة
عنه وبمكنا تصور ذلك إذا فكرنا بالخفاف الذي يصرب لسوم
بالحديد نلت المنطقة من لقرن الإفريقي ويحول الطبيعة هناك إلى ما
يشبه الصحراء فيقتل الشر ويقضي على مواشهم ولدينا العديد من
الشواهد على الحصائص التي طورها الحد الأول للإنسان فقد راد
حجم داخل فحف حجمته مما جعل له حمة أكثر "إنسانية"
وتلارم ذلك مع نمو قدرة الدماغ وتروية العشاء المعلف له ولتحصل

لشوكني (الأم الحديفة la dure-mère) كما أصبحت أسنانه أكثر انسجاماً فيما بينها وتحمل أثراً واضحاً عن تعقد نوعه عدائه، وهو أمر فرصه ندرة لمصادر العدائية السلبية وتدلُّ الأدوات التي قام بصنعها على التعمد المطرد لتصويره الذهية ويبدو أن ليثة لصعة والحظرة على حياته أحدثت نوعاً من التصلب وأدت إلى بداية تكون حياة اجتماعية وتنظيم للمقاومة تهديد لانقراض لها انصرفت ملكة «نعة» (وليس باستخدامه المباشر، بالتأكيد، شكل لعنت وفق المفهوم الحديث للحكمة) ومعها أهلية لحياة الاجتماعية، لملازمة لها، في «شجرة» انوراثيه لهذا الذي صار، قبل حوالي ٢,٢٠٠,٠٠٠ سنة، الإنسان الماهر

هل يمكننا تحديد 'ولاده' الإنسان الماهر بصورة أدق؟ وإلى متى تعود ملكة اللعنة؟ بفضل أكثر العلماء حصة إرجاع الأخير إلى مرحلة متأخرة من تاريخ «جسر الشري»، أي إما إلى الحقبة المسترسية الوسيطة ١,٥٠٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ سنة . وهي لحقبة التي شهدت حساً جديداً هو الإنسان المنتصب (Homo erectus) الذي راد حجم داحل وحف حممته بمقدار الضعف وأصبح شكل أدواته أكثر انطباعاً وناسفاً، وإما إلى الفترة لوقعه بين العصر الحجري الوسيط والأخير ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ سنة . وهي العصر التي ظهر فيها حس الإنسان العاقل (Homo sapiens) وتجد فيها تقيانات متطورة في بحث مصحور وأثار بعض الطعوس، وهي أول شواهد على الدهر وتقديم اقربائهم عند لقبور، وبهوشاً على جذران انكهوف مرابدة التعقد وهي صروح بالغة لوصوح في الفن انسجريدتي وفي الترميز الطقوسية . وعلى أي حال فلقد تأخر استعمال الإنسان لملكه لدعه التي صنعت في شجرة الوراثة منذ مرحلة الإنسان الماهر . فاسترجع تلك الملكة ضمن خصائص الإنسان الماهر، سواء أكان قد سخدمها أولاً بصورة تواصل بالإشارات سامة لرموز الصرحات المتنوعة أم لم يفعل، يعود إلى مؤشرات تدل

على وجود نظام عصبي بالغ التعقيد عنده كما يترافق ذلك عنده مع
خصائص جسمية ودهنية واجتماعية تفرض وجود نمط من التواصل

لا أننا نملك فرائض حدث مهم يمسد السدود حول أصل
اللعاب ويمكن، أيضاً وفق منظور الداروينية الجديدة، تأويل هـ
الحدث في ضوء مبدأ الاصطفاء الطبيعي الذي يكون أجهزة عضوية
للاتصال تسمى بالتشويخ الكبير منذ لحظة نشوئها وبعد قام جس
الإنسان الماهر بهجرات واسعة بعد ظهوره بفترة قصيرة والحقيقة أن
عشرنا، وفي مناطق شديدة البعد عن إفريقيا كعرب أوروبا وشرق
آسيا، على بقايا عظام فك وحصى مشعولة يُقدّر أنها تعود إلى
١,٦٠٠,٠٠٠ سنة أو ١,٨٠٠,٠٠٠ سنة، أي إلى المرحلة الانتقالية ما
بين الإنسان الماهر والإنسان المستنصب على أبعد تقدير إنها نما
ترجل بالغ القدم للحسن الشرقي يعود، بحسب آثار النشاط الي
يمكن ملاحظتها، إلى أرميه كانت فيها أهلية الدعة، وعلى الرغم من
الاحتمال الكبير لوجودها، ما تزال بعيدة عن إنتاج تواصل لذي
بالمعنى الذي ستخدمه اليوم

قد يكون ملزمين، في ظروف كهذه، سدده العجمه لكشفه التي
تلف الأصول عن بعض القصص

إذا ما نحلب عن وهم فكرة ثبات الحسن الشرقي التي تُصمى
عنى يسار ما قبل التاريخ ملامح الإنسان المعاصر وخصائصه،
بمكنا تقتل المبدأ الذي يعيد بأن أهلية الدعة التي احتج الإنسان إلى
مئات الآلاف من لسير لظهورها لا بد أن تكون قد تلتها فترات
رمية طويلة أخرى تطورت خلالها تلك الأهلية ويسم ذلك عن طريق
النشاط المتبادل الذي يربط المذكات العظمية بالبيئة وبالتاريخ، كما
هي الحال في كافة السى العضوية التي عايشها علوم الكائنات الحية
ويترافق هذا التطور مع ريادة نمطية فشرة للدماغ لجديده والحق
أن هذه الأخيرة، وهي موطن الفكر الجريدي ويحتوي على ثلاثين

مديراً من لحايا العصبية، قد هيئت تماماً على المكونات الأكثر
قدماً عند الإنسان لعافل، أي على الدماغ البدائي لعديم وهو
موطن انعراثر لمصرص - وعلى الدماغ للبمبي وهو موطن
المشعر - لكن من دون أن تنميها^(٢)

المتنوع وأسطورة الواحد

رأيت كيف أن كافة المؤشرات تدلّ على تزامن بين بدايات
لحس البشرى وانهجرات نحو مواطن بعيدة وإذا ما أنصب في دهسا،
من جهة أخرى، انفرق بين مفهومَي اللغة و اللسان^(٣)، فإن تلك المعامرة
انهائية تنبذ لها بوضوح أكثر وقد أحدثت لتمنمات الأولى،
لمشقرة إلى حد ما، بالتطور وبالتحس أكثر فأكثر وبالشكل في
وحدات منظمة وتوسعت قائمتها بأطراف مع اعساء قدرة الترميز
بتلك لملكة لخاصة المتعلقة بتحويل الفكر إلى علامات مستظمة
يتم التفسير عنها تركيبات صوتية إلا أن مثل هذا التطور يصرص
هو ذاته انقصاء رمز طوي، فهو لم يبلغ مستوى الألسنة لشرية،
بالمعنى المعاصر لتكلمه، إلا بعد انهجرات الكبرى وبذلك تكون
تلك لصيرورة قد جرت، على أغلب نظر، في عدد كبير من
الأمكن لمحتنفة لقد تنوعت الظواهر الصوتية التي سجلت عنها
مع سوز المحيط البيئي والطبيعة وأصوتها والساتات والحيوانات،
كما سوت أول بوادر لتطعيم الاجتماع في كل وحدة معيشية
حينه (مجموعه من الكائنات المرسطة بعصبها المعصر)، وبإنساني
تنوعت اللغات الأولى نفسها والعلاقه وثيقة، بمد ليديه، بين
هذه اللغات وتلك التنظيمات لاجتماعية، وإن احتجبت بك

٢ مظر Maurice Aurox, *L'ambiguïté humaine*. Paris, Buchet-Chastel 1983

(٣) لا يجمع هذا الاختلاف بين الملكة والممارسة مع ذلك أن يرى وفي اللغة العربية الفارسية،
استعمال لفظ *langage* (لغة) كمرادف لفظ *langues* (ألسن) بعبارة الجمع وبالتالي يفهم من
ذلك أن الخصائص التي يبر بها اللسان هي نفسها التي يملكها اللغات بكل عدم

العلاقة تحت عطاء اصطلاحى من خلال الشات الدرېحى الذى
يُعدّ الألفاظ وساء الجمل عن كثرة الحجة لتي وددت فيها
من الممكن تفسير كلته ذلك "الحار" الذى أحدث به تلك
المجتمعات ما قل الدريحية المتنوعة والمتعلق بالذال الطعني .
لسمعي كوسيلة لإنساج المعنى، على الرغم من وجود أقيه أخرى
ممكه فاستعمال أعضاء هي في الأساس للتعبئة والسفس واندفاع،
من الأنف والشعير إلى الحجرة، لعائات مواصلة هو أمر طبيعي
ويمكن افتراض ذلك عند أجداد الإنسان الذين لا بد أنهم عرفوا ذلك
الاستعمال قبل مدحه الهجرات، كما عند الحيوانات الراقية من
الثدييات والطيور والتي احتكو بها في أماكن مختلفة خلال مراحلهم
فيس لمفهوم "الطعني" هنا أي بُعد متاثير بقي وبه لمن المفيد
قلب القول الشائع الذي يرى في العادة طسعة ثانية فانطبعي قد لا
يعدو كونه أكثر من عادة أولى غير أن هناك عوامل ملائمة ترشح
العادة وتدل على أهمية الصوتي في معامرة اللغة الشرية فتطور
لحوس التي تبيح نلغياً مزجاً في فضاء المكان (الاستشعار عن بعد
وهو Hall⁽¹⁾)، أي لنصر والسمع، مفايل اللمس الذي يدل
على تلقى نتم بالاحتكاك المباشر، أمر نسم به الجنس الشرقي
ويمكن تفسير ذلك بتعوق السمع على لنصر، في الاستشعار عن
بعد، ويتقدم السمة الصوتية السمعية للسان على نظيرها البصرية
والحقيقة أن هذه الأخيرة لا يمكن استعمالها على الدوام، على اعتد
أن الإشارات الحركية لا يمكن ملاحظتها في الظلام وبالتالي فقد تم
إقصاء الدال الحركي عن موقعه لأول سبب صعود العالم المادي
نفسه (ورن كان على الأعلب قد سو الدال السمعي وارتبط طويلاً به
ويبقى حاضراً اليوم سبه تتعاون من ثقافة لأخرى) يضاف إلى
ذلك أن وجود سنار حاجب (كالمعد أو انصار من الأرضيه أو

(1) E. T. Hall, *la dimension cachée*, Paris. Ed. du Seuil. coll. «Points». 1971
(trad. fr. D'un ouvrage paru a New York, Doubleday 1966), p. 60.

الحادث انطبعي أو غيرها) وإن كان عضةً أمام الرؤية إلا أنه لا يسمع السمع، شريطة ألا تكون المسافة قصبةً جداً

ومن لملاحظ أحياناً أن الجسم البشري قد أثر الأصوات التي تصدر مع انقباض، مع أنه لا بد أن يكون هناك من بين الحيوانات التي أحاطت بالإنسان لندائي فصائل تصدر أصواتاً مع الشهيق كالحيول المعروفة اليوم وتعد إفريقيا لحسوبة المنطقة الوحيدة في لعالم المعاصر التي نجد فيها أصواتاً تصدر مع الشهيق، وهي التي سمها اليوم بالصوامت المنقرقة أو الممقطقات فهي موحودة عند لهونتو (Hottentots) والبوشيمان (Bushimans) والرولو (Zoulous) وفائل أخرى نستعمل لعدت مدخل فيها الممقطقات ولا يوجد هناك م يدل على أن تلك الممقطقات الإفريقية بقاب قدسمة لعهد وأن مثل هذه الأصوات كانت، حصراً، أول م استعمله الإنسان لندائي وإذا ما قبل بأن تطور اللمعات يتم وفق مسحن دائري لا حطقي، يمكن القول إن أصواتاً معقدة شهيمية قد تشكلت بطلاقاً من الأصوات البسطة، وإن أساس البسط تطور من المنطقة الأمامية للسم إلى الحلقية منه بعد مرحنه من مراحل هذا التطور الدائري، فكان البسط فيها يبدأ من الساحة الحلقية للسم نحو لأمامية منه كما أن الممقطقات الندائية تفقد صلتها بالمقطقات المشهود عيها اليوم (في هذه الحال، صلتها التي تجعل منها «سمراراً بياضي») غير أن هذا لا يعني احتمال أن تكون المرحلة الأولى من لدرج الدائري لبعات قد عرفت، في بعض المناطق التي هجر إليها أجداد الإنسان، صوتاً شهيمه^(٥)

(٥) حول هذه المسئلة، ومصوره خاصة حول الحدال المعنى تطور البطن من الحنف إلى الأمام أو من الأمام إلى الحلف في تاريخ البطن الصوتي، انظر J Van Ginneken, «Les clics, les consonnes et les voyelles dans l'histoire de l'humanité», in *Proceedings of the Third International Congress of Phonetic Sciences*, Gand, 1938 وكذلك Hagège et A. G. Haudricourt, *La phonologie synchronique*, Paris. P. U. F., = J. Dunn, «Homination-Base articulaire», *Revue* ربيع 1978, p. 19 et 57

وهكذا يكون اعتمادُ اللغة الصوتية - السمعية للتواصل أمراً عاماً، إذ يمرّ كونه الكائنات الحيّة التي تتدبّر لديها مدّة اللغة بصورة مدموسة إلا أنّ ذلك قد جرى في مناطق مساعدة من الكرة الأرضية بحيث تمايزت تلك اللغات البشرية، فقد التشكّل، عن بعضها البعض وبذلك تكون فرصة تنوع اللغات البدنيّة متوافقة تماماً مع وحدانيّة اللّغة التي هي في صميم ماهيّة التعريف بالجنس البشريّ ومن الجليّ أنّ في افتراض مثل هذه السّوّج إدانةً لأسطورة وحدانيّة اللّغة ولا يحقّ بالطبع أن سمة الوحدانيّة في اللغات لأنّ نفسها لا يعترضها الجميع من الأمور البديهية إذ لا يحسر علماء اللغات لهندية الأوروبية، على سبيل المثال، أنه كانت هناك بالضرورة لغة هندية أوروبية وحيدة بدئية غير أنّ أسطورة الوحدانيّة هي من الترسّخ بحيث تعوي العديد من الهواة منذ زمن بعيد وعلى الرغم من ضعف تأثيرها في العلماء المختصين الأكثر حصافة

يحاول هؤلاء الأخيرون إعادة تشكيل المبادئ البدئية لدغات وفق كلّ عائلته لغوية وبوصلت حتّى العوارق بين لغات العائلة اللغوية الواحد، وبدرجياً كلّما اتّسع في الزمن، إلى عددٍ محدّد وصيّقي من اللغات الأمّ البدئية وتتدبّر في أفق مثل هذا السّمي أسطورةً وحدانية اللّغة، على الرغم من تحنّب إعلان مثل هذا الحزم بصورة صريحة، إذ يستمرّ حلف عده مثل تلك المقدمات ويظهر هذا الخلط بين وحدانية أصل الجنس البشريّ ووحدانية اللسان الأول عند واحد من أعظم روّاد المقاربة إنه لفيلسوف لا يستتر (Leibniz) إذ يحاطب بيو فيل محدّثه فلات^(١) قائلاً

«لا شيء يمكنه مقاومة هذا الإحساس بوجود أصل مشترك لجميع الأمم ولغة متحدّرة بدئية، بل كلّ شيء يميل إلى تأكيد ذلك»

= des Etudes slaves. LV I 983, p. 7 25
من ١٥٧ - ٥٨

(١) Leibniz, Nouveaux Essais sur l'entendement humain, 1704 livre III. chap II

لا أنا كنما توعل في الماضي بملص الفارق بين الألسه
 د ب لأصل المشترك وسدل من الألسه دات الأصول المحتفة
 إن تنوع الألسه مقاوم عروة اتوحد مهما بدلنا من جهد لاخوته
 أو لإدرجه في شموليه ماء، ومهما كان بوقاً إلى مبدأ لقضاء البدئي
 الذي يعود بنا إلى عهد آدم حيث لم يكن هناك سوى كلام واحد
 هو كلام الحائر

اللغة والفطرة

لقد سجت عن النقاش الذي دار حول مبدأ العطرة ومبدأ
 الاكتساب خلافات عممة دامت طويلاً بسبب تجاهل السمة الجدلية
 للعلاقة التي تربط بينهما وتقدم معاينة اللغة إسهاماً مهماً في هذا
 النقاش إذ تلقي الضوء على وجود حقيقة وصل بين المبدأين تتجسد
 في الأهلية لشريه لوبيد عدد لا يتناه من الحس، وهو ما يشير إليه
 مفهوم "الكفاءة" الذي ابتدعه شومسكي^(٧) (وسرى لاحقاً أن بعض
 مظاهر الحدس المرصطة به هي أكثر مدعاة للنقاش، سيما بعد عمله
 أفكار أخرى قريبة منه أكثر قابلية للنقاش والجدل، وهو أمر سألني
 على ذكره لاحقاً) وسأحد بعين الاعتبار، هنا، أن الأهلية الطبيعية
 للطفل تطبق على مصادح العبارات التي يمتد به محيطه إلا أن حده
 لوصل تلت، إن كانت قابلة للاستعانة في مرحلة تكونها العردي
 (التعلم عند الطفل)، تبقى عائرة عن المرحل الأولى لتكون لأحاس
 ونطورها (ولادة المعة عند الحس الشرقي) إذ يفترض السطيم
 الاجتماعي، هنا، وجود وسيلة ما للتواصل بدئية تادي لأمر أدت،
 في فترة يرفض أكثر العلماء حصافة رجاءها إلى مرحلة سابقة لظهور
 الإنسان العاقل، إلى إنتاج اللغات غير أن إذا ما قبلنا بوجود جدور
 بيولوجية للعامل الاجتماعي عند الحس الشرقي في الأصل، فمن

N Chomsky *Aspects of The Theory of Syntax*. Cambridge (Mass) MIT (v)
 Press, 1965. I «Methodologica. Preliminaries»

الواضح أنَّ التفاعل بين العوامل الاجتماعية والعوامل الكامنة في تطوُّر الدماغ أصبح دائماً مد يدانه تطوُّر الحياء ضمن الجماعة بهذا السبب بالذات يُصيِّفُ بعض النعقل إلى وجهه نظر علماء البيولوجيا الذين يقولون «من المحتمل (لكن بصورة افتراضية بالطبع) أن يكون تطوُّر الرابطة الاجتماعية في البدء، وهو رابطٌ أحد نعداً كبيراً عند الإنسان الأوَّل، الأعلى، نتيجة تطوُّر القشرة الدماغية الجديدة لا سيما»^(٨) ومع ذلك لا نسي هنا، في حال قلنا سلك الفرصية، أنَّ المؤلف نفسه يصيِّف فائلاً «لا يجب مع هذا رفض إمكانية إسهام المحيط الاجتماعي بدوره في التطوُّر الوراثي عند أجداد الإنسان المشربين» كما سبَّ للمؤلف أن تحدث^(٩) عن «اختلاف مهام في اسظام الغشيرة الدماغية وفي البيئة الثقافية»

إنَّ لافراسر بأن المعصر البيولوجي ليس العامل الوحيد الواجب أحده بعين الاعتبار لا يدفعنا إلى تجاهل أهميته وقد كانت هذه النمطة موضوع الكثير من الدراسات التي قام بها اختصاصيون في الدماغ واحصاصيون في عاهات التطوُّر^(١٠) ويدكر هنا أن بروكا (Broca)، ومنذ العام ١٨٦١^(١١)، عقد صلة مباشرة بين تلف الحاس الحشهي الأيسر وعاهة اضطراب النطق التي حملت اسم هذا العالم. يرتبط بعاهة انطق لمسماة "عاهة بروكا" إصابات محلفة شديدة تال من القدرة على التعبير الشفهي (والكتابي) كانتكؤ وإحلال كلمة محل

(٨) J. P. Changeux, *L'homme neuronal*, Paris, Fayard, coll. «Le temps des sciences», 1983, p. 355

(٩) Ibid p. 325

(١٠) H. Hecaen et G. Lanteri-Laura, *Evolution des connaissances et des doctrines sur les localisations cérébrales*, Paris, Desclée de Brouwer, 1977

(١١) P. Broca, «Perte de la parole. Ramollissement chronique et destruction partielle du lobe antérieur gauche du cerveau» *Bulletin de la Société d'Anthropologie*, t. II, 1861, p. 293

أخرى أو إدماج كلمته بأخرى وكالحديث في استعمال المواعيد النحوية وهو أشد، أيضاً، من حديث استخدام المفردات وإياها نعرف أن خصائص بصغي الدماغ بمختلف الأنظمة المعرفية سمة من سمات الدماغ البشري، وهو ما يقتصر إليه دماغ المخلوقات الأخرى غير البشرية. يضاف إلى ذلك أن الأسر لسولوجية للتأثر بالكلام قد أشتها مختلف الدراسات. ويبدو داللي أن القشرة الدماغية البشرية تحوي لوقت حواس صوتية توفق بالحدبد مع السمات المميزة لأصوات الألسنة، حسب التجارب التي تقب على أطفار رصع تتراوح أعمارهم بين ثلاثة شهور وخمسة شهور. فلقد ستجاب هؤلاء الأطفال بصورته إيجابية إلى الاصوات المتعارضين ba/pa (حرف صامت صوتي/ حرف صامت مكوم) أو ba/da (حرف شعوي/ حرف نطمي)^(١٢)

ولربما استطعنا، في المستقبل، اندهاب أبعد من ذلك لرى موضوع أكبر كيف يسجم تنوع لألسنة، وهو ما يره ها من المعطيات البدنية، مع وحدة انجس لبشري بوصفه متمتعاً بملكة اللغة. ومن مجالات البحث الواعدة ولأقل سر حتى الآن - لأنها تتطلب بالتأكيد كفاءة حقة وجدة في مجالي اللسانيات وعلم الأعصاب معاً - مجال البحث في آليات الدماغية التي تطلقها عملية التواصل. ولقد بدأت بعض الدراسات - وهي محتاج إلى لمريد من التوثيق بالتطرق إلى هد لموضوع منذ عامي ١٩٦٢ و١٩٦٤ وقام بها كل من هايدن (Hyden) وباربيزيه (Barbizet)^(١٣) تقول هذه الدراسات إن

(١٢) P.D. Eimas, E.R. Siqueland, P. Juszyk et J. Vigorito, «Speech Perception in Infants», *Science*, 172, 1971, p. 303-306. A.R. Moffitt «Consonant cue Perception by Twenty to Twenty-four Week Old Infants», *Child Development*, 42, 1971, p. 717-711.

(١٣) H. Hyden, «Molecular Basis of neuron-glia interaction», in *Macromolecular Specificity and Biological Memory*, éd P. S.O. Schmitt, Cambridge (Mass) M.I.T. Press, 1962, p. 54-69; J. Barbizet, «Le problème du codage cerebral, son rôle dans les mecanismes de la memoire», *Annales Medico-psychologiques*, 22^e année, n° 1, 1964, p. 1-28.

الحاثات الحسية، التي يُشيرها عرض أو مفهوم ما، تصل إلى قشره
الدماغ عبر أقسى متعددة التعرّعات تشكّل ما يشبه السرعيم العصبي أو
الدائرة الملحقة لحاصله بكل من هذه الأعراض أو المفاهيم فهناك
كلّ دليل لساني دارة هي بمثابة الأثر العصبي لما يسمى في
اللسانيات بالدلالة

لكن، ومن جهة أخرى، لا بد من أن تكون هذه الدلالة وبي
العبارة مشتتة في ذاكرة حافظة بصيف إليها أيضاً، لا يه المتوافقة مع
حركات لطق عند المتكلّم والتعرّف الحسيّ المتعلق بتلقي الرسائل
عند المستمع وتنصّ فرصه هايدن على ما يلي تتشكّل المحلّقات
الذكرية أو الانطباعات على امتداد الدارات الملحقة بواسطة تعبيرات
تطراً على سية ذرات الحمض النوويّ الرسي (A.R.N) الكسرى
وتختلف هذه الأخيرة عن ذرات الحمض النوويّ الرسيّ المقوص
الأوكسجين (A.D.N)، كما تدلّ عليه تأثيراتها في حالة حفظ الأثار
على سبيل المثال والذاكرة الوراثية، أي الحماط على الحواصر
المرتطة بالشيفرة الجينية عبر كامل السلالة المتحدرة، تتمركز في سية
الحمض النوويّ الرسيّ المنعوص، الأوكسجين، وهي تقريباً غير قابلة
للتلف أما الذاكرة البشرية التي تتمركز في سية الحمض النوويّ
الرسيّ، فمن المعروف أنها منعدّة وعمر موثوق بها بشكل كامل
وعلى أي حال فإنّ فرصة هايدن تعني التسليم دلسمه البيوكيميائية
للانطباعات^(١٤) وتتضمن مقولة مفدها أنّ الذاكرة، وبصوره حاصه
الذاكرة اللسانية، ليست تلك "الوطيفة الذهبية" التي تتحدث عنها
العلاسة الكلاسيكيون وحسب، وإنما يمكن أن نؤمن، من حاسها
المادي، بوصفها حاصبة كلّية من حوص السيج العصبي ومن شأن

(١٤) للحصول على مزيد من التفاصيل، انظر R. Husson, «Mécanismes cérébraux du langage oral, de la lecture et de l'écriture», *Les Cahiers du Collège de Médecine*, n° 12, janvier-février 1967 p 128.

ذلك إحداهن بعض الثغرات في المثاليه المسحكمة لدى بعض أنصار
لعموم الإنسانية ممن يتجاهلون حقيقة - وفق التقليد لمدرسي
لصرف - الأرضية البيولوجية لسلوك

تمكث الأفرص، بعد لتذكير بهذا الإطار العام، أن أنماط
الانطباع تختلف وفق نمادح الألسه ويمكنها أن تناول مثاب واحد
يسطو على الاختلافات السمودية التي مسطرق إليها في الفصل
لثالث فهناك أنسه ذات شكل صرفي محدود، أي ذات نماد
صعب بين الكلمات التي تحمل معان متماثلة ووظائف متعبدة
وبالذلي فإن الانطباع المنعقدة بهذا لعرض بين الألسه لا بد وأن
تكون هي نفسها محلقة وفصلاً عن ذلك تولى عامل ميري حر
هو ترتيب الكلمات - دوراً مضاعفاً في الألسه ذات الشكل انصرفي
لمحدود إذ يحمل مسؤوليه الإشارات الدالة على الوظائف المتعبدة
(نظر الفصل السابع، ص ٢٠٣ - ٢١٦)

نقد بدأت مؤخراً ملاحظ مدى أهمية الإجراءات العصبية
وانظامها في عملية الاتصال العنوي، وهذه الأخيرة مشتركة عند
لجنس الواحد وعطرية بطبيعة الحال إلا أن ذلك لا يعني علاقة
التأثير المتبادل التي تربطها بالعامل الاجتماعي خلال تطور الجنس
انشري ومن جهة أخرى، إذا ما نظرت إلى انوفنغ لا من منظور
تاريخ اللغة عند الجنس وإنما من خلال سيورة كتساب الطفل لها،
عينا حينئذ أن نساء عن طبيعة هذه الملكة بالتحديد عند إنسان
اليوم والخصفة أن أهلية التعبير عن الذات بكلمات ومن ثم بجمال
لسب تماماً معطى مستقلاً ومفصلاً عن ذلك،

إن المرحلة الحسية الحركية للدكاء لسب بشرية حصراً، وهي
تسبق اللغة في نمو الطفل، وهذا ما يمكن استنتاجه من محرّد
ملاحظه سلوكه من خلال الترابط بين الأعراض وإدراك نظم لعاب
ودمج لعناصر وعدي من لبي الأخرى المرتبطة بالتسويق العام للنشاط

والتي ستستخدم لاحقاً لسانياً^(١٥). فهل ممكناً منذ الآن استنتاج أي شيء من الآليات المجردة التي تتحكم بشكل العواعد الدعوية، وهي الباثُ تعبرها النظرية التوليدية كلفة وفطرية؟^(١٦) إنا وإن سلمنا باعتبار تلك الآليات موحودة في الواقع ربانها ليست مجرد مبادئ كندية حاصلة تدخل في نطاق النظرية^(١٧)، فهي معنى غير كافيه لإظهار اللعبة البشرية وكأنها متميزة عن أنظمة التواصل الأخرى إذ يمتلك الطفل معرفة سبى العالم، وتعود هذه المعرفة، المستقلة عن اللعبة، إلى تمتعه بجهاز حسي حاضٍ وإلى أنه يحيا على سطح هذه الأرض، أي أنها تعود إلى معطيات بيولوجية فهو يعلم، من خلال تعلمه الكلام، ساء التعبيرات اللفظية التي تصنع لسانه، من خلال الأدلة الدعوية وتراكيبها من جهة وتطبيق تلك التعبيرات التي تتعلق بالعالم المحيط على معرفته بهذا العالم من جهة أخرى إن أهلية المعلم المردوجة هذه، بوصفها ملكة لغوية، هي التي انطعت في الشجرة الوراثية للجس، مد الإنسان الماهر وإلى الإنسان العاقل، وانطعت في بيولوجيا الطفل بصورة مواريه لكن غير منطابقه (انظر الفصل الثاني، ص ٤١ - ٤٨)

غير أن هذه التعبيرات للسانية لا تولد عند الأطفال من لا شيء،

(١٥) انظر J. Piaget, *Le structuralisme*. Paris, P U F, coll. «Que sais-je?», 1968

(١٦) انظر N. Chomsky, *La nature formelle du langage*, trad. fr (Paris, Ed. Du Seuil, 1969, rattaché à la linguistique cartésienne) de l'Appendice A de E. H. Lenneberg, *Biological Foundations of Language* New York, Wiley, 1967, N. Chomsky et M. Halle, *Principes de phonologie générative*, Paris, Ed. Du Seuil, 1973 trad. fr Des première et quatrième parties de *The Sound Pattern of English*, New York, Harper & Row, 1968

(١٧) انظر C. Hagège, *La grammaire générative. Reflexions critiques*. Paris, P U F coll. «Linguistique», 1976, p. 65-68. Disponible en français, revue et enrichie de nouveaux documents *Critical Reflections on Generative Grammar*, Chicago, Jupiter Press, coll. «Edward Sapir Monograph Series in Language, Culture and Cognition», trad. par R. A. Hall, 1981

على عكس ما جرى في بدايات ظهور انحس البشري ولا يكفي مورث مفتره تعلم الكلام، أو حتى توارث ترسمه ثابته صانطة للسان، لتفسير لتعلم الذي شهد محريانه فمن المؤكد أن منكة اللغة عبر فائدة لتعلم بحد ذاتها لكن كيف لها وحدها أن تفسر حدة اللسان، في عمر يتراوح بين اثنين وعشرين شهراً وثلاث إلى أربع سنوات، إن لم تلت محاكاة المعلن دوراً جوهرياً في ذلك، وهي نفسها عملية تتمم على القدرة على استيعاب ما هو مقدّم؟

في الاستبيات^(١٨)، ساد الاعتماد بأن البيئة اللسانية للطفل تعتبر بالفقر والمحاولات، لماثلة ومد ذلك الحي جرت محاولات عشية لاعتبار الأهلية العظمية وحدها فدره على لعب دور حاسم أمام صحالة انماض الخارجى أما الواقع فهو معاير، إذ لا يستعمل ابالعون لساناً بسيطاً (ولكن غير فقير) عند محاطتهم الأطفال، إلا في المراحل الأولى من عمر هؤلاء الأخيرين، أي منذ ولادتهم وحتى عامهم الثاني فهم يميلون حينها إلى المصلحة في استخدام سرات انصوت وتعير مدمات الأصوات انعالية واحترال العبارات ونقل لعلات النحوية والإكثار من المقاطع المكررة وغيرها من الإجراءات التحسنة وإحلال صميم لعائب محل المحاطب إلح، ويمكن التحقق من هذا الميل في العديد من ألسنة العالم التي تمت دراسة هذا النوع من لتواصل فيها، من اللغة البعالية (الهند) إلى الترمالية (عواتيمالا)، مروراً باللسوانية وسعة اللوىو Luo (السودان) والفرنسية^(١٩) لا أن الأطفال، الكبار منهم والصغار، يشهدون خطابات المعلن لني بوجهونها إلى بعضهم البعض، ويسمعونها باستمرار، وكذلك خطاب البالغين إليهم هذا من جهة، ومن جهة

(١٨) N Chomsky *La nature formelle du langage*, op. cit. p. 180

(١٩) C.A. Ferguson. «Talking to Children: Search for Universals», in J.H.

Greenberg et al., eds., *Universals of Human Language* vol. I, «Method and

Theory». Stanford University Press. 1978. p. 203-224

أخرى، فإن السمات التي ذكرها لا تتصل إلا بسنوات العمر الأولى إذ يُحاطب الأطفال أنفسهم، في عمر ثلاث سنوات، من يصعدهم سناً باستخدام لغة "الأطفال" وقد يكون هذا الكيف العام في السلوك أثناء عمليه التواصل من الحواض الكلفة للجسر، وحتى للأجاس الأخرى القريبة إذا ما أحداً وراء أحصائيي تعليم لغة الإشارات للفرود إذ تقوم فرود الشماسري المُسنة بإبطاء إيقاع حركاتها عند محاطه القروود الصغيره السن^(٢٠)

وتثبت الدراسات العديدة^(٢١) المتعلقة بالمراحل اللاحقة أن عبارات البالغين الموجهة إلى الأطفال، وبالتحديد عندما لا يعودون أطفالاً بالمعنى الأصلي للكلمة (نعمي كلمة in-fans باللاتينية "من لا يتكلم")، هي في مختلف ألسنه مسوغة ومصنطة النية كما يرداد نعضها مع نمو الطفل، وهو ما يمكن توقعه بالطبع

إن أحد الأسباب التي تثير الحيرة في الخلافات لقائمة حول النظرية في موضوع اللغة تكمن في عدم معرفتنا ما إذا كان الأمر متعلقاً باللغة أم بالألس ولعل سدى لنا التميز بين هذين المفهومين، وهو أداء ضروري لتوضيح النقاش، منذ القسم الأول من هذا الفصل وكما رأينا، فإن الوقائع التي تدفعنا إلى نسني مبدأ النظرية متعددة باعتبارها ملكة اللغة وحدها دون غيرها إلا أن بعض النظريات الحديثة حول النظرية تذهب أبعد من ذلك فالقواعد التوليدية وهي تنسب إلى النظرية الآليات المحرّدة التي تحكم بشكل الأنظمة اللسانية - نصم إلى النظرية، علاوة على ذلك، مجال النحو انحاض والحقيقة أن النحو يتميز بنظيم هرمي لعناصر الجملة (أياً كان البناء)، سواء في أسط مطوق من كمتين لا بد أن

(٢) Ibid p. 217

(٢١) توجد لائحة بها في W J M Levelt, «What Became of LAD?» in W Abraham, ed., *Ut Videant Contributions to a History of Linguistics for Pieter Verburg*, Lisse. Peter de Ridder, 1974, p. 171-190

تكون لهم وظيفتان مختلفتان لتشكيل رسالة ما، وأن لا تكون محزونة
كلمتين مصعوفتين حسب إبي جب أو في حمل معقده يحوي العديد
من أدوات الربط وتعلق فيها لحمل وتتداخل بعضها البعض ويؤكد
مفوله «نظرية أن هذا التنظيم الهرمي مطوع في لشجرة الوراثية وفق
مادى محدده من سبب مبدأ الدورة التحويلية إذ يقضي هذا المبدأ
بأنه عند تركيب جملة معقدة، على سبيل المثال، فإن المظومة
التحويلية نفسها تنطبق، على التوالي، على ما يشكّل آخر جملة
متعلقة بها (في ألعاب مثل للعتس، (الإكسبيرت والهرسية) ثم على التي
تعلق بها وهكذا، وصولاً إلى الجملة الأصلية»^(٢٢)

إن مفوله كهده لا تعرض نفسها إذ يمكنها، مع تطبيق مقولات
الدرسية الجديدة على اللسانيات بصورة مجارية إلى حد ما، التأكيد
على أن الكيانات المعقده التي يسجها بطور مماثل للتطور، سولوحي
الذي وضعه كتاب أصل الأجناس تنظم هرمياً، بحسب المكسبات
لاصطفائية، وفق 'مفتصى' إحصائي وإن لم يكن هناك من مقصى
مطقي^(٢٣) وانحقة أنه في أكثر الحالات يتشكّل سائح التطور يعني
هذا الجميل التي تبيع الألسنة بساحتها - انطلاقاً من عناصر هي وجدت
حرة تحمل رسالة في حد ذاتها، أو من عناصر هي بعد الشكل بصورة
وحدات حرة وهكذا يبدو لتطور نحو الأعقد أمراً طبعياً، بانتظار أن
بدأ تدريج دورة الألسنة بالحركة في الاتجاه المعاكس فالوحدات
الحرّة تصب من تشكّل حملاً ذات سي مداحدة لأبها الطريقة الوحيدة
لديها للاستجابة إلى متطلبات لتوصّل لدي يتدع حجاب إلى لصاعه
لكلاميه تردداد معقد سبب تطور لعلاقات الاجتماعيه

(٢٢) N. Chomsky *Language and Mind*, New York, Harcourt, Brace & World, 1968, chap 2: *Reflections on Language* New York, Pantheon Books, 1975, chap. 1

(٢٣) G. Sampson *Making Sense*, Oxford University Press, 1980, chap VII

هكذا، وباستخدام اصطلاحات شوثية ومن دون الاعتماد
المعروط على نظرية العطره، يصح بالإمكان تفسير لتصيمات الهرمية
الحويه والحواض الأخرى، التي تعروها المادخ ذات الرعة العطره
إلى مجمل اللغات وتعتبرها مطبوعة في الشجرة الوراثية وستؤكد
التحرية الطبيعية عند الكريول (المفصل الثاني) دور العوامل
الاجتماعية، التي ستظهر مدى أهميتها عند دراسة الحواض الكلمية
للألسنة (المفصل الثالث) ثم حالات الشفاهة في علاقتها بالكثافة
(المفصل الرابع) إن المعالم اللسانية للسمة الشربة مسووضح شيئاً
فشنا عبر هذه المسيرة الطويلة

الفصل الثاني

المختبر الكريولي (*)

العودة وظلها

شترك الإنسانيات ومعظم العلوم الإنسانية في مسألة استحالة
إقيام تجربة مباشرة حول تكون موضوع دراستها بالذات. إذ يمكن
الفهم بمجرد محله. وهذا ما يحدث - حول اكتساب اللغة وحول
إصدار (حدث) لأصوات وسماعها وحول تطبيق لقواعد النحوية
وحول تلقي الرسائل الدعوية - إلا أنه من غير الممكن، عن طريق
التجربة، إعداد تشكيل ولادة لغة ما كملك لغوية متجلية. ولكم كنا
مستعظمين من أشياء لو كان مقدورنا القيام بذلك - بأن نشهد ولادة
اللسان اعتدالاً من حافة عياب التواصل يعني امتلاك القدرة على إدراك
وفهم ما هو أكثر إنسانية لدى الإنسان في طبيعته العميقة - كما يعني
ذلك الحصول على شهادة قيمة بعد في الجدل حول مسألة الفطرة

نكنز ألا نوجد تلك التجربة التمثالية، التي يحسم بها لسانيون
أحياناً، متوارية في مكان ما ولكن متناولهم؟ إذ تقع في المناطق التي
تدخل ضمن نطاق بحوثهم وتساؤلهم على نموذج بالغ التميز من
الأسئلة لا يهتم البعض بها بينما لا يعني البعض الآخر، ممن جعلوها
"احتصاصهم"، الدروس الممكنة استخلاصها منها والتي تعبد في

(*) اللغات الكريولية هي لغات سكان المستعمرات الأوروبية القديمة في جزر الأنيل وهي بحسب
المحالة مريخ من اللغة المحلية واللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو الإسبانية أو البرعالية أو
الهولندية وقد أصبحت اللغة الأم لسكان تلك المناطق وهي في ذلك تختلف عن اللغات
العمية الهجته (المرحوم)

التفكير لعام حول مسألة اللغة واللغات العملية الهجينة (*) واللغات الكريولية ستطر مَحَنِيهَا لإدراجها في نظرية لسانية مما سكة وسدو أن هذه اللغات (تقو سدو لاسا سحدد بعد فليس ما هو حقيقي وما هو ظهري في اللغات) تتيح فرصة نادرة في العلوم الإنسانية لتجربة من دون أي 'برونوكول' في مختبر طبيعي يسعيد بعقوبة ظروف ولادة اللغة فنسبان نكوؤ اللغة من سمات كافة التطريب اللسانية التي تقتصر بصرى على التراهن وتعلق على نفسها فيه وتولا هذه الأمر لارتقت دراسة اللغات الكريولية تتصح عدماً طبعياً بين علوم اللغة الأخرى وشهد اليوم اهتماماً واضحاً بالبلاد الناطقة باللغات الكريولية، إلا أن دو فعه اقتصاده وسيامبه أكثر منها علمية إذ يُعَدَّق العرب في معظم لحالات على سدان العالم الثالث، التي كانت في ما مضى أرض العودة، معطاءات سحنة شهية وحسب تحت ضغط مردوح من 'تأيب الصمير' ومن دفع المصالح الذي يضاف إليه

بلا أن اللسانيين العربيين - خارج الأحصائيين باللغات الكريولية - وهم بصورة خاصة تقبو 'الأسسه الكرى' (الهرسية والإنكليزية والإسسية والبرتغالية) ممن أرسوا فو عد معظم اللغات العملية الهجينة الأولى على شفه تخار العبد والمستعمرين، يربحون بعيداً صورة البدايات غير المتجيدة، أي ذاك المودح الوراثةي انقاس للتطبيق على أي لسان كان، والذي يستطع الكريوليون تقديمه إذ تتوارى خلف العصرية المصغدة للاحتجاجات، التي تدعي المراعاة درئ لاحتتمالات إثارة الفس، عصرية فكرة ذات أساب فتاكة فهل يعمل أ يقوم الإفريقبون والأسيون والأسيدون أمام أعس العرب

(*) pidgins لغات هي عبارة عن مزيج من الإنكليزية المحدث واللغة المحلية يستخدم لأغراض محددة تجارية على الأغلب، نجدها في الشرق الأقصى وفي ميلانريا، وهي تعتمد في الشرق الأقصى على معردات إنكليزية وفراعد اللغة المحلية، سدا بسند في ميلانريا على حيط من المعردات الإنكليزية والميلانيرية (المرجم)

معرض صورة موحدة عن ولادة أنسته الكري؟ رد على ذلك التساؤل حول ما إذا كان ممدور تشكّل اللعب الكريولي، باعتبارها لعب حديثه العهد، إعطاء صورة مكثفه للمرحل المشوثة الأخيرة للعبة يمكن من خلالها تعريف الإنسان العاقل؟ مهما يكن إعراء هذه الفرصة، فموضع أعقد مما يبدو عليه، مع لأحد في لحسن أن صورة الدابة تُدني، حصّة، من مستوى لدس سيطفون باللعبة انكربولة إلى مستوى الأحاس الرئسة إذ تعرض، في شكلها لأكثر صرامة إنسية أقل قدراً عند لعبد المحرومين كما يظن البعض، من القدره على لطق بالسنتهم الدابة، والدس أصبحوا بشراً مع سني للعات الهجسة فامعرفة لدقيقة بالوفائع وانتأمل النظر في هه، وارتباطهم الصروري، بمثابة المقدمات، لمطقة لأي توصح وتفسير

الولادات الثلاث

إن لإحالة إلى ممدوح علم الأحياء إعواء قدس معرض له التسبب! فالعلاءه في ليوبوجيا، بين طريقة تكون لأجس وموها وتطورها، أي تطور السى العصوة، وبين التكون الفردي وتطور، أي سروره تطور الجبس، هي موضع جدل مدر من ولطالما كان السؤال، في دربح الأحاس، حول ما إذا كان تطور السى العصوة حفاً سب سروره التطور لحسي، أي مرحلتها لسبقه له والمودح لدي نسجه، أم أن انمار كان عكس ذلك^(١)

في عام ١٨٦٦ عرض! هكل (E Haeckel) على انمجمع العيمي ونوه ليوبوجي لشهير الذي أتمائل أهميته في تاريخ الأفكار أهمية دروين^(٢) فحسب هه، القنون يوجد عند الأحاس الحية،

(١) S.J Gould. *Ontogeny and Phylogeny*. Cambridge (Mass), Harvard University Press, 1977

(٢) J P Changeux. *L'homme neuronal*. op. cit. p 342

بين تطوّر السلي العصفونه والمراحل البدئية لسيرورة تطوّر الكائنات ترابط
 وليس خارجياً أو سطحياً بل عميقاً ودائياً ومسألاً^(٣) تعكس حرفة
 هذا القانون^(٤) وجهة نظر استرجاعية صرفة لمراحل الجين المردّي
 السلي تُكرّر، عند كل حين على حدة، سلسلة من السلاسل الكامنة
 لأحداد بالعين وبجعل ذلك من سيرورة تطوّر الكائنات موحراً بإريح
 الجنس ولم يصعب على علماء الأحياء معرفة تلك النظرة
 المستطة إلى الوقائع عندما يتوا^(٥) أن نظام مراحل تطور الكائنات عند
 العديد من الأجناس يخالف التاريخ لتطوّر المستعاد إلا أن الشرح
 الأساسي في طروحة هيكل يكمن في السبب الحاطي بمراحل
 سيرورة تطوّر الكائنات المتكررة إلى الجد الأول في شكله السالغ
 فعلياً، الأحد بالاستعادة على أنها لا تتعلّق بأحداد بالعين وإنما
 بمراحل مشابهة من تطوّر سبي عصفونية أولى غير بالغة ومن جهة
 أخرى، إذا ما كانت هناك استعادة فهي تنطوي على أنظمة وطيفيه
 محدّدة في فيريولوجية الجنس هي نتيجة تطورات تميّزها عن بعضها
 لبعض وتندى فيها بصوره مستقلة محلف سمات التطوّر^(٦)، أكثر
 من انطباقها على الجنس الذي يُطرأ إليه شكل عام على أنه متوافق
 تماماً مع أحد الأحداد إن صلط مقولة هيكل الاستعادة بهذه
 الطريقة بعيد إليها أهميتها وحصولها اللتين، وفق آراء المحتصين، لا
 تغلغل الشك في مجال علم الأحياء.

(٣) انظر E. Haeckel, *Histoire de la création des êtres organisés d'après les lois naturelles*, trad. fr. Paris, Reinwald, 1874. Cité par J. P. Changeux, *op. cit.*, p. 342.

(٤) انظر S. J. Gould, *op. cit.*

(٥) انظر G. R. DeBeer, *Embryos and Ancestors*, (éd. Rev.), Oxford, Clarendon Press, 1951.

(٦) انظر J. T. Lamondella, «Relations Between the Ontogeny and Phylogeny of Language: A New Recapitulationist View», in *Origins and Evolution of Language and Speech*, *op. cit.*, p. 396-422.

لنسب الإحالة إلى علم الأحياء مجرد إضافة تسمية فلقد
 وددت لتبدلت لهوية التي استوحيت من علوم الأحياء في القرن التاسع
 عشر عدداً من اللسانيين، الذين أعوتهم إمكانية تطبيق نموذج علماء
 لأحياء ومصطلحاتهم على لعلوم الإنسانية، إلى معاينة سيورين
 جوهريين بوصفهما - عند منوريس محقق - تحليل لبارج واحد
 هو تاريخنا، تاريخ الساء المصادر للإنسان واللغة - إحدى هاتين
 السروريتين هي تكون الكلام وتطورهما عند لجس البشرى منه
 "الأصول". أما الثانية فهي تكون الكلام عند الكائن الفرد وتطورهما،
 أي اكتساب اللغة من خلال لسان خاصة عند الطفل غير أن لتطبيق
 الآلي لنموذج الاستعدادي على اللسانيات يظهر لنا مباشرة نتائج
 لايدبولوحيية إذ تنأى في نهاية مصاف عن هذا المنهج، وبصورته
 السطحية، معادلات مقلدة في تداعياتها من لغة لظواهر وعمليات
 "سعة، بين ألسنة "بدائية" وألسنة "بدئية"، بين ألسنة متطورة وألسنة
 "المحصرين" كانت مثل هذه المعادلات، قبل مائة وعشر سنوات أو
 مائة وثلاثين سنة، تبدو طبيعية^(٧) أما اليوم فمن أكثر حدراً

ومع ذلك، لو كانت هناك من حيلة وصل تنجح فراءه ملامح
 كل مسرة - أي تكون الأحاس وتطورها وتكون الكائن الفرد وتطورهما
 في أب معنا - لاستطعنا عندها، بحسب المعص، طرح مسألة لصفة
 التي تربط بينهما شكل مختلف إذ توحد، ما بين دراسة تكون
 الكلام عند الأحاس وتطورها ودراسة تكون الكلام عند الكائن الفرد
 وتطورهما، دراسة لسان فابل، أي ولادة لسان جديد بعد حسرة
 مفترضة فلقد أكد د بكتون (D Bickerton)، في كتاب ظهر منذ
 فترة قريبة ولاقي صدى كبير في الصحافة المكتوبة والإنكليزية، أن

(٧) انظر J von Grimm. *Über den Ursprung der Sprache*. Berlin, 1852, L de Rosny, *De l'origine du langage* Paris, 1869. كتاب لايدبولوحيي الكامن في هذا

الروح من المعادلات مائة جديد في ما مضى

سيناريو ولادة اللسان هذا - بمصل شواهد ظهور اللغات العمدية الهجينة ومن ثم اللغات الكريولية، وهي شواهد تدعم هذا السيناريو بصورة مذهشة - يهزم لما التحفة لمفقودة، أي ما يعادل، في الأهمية، حرر انكالابادوس (ies Galapagos) عند داروين^(٨)

يعمل بيكرتون على إثبات اشراك كافة اللغات الكريولية بعدد من السمات الخوية والدالية، وبصوره خاصه وحود معرصات ثلاثة تعتبرها جوهريه (ويشدد عليها ترسح النظرة التقليدية للانقطاع أو لفصل انظر الفصل الثالث، ص ٧١) وهي التعارض بين رمي سابق ورمي غير سابق، وبين صيغة واقعية وصيغة غير واقعية، وبين هيئة محددة وغير محددة ويحتج بقوله إن على القول، اللهم إلا إذا أردنا ترك التشابه العميق بين جميع هذه الألسنة من دون تفسير، بأن الإحراءات المعروفة التي نتحكم بالوصول إلى اللغة الكريولية انطلاقاً من اللغة العملية الهجينة، التي هي مرحلة سابقة لها تتميز بسلطانها الأولية ومحدوديتها، هي خواص تتميز بها اللغة فهي سمي إذ أني ما يسميه بـ "البرومح لبيونوحي" اندي يستغل وراثياً عند ولادة الإنسان ويحدده تاريخ الجرس عبر أنه يساع قائلًا إما لا يرى سبباً يدعو إلى اعتبار لأطفال الكريول هم وحدهم الذين يتمتعون بملكة ساء لغة بها مثل هذا الساء إذ لا بد أن يكون بكافة الأطفال، الذين تعلمون أي لسان كان، مثل هذه الملكة ويسعى بيكرتون إلى إثبات ذلك باستخدام دراسات تناول التعلم، وبخاصة تلك التي يدرس لأخطاء المدعه واكتساب مقولات القواعد ثم توسع المؤلف في عرض برهانه ليشمل مسأله أصل اللغة بوصفها قابلة بتميز بها البشر وحدهم، فيؤكد أنه لا بد أن يكون للأحاس

(٨) الكتاب هو *Roots of Language*, Ann Arbor Karoma, ١٩٨١ ويمكن، على سبيل المثال لا الحصر، قراءة ما كتبه س. بيجلي (S. Begley) حول الكتاب في مجلة نيورويك *Newsweek*, «The Fossils of Languages», ٥ Mars, ١٩٨٢, p 80

برئيسة سنة معرفية محبوكه بجملة من المبرقات شبيهة بتلك التي يتقها الكريوليون، وبالتالي شبيهة بتلك التي يكتسبها الأطفال في أي لسان وأمام الألسنة الأخرى بصورة آلية تماماً

نقسم هذا الإجراء بوصفها بالسرعة الاستيعادية، على الرغم من عدم ذكر اسم هيكيل (Haeckel) إذ نكزُرُ تكوُّن اللغات الكريولية (a, creolisation) وكتسبات اللسان لآم ولادة لغة بعينها ونسبها للغة الكريولية صورة غير قابلة لدحض تكون اللغة لطفولية، لا بالمعنى الذي نستوحي منه، العصرنة للسانية القديمة كمقدمة لعصرينات أخرى - لغة الأطفال baby-talk أي اللغة الطفولية للسود، أولئك الأطفال الكبار وربما بالمعنى الذي يستدع فيه الكريوليون الكلام، كما يعمل الطفل، لأهم مرمحون بلباقم بذلك تشقُّ اللغات الكريولية، عندئذ، درأً ملكياً يفود إلى توصيح لعرا لمدابات الطفولية ولحنه في ذلك دمنة إن شهادته اللغات الكريولية ليست إطلاقاً محاكاة صورية محلقة يقوم بها أدس منحلّمون، وإنما هي شهادة تحمل ثأراً أحداً بها ثأراً أساساً تتم إدلالهم، أحطت من قدرهم استيهامات تجار الرقيق الحادثة ولعبدته ووضعهم في مصاف محذوب أدنى من البشر، بين العمران بالنداع مثل هذا "النسرير" وما هم، هؤلاء الذين كانوا أدنى من البشر، يندحجون الآن - ومسهل الكتاب يمزج بينهم صراحة - لتعليم "الشرية الحقة" من تكون على وجه اندفه، وذلك من خلال لغتهم فما مدى أهميته هذه الشهادة، وما مدى أهميته استخدام كتاب سكرتون لها؟

النموذج الأساس والتعلم

سبق ورأينا (المصدر الأول، ص ٢٩ وما بعدها) أن في تعلم اللغة عند الطفل ما ينتمي إلى الشبيرة لوراثية، أي إلى المطبوع العصبي لترسمة معرفية كليلة، وأنه يكون عند ولادته معطى موحوداً مسبقاً ومنشكلاً بصورة كاملة ولا يسع هذا المعطى بالطبع أن يعكس

المراحل التي تشكّلت أثناءها الشيفرة خلال مئات آلاف السنين من التاريخ لشري ولما تتمتع البشرية الأولى بهذا النموذج الموحد مسبقاً الذي بسلقه الطفل عند ولادته والذي يكتسب أطره الأولى خلال حياته في رحم أمه

إنّ اسداع الكلام الذي يطو به أوّل مستخدمي اللغات العملية الهجينة هو حاض ومحدّد أيضاً وفي الافتراض بأنه نظير الولاديين الآخرين بلغة حيانة لطبيعته إذ يتحدث بـ كـرود، في موضوع لغة كـرول أهل غويانا (Guyana) (وكانت سابقاً من الممتلكات البريطانية) التي تبدو له بعض طقائنها متأثرة بالإنكليزية، عن عملية سرعة للصفة الكريولية عنها أدت إلى تشابهها المطرد مع الإنكليزية وبالتالي، فكما يسرع الطفل إلى السكلم بدعته بصورة أفضل وأفضل، يسرع متكلمو اللغة الكريولية أكثر فأكثر إلى الاقتراب من اللغة الأوروبية التي انحدرت منها هذه اللغة الكريولية من هنا نجد المؤلف بدافع عن مفهوم الاستمرارية، أي خط التطور غير المقطع بين طبقات اللغة الأكثر اقتراباً من اللغة العملية الهجينة وبذلك الأكثر اقتراباً من الإنكليزية ويعني ذلك تجاهل السوعات الفردية والصورة التي لدى كلّ فرد عن لغته وثقافته، وشطب الإطار الاجتماعي لمخطاب فني الاستمرارية يلتقي برفض النموذج الأساس، أي اللسان المقمود والذي ما يزال يعاود الظهور هنا وهناك فإذا ما كنت عايشاً إثبات فطرية الأساوي التي تتحكم بتذبذبات متشابهة في لغات كريولية مختلفة، فإن تجاهل دور النموذج الأساس - أو على الأقل تقليص دوره - يصح من المعريات الكبرى وعلى العكس من ذلك، فإن المتمسكين بالنموذج الأساس وحده لا يهتمهم بحاجة النظرية الفطرية ليس صحيحاً أنّ الناطقين الأوائل باللغة العملية الهجينة، وعلى العكس مما توحي به في شكلها الأكثر صرامة، لم يكن لديهم أي نموذج مسبق، أي لسان أصلي هو بمثابة النموذج الأساس مقابل الألسنة الجديدة، وهي ألسنة المستوطنين التي كانوا يكتسبونها عن طريق المحاكاة إذ

يمكن مقارنة هذا الوضوح مع معرفة عن اللغات العامية، لهجية الحديث العهد ولقد تشكلت، في نهاية القرن لتاسع عشر وبداية لقرن العشرين، لغات عملية هجينة، أي وسائل اتصال بسيطة من مجموعات تحدث بعضها البعض لكنها تنطق بألسنة مختلفة

ولأن هذه اللغات لعملية الهجينة تدعى بالكثير للألسنة المحلية المتعايشة معها، فإن الألعاب العملية انهجسة الميلابيرية ولأسترلنة ولهجية الحديدية (البشلامار bichelamar) تُدعى، بصورة ملزمة، بكل فعل معد سمة خاصة هي -um أو -em - إن شكل هذه اللاحقة مستعار من الإنكليزية (hum)، إلا أنه يعكس بصورة مباشرة في وظيفته قاعدة نحوية محلته فالأفعال المعدنة في اللغات الميلابيرية المعية تلحق بها، بصورة ملزمة، لاحقة التعدي وبمكسب الاستشهاد بحالات مماثلة في مجالات لتعبير عن الملكية وهنئة الفعل والرمز. ولست أهمية النموذج الأساس هذه بالسنة إلى اللغات العملية الهجينة الميلابيرية الحديث العهد الحالة الوحيدة التي لدت فصيح أن الرقن لإفريقيين الأوائل^(٩)، اندس نزعوا من بيوتهم وثقلو للعمل في حقول عرسية عنهم، قد توقفوا عن الطول بالسهم الأصدنة، إلا أن ذلك لا يعني أنها احتفت كساً بسب عدم استعمالها وصحيح أن تخار الرقيق كانوا يحلفون الأفراد لفرق الماطقين بلعب مشتركة، رعة منهم في إجحاح مهمتهم ومصدر الرقيق. إلا أن أحدث الدراسات^(١٠) قد حصن مهولة الاندثار اللساني ومن جهة أخرى، فقد بصافت السنة الأسياد إلى سى لألسنة الإفريقية للمماثلة بصورة كبيرة، على الرغم من انتمائها إلى عائلات

(٩) لا يطين باللغات العملية الهجينة والفكريوية المحفرون من أصول إفريقية حصراً إلا أن هؤلاء الآخرين يشكون أعذب الناطقين بها وبالتالي يعتبر حالتهم نموذجية

(١٠) انظر بصورة خاصة M C Adeyue. *Comparative Afro-American*, Ann Arbor Karoma, 1980; P Baker & C Corne. *Isle de France Creole*, Ann Arbor, Karoma, 1982

لعويه متباينة وبالتالي يمكن تفسير التشابه القائم في مراحل تطور اللغات الكريولية ذات الأصل الإفريقي والأساس المعجمي الأوروبي بالمادح الأساسية لتلك اللغات الكريولية قريبة من بعضها، وكذلك اللغات الأوروبية التي انصابت إليها والتي تربطها بعضها هي الأخرى، من ناحية الصبغة الوراثية والناحية التصيفية، صلة قرابة لعويه

مفهوم البساطة أوهام ووقائع

تنفي نظرية الولادات الثلاث معث شكوك أخرى، حتى ورن أممما ما شكله مقولة المودح الأساسي من عراض عليها والمثال هو في طريقه تصورهما للعب العملية الهجيه بصورة خاصة فاللغات الكريولية التي تأنت من معظمها شكلت بصورة سريعة وحديثاً بحيث أصبحت سرورئها شبه قابلة للملاحظة المحرزة، كما في مصنع طبيعي للألسنة إلا أن مقولة النظرية ترى في اللغات العملية الهجيه، التي تحولها هذه المعايير العموية إلى لعب كريولية، أدوات اتصال عايتها الاستجابة لحالات طارئه وشمرت بـ سيطرة لا تمتدك حواض جديدة بالدراسة، اللهم إلا نلك التي تُسخ نحدد ماهية الحد الأدنى العملائي في التبادل الحواري

لنحدد حواض شيمرة من هذا النوع هناك من اقترح^(١١) شرطاً معجمياً وهي أي لسان "عادي"، يجب أن يمثل عدد المفردات التي لا تظهر سوى مرة واحدة (hapax legomena) في نص من خمسة أو مئة كلمة حواض ٤٦ - ٤٨ / من مجموع مفرداته، وبالتالي لا يعود لدينا لسان عادي في حال الانخفاض الشديد للسنة عن الحد

(١١) م. جوس (M. Joos) مجموع سامارين (W. J. Samarin) في «Salient and Substantive Pidginization», in *Pidginization and Creolization in Language*. D. Hymes ed., Cambridge, Cambridge University Press, 1971, p. 120 (117-140)

المدكور ويعرض مثل هذا الشرط أن امتلاك مفردات معجمية كبيرة
 اعدد، من شأنها التقليل من ظهور لكلمات نفسها في نص ما، هو
 حاصبة تحديدة للسان ويعني ذلك تجاهل الإمكانات التي يتيحها
 افران الكلمات الموحودة، وهي طريقة عادة لا تتداع معان جديدة
 إذ يمكن أن نجد في نص صيني قصير نسباً استعمالاً متكرراً لكلمتي
 "zhao" (بحث) و "dao" (حصل)، لا للتعبير عن كل من هذين
 لمعنيين وحسب، وإنما للتعبير من خلال تجاوزهما عن معنى
 جديد، لأن الفعل "وجد" نُعثر عنه في اللغة الصينية . zhaodao
 وعلى أي حال، فإن تطبيق هذا المعيار لا يحسم أي أمر، إذ تلج
 نسبة المثوبة في حالة لغة العومو (le motu) (وهي لغة عمدة هجينة
 في غينيا الجديدة) ٤٢,٩٤ /، وفي حالة لغة السانغو (le sango)
 (وهي بنوبن مهجن عن الميندي (ngbandi) في جمهورية إفريقيا
 الوسطى) ٣١,٥ /^(١٢) وهكذا يرى أن الأولى ليست بعيدة عن
 اعتبارها "لغة فعلية" سم لا تُعثر انشائية كذلك، ومن لمعار
 المذكور غير أن اللغتين تُستعملان على نطاق واسع في بلديهما
 ولهما مكانة اللغة الوطنية الأولى فيهما إذ لا يحوز صفة
 "الأصلية"، التي قد يلصقها بهما المعيار المعجمي المقترح، دور
 قيامهما بدورهما على أكمل وجه

تتصل انحدل الحقيقي هـا بمفهوم اسسطه إذ نحتج هـا
 المفهوم، لذي سم تحميه الكثير من الأفكار المسقة ذت الطبع
 انسي - لصفني والذي عالماً ما يعتقد أن اللغات العمدة الهجينة مثله
 أحسن تمثل، إلى تحديد موضوعي إذ لم تعرض حالة طارئه
 وعادة تتواصل، في مواقف معدي من قصور لساني، حد أدنى
 عملياً كما يعتقد لبعض غير أن هـه الحالة هي انسي يفسر
 لخصور لمرام لمارع ثلاثة أساسه في مثل هـ النوع من الألسه

وهي الاقتصاد اللعوي والتحليل والتحرير

يتسدى السروغ إلى الاقتصاد اللعوي من خلال مفليص عدد الأصوات، اللعوية وأنواع المقاطع اللغوية وأحرف الجزر ولأرمة الفعلية، وأيضاً في استعمال محي البر الصوتي كسمة وحيدة للتعبير عن السؤال مقابل الحمل التفريري، كما نجد في اللغة الفرنسية المحكية حيث عبارة (tu viens?) أكثر شيوعاً من عبارة (viens-tu?) أو عبارة (est-ce que tu viens?) كما يتحلى الاقتصاد اللعوي في توحيد الأشكال وموضع اللفظ في الجملة الذي يلازمه إذ تتحدّد طبيعة الألفاظ وعلاقاتها بحسب موقعها داخل المبطوق فهي اللغة العملية الهجينة الكامبروية تُسعمل كلمة (dem) (وهي من الإنجليزية them) كصمير يدل على المديكة، أي أمام الاسم كما في dem hat (قلوبهم)، وأيضاً كصمير العائث في حالة الجمع، أي أمام الفعل كما في dem kom (هم بأنور) ومن جهة أخرى، تعيّن العبارات الفصلية التي تحتاج إلى تحديد هوية كل جزء منها واستعادته وصلبتها إذ يقابل التعسر الإنكليزي (bring him up) انتعسر brngimapi ("رفع")، في لغة النيشلامار bichelamar (في جزر الهسريد فانواتو الحديده Nouvelles-Hebrides Vanuatu) وهي اللغة العملية الهجينة الميلابرية، حيث تُدعى قرية التعذي الإلرامية im بصورة آلية (انظر أعلاه، ص ٤٧) بينما سقى حاصرة بصورة مستقلة في الإنجليزية بين الفعل (bring) وما بعده (up) ويتحوّل هذا الأخير إلى (ap) بصيف أخيراً أن للغات العملية الهجينة سنعمل بصورة حصرية تقريباً، أسلوب صم الكلمات كإجراء لا يتداع معاً حديده وتثنائي العلاقة بين الكلمتين المقروبتين عن محصر تجاوزهما وبالتالي فإن مثل هذه الطريقة أقل كلمة، من الساحة البسائية، من عملية الإلصاق (إضافة مادة أو لاحق) إلح) ومن السحت تعبير أحد الطرفين أو كليهما ومن تعديل الكلمة من الداخل بإدخال أو حذف، ومن النويج السري أو العمي أيضاً وتعتمد اللغات العملية

لهجينة أسنوب قرن كلميس متمائذين للتدليل على الجمع والتأكيد إبح (انظر لفصل الخامس، ص ١٦١)

وسدو لسروغ إلى التحليلية، أي الربط الشفاف بين الوجدات لاسداع معدٍ مُوقعة، بصورة واضحة من خلال التعاقب الثالث لكلمات يحدد موقعها وحده ما إذا كانت تنتمي إلى فئة الألفاظ - لأفكار أم الألفاظ - لأدوات ويمكنها هب سوق مثالي كريولي يشبه، في هذه البقعة لحيوية بالذات، ما وراء في للعدت العملية الهجينة والجمله العرسية

Il m'a cueilli une noix de coco dont je me suis repu

(قطف لي ثمرة من حور الهد اقتت بها)

نقابها في الكريولية الهاتية

I/fék/sot/rive/kéy/u/kok/vin/ba/mwe/m/maze/vat/mwe/vin, pie, ple

أي حرفياً

Il/ne fait que (= vient de)/sortir/arriver/cueillir/une/noix de coco/venir/moi/venir/rempli/rempli

هو /سوه/ حرج /وصل/ قطف /واحدة/ حور الهد /أتى/ أنا/ ممتلي/ ممتلي
برى هب كيف يتشظى، لحدث وفق رؤيه فائقة التحليل ووثائقية أشبه
ما تكون بمشاكل لوحده صغرى من لأحدث، كما لو كانت كاميرا
لحظت تصور لغوي حركيته فجمله m'a cueilli (قطف لي)
العرسية، وهي تفرص حركة ذهب نحو لهدف ومن ثم العودة من
عنده، نقابها في لكريولية سلسلة "حرج . وصل - قطف أنى -
أعطى - أنا" ويسعمل عدد من اللعب الإفريقية، مثل الإيويه l'éwé
(في توغو) ولوروبا yoruba « (في ييجيريا) والعصه le fèfè (في
الكاميرون)، سى تحليلية من لمط نصه مما يعرر مقولة المودح
الأماس

أما السروع الثالث في اللغات العملية الهجينة، أي التحفيز، فيرتبط منطقياً بالسروعين السابقين فهو مثال على فنون التوارث ومماهه أن ما يرمحه جهد الذاكرة يتوارث مع متطلبات إصافه في الشفيع السائي وبالفعل فإن استخدام مفردات على درجة عالية من التحفيز يؤدي إلى الاستفاصة الوصفية، إذ يصم عدداً أكبر من التراكيب، وبالتالي عدداً أقل من الكلمات منه عد استخدام مفردات صعبة التحفيز فاللغة العملية الهجينة الميلابرية تحوي عدداً من الثنائيات مثل gut/notgut التي يقابلها في الفرنسية والإنجليزية bon/mauvais و good/bad (جيد/سيئ) عبر المسية على التعارض بين عياب ووجود مادة فيه إلا أن هذا الاقتصاد في السية تعدله كثافة ما - على اعتبار أن تعلم مثل هذه الثنائيات بقرص استدكاراً مصاعف مع عدم إمكانية لقيام بإجراء استساطي قابل للتطبيق على علاقة اشتقاقية

يُعدّ التطور من اللغات العملية لهجينة إلى اللغات الكريولية، في العدد من الحالات، مثلاً على الانتقال من المحليلي إلى التاليفي بوصفه لحظة جوهرية من إحدى مسيرات الدورة الصرفية الدلالية - السحوبة (انظر الفصل العاشر، ص ٣٢٨) فلقد تحول الشكل الأصلي اللاتيني والتاليفي في كلمه (cantabo) إلى (cantar(e) avyo) في مرحلة لغة الرومان^(*)، أي إلى شكل مُنفك بالنسبة إلى لأصل اللاتيني ثم التام الشكل من جديد في اللغة الفرنسية الوسيطة والكلاسيكية وتم تشديد قرصة المعامل اللاحقة بإضافة الصمير المنفصل (je) قبل الفعل فأصبح ندياً je chanterai (أنا سأعني =

(*) لغة الرومان (le roman) هي لغة اللغة التي اشتب من اللاتينية، استخدمها العامة في فرنسا ويعبر مرحلة انتعاليه بين اللاتينية والفرنسية بدأت منذ القرن الثامن الميلادي وظهرت خلال هذه فروع حتى شكلت الفرنسية القديمة ومن ثم الفرنسية الوسيطة فالفرنسية الحديثة التي سم صيغتها في القرن السادس عشر (المرجم)

سأعني) وطراً تحولَ حديقاً في اللغة العملية «الهيبة الهيبية، وفق
 حط تطوري انصاف إلى التحول في انفرسية إذ انفصلت دلالة
 لمستقل عن الفعل وحل محل محلها حرف الجر الطرفي (بعد)
 mo après للاصطلاح بوظيفة التعبير عن المستمر وصار بعدها
 chanter (أنا بعد عنى = سأعني) أما في اللغة الكريولية الهيبية
 فألف اشكل من جديد بإدغام مردوح وأصبح ندا m ap-chante
 ندو أن مدرع لاقتصاد للوعي والتحليل والتخمين، لني تظهر
 كسمات مميزة للعب العملية الهيبية، هي نفسها التي نلاحظها أيضاً
 في اللهجات المحكية بلعب أنني تمتث تراثاً أدبياً محلياً عن هذه
 اللهجات وانفرسية مثلاً على ذلك، إذ تمثل عبارات مثل

Tu vas ou?, ça veut dire quoi? vous êtes combien?, i. s'en va quand?

(إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا يعني هذا؟ كم عددكم؟ متى سيروح
 السروح إلى ثبات المموالية، إذ نحافظ لسيئة الاستهانة على نظام
 كلمات السته التقريبية لإيجية)

Tu vas a Paris, ça veut dire que non, vous êtes six, il s'en va demain
 (أنت ذاهب إلى باريس، هذا يعني لا، أنتم ستة أشخاص، سيروح
 غد)

بالإضافة إلى ذلك، نرى انفرسية المحكية، مع استخدام حدود مرة
 محلية، إلى استعمال الكلمات الأدوات نفسها، لني تؤدي معنى
 ليس على سبل المثال، في الاستههم ولتقرير كما في المثال

La maîtresse, a pun, Parce que? Parce qu'il bavardait
 (عاقبه المعلمة لأنه؟ - لأنه كان يثرثر) (*)

(*) من الواضح أن هذه الأمثلة تعود في أغلبها إلى العربية صيغة المصغرة في حالة النعوية التي
 يعرضها المؤلف والتي لا يمكن فهمها إلا بالعربية إلى العربية - ولقد تمت ترجمتها من
 المعنى وحسب ذلك حم

كما تميل إلى التفصيل والعي التحليليين والثابتان mauvais/pas mauvais (سيئ/أشد سوءاً) و pareil/pas pareil (مشابه/غير مشابه) هما ثابتيان أشدّ تحفيزاً من ثابتيي mauvais/pire (سيئ/أسوأ) و pareil/different (مشابه/مختلف) ويسودّ لثاب أيضاً في الاشتقاق العشوائية التي يستعملها بصورة واسعة، ربما تحت تأثير الإبحارية إلى حد ما، أضاف العلماء في الفرنسية المحكية وفي الفرنسية النقية لدى بعض المثقفين

(*) lister (liste), visionner (vision), etc.

إن في هذا التشابه بين اللغات العملية الهجينة واللغة المحكية للعديد من اللغات لأكثر من درس والمدرغ الثلاثة، التي يمكن ملاحظتها معاً في اللغات العملية الهجينة، حاضرة شكلي متمركزة في معظم اللغات الواسعة الانتشار، وتعود دورياً الظهور في تاريخها تحت ضغط اللغة المحكية ويمكن بالتالي اعتبار السمات التي تمثل هذه الممارع سمات مسيطرة، مقابل السمات المتحجّية التي تظهر الإحصائيات أنها حواض تحسر عن مجمل لغات العالم ذلكم، في المحضلة، هو المعيار الوحيد الموضوعي للسيطرة إذ تُعسر لغة ما أسعد من أخرى إن صمّت عدداً أكبر من السمات المسيطرة، أي حواض واسعة الشبوع في معظم اللغات المعروفة وقد بُعد هذا لشبوع الواسع لسمات مسيطرة ميرة اصطفاية عند مستخدمي لغة ما عندها نصبح الحانة مشابهة لتلك التي تؤسّس، في الدرويسية الجديدة، مفهوم السمة المسيطرة ومثالها التفليدي عن القتمة (mécanisme) (صنع أسود فاتم) الصناعية عند أرفة السدر (**) (la

(*) نجد في معجم Petit Robert الفرنسي هذين الفعلين المحديين المستقيين من اسمي liste

(لائحة) و vision (رؤية) ولقد دخل المعجم بسبب شيوعهما (المترجم)

(**) الأرفة جس من الفواشات والسدر جس أشجار حرجية من الفصيلة البنولية بقلا عن ناموس المعمل (المترجم)

(phalène du bouleau) إذ ينتشر نوع فاتم من هذه «مراشه على حساب دات اللون العانج، اني سست تكيفها مع شروط حياة سابقة للثورة الصناعية، لم تعد تنكف مع الحالة الجديدة التي أوجدتها هذه الثورة»^(١٣) يريد من خلال استعمال مصطلحات نعود إلى علم الأحياء أنأكد على أهمية معيار التواتر الذي يوضح الوقائع اللسانية ويقدم مقدماً للساطة والمجتمعات التقليدية التي نجنا معرفة بعداً عن محور التبادل الاجتماعي الاقتصادي الكسرى هي التي تتركز فيها أعلى نسبة من السمات المسحية

نخلص مما سبق إلى أن للعب العملية لهجيه، وهي لعب تنوثر فيها مراعٍ لاقتصاد اللعوي والتحليلية والتحفير، ليسب ألسه بسيطة بمعنى أنها ليست مجرد أدوات متوصعة تسحب بصرورة تواصية في حذها الأدبي، بل هي ألسه عيه بالسماط المسطره لا يمكن إداً من دون حدادٍ آخر، اعتبار تطور اللغات الكريولية انطلاقاً من اللغات العملية لهجيه حجة مدعّم بطريقة نكوّن ألعاب الكريولية بوصفها حلقة الوصل بين اكتساب اللغة عند لكائن الفرد وتكوّن اللغة وتطورها عند الحس الشرقي فلقد نظّرت اللغات الكريولية في طرف حياة جماعية مفروضة على أساس لهم ألسه محلقة، ولّد

(٣) C. Petit et E. Zuckerkandl, *Evolution moléculaire Génétique des*

populations, Paris, Hermann, coll. «Méthodes». 1976, p 28-30

إنجلترا، قرب ميمه مانسسر، وعيل الثورة الصناعية، أن معظم الأرهبات (من جيس Biston

Betularia) أحججه بيضاء كلفاء المسفر الذي تقف على جدعه أم صت فلي لها أحججه

سوداء، وهي بادرة فكانت الطور سرحان ما تستدل عيها ويلهمي. وعند عطف الثورة

الصناعية جدوع السجر بطبعه سوداء من السحام، أن حب الصيحه المسفره بلون الأصح

الأسود والتي اصطب بها البى العضويه المحلقة الاقتران *hétérozygotes* ظهور العانج

الوراثي الأسود الذي أصبح نوعاً من الحماية (لأنه أصبح من المنعبر الاستدلال على الأحججه

السوداء وهي على حجب سوداء، وبالتالي أذى البكيف مع الييه الجديدة إلى تريد عدد

العراشات السوداء التي أصبحت، مع عمليه التواتر المعكوسه، الأكثر عدد. «شكر موبه»

غلبه Monique Gasser على لفيها انياهي إلى حد المثال

محاولات التواصل عندهم، هي عياب لسان المشترك، شجرات محدّدة بصورة طبيعية فإذا لم سنمر هذه الظروف، أو إذا عادت بصورة متقطّعة، فلن تتطوّر الشجرات إلى لعب كريولة وقد تحتمى فلقد كان ذلك مصير لغة الروسوسك (le russnorsk)، وهي لغة عمده هجينة روسية - نرويجية ستعملت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى الثورة الروسية عام ١٩١٧، وكانت تُستخدم حصراً خلال أشهر الصيف بين التجار الروس وصيّدي السمك لنرويجيون فقد حتمت لغة الروسوسك حين انتهت الظروف الاجتماعية الاقتصادية التي كانت تُشجّع مثل هذه التجارة وذلك بدّل على أهميه دور العوامل الظرفية

إسلا لا سمي إطلاقاً أن الشجرة الوراثية لمؤنسي اللغات الكريولة، وهي الظروف التي كانت معروضة عليهم، كانت تؤهلهم لاستخدام الملكات الإدراكية لحاصه بالحس الشري غير أنه لا بعقل يصي دور المدح الأساس، وهي لعب ساهمة بوجود لم "يسها" الرقيق العاملون في المزارع بشكل كامل كما اعتقد البعض ولم تكن قراءة جميع تلك اللغات لإفريقية عملاً قوياً وحسب في وجود التشابه بين اللغات الكريولية المنحدرة من إفريقيين سابقين، بل كانت اللغات الأوروبية للأسباب نفسها، وهي بمدخ متوافرة بصورة مباشرة، فربه سبياً من بعضها البعض لقد لعب هذان العاملان، وكلاهما لا علاقة له بالعطرية، دوراً جوهرياً، كما يفسران الجانب الأكثر من هذ الشابه المتألف بين اللغات الكريولية وعديه، فإنه لا يمكن الاكتفاء بما يقدمه البرنامج البولوتي، المظنم الأعلى للمصائر اللسانية بعيداً عن أي تدخل اجتماعي فالمحتسركريولي ليس معرولاً كقنبر محكمة الإغلاق

الفصل الثالث

الكليات في الألسنة والاختلافات التصنيفية

صدمة التنوع

لعل أكثر ما يفنسا في عالم الألسنة تنوعها ولا يقوم مقياسُ
الألسنة على التعدد في الأهلبي. إذ يعلم الجميع أن اللسان الواحد
مشترك، في أنه بقعة من العنم، من أفراد يتفاوتون في كل شيء
(فالاختلافات الاقتصادية والشفافية كبيرة داخل المجتمع البرازيلي، أو
المجتمع السعودي (لح). وعلى العكس من ذلك، فمن أمه
لأخرى أو من سبه اجتماعية لأخرى، يعجز أفراد يمتلكون ميراث
متشابهة (مخدمون أو كتاب أو فنانون على سبيل المثال)، عن التوصل
بعدم وجود لسان مشترك بينهم ولا يتعلق الأمر بالعكس
للاختلافات العرقية. فلو أن ملاحظاً، مُتَحَيِّلاً، جاء من كوكب
آخر، يبدون الخواص الجسدية سي لشر واستعان من ثم بما خلص
إليه لتقدير عدد الألسنة الموجودة بحسب أنواع لحسن البشري،
لموصل إلى رقم قد لا يتجاوز الستة ألسنة. وحقيقته أن حور هـ
لرقم تحدد التعديرات لأكثر رواجاً لعلماء لأسترونولوجيا في ما
تنصر بعدد الأعرق وسببه لهيكل العظمي أو بالرغم الدموية
وليعبر عن أن هذا لملاحظ أحد بحسب الاعتسار اختلافات أدخلها
لدارج بالضرورة، وتنوعات تربط بصورة طبعية، في الطبيعة، من
الوحدات النكري لقابلة للتحديد، ربما استطاع في هذه الحالة، إذ
ما يوحى لدقة، بتقدير وجود ما يقارب شيء عشر نظاماً فرعياً يُعدل مـ

سَمِّيه باللُهجَات، ولرأى أنها ترتبط، سواء فيما بينها أو بالألسنة الأساسية، بعلاقة قرينة وثيقة لدرجة أن مستخدميها من البشر لا بد أن يكونوا مدركين حقيقة هذا الأمر بوصوح

عبر أن الوضوح مختلف تماماً إذ متفاوت التفويض بالتأكيد بحسب معايير إمكانية والتصنيف التي ستأخذ ذلك أن العَصَ يتعامل مع عدد من اللغات الاصطلاحية (مصطلح عام) على أنها لهجات (أنظمة في التواصل مختلفة لكن حنانيها لا يبلغ حد إعاقَة التفهم بين الناس) داخل اللسان الواحد نفسه، ويصفي العَصُ الآخر على كل منها صفة اللسان كما يصمُ العَصُ ويستعِدُ العَصُ الآخر عدداً من أهم الألسنة الممتدة التي تحدثت منها هذه الألسنة الحية أو تلك وما تزل تأخذ منها إلا أساساً يستطيع تقدير عدد الألسنة المستعملة اليوم على وجه السيطر ويتراوح على الأقل بين ٤٥٠٠ - ٦٠٠٠ لسان، من دون احتساب المئات أو الآلاف من الألسنة الأخرى غير المكتشفة بعد. ويقع هذه الأخيرة في مناطق قليلة الارتداد وغير معروفة بشكل جيد أو يصعب بلوغها على من لم يعتد حياه الاستقرار أو الترحل فيها وهي السهول العذب في غساة الحسنة والأموارو، المرارية والبيروفيه ووسط وجنوب غرب إفريقيا والمناطق الجبلية التي تحف الحدود بين الاتحاد السوفيتي والصين وذلك التي بين الهند وبورما وحرر المحيط الهندي الكبيرة والصغيرة وتلك التي تقع جنوب المحيط الهادي من سومطرة وبورنيو حتى الجزر النوسيرية العربية

ولكنكم كان هذا التنوع المدهش في الألسن سيصبح أكثر إدهاشاً لو كنا نعرف كل تلك التي تتمتع على دعنا بمعرفتها وفدونا على تصنيفها. ولكن الأمر كذلك لو لم يكن هناك ألسنة تتدثر مع أحر لمسبين الذين ينطقون بها. فإلى ماذا ستُ هذه الظاهرة التي كثيراً ما لاحظها اللسانيون؟ لقد تم دحض فرصة عدم التكيف، في هذه الحالة بالذات لأنه يمكن التحقق منها في حالة الأجسام الحية،

كعمل من عوامل التردّي والتراجع والحقيقة أنّ الألسنة التي تشهد اندثارها ليست بأي حال من الأحوال نبي عصبوية غير قادرة على اكتف مع حاجات مستخدمها، أو بدع فقر معرداتها وقواعدها حدّ عدم قابليتها للاستخدام إن الأسباب لحصمه ليست هنا فهي المصاير التي بعكس انوصول إليها وحيث توجد ألسنة ما تزال سطو بها بعض الألفب التي أصبح من المنعذر عليها الحفاظ على هويتها، أذى الاحيكائك المتنامي إلى انتشار ألسنة تحب معها المال والتفنيات و،لايديولوجيا كالأبحيرية على مستوى العالم، والروسية في الاتحاد السوفيتي على مستوى أكثر دونه من حيث المساحة الجغرافية(*) وبسبب عجز ألسنة الألفببات للإنسنة عن اندفاع عن نفسها، لكونها ليست من تلك الألسنة التي تداون هذه 'القيم' الثلاث، أحدث بالاندثار و حده بعد لأخرى عبر أنّ هذا الأمر لا يشكّر سوى الرواية المعاصرة لحركة اندثار بدأت منذ قرون عديدة يد يتسم تاريخ البشر بتقراض الثقافات و لألسنة الأضعف مقاومة وتواكب ذلك حركة معاكسة تشهد ولادة ثقافات أخرى وألسنة أخرى

و لحقيقة أنّ أسبحة تتوقف على التدريب الدعاية إذ لم تترك ب الفارسية القديمة والبستية الكلاسيكية صروحاً أدسة حفظتها لكتبة وحسب (انظر الفصل الرابع)، بل تحدرت منها ملالات نهرة هي هذه لألسنة الحية التي جاءت من تلك الألسنة "الحية" ولم تكن هذا مصير لألسنة المنحنية التي تطغى، وما تزال تطغى، في كل أميركا الشمالية تحت ضغط الإنجليز التي بمضي على ثقافات يهدية كما لم تكن هذا أصلاً مصير تلك لألسنة، في حوض الامور (bassin de l'Amour) وفي كامشاتكا (Kamchatka)، التي اكتسحت لروسية معرداتها وقواعدها واستلعتها أو أزلتها من الوجود

(*) لا يحسن بالطبع على المعاري الكريم أنّ كتاب المؤلف هذا صدر قبل التعبير الذي حصل في روسيا، الاتحاد السوفيتي سابقاً ونفته إلى جمهوريات مستقلة (المرجم)

إنّ اللسان التي تموت، من بين تلك اللغات الشهيدة، لا تترك أثراً ولا حلف يبقَى، مع ذلك، أنّ موت اللسان ليس واقعته سولوجيه بل ثقافيه، وبالتالي فإنّ معثته من جديد، إن كان مكتوباً، ليس من المستحيلات النظرية إلا أنّ ذلك عملياً ليس من البديهيّات، ويبقى حالة اللغة العبرية استثناءً إذ افترض إحيائها وجود إرادته عبدة وظروفاً مشجعة وشيثاً من الحسوس الواعي أو اللاواعي^(١)، وجميعها شروط ليس من السهل توافر واحد منها فما بالك سوافرها مجتمعه

ويبقى مخمّوغ عدد الألسنة في تنوعها، على الرغم من انتشار بعضها وصعوبة الوصول إلى أخرى، كثيراً جداً وتلقى مقوله التنوع البدئيّ لها (انظر الفصل الأول) دعماً لا بأس به إذ تسجّم أكثر من مفهومة الوحدة الأولى مع العنى الكبير، الذي نلاحظه

يُشرّ هذا التنوع ردود فعل متصارعة فهو يُحرّس البعض، ممن ليست لديهم الرغبة في تعلّم اللغات الأجنبية، ولا القدرة على ذلك، أو ممن يرون في هذه الكثرة عدّة العقبات التي تحول دون الفهم كما لو أنّ لا وجود لعقبات أخرى أكثر جوهرية أو سماً للمصرّعات بين الأمم، أو ممن لا يعارضون فكرة الترحل العارض بين لسان وآخر وإنما يستشعرون في الأمر، بعد طول إقامته، خطراً يهدّد وحدة الفكر يعكس كل ذلك رغبة قدومه وعصيمه عند اللاطن بلغة وحده ويجد أصداء لها في كونه لعصور، كما في كلمة ريفارول (Rivarol)^(٢) على سبيل المثال «كان لايتن يبحث عن لسان عالمي ()»، وكان هذا الرجل العظيم يحسّ بأنّ تعدّد الألسنة بقصي عني

(١) انظر C Hagège, «Voies et destins de l'action humaine sur les langues»

Introduction générale à J. Fodor & C. Hagège, eds *Language Reform.*

History and Future Hambourg, Buske, 1983-1984, vol I, p. 68

(٢) جمع De l'universalité de la langue française Discours qui a remporté le prix

de l'Académie de Berlin, Paris, Bailly et Desseigne 1784, Ed. Du Club

français du livre, 1964, p. 99

لعقوبة ويأخذ كثيراً من حياتنا انقصيره ومن المسحوس عدم بصفاء الكثير من اللبوس على فكرته إذ عسا، إن جار الفون، السفل بين الألسنة ومن ثم، بعد تذوق طعم أكثرها شهرة، أن يعنى على أنفسنا دحل لساننا* نرحب ردة الفعل الأخيرة هذه تنوع الألسنة بوصفه عداء شهاً بالمفصول بجاه الآخر وسواء أكان ردة الفعل قائمة على الشكوى من هذا النوع أم على الترحيب به، فلا شك أن هذه لوفرة تدهش لعاليه ولا تحد سوى انقليل من اللامباليين بها لأن لهذه لوفرة وجهها المعاني إذ تحتف الألسنة في معظم لأحيان على رفع صغيرة جداً، وبين قرية وأخرى قد لا تفصل بينهما أكثر من عشرة كيلومترات أو خمسة عشر كيلومتراً، سوء أكان بين هذه الألسنة في الأصل روابط وراثية أم لا، ونقوى العلاقات بين هؤلاء الجيران كحوار الطرشان إن لم تتعلم لوأحد لغة حارة

نكر هل عينا لاكفاء باعتماد هذا النوع؟ يستطيع القول طعماً إنه على الرغم من أنه لا يعكس أي مساوت جسدي في الحسن البشري فهو عالياً ما يتوافق، لا بل يرتبط بعمق، مع تفاوت في العالَم لحسي وفي سة المصاء والرمن عند تلك المجموعات البشرية وفي أعرفها الاجتماعية غير أن المفصول، وهو الدفع بلعبام سحب شأ عنه معرفه عممية، يسعى إلى اكتشاف أوجه التشابه خلف جميع الاختلافات فمدا يدساها؟

أشراك الترجمة ومتعها

إن ملكة لغة واحدة (انظر لفصل الأول)، وبالتالي فإن شيت من تلك الوحدة يتجلى في الألسنة على اختلافها ومن هنا كان اهتمام اللسانيات بدراسة الألسنة بوصفها أعراضاً قبله للتعسر بإطلاق كلمة ألسنة عنها جميعاً يعني، فرص وجود سمات كليته صمية دحل تنوعها الهائس نعلق لأمر، إذ، مكلمات تعرفه، أي سمات كلمة تتصل بجميع الألسنة ويدحل في التعريف بها غير أن

من يتوقف عند هذا الحد لا يقبل كمعومات إلا الحواضر المتعلقة بمفهوم اللسان بحد ذاته - إلا أن أسلوب تكوين هذا المفهوم يختلف بحسب العائلات النظرية - فقد تكون السمات انما حودةً بعين الاعصار بالغة الشكلاية لتلائم تناول الألسنة كمعطيات تجرّيسة، كما قد تكون كليةً وتتمثل الحالة الشاسعة هذه في السبوبة الأميركية، في الحمسيات، حيث ظهر اتجاه فيها لا يذكر من السمات المحددة للسان سوى الإندعية والسماسف في الرمان والمكان واللقني من المصدر والانعكاسية (الميتالسانية) والتعلم عن طريق التربة - إلح تقيّد هذه السمات في تمييز الألسنة الشربة عن لغة الحيوانات، لكنها غير محدّدة بشكل كافٍ لهمم الألسنة بحدّ ذاتها

فالألسنة أشياء مألوفة لدرجة لا تستطيع معها، في المرحله الحالية، الاكتفاء بالتحربة اليومية لكلّ منّا والتملّص من الدخول في امسالك المتعزّجة للكلّيات التعريفية - فالسمة المميزة الأولى متوافرة بصورة مباشرة، وهي نستنتج مشاطة قديماً قدم الثقافات العابرة وما يرال يُمارس يوماً بعد يوم مجدّداً استمراره الضرورية إلى ما لا يهايه، بالرغم من العقبات المقترضة - إنه الترجمة - فهل هي ذلك الوجه الآخر المسكين للسبح المطوّز (بحسب سرفانتس Cervantes) وتلك البيوطوبيا (بحسب أورتيغا إي غاسيت Ortega y Gasset)، أم أنها على العكس، ذلك السعي المحقّق والعبد حتى افاق ما لا يُترجم (بحسب غوته Goethe)؟ ومن يؤدّ بهي أي صفة معيارية عنها، بحجة أن مترجم دوماً بشكلٍ باتس، عديه مع ذلك المصون بأنّ أيّ نصّ لسان ما - لأنما مترجم خصوصاً لا ألسنة - قابل للترجمه إلى نصّ لسان آخر بصورة تقريبيه أو نائقة - ومع ذلك فإنّ مدرك شكل كافٍ، إذا ما أردنا الاكتفاء بأنظمة الأدب، رحابة التوسّعات في التواريات الببائية واستحالة شغل دليل ما به مكان محدد في لسان ما المكان نفسه في اللسان الذي يترجمه إليه - إلا أنّ كل لسان، وعلى الرغم من هذه العقبة، يمتلك تلك الحاصصة المميزة التي تجعل منه

'سيماء' (أي نظام أدنه - ك ح) يمكن تكافؤ السيميوتيات الأخرى أن تُترجم إليها^(٣)، اعتتاراً من الألسنة الأخرى نفسها

تشمل الترجمة، عند انممارسة الجسورة و لمتهوره، حتى لصوص الشعرية التي تعبر أحياناً أكثر لأسرار تعذراً على لنقل في كل سد، والتي لا يتميز بعضها لأصلي، المشحون شعريه خاصة لصوت متمرد، بالشهادة دوماً ونشترط الترجمة لشعرية بعض لمقدمات وإلصافة إلى الإنتقان التام لسايبين، وهو شرط لأرم لترجمة شكل عام، والدقة المتناهية، لا بد أن يكون لمترحم شاعراً وأن يكون لصويه، وعلى سلمه الموسيقي احصا، القدره التعبيريه نفسها التي للصوب الأول وردا لم سواهم ذلك لا يبقى بمترحم سوى للجوء إلى التحيلة التي علماً ما يجد أنفساً أممها بها جمع ما تعذر على الترجمة استعاده وما تقوله لفصيده في حواش أسفل الصفحة المصنوعة وعلى الرغم من هذه لعصب ما بران هناك، وليوم كما الأمل، من يترجم للصوص الشعرية وتستطيع الفرنسية، على سبيل لمثال، نقل مصوص شعريه إليها حتى من ألسنة شديده الزعد عنها كالعريه والعريه والصينية واليابانية والهنديّة ولماعاشية ولها سبه^(٤) بد بكمي تلية شروط مثل هذا النقل إليها وفي ما سوي وذكر

نمادا تتعلق هذه العقبات؟ إنها تنصل سوعين من الاختلاف، سوء في الشعر أم في الشر ويرتبط بعضها بالظروف التعبيرية والثقافية إذ نسي هذه الظروف، مع تجاور الأساس لثت لدي يشكل وحدة النوع وأساليب حياته، وقائع بشرية وعمره شديدة

(٣) I. Hjelmslev *Prolegomènes à une théorie du langage* (1942), Paris, Ed. de Minuit, 1968 p. 38

(٤) *Colloque sur la traduction poétique*, organisé par le Centre Afrique-Asie-Europe de l'Institut de Littérature générale et comparée, Sorbonne Nouvelle-Paris III les 8-10 décembre 1972, Paris. Gallimard, 1978

الساعد وبالتالي فإننا نمرّ، حين نترجم، عبر لواقع المشار إليه ويتصل النوع الثاني من الاختلافات بالنسب الصوتية والقواعديه والمعجمية (انظر لاحقاً ص ٧٢ - ٧٤) فمن غير الممكن مثلاً استعمال الأدوات نفسها للإشارة إلى ما في الصوتيات الأخرى من حروف في عبارة «les sanglots longs des violons» (نحب الكمان الطويل) عند ترجمة شعر فيرليس (Verlaine) إلى اليابانية، على اعتبار أن هذا اللسان لا يوجد فيه صوائت أمية^٥ إذ يجب، من ناحية القواعد وسواء أكانا نترجم الشعر أم النثر حالة شعاعه أم نصاً مكتوباً، العدول عند النقل إلى الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية عن ترجمه الوحدات الدلالية الصغرى التصيفية، أي تلك العناصر التي تُصاف إرماً، في العديد من اللغات، سواء إلى الحمله الاسمية (كما في الصيغة والتميمية وفي لهجات الناسو bantous الإفريقية إلخ) أو لعمدة (كما في لغات الأتابسك athapaskes في شمال غرب أميركا، ولغات غينيا الجديدة وأستراليا إلخ) إذ يدلّ هذه العناصر على الصفات المعيارية للأشياء وعلى الحالات ضمن المكاد أو على أساليب معارفة العالم نجد على سبيل المثال في الصينية أن yī zhī qiānbǐ، ومعني حرفاً un-objet (en forme de bâton) crayon (عرض (شكل عصا) - قلم)، لا يمكن ترجمتها إلى الفرنسية إلا بكلمة un crayon (قلم) ولا يوجد في هذه الترجمة ما يقابل الوحدة الدلالية الصغرى zhī كما عليها التصحية أيضاً بترجمه الإشارات إلى المكانة الاجتماعية المدمجة بالصمير المفصل في العديد من السنة لشرق الأقصى (انظر الفصل الحادي عشر، ص ٣٦٦ وما بعدها) باستعمال لثاقبه الوحيدة في الفرنسية tu/vous (أنت/أنتم) أو بما هو أسوأ من ذلك في الإنجليزية أي باللفظ الوحيد you وعليها أحيراً قول حسارة قرائن لتوّعات لمعلقة بالجسر وباللهجات والتي يسهل تحديد هويتها عند الملقين الدقيقين

(٥) Ibid. p. 10، ملاحظة ٥، ر. إيمايل (R. Etienne)

لسان النص لأصني فهي روايته التي تحمل عنوان Kyōto (كيوتو) (وترجمة العنوان بالفرنسية غير دقيق، والعنوان باليابانية هو Koto أي "لعاصمه القديمة" وهو اسم آخر لـ كيوتو يُذكر بتاريخها المشرق)، يعطي الروائي الياباني ي. كاواما (Y Kawabata) بساء لمديته صوت سهل على لقراء اليابانيين معرفه بفصل صيغ محددة يستعملها (ومنها صيغ التهذيب) بينما هي قليلة الاستعمال عند رجال تلك المنطقة من اليابان، أي كانساي (Kansai)، وهي مهد حضارة هذا البلد فمن غير الوارد مثل هذه لقرائ إلى الفرنسية ولا يحتف بالألسنة بما تتمكن من التعبير عنه أو لا تتمكن، وإما بما توجب قوله أو لا توجب

أما من ناحية المعجمية أخيراً، فمعرض كل لسان شكاية للعصبية على أشياء لعالم، وهو أمر معروف، بحيث يعدو أي عبور إلى لسان آخر بحثاً عن المقابل فيه في أحسن الأحوال فما هو أساسي هنا هامشي هناك، وإلا جرأت لعادة بما في اللغة لمصدر لا يمكن سعالها إلا بصورة حرة في اللغة الهدف^(*). لا يقال في الإنجليزية go there by foot سم يقال في الفرنسية y aller à pied (انذهب إلى هناك سيراً على الأقدام)، ولا يقال في الفرنسية marcher là بينما العنارة لمفضله في الإنجليزية هي walk there (الذهاب إلى هناك سيراً على الأقدام) فالمعنى يصهر في قوالب شكلية نالعه لتؤج «يوجد المعنى في كل مكان، ويعلم المترجمون ذلك بالحرية أو بالتحريه فهم يحذرون وصعاً لترجمة شكل أو شكلاً لترجمه كلمة^(١) أما ما يتصل بالتلاعب بالألفاظ فهو، تحديداً، غير قابل لترجمة، اللهم إلا إذا كان السياق الثقافي

(*) أي اللغة المرجم منها واللغة المرجم إليها (المترجم)

(١) J.-M. Zemb, *Vergleichende Grammatik Französisch-Deutsch*, Teil 1
Bibliographisches Institut Mannheim, Wien Zürich, Dudenverlag, coll
«Duden-Sonderreihe Vergleichende Grammatiken» 1978, p. 27

قريبين و لاحتكاك بينهما قديماً أو العاطفهما المعهمة متقاربه بحيث
توافر المحاكاة للمطنة وتكون فائلة لتفسير وتواجه محاولات
الترجمة التي تتوخى البقية، خارج هذه الحالات، خطر العموص
إذ يعجز من لا يعرف العبرية عن فهم السني أرميا حين يقول «أنا
راء فصبت لورا، فيرد يهو» «أحسنت للرؤية لأني أنا صاهر على
كلمني لأجربها» (أرميا، الإصحاح الأول، ١١ - ١٢) مرتبط الموراة
ها، كما في العديد من المقاطع فيها، أصل الكلمات بالمعنى، وإن
كان هناك اختلاف شكلي - بين حرفين صوتيين على سبيل المثال -
يعطي كلمتين مختلفتين تماماً و «الساھر» في العبرية shoked
(شوكبد)، وشجره اللور تسمى shaken (شاكند) (أي الساھر) لأنها،
كما تقول التوراة، تُرهر قبل بقية الأشجار وكأنها ستيفظ قبلها من
سبت الشتاء ويرى في سباق ثقافة أخرى أن لعات لها من تيسي
haïn teny المالعاشية تستخدم، لأسلوب نفسه «si j'ai planté des
aviavy, je voulais que tu viennes» (زرعت السين لأني أريدك أن
تأتي) تقول إحدى الأعالي و الذي تستطيعه هذه الترجمة أمام ملك
الدعة الميتالسانيه التي برصد فعل avy (أتى) باسم هذه الشجرة دات
لشمار السوداء الواقعة التي سقطت لمؤد على الأرض من خزان
بصحبها؟ لكن حتى وإن كانت لثقافات قريبين من بعضهما البعض،
فقد تتعثر الترجمة أحياناً أمام صعوبة لأعمال الأدلة التي تسعى إلى
أقصى حد أبعاد التعرّجات التي تمكنها الألسنة ويمكن اعتبار روبة
Finnegans Wake لجيمس جويس المثال الأكثر إثارة للدهشة وإذا
عشرنا المحاولة الأخيرة لترجمتها والتي قام بها ب لافيرن (P
Lavergne)^(٧) باجحة سبباً، فلأنه أعاد انتداع ألعاب جويس الكلامية
وأعطى مقالاً لها بالعربية، ومع أن هذا المقابل يتعد كثيراً عن
النص الإنجليزي إلا أنه يقدّم للحيل مادة مشابهة

مع ذلك، وبحركة مصادرة، تُسهم جميع هذه الاحتمالات التي

(٧) صدرت عن دار Gallimard عام ١٩٨٢

بحسب الإدعاء لها، مع أنها تحط بالمخاطر بشاطأ سحيق القدم، في تشكيل ملف للكليب المشترك. إذ تُعلمنا في جميع الأحوال بما يحب ألا يرد فيه. ولأكثر إثارة للدهشة أن الرحمة ما تزال مسمرة، وإن كانت معدة عن التمام أو تريبية. مما يعني أن بين الألسنة تماثلات هي من الحديث بحيث تتيح للرسائل التي تسجها مثل هذا لتتقل بينها. ونعترف أوبتك لدين يقدون من شأن هذه التماثلات، مع ذلك، بأنها تُمهّد للدرب للزعة في لمعرفة، على اعتبار أن عانيتهم هي معرفة لحد، لأدنى من لسمات التي نجعل من اللسان لساناً. وليس صحيحاً إذ، كما «دعى بعض السويين مند ثلاثين عاماً حدث، أن علما لاكتفاء بـ «السلند الأميركي (Boas)، ومعهاده أن الألسنة بحسب عن بعضها لبعض بلا حدود وبصورة لا يمكن «لتكهن بها»^(٨) لقد جعلهم حصاصهم في الأسر ويوحى أكثر هتماماً بحلالت نسي الاجتماعية إلا أن ما يُبجج لبحث عن الكليب في عالم الألسنة هو بالحدبد أنه ممكن، لتكهن بذلك لاحتلافات

البحث عن الكليات

من لبدني في عالم اللسانيات أن وصوح المفردات لا يجعل وجود الكليات الجوهرية أمراً نادياً الاحتمال. والكليات نأكيدات حول مادة لألسنة ذاتها. فعول من مثل «توجد الصائت د في كل مكان» لا يصح في البداية حيث لصائت الذي يُنقل إلى «ب» بالأحرف اللاتينية فقط، في الحقيقة، مع سحب الشفتين إلى الحلق لا مع صنفهما إلى الأمام كما في ou الفرنسية وانقول «توجد في كوه الألسنة أنماط الحان التي نعي «tolours» (دائماً) و «seuement»

(٨) M. Joos, *Readings in Linguistics*, Washington, D.C. American Council of Learned Societies, 1957 p. 96

(وحسب)، تدححصه ألسنة مثل السالو le palau (في ميكرونيزيا) والكوموكس le comox (في كولومبيا البريطانية) حيث تُعتر عن ذلك أفعال في سى من سمط «al-toujours-passé travaillé» وتعني «al» «travaillant toujours» (كان يعمل دائماً)^(٩) والقول «إن كانت العوُث المتعلقة بالقياس، والتي تشكّل روجاً متعارضاً، مشتقة من بعضها البعض، فيعتبر لفظ «petit» (صغير) مشتقاً ولفظ «grand» (كبير) أساساً»، قول يمكن التحقق منه في معظم الأحيان، إلا أن هناك استثناءات كما في لغة السوجيس e bugis، (في جزيرة سيليبس Célèbes الأندونيسية) حيث يقال للنعسر عن النعت «grand» (كبير) «teng-baicus» أي «non petit» (غير صغير) والعوُث أحيراً «يوجد في جميع الألسنة الاسم «homme» (رجل) والفعل «voir» (رأى) كأوليين، أي أنهما، لأهميتهما ولكلّية المعنيين المحزذين الدالين عليهما، اسم وفعل في لفظين بسيطين غير قابلين للتحويل وليس مركّسين أو مشتقين»، قول تدححصه لغة الديغويو le diegueño (في المكسيك) حيث يقال «isk» وتعني homme (رجل) ومعناها الحرفي «celui qui est grand» (من هو كبير)، كما تدححصه لغة الكالام le kalam (في غينيا الجديدة) حيث يُعتر عن الفعل voir (رأى) بـ «(avec les) yeux percevoir» (أدرك بالعينين) ولا يوجد في هذه اللغة الناحية التحليلية، وبحسب آخر من قاموا بتوصيفها^(١٠)، سوى خمسة وتسعين فعلاً منها خمسة وعشرون شائعة الاستعمال، مما يعني قدره عالية على التركيب للتعبير عن العدد الكبير من الحالات والأفعال التي يمكن التعبير عنها بالقول، والتي تقلها عالياً

(٩) انظر C. Hagège, *Le comox laamen de Colombie britannique Présentation d'une langue amérindienne*, Amérindia, n° special 2, Paris, Association d'Ethnolinguistique, 1981 p. 87-91

(١٠) A. Pawley, «On meeting a Language that Defies Description in Ordinary Terms», *Kinang Congress of the Linguistics Society of Papua New Guinea*, Lae, 1980.

في اللغة الفرنسية مثلاً، وعلى الرغم من الاشتقاقات، أفعال مختلفة

لكن هل يعني كل هذا الشيء انما يصح لوجود كُنُات جوهرة أن
عليها لاكتفاء بالكنُات الشكلية، يدعى المصورُ القديم عنها اليوم
بعيداً عن واقع الألسنة؟ ويتبين لنا ذلك من أحدث السرات اشكلانية
التي تُظهر التدرجُ أنها تعود، للولادة دورياً، ويعني هنا القواعد
التوبديية. يدُ تطلق اسمُ «كنُات»، بحسب هذه النظرية^(١١)، على
الأليات المرتبطة بالصعوط الشكلية التي ترسم قواعد اللسان، بوصفها
مكاتب للمعرفة التي لدى المتكلم المستمع لأمثل عن لسان ما
ونستحدث هذه القواعد بمادح محدّدة من الطبقات وأنواعاً من
الصوابط ونقوم بتطبيقها دورياً وفق سبسل منظم بعده حصر كفه
لحمل لي يمكن للمتكلم إتاحتها ولا شيء غير ذلك وتبقى السى
لعميقه السى منها سلور السطح (أي انتاج النهائي وهو ما نقال وما
يُسمع)، وكما يشير اسمها، معيقه على الملاحظة المباشرة ونقترب
ملك السى، عند المسوى لتحريدي الذي هي فيه، من الفكرة القائمة
حول الأنظمة المنظمة، وسقى بالتالي كنية بحيث تنجور اسماء
المحدّدة للألسنة لهردية إلا أن المسافة شاسعة بين الأنظمة لمطيقه
وتطبيقها على الألسنة

والألسنة بسويات أنية، دت توارز قنق، لأنها تقع على محور
الرمس ويحصر لصعوط معاكسة ومن هنا يأتي هذا التوارز للدوري
معانٍ يمكن تفسيره منطقياً بحسب معاد جديدة، بحاصه حين تقابل
هذه الأخيرة بعنراً في الوضع لم ينس للتعبير اللساني، لطبيء في
تطوره (نظر الفصل الحادي عشر، ص ٣٥٣ وما بعدها)، مجراه
يعاها والأمثلة الممبوسة على ذلك كثيرة نذكر هنا ثلاثة من س
أسطها والمرتطة بصورة مباشرة بمصو التعبير اللسانية لغة ابولوت

N Chomsky *Aspects of the Theory of Syntax* op cit (١١)

puluwat (في حرر ميكرونيزيا) والهندية(*) hindi، حيث يقال
 ندروحه «ceile de la maison» (تلك التي في البيت) وإن كانت تعني
 اليوم في القرية، وأخيراً مثال لغة النوبامبال wunambal (في أستراليا)
 حيث يقال «aller boire» (ذهب للشرب) عوضاً عن «boire»
 (شرب)، حتى وإن لم تكن هناك أية حركة لأنّ التعبير، في شكله
 الحرفي، يعود إلى فترة كان فيها السير إلى الساقية للشرب يلي تداول
 اللوحة المشعة فلقد رل النحصر عن الشكل اللساني، في هذه
 الحالة وفي سابقتها، أي أنه أحد معنى حديثاً لم يعد يقابل ما يعنيه
 حرفياً لكونه ارتبط منطقياً بحالة لم تعد اليوم موحوده

وهكذا نتعدّ لألسة عن الأنظمة المسطقية (انظر الفصل
 السادس، ص ١٨٨ وما بعدها) فالكلمات الشكلية، وبسبب ما فيها
 من تجريد، هي إجراءات غير عملانية لإلقاء الضوء على الألسة في
 ذاتها وليست الكليات الشكلية في الحقيقة كذات في الألسة وإنما
 هي شروط كليته للترابط المسطقي في اللسانات ومنطلقات
 أسيمولوجية فقد نرؤد بعض المعلومات عن الأنظمة المسطقية
 وانماهج المستخدمة في العلوم الإنسانية ومراعاة من شكلها، لا عن
 الألسة بحد ذاتها ويوصفها بتدنيات لملكة اللغة، ولا عن الإنسان
 الذي تسهم هذه الألسة في تحديد سماته فكون النظرية اللسانية
 تتوسل إجراءات منهجية محدده لا تعني بالضرورة أنّ عليها اعتبار هذه
 الإجراءات ملازمة للألسة والنحط ما بين الإجراء والموضوع لمطوق
 عليه

حدود التباعد بين اللغات توجهات عامة

ماد يمكن أن نستخلص من السمات اللسانية الكليّة المستتطة

(*) بمعدّ بدنت مجمره لغات وبهجيات الماطل الهندية المعادية لهر العاج والتي عمدت عام
 ١٩٤٩ رعم معارضة كيرة، إحدى لغات الهند الرسمية (المترجم)

من تعريف لسان م، في حال لم يشعر طريقاً انكسار الجوهريه
ولكنيات لشكبه عن شيء؟ فمن تلك لسان، على سبيل المثال،
لساقص بين اسنمرارية لعولم الفيرالية وانهية من جهة، والاقطاع
في المعارضات اسنميره للألسه والحصه انه بعث عن هذه الأخيره
من خلال قطبين اسنرفان الصائتان المرسيان a المنفتح وd غير
لمفتح، الإشارت لمكايه اسنميره لقرب الموضوع أو بُعد عن
المتكلم، السمات الرومانية واسنميره بهيئة لمعل مثل باحر/غير باحر
(accompa/inaccompa) وواقعي/غير واقعي (réel, irréel) ووحس،
اسنمير (ponctuel/duratif) ملح والحقيقه أن مثل هذه لسطره
المقيدية للامقطاع نحاج إلى بعض التوارن إد سظم الألسه
معارضتها بمرونة أكبر مما يبدو عليه الأمر، فمحد بين المقطبين
"لخصير" سلسلة من لتدرجات المتوسطه (انظر الفصل السادس،
ص ١٨٢ - ١٨٣)، وهناك سمه أخرى تنصل بالتنوع لتواري الذي
يظان شكل للكلمات ومعناها وفق سيروره بتسبب بها باسمير عدد
من الاحداث، الأمر الذي أدى، لتدرجات متعاقبة بحسب للسان،
إلى وجود لجانسات اللفظية والمتردوت وعلى الرغم من أهميه
هذه لسان، مع انتحفظت التي أثرها حور أولها، فهي تسمى
غير صانحه للاستعمال المباشر لأنها محزذ سمات كلبه للألسه لا
ممكنها تشكيل أساس لمريضه بحريه يمكن لتحقق منها فتلك
لمريضات بقاط ديك لا بد منها بطور لمعرفة لمصلحة بالألسه
والمستخدمها ويمكن تصور كلبه (un universa) "تكون مثانه
فرصه قائمه على معرفة عمليه متعدد من بوقائع (ولهذا اسنمير
تعبيراً مثل لمريضات انطيمه، وهو تعبیر لا ساقص فيه)، لكنها لا
تكفي بجمع الوقائع وحسب بل تدحر ضمن حملة العلاقات

١٢١. قترح هذا ومعاني جميعه الجمع هذه الصيغة المعروفة التي اسنمير في ما معنى وسنرج
ضمن التمكنيل المعروف في اللغة الفرنسيه aux, al-

المتبادلة بين خواص الألسنة ومن المستحسن إحصاء هذه
الفرصات للمرافعة وذلك عن طريق التحقق من صلاحيتها أمام
مجموعة أكبر من الوقائع كما يجب الحرص على تنوع المصادر
لكي لا نعزو إلى خواص كلية وقائع متماثلة يمكن تفسيرها بأصل
مشترك (قراءة وراثة) أو علاقات مستمرة تعود إلى نحاور جغرافي
(قراءة مكانة)

لا ينعلق الأمر هنا بانتداع كليات بشكل مافسي، ولا بالاكتماء
بمحزذ مشاطات من وقائع مجتمعة، إذ بقي هذه الوقائع عرضية كما
لا تسوفي المادة اللسانية المستعمدة بالضرورة كافة الخواص التي
يربطها المنظور الكلياني بالألسنة بوصفها مادة للدراسة النظرية بل
يحب الإقرار بعدم القدره على التعامل إلا مع الوقائع المتوافرة بين
أيدينا حصراً. وبذلك يكون ما نتوصل إليه عبارة عن توجيهات لا
قوانين، حتى وإن تكلمنا عن قوانين تسهيل احتمال إبطالها باستعمال
صبيح أكثر دقة وصراحة كما نعلم الوقائع في معظم الأحيان أمثلة مضادة
للفرصيات التي نطلقها منها فبمصل دراسة هذه الأمثلة كما هي،
وشرط أن يكون عددها كافياً بطبيعة الحال لكي نوحى شيء، نستطيع
التقدم في محاولة بوصف بعض عموم الألسنة بوصفها ظواهر خاصة
بالجنس البشري وهناك نوع مميز من الفرصات يقترح توجيهات
تضمينية على شاكلة أ ← ب أي «إذا امتك لسان ما السمة أ،
فهو يملك أيضاً على الأرجح السمة ب» التي يشير الإطار النظري
والنتائج التجريبية المتوافرة حتى الآن إلى أنها متضمنة في أ. إن التحقق
من مثل هذه التوجيهات يفتح مجالاً واسعاً أمام البحث

لكن لا بد قبل التلوح في هذا المجال من تحديد أطوره، مما
يستدعي هـ إشارة نصية ففي الألسنة مشكلات تتطلب حلاً ويمكن
احتزالها جميعاً في واحدة ربط المعاني بالأصوات إلا أن الألسنة لا
تشكل أصواتاً اعتباطية ولا تُنتج معاني اعتباطية، ولا تربط المعاني

بالأصوات بصورة عشوائية فهناك صعوبات فيولوجية تحكم في اختيار الأصوات وتعود إلى جهاز النطق لمنتج لها وإلى الأذن التي تسمعها رد على ذلك أن كل لسان لا يحفظ، من حملة الأصوات الفابله للنطق، بمادة دتها إذ يتميز كل واحد بعدد الصوت (الوحدات لصوتية الصغرى) وطبيعتها، وبمدح التوليفات الممكنة بها فهي الفرنسية يوحد لتعرض بين p و b، وفي الصيغة والدنمركية بين p و ph، وفي اللغة الهندية بين p و bh كما لا يوحد في الفرنسية كلمة تبدأ ب tp بينما توحد مثل هذه الكلمة في لغة الباليو le pa.au (في حرر ميكروبيرو) ويدرس علم الأصوات الوظيفي أنظمة الأصوات المعبرة للألفاظ ونراكيب هذه الأصوات في لسلسلة الكلامية

أما ما يطلق عليه اسم للدلالة (المندول) فيرسل بالأصوات الذي يعتمد كل لسان في بناء شبكة العلاقات بالنسبة إلى الأشياء لحارجه، أي إلى المسند إليه الذي تصادف، بوصفه جزءاً لا يتجزأ من علميه بناء المعنى، إلى لعلاقة بين المندول والندال (نظر الفصل الخامس، ص ١٣٠ وما بعدها) إذ الألفاظ، أو أجزاء الألفاظ في ما يتعلق تلك القابلة للانقسام بشكل مباشر، هي تاج هذا البناء ويشكل مجموع هذه الألفاظ معجم مفردات اللسان وليس الألفاظ المعجم مجرد فهرس لا تمايز فيه ولا تعبير إذ يعود الصعوبات التي تحصع بها الألفاظ في الخمول المستعملة فيها، وعلى درجات متفاوتة بحسب اللسان، إلى تحديد في فئات كالأسماء والأفعال، بح، فادرة على الاصطلاح بعض العلاقات بصورة منظمة ونعتبر دراسة هذه الفئات (أجزاء الخطابات) وهذه العلاقات محار علم النحو لكن عاباً ما يرفق تمايز الألفاظ في أنماط مع سمات شكلية تحدد بعضها مقابل لبعض الآخر وتطلق على دراسة هذه السمات اسم علم الصرف، وهو علم تفاوت درجات تطوره من لسان لآخر ونحدد المجالات الأربعة، التي يحددها علم الأصوات الوظيفي ومعجم مفردات اللسان والنحو

والصرف، إطار نعين السمات لكلية

وعلى اعتبار أن السَّوْع ليس كثره فوصفية، وأن الألسنة لا يمكن أن تنتمي إلى أي نموذج عشوائي قد يحلوا لمرء تحيته، فإن الشكل الذي تتخذه هذه السمة هو شكل خواص حاصلة لتغيرات محصورة ضمن حدود معينة وهي تعيزات يمكن لتكهن بها وليست اعتباطية، لأن الصعوط الحارحية المتصلة بتاريخ المجتمعات، وإن كانت عرصية، فإن رد فعل اللسان تجاه هذه الصعوط ليس عرصياً على الإطلاق إن ما يتبدى في عالم الألسنة، وعلى الرغم من تنوعه الشديد، هو هذا الصوسط للاختلاف إذ يوجد في كل لسان علاقه تربط بعض الوظائف ببعض السى التي يصطلىح بها وتشكل هذه السى، على الرغم من صاهاها السالغ التنوع، محالاً في التفاوت لا نسب باللامحدودية

تمايز الأنماط على خلفية الكلي

لهذا السبب نعتبر البحث عن كليات الألسنة أساس عمل التصنيف الذي يقسم هذه الأخيرة إلى أنواع فتتبدى أهميتها وأصحة جليلة «يرتقي للمسايات من خلال التصنيف لترتفع إلى وجهات نظر كلية تماماً فتصبح علماء»^(١٣) قد نظن أنهما على طرفي نقيض لأن الأولى تهتم بالتكرارات والثانية بالتنوع إلا أن نوع الأنماط يظهر على خلفية من المميزات العامة والصادئ المحزدة بمصفي نظام لتباين المظرد، ضمن الإطار الذي ترسمه المجالات الأربعة التي حددناها، من السحو إلى الصرف مروراً بعلم الأصوات الوطصني والمعجم

تعتبر الجملة وحدة مهمة في السحو (لا أنها ليست الوحيدة

(١٣) انظر I. Hjelmslev *Le langage*, 1963). Paris, Ed. De Minuit, 1966, p. 29

نظر المصطلح التاسع) ومنتظم لجملة التامة وفق مركز، بدعى مُسداً،
 ومحيط. ومثال على ذلك هذه الجملة الفرنسية البسيطة sa sœur est
 endormie (أخته نائمة) التي يمكن تحليلها إلى مسد endormie
 ومحيط غير مسد sa sœur إلا أن الألسنة تبدي، انطلاقاً من هذا
 لحد الأدنى من شروط القول، تنوعاً كبيراً في درجة تحضير بعض
 الكلمات في هذه بوظيفة أو تلك، أو في تلك التي تتحدد من خلال
 بعلاقة بكل منهم ولا تتوزع مرتبة الأسماء بشكل متساوٍ فهناك
 ألسنة لا توحد فيها بعوت، وألسنة عديدة أخرى فيها وحدات دلالية
 صغرى تصنيفية (انظر مثال للغة للصينية المذكور أعلاه في الصفحة
 ٦٤)، وأخرى فيها أسماء خاصة للدلالة على لهجة تحلف وطبقها
 لحيوية عن تلك التي بالأسماء لعاديه كما يختلف نبي لحمل
 أيضاً^(١٤) حين يعلق الأمر بعنصري الفاعل والمفعول به فهناك ألسنة
 ترخّخ الإشارة إلى الفاعل في الجملة الفعلية وألسنة ترخّخ الإشارة
 إلى المفعول به في جملة الفعلية، ولغات نمرح بين الحالتين (انظر
 الفصل العاشر، ص ٣٢٤) وهناك منط رابع لا يُدخل، حتى في
 نسط بية للجملة، فعلاً ومفعولاً به يؤثر أحدهما في الآخر وربما
 عصبراً وحيداً مع أفعال تعني courir (ركض) وtomber (سقط)
 وtravailler (عمل) إلخ ويمكن أن يحدد هذا العنصر موحدين
 دلائليين صغريين محليين أو يُصوّف في حالتين متمايزتين بحسب
 طريقة قيامه بالمعل بصوره برادية إلى حد ما أو وعية إلى حد ما
 تلك هي الحال في لغة العواراني le guarani (في باراغواي) ولغة
 الدكوتا dakota (في أوكلاهوما) إلخ

يستطيع كافة الألسنة تحديد ظروف الفعل بالإضافة إلى
 المشاركين فيه. إلا أن أشكال هذا التحديد تختلف من أيضاً بأحد
 مثلاً وحداً على ذلك يتعلق بالأداة أو لطريقة يفال في لفرسنة

(١٤) انظر بدراسة هذه النماذج بالتفصيل في كتاب C. Hagège. *La structure des langues*, Paris, P U F coll. «Que sais-je?», 1982, p. 39-40

il coupe l'herbe avec un couteau (يقطع العشب بسكين) بينما لا
تسعمل لغة البولار le poular (في السعال) لأداء معنى avec (أر) أو
مع كلمة مستقلة بل لاصقة تلحق بالفعل تفيد معنى المسند tay-ir
ta paaka hudo-ka (يقطع - أداة - الحاصر سكين - عشب - وحدة
دلالية صغرى تصيغية)

يمكن في أي لسان تحديد لفظ بمساعدة آخر، كما في الفرسية
بعد استخدام لفظ أداة الوصل de في جمعه le pere de l'enfant (والد
الطفل)، غير أن استعمال أداة الوصل ليس الحل الوحيد إطلاقاً
فبعض الألسنة تفصل الطرفين ويكون نظام التتابع الثالث، معرّف به -
معرّف أو معرّف - معرّف به وفق لحاله، هو الذي يشير إلى معنى
هذه العلاقة وتستعمل الألسنة النصريغية حالة الإضافة (كما في
اللايبية) أو حالة أخرى تتحكم فيها أداة من أدوات الوصل (مثل von
في اللغة الألمانية) كما يقع على أنماط أخرى من ألسنة المحددة
بمثل هذه العلاقة إضافة أداة تعريف للمعرّف تكون لاحقة مع تعبير
محتمل في المعرّف به (كما في العربية والعربية)، أو تعبر سره
الصوت (كما في لغة الماتالوكو fataluku في جزيرة تيمور) أو اللمعة
(انظر الفصل الخامس، ص ١٥١) كما في لغات البانتو (bantous)
في جنوب غرب الكاميرون، أو تعبير المعرّف (كما في اللغات
السليه كالبروتونية والإيرلندية إلح وفي لغة العلباك (guhak) في
سبيريا الشرقية، وجميعها لهجات تعبر فيها لصوامت المدنية، أو
استعمال أداة مساعده تعريغية مثل celui (ou celle, ceux, celles) de
تتبع المعرّف به (كما في لغة الهوسا (haoussa) في نيجيريا
والتشامالان (tchamalin) في الفوقار واللغتين السريرية والهنديّة)، أو
استعمال ضمير الملكية بعد المعرّف كما في الهعارة «l'enfant père-
son» (الطفل والد - له) والبالو le palau الميكرونيية «de père-de lui
l'enfant» (ولد - ل هو الطفل)

وهناك حالة تتصل بملك الأحرار هي حالة الملكية التي تُعرّف

عنها جملة كاملة (لا أدوب التعريف وحدها التي ليست سوى جزء من الجملة) إذ تعتبر كافة الألسنة المعروفة عن العلاقة بين المانث والمملوك، فهي كلثة إلا أن سية الجمل المعترفة عنها تشهد سوعاً كسراً فإد، كان لديه المانث من (X) والمملوك ع (Y) فقد تكون «الصبيعة»^(١٥) صيغه تدور أي «X est Y possesseur» (من هو ع . مانث، أي من يملك ع) كما في لغة الكيتشوا ketchoua (في البيرو وبوليفيا)، أو صيغه إسمادية كما في اللغات الأسترالية التي تسعمل السة التالية «X est Y ifie»، أو وجودية كما في لغة الجاكالتيك jacaltec (في غواتيمالا) حيث يقولون «Y de X existe» (ع د من يوحد)، أو حالية كما في الروسية والديغات «السامية ولغات الكوشيتيك couchitiques» (في شرق إفريقيا) حيث انصيعة «Y est à X» (pour, chez, dans, avec) (ع ل (من أحل، عند، في، مع) من)، أو كما في لغات إفريقيا الوسطى حيث انصيعة السابقة مسة بصورة عكسية «X avec Y» (من مع ع)، أو أخيراً متعديتها الفعل (avoir) (فعل الملكية) كما في لغات الرومان (والفرنسية منها) واللغات الجرمانية وأهم اللغات لسلافية ما عدا الروسية وجميع اللغات التي يرتبط فيها هذا الفعل في أصله بالكلمتين اللتين تعسان «tenir» (أمسك) و«main» (يد) (كما في لهجات شمال غرب إفريقيا على سبيل المثال)

وهناك أحسراً، جراء تكراري مودحي في النحو هو برانط الجمل البسيطة مع جمل معقدة تدعى لها، وهو أبصاً من الكتيبات^(١٦)، إلا أن هناك تحليلاً في التطبيق إذ تشير الجمل لتدعى المسماة بالمتوصولة، العديد من المشكلات التقنية، وهي مدد من

(١٥) الأساس الذي عمده هنا هو الأنماط الدلالية التي حددناها في الفصل التاسع، ص ٢٨٢

صمن إطار نظريه وجهات النظر الثلاث

(١٦) من هذا بابي «رسمه في السيرة الوراثية، وفي النظريات المعطرية» (التي ترى أن أشكال الكتيبات

من بيعة ياتشكاليه المعطرية) انظر ص ٢٩ - ٣٧

بعيد موضوع خلاف علمي بين النحويين مما يجعلها من بين أفضل الموضوعات في السعي الكلياني^(١٧) . لاحظ، إذا ما انصرت على الجملة السابقة غير الموصولة، أن العديد من الألسنة تشير إلى علاقة هرمية نحوية عن طريق معجم الصوت وحده. إذ يفهم الناطقون باللسان، ومن دون الحاجة إلى أدوات الوصل، أنه يجب فهم سلسلة الكلمات على أنها جزء من حملة تعتبر عن معقول، أي عن ظرف زمان أو علة أو افتراض أو غاية. إلح كما لو ك استخدم لأدوات «s», «parce que», «dorsque», «que», أو «pour que» والحقيقة أن وجهة الصوت، في غياب حدّ لجملة انتماء المستقله لخاص، تدلّ على أن الأمر يتعلّق بحملة غير مستقلة. ولقد تمت ملاحظة الأمر نفسه على مستوى اللغة المحكيّة في العديد من الألسنة العربية وأنصأ، على ما يبدو، في تلك التي تسعمل على مسنواها الكتاني أو الرسميّ أدوات وصل كذلك التي ذكرها أو صيغة تنعية خاصّة (subjonctif, conjonctif) أو شكلاً محدّداً من الأسماء الموصولة أو معطاً (مثل المصدر اللاتيني) في الحملة التنعية لمعل تقرير. إذ نجد في الفرنسية المحكيّة أن عبارة «il faisait un seul pas, il se faisait tuer» (خطوة واحدة ويمتل) لها المعنى نفسه مع أن فيها طابعاً عاماً صرفاً للعلاقة الافتراضية - الذي لعبارة هي أقرب إلى الأسلوب المكتوب، وتظهر هذه العلاقة فيها بوصول خاص وهي «s'il avait fait un seul pas, il se serait fait tuer» تشير أحياناً إلى أنه عند استخدام الوصل فإن موقعه نفسه ليس واحداً في جميع اللغات. إذ يقع الوصل في معظم الأحيان بين الجمليتين، لأن الأمر ليس كذلك في كل اللغات. فهي لغة الباسك (basque) لمنطقه لاور (Labourd) (جنوب غرب فرنسا المجاورة لإسبانيا) تسعمل مقابل انتماءه الفرنسية je dis qu'il fait cela سه هي erran/dut, au/iten/du.

(١٧) انظر التفاصيل في C. Hagège, *La structure des langues*, op cit p 60-56.

a. (١٨) (وتعني حرفياً dis, je le/cela/fait/il l'a-que) أداة لوصف (la) لا تظهر بين الجملتين وإنما كلاحقة بالفعل السامع والأمر نفسه في لعب أخرى كلمة العواراني (في الازاعوي)

يمكننا الاكتفاء من هذه السمات فهي تُظهر جميعاً أن
الأسس، وعلى أساس مشترك من تنظيم العلاقات التي تعتبر تقريباً عن
نفس المحتويات الكلية، تختلف في ما يتصل بالشيء التي تمثلها

والاختلاف أكثر في عدم الأصوات لوظيفة. يدعّرص
المحدودة المكسدة والوظيفية لأعضاء الطول والسمع حدوداً كدّة
لاحتمالات لتتوزع في أنظمة الصوت والقاعدة الصوتية - السمعية،
وهي الخبير الصوتي الذي يمرّ عبره إنتاج المعنى في النواصل
لشعبي، هي في الحقيقة إحدى السمات المحددة للجس. ويختلف
الأنظمة خارج هذه القاعدة المشتركة ولا يعدو تفوق عدد الأحرف
الصامتة على الصائتة كونه نوجهاً قوياً لا قابلاً. ففي لغة الهاواي
عشره صوائت مقابل ثمانية صوامت وفي الألعاب البوليسيرية الأخرى
سبب قريب منها وهناك تنوع أيضاً داخل الأنظمة الفرعية. إذ لدى
العديد من الأسس الصوتية الثلاثة المتمفصلة على أساطير الثلاث
للمساوية البعد، أي على الشفنين (الأحرف الشفوية مثل p)،
والأسنن (الأحرف السننية أو السطحية مثل t)، وسقف الحلق
(الأحرف الحلقية أو اللهوية مثل k). غير أن بعض الأسس لا يوجد
فيها إلا صامتان هما p و t في اللغة لتاهتته، و p و k في
لغة الهاواي (١٩) ويعيش الصامت، كوحدة صوتية صغرى أو صوت،
في نعات عديدة مثل لبالو، والعربية التي فيها مقابلة الصوتي b
(ب) ويوجد المعارض بين الصوامت المهموسة والصوامت

(١٨) الطر G. N'Diaye, *Structure du dialecte basque de Mayo*, La Haye-Paris, Mouton, 1970, p. 2-9

(١٩) الطر A. G. Haudricourt. «Richesse en phonèmes et richesse en locuteurs», *L'Homme*, I 1, 1961, p. 5-10

المجهره، وهو من سمات العربية (p/b, f/v, t/d, s/z)، في حوالي ٣٧/ من الألسنة المعروفة وهناك أيضاً صوامت مجهولة وصوامت مرمرية (أي تلفظ مع إغلاق ومن ثم فتح فم لقصبه المرمرية قبل أو بعد النطق بها) إلح كما تُتبع التوليفات الممكنة بين هذه الأنماط تنوعاً كبيراً يضاف إلى ذلك، أسلوب توزع الصوامت الألسنة (وأكثرها شيوعاً في العربية m و n) والرتبة (مثل، و r وهي أكثرها انتشاراً)

تقدم الأنظمة الفرعية للأحرف الصائتة وفرة ملحوظة إذ يضاف إلى الوحدات الثلاث الأساسية a, u, i، وهي على التسلسل الأكثر حسناً في مقدمة صف الحلق ومؤخرته والأكثر افتحاً، أصوات مختلفة وسيطة من التلقظ بدءاً من الأحرف الممدودة التي تسم بالطول أو بالمصاعدة الصوتية (كما في الألمانية حيث الأحرف القصيرة ā في كلمة bīten "رجاء" بينما هو ممدود في كلمة bīeten "فدّم") وانتهاء بالأنسة، كما في الأحرف الصوتية العربية (التي تكتب مع حرف n في نهايتها) التي تعطي على سبيل المثال an, on, an فالعربية هي من تلك الألسنة المعروفة التي فيها صوائت أنسية يصعب النطق بها عند الكبار السالعين ولطافس بالألسنة الحالية منها وهي الأكثر عددً رد على ذلك أنه قد يكون للصوائت حركات يكفي موقعها، كما في العديد من اللغات (الإسبانية والإنجليزية والروسية والألمانية والعربية الإسرائيلية إلح)، لتعبر كلمات متطابقة من دونه كما تحمل للصوائت سمات لها دور تمييزي هي الأخرى (انظر الفصل الخامس، ص ١٥١ وما بعدها)، كما في معظم اللغات الإفريقية وحوالي ربع لغات آسيا وأميركا الشمالية و١٥/ من لغات أوقيانوسيا و١٤/ من لغات أميركا الجنوبية

يضاف إلى هذا التنوع في الأنظمة والأنظمة الفرعية للأصوات تنوع في التوليفات التي تشكل الكلمات فالاختلافات شديدة بين الألسنة في ما يتصل بمجموعات الصوامت والصوائت التي يمكن أن

موجود في كل من المواقع الثلاثة للذئبة والوسطى والأخيرة، وتختلف
 بالتالي في أنماط المقاطع المعتمدة ويمكن مع ذلك طرح بعض
 لكتابات التصميمية في ما يحتض بعض المنطوقات واجتماعها معاً،
 الحسية أو الانعجارية و الاحتكاكية والرطبة فالأحرف الحسية أو
 الانعجارية صومت تُسقط مع إغلاق الحروف (الصم) ينسعه فتحه مع
 انصهار بسيط عند خروج الهواء p, t, k, b, d, g. إلح وسُطق
 لاحتكاكية احتكاك الهواء عبر ممر ضيق لأنه غير معلق تماماً f, v,
 s, z إلح فإذا ما تفصل لسان ما مجموعات مؤلفة من حرفين
 حسيين أو حرفين احتكاكيين فذلك تنصن حوائه على توليفات
 حرف حسني مع حرف احتكاكي ومن جهة أخرى، إذ جمع لسان
 ما، على الأقل في إحدى مجموعات الصوامت الموجودة فيه، حرفاً
 حسيّاً أو احتكاكيّاً وحرفاً أيضاً فلا بد أنه يسمح على الأقل بتوليجه
 حرف حسني أو احتكاكي مع حرف رطب ويحد في الفرنسية، مع
 أنها أقل عى من الألمانية في المجموعات الحسية والاحتكاكية أو
 الحسية - الاحتكاكية، أمثلة منها كلمة aptitude (حرفان حسيان p
 + t) وكلمة asphodele (حرفان حتكاكيان s + f) وكلمة aphteuse
 (حرف احتكاكي f + حرف حسني t)، أو مثل كلمة jasmun (حرف
 حتكاكي s + حرف أنهي m) وكلمة frapper (حرف حتكاكي f +
 حرف رطب r) ولقد تمّ التحقق من النصن على نطاق وسع في
 ألسنة أخرى مثل السعالية (في الهند) والبربرية والسعالية والكمودية،
 فامتصن موجود فيها جميعاً كما نعرف المنصن أيضاً

إن الاختلافات الكمية، وبالتالي لسانية، في معجم المفردات
 موحودة بين لسان وآخر إلا أنها توجد أيضاً داخل اللسان الواحد بين
 فرد وآخر أو بين عدد من الأفراد إذ يستخدم أحدهم في معظم
 الأحيان، على مسيل المثال، قائمه من ألف ومائتي كلمة بينما يعمل
 آخر قائمه من ألفي كلمة وثالث من ألفين وخمسمائة كلمة وتتجاوز
 الألسنة هذا الاحتلال في انورد، الذي قد يفود إلى سب ثلاث لغات

محلله إلى ثلاثة أفراد مع أنهم جميعاً "متساوون" في نظر الفرنسية، وهي لا تُقيّم الحدود في الأماكن نفسها مع أن المعطيات الطسعة متطابقة. وهي تقيم تصصفات مختلفة في عددها ومحتواها. فالكلمات التي تعبر عن الألوان (محد خمسة ألوان في هذا اللسان وثلاثة في ذلك)، وكذلك أسماء القرابة، هي مثال بجليدي على هذا. فكلمة kardeş التركية تس لها امتداد كلمة frère (أخ) أو كلمة sœur (أخت) لأنها تعني أخ أو أخت. أما لأعرص الثقافية فتعبر بحسب البيئة وتغير معها حرود أسمائها. فمقابل الكلمتين الفرنسيتين saumon (سمك السلمون) وrenne (حيوان الرنة) غير المتميزة، نجد ما يريد عن عشرة أسماء متمايزة عند الكوموكس (les Comox)، وهم صيادو سمك جريرة فاكوفر (Vancouver)، وعند اللابون (les Lapons) في فنلندا. بعلم الجميع، أخيراً، أن معجم مفردات مفاهيم مثل liberté (حرية) وconscience (وعي) وhonneur (شرف)، التي ساحتها المعتمدات والمجتمعات كل على طريقته، يريد من عدد الأشراف أمام الترجمة

لا يحاف الجميع من هذه الصعوبات. فهناك من حاول، منذ القرن السابع عشر، على الأقل، في العرب، جمع عدد متناه من الثوابت الدلالية من كافة معاجم لغات العالم. فالمتغير من لغة إلى أخرى هو أساط التولغات وحسب. ولا تعدو مفردات كل لغة كونها مجرد مجموعة ممكنة من التوليفات. ويكفي، للتأكد من مشروعية مثل هذا الإجراء، عدم التشدد وحيارة عدد من الأمثلة لمستفاد بعينه من عدد محدود من اللغات. إلا أن الوقائع أقل بساطة من ذلك. فهناك، بسبب تنوع الحاجات والمواقف، قدره على الإبداع عند الإنسان المتكلم وتجديد مستعر في المعاني. ويكفي ذلك لإثبات الثوابت التي تفرصها النظرة التجريسية بصورة مسفة. رد على ذلك أن العالم الخارج عن الألسنة ما فتى يتغير. فحتى التحليل التمكنكي

للعناصر (أي لتحليل إني سمات دلالية صغرى حاملة للمعنى) "تمثل بداهة" تحليل كلمة "أب" إلى "الذكر من لولدين" في أي لسان قد تدحصبه تلك العملية الجراحية التي تُمارسُ اليوم والتي أصبح من الممكن على إثرها التعبير الجسري بد يكون لرجل، الذي حوّلت هذه العملية جسده، بعد أن كان قد حلف ولدًا، أمًا لكنه أب مؤنث^(٢٠)

علاوة على ذلك، ما الذي يمكن أن نُعلمنا به حول للمعنى والمعنى حاصبة أساسية مثل هذا المصباح الدائري؟ إن اعتماد الكلمات لتمثيل المتغيرات الدلالية الصغرى التي يمكن من خلالها تحليل معجم مفردات أية لغة، يعني الإبقاء على مشكلة تفكيك هذه الكلمات نفسها من دون أي حل ويمكن بالطبع الاجتهاد في التأكيد على أن هذه الكلمات هي مجرد رموز مجردة، معالم بدائية لمتناسات ووحدات منهجية، لا كلمات للسان حقيقي غير أنه لا يمكن تجنب الإشكال الذي يتأني عن أمر محتّم مفاده أن اللسانيات هي العلم الوحيد حاليًا الذي يتوافق فيه موضوع هذا العلم وخطابه حوله

أما ما يتعلّق بالتأكدات الكلية التي تصنّف، هي الأخرى، التحليل إلى سمات دلالية صغرى غير متعزّة، فهي ليست أكثر رسوخًا يرى شأن من بين الأكثر شهرة أن على أسماء الأعلام أن "تُطلق على أشياء تستوفي شرط التجاور في المكان وفي الزمان"، ومن جهة أخرى، أن "المصنوعات تحدّد شروط العاية والحاجة والوطء الخاصة بالإنسان، ولا تنحدّد بحواضها لميراثية وحسب"^(٢١) يرجع هذا القول الثاني أفنّه إلى أرسطو^(٢٢) ويستعيد ن شومسكي هذه الفكرة ويؤيدها كما يستعيد لقول الأول الذي

(٢٠) انظر G Sampson *Making Sense*, op cit p 63-65 وقد يعرض البعض الحديث عن أب محلي

(٢١) N. Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, op cit, p 29 رجع

(٢٢) *De anima* (في الروح)، 403 b، حيث يعطي أرسطو كمثل على ما يذهب إليه كلمة oikos (بيت)

يأخذه عن ب راسل (B. Russell)^(٢٣) ويصرّح شومسكي، على الرغم من تصحيحه للقول الأول بذكر اسم لولايات المتحدة الذي يحرق شرط الجاور المكاني^(٢٤)، أن لا سبب منطقياً سرّ عبات مثل هذه الكلمات عن الألسنة^(٢٥)، وأن الحدّلات التي نشأت هذا التأكيد تقود إلى اعتبار هذه العبات حاصية فطرية غير أنه لا يكفي عبات سمة الضرورة، المنطقية عن حاصية ما لتعتبر فطرية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنّ لتأكيد الثاني تدخسه مصطلحات مثل (hardware) في الإنجليزية ويعني جملة الأجهزة المعدنية لألات مختلعه كالحواسيب. إذ يشير الكلمة إلى سلسلة من الأعراس المصنوعة التي تُحيلُ سمانها إلى خواص فيزيائية لا إلى وظائفها، وهي شديدة التنوع

تقودُ صعوبة وضع كليات معجمية إلى استخدام معايير كلية كما في النحو وتشكل مثل تلك المعايير مما يمكن تسميته بالسلالم الندرجية، وهي تنوعات منتظمة تعطي للمقارنه بين الألسنة قاعدة مشتركة وسعدين لها حمسه من هذه المعايير، أي السلالم التالية، الامتداد المتصل بالترادف، والامتداد المتصل بتعدد المعنى، والاعباطية، ودقة التصنيف، وأخيراً امتداد الأوصاف الإلزامية

تعتمد معاجم اللغات بصورة متفاوتة على الترادف، سواء أكانت المترادفات من الطبقة نفسها أم كانت تختلف في المستوى الأسلوبى والظروف التي يُستعمل فيها كل منها أما تعدد المعنى

(٢٢) راجع *An Inquiry into Meaning and Truth*, London, Allen & Unwin, 1940, p 33

33

(٢٤) نفصل ألاسكا وهاداي عن باقي البلاد، وهي ولايات أميركية، أراضي شاسعة كندية ويقع واسعة من البحر (على الرغم من الوضع الحالي فإن لا نجد أي كتاب مدرسي يظهر المحيط الهادئ كبحيرة ضخمة) ويمكننا أن نصيب إلى هذا المثال كلمات مثل constellation (مجرة) ونعني بالفرنسية والإنكليزية مجموعة متصلة من النجوم، أو كلمة rouage (نروس) بالفرنسية ونعني جملة الأدوات التي تدخل في آلية ما (كالساعة على سبيل المثال)

(٢٥) N Chomsky, *Ibid.*, p 201 n 15

بالسنة إلى الكلمة الواحدة، فعصر لألسنة يوضع في ذلك أكثر من غيره كحاله لألسنة التي تستعمل أسماء أجراء، الجسم لشكل فرائس العلاقات لمكانه - لرمانية، وهي لا يلغي استخدام أسماء الدات التي أنتجتها

Visage → devant, ventre → dans, dos → derriere, etc.

وجه ← أمام، بطر ← في، ظهر ← خلف إبح
(وهي حالة شائعة في إفريقيا وأوقيانوسيا وأمريكا الوسطى، وتوجد على الأعلب في كافة أنحاء العالم، وإنما في عصور تاريخية متدوثة، بينما رل تداول أسماء الدات التي تشكلت منها تلك الفرائس)

تتيح بعض الألسنة فرصاً أكثر من غيرها لتحليل الكلمات المركبة إلى عناصر بسيطة، إذ يحتوي معجمها على درجة أقل من الاعتباطية فهي مجموعة الأفعال الألمانية التالية، aufnehmen, abnehmen, mitnehmen نجد أن المعاني مستمدة من إضافة معنى قبل الفعل إلى معنى الفعل الذي مصدره nehmen (أخذ)، فهي بالتالي أقل اعتباطية من مجموعة الأفعال الفرنسية التي تقابلها relever (رفع)، ôter (بزع)، emporter (حمل)، والتي لا يمكن تحليلها جميعاً بدات الوضوح كما يمكن، وفي المبدأ نفسه، مقارنة المجموعه لمانية في اللغة الاستونية kirjandus, kirjanik, kirjastaja بمفادها بالفرنسية literature (أدب)، écrivain (كاتب)، éditeur (ناشر)، وهي غير شفافة نظراً لغياب المصدر المشترك الموجود في الاستونية من خلال اللاحقة kir- كما نكثر في بعض الألسنة المركبات الوصفية ذات المعنى القابل للاستساض انطلاقاً من عناصر التركيب، مما يعكس "فقراً" في المفردات نسب تحفيره العالي تلك هي حال اللغات الإفريقية ولأوقيانوسية والتبينية اللورمانية إلح حيث يقار للمجموعه "عظم الرأس" وللعبير "طحن الأرض" وللحجر "عين القدم" وللشرب "شعر لهم" إلح

سمتّع لسان ما بمفردات بصنف الأشياء، وهي تكثر أو تقلّ
بحسب نموذج العلاقة التي تنشأ مع العالم المحيط وفي السنة
المجموعات الصناعية بعض المعجم بمجموعات فرعية تقيه وببولوجية
وصناعية متنوعة لا تملك تنظير وتنسج إذ نمذ بعض المحلات
اللسان، وبصورة كلية، بألفاظ تعبيرية ووفرة إذا ما فادت هذه
المجالات نشاطات تعريبه أو محتملة برمرية ثقافية كذلك هي الحار
في أنماط أخرى من المجموعات كما سبق ولاحظنا في موضوع
الأسماء للايونية (Iapons) لحيوان الرنة وأسماء سمك السلمون في
لغة الكوموكس وقد يحدث أن تعب لمصطلحات الشمولية الدلالة،
أي المصطلحات العامة التي سم عبرها نكثر الألفاظ المحددة(*)
ولقد أوجت هذه الظاهرة أحياناً، مع أنها ليست حكراً على
المجموعات عبر الصناعية، بعض الاستجابات المتسارعة ذات الطبع
العصري حول "الدهشة الدائرية" عبر لمؤهلة للسمر إلى درجة
التحريد التعممي لا أن القاعدة لكثية والمنطقة نعماً هي أن الألسنة
تطلق التسميات، بصورة أوتوية، على ما هو مترشح في حاجات
الحياة اليومية التي تخضع بشكل كبير من مجتمع لآخر بضاف إلى
ذلك أن السهولة التي يكتسب فيها سكان الأدغال، وألسنتهم دت
خصوصية معجمية محددة، ألسنة دت مصطلحات شمولية من شأنها
أن تدحض التعميمات الحاطته حول عقلية الشعوب

وأخيراً، فإن فتات مثل النوع (مدكر، مؤنث، محايد، عاقل،
جماد، إلح) والعدد (مفرد، مثني، جمع، إلح) وانصاف
(فيرماني، وطبيعي، إلح) والموقع ضمن الحيز المكاني وغيرها،
موجودة بدرجات متفاوتة بحسب اللسان وقد لا تكون ظاهرة بصورة
مباشرة إلا أنها تتبدى من خلال توافق الكلمات فيما بينها لا

(*) على سبيل المثال نسير قلعه "حيوان" استعملته الدلالة إذ يندرج تحتها العديد من الكلمات
مثل كلب، قط، ديك، حصان إلح (المترجم)

يقول في المرسنة على سسل المثل *il feuilletait son gant* (كان
يتصفح فقاذه) في الأحوال الأكثر شوعاً، نسب بمط المفل ومط
المفعول اللذين يحيل إليهما ها المفل (*feuilletier*) والاسم (*gant*)
وبمكسا اعنيار اختلاف التقسيمات إلى فدت لارمه، بحسب للسان،
كحالة خاصة في مبدأ عدم يتنذى منه اهتمام واضح بالتصنيف أي
توزيع المهام بين المعجم والقواعد والملم في بعضه يباط بالمعجم
في البعض الآخر^(٢٦) وتدرج هذه التقسيمات المتناهيه بطيعة الحال
ضمن لائحته أشراك الترجمة ومتعها

ولمجال الأخير في البحث عن لكلمات هو مجال الصرف أو
المورفولوجيا، وهو محيى أكثر من غيره لأنه المجال الذي يؤى أقل
لثمار ولعله أيضاً، وليس منه، لمجال الذي يستخلص منه أكثر
الدروس والصرف هو حقل الاحلاف الأكبر، د تشبه الألسنة،
مثلها في ذلك مثل الأنوع النحية، في الوظائف المبوطة بها والمكانة
التي شعلها بين البشر الذين يستخدمونها والعالم الذي تحدث عنه،
لكن لا شيء يؤكد نمائل أشكالها وبكمي القبول، كضرورة أساسيه،
بحاجه تلك الألسنة إلى كلمات ذات معنى فائلة للتحليل إلى وحدات
صوتية، فتلك الضرورة لا تتصفى نوحدة نية هذه لكلمات تحب
شكر وحيد، د لم تتم، في المربى لتسع عشر والعشرين، ربط
المفارقة التصنيفية بالبحث عن لكليات «تي تحب أن يفرصها، كما
بفعل هـ فالتصنيف المطي للألسنة «تي بدأه الأحول ف وأ و

(٢٦) د شراك الموعود والمعجم ببعض المهام في بعض الألسنة فيما يولى أحدهما في ألسنة
أخرى، الاضطلاع بمهنة تحديد المعاني فيبجد الطردن *demain* (عد)، *hier* (أمس)
يشتركان في الفرنسيه مع الصيغ المعية في تحديد المستقبل والماضي، فإن اللغة الهنديه *la*
hindu لا يملك لا طرفاً واحداً بأفص التعبير هو *Kôl* ويعني عد أو أمس بحسب العمل إن كان
في المستقبل أم في الماضي والأمر نفسه في لغة الهورون *le huron* (وهي لغة من اللغات
الهنديه في أميركا الشماليه انشرت اليوم) كما نجد حالة مماثله في اللغة الفرنسيه مع الطرف
tout à l'heure، ويعني معاً «د ميين» و«بعد قليل»

شليجيل (F & A-W Schlegel) (عامي ١٨٠٨ و ١٨١٨)، وما يراى يستعمله اليوم العديد من اللسانيين ومن غيرهم، أصبح مشهوراً من خلال أبحاث و فون هومبولت (W von Humboldt) وف بوب (F Bopp) وأ - ف بوت (A F Pott) وأ شلابشر (A Schleicher) وهـ ستيثال (H. Steinthal) وف ميستيلي (F Misteli) وف ن فيك (F N Finck) ور دو لاجراسري (R. de La Grasserie) و لا ساپير (E Sapir) التي تمتد بين الأعوام ١٨٣٣ و ١٩٢١^(٢٧)، حيث تقسم الألسنة فيها إلى ألسنة إعرابية وألسنة لصقية وألسنة عربية

فالألسنة الإعرابية هي التي تتشكل كلماتها من بوليغات الجذور واللواحق مع دمجها في مصريف الأسماء والأفعال على حد سواء. إذ يقال في اللاتينية tempus (الزمن) نكر يقال temporis (عن الزمن)، وتقابل الفرنسية savons (نقلم) و saïs (تعلم) والألسنة اللصقية هي التي تتشكل كلماتها من وصف الحدود بجانب اللواحق من دون مشكلات حدودية بينها. إذ يقابل des maisons (بيوت) في الفرنسية، كلمة ev-ler in في المركبة أي بيت - جمع - حالة الإضافة. أما الألسنة العربية فهي كلمات ثابتة غير قابلة للتحليل (مع أنها تعرف التركيب والاشتقاق) نتخذ منها العلاقات بين الكلمات عن طريق موقعها. تلك هي الحال في اللغة الصينية الرسمية التقليدية mandarin حيث gǐ تعني (أعطى) أو (إلى)، و yǒng تعني (استعمل) أو (بوسطة) بحسب الموقع داخل الجملة. كما ترع كلمات، لألسنة العربية، على خلاف غيرها من أنماط الألسنة الخاصة، إلى أحادية المقطع وفي لحتام، أصاف بعض المؤلفين مثل بوت Pott، مستعدين في ذلك الافتراح الذي كان قد قدمه الباحث الفرنسي - الأميركي ب س دو بوسو (P S Du Ponceau) عام ١٨١٩، بمط

(٢٧) لمزيد من التفاصيل حول هذه الأعمال و حول أنماط الألسنة المذكورة بصوره سريعة هنا، راجع كتاب السابق الذكر C. Hagège, *La structure des langues*, op. cit p 4-9

ربما من الألسنة هو اللسان المعتد الركيب والذي ثُمثله بصورة
جيدة الألسنة الأميركية الهندي حيث يتركب، على أساس حذر
وحيد، عدد من المواضع ذات المعنى المادي وانقو عدي على حد
سواء، وبعملية تسمى الإدماج بشكل خاص وتكون النتيجة توافقاً
شائعاً بين الكلمة والجملة.

يُدرجُ هذا التصنيف النمطي، على الرغم من أساسه الصرفي،
اعتبارات نحوية، وهو أمر سرعان ما يبدو واضحاً وهو من جهة
أخرى، وسبب بروعه الشوئي الصمّي، يصح الألسنة الإعراب في
قمة التصنيف مع أن التعيرات دوريه وأن الألسنة العرلية كالصينية
كاست، على الأرجح، عربية في ما مضى وهي أحياناً تدفع إلى
لظن بأن كل لسان من الألسنة تدخل في نمط واحد بينما الحقيقة
أعقد من ذلك فلمعظم ألسنة لعالم سمات تتوزع على عدد من
الأمعاد في وقت واحد وعلى الرغم من هذه المواقف، فلهذا
لتصنيف الثلاثي - الرباعي - الفصل في توضيح مدى تغير الكلمات
من لسان لآخر إذ لا يترك الصرف مكملاً للكليات بل ما هو في
النقطة القصوى للاختلافات وإد ما كانت هناك حدود مفروضة على
لتوسع الممكن نظرياً، وفي ما وراء الحد المرسوم، فلأن جميع
الألسنة تصطلح بمجموعة مشتركة من الوظائف تستدعي بنى شكله
غير فائلة لتغير بصره عشوائية تماماً

إن الكليات فطرية بحسب لنظريات العقلانية فإذا ما اعتبرناها
هذا فرصات تجريبية، يمكن التحقق منها، موضوعها درجة الاختلاف
بين الألسنة بالنسبة إلى خواص كدة، فإما متى بعيدين عن شكابة
الفطرية فالموضوع هنا لا يتعلق بكليات شكله ولا بكليات
جوهرية ومع ذلك لا ينبغي الجدول حول الفطري عرساً عما لكن
لماد علما اعتبار الكليات بنحة وحبدة لشكل لخواص في العقل
الشري تنقل وراثياً؟ لم لا تكون، في جميع الألسنة، استجابات
مماثلة لمحاولات التي يواجهها الحس الشري في علاقات لتخاطب؟

إن أطروحات الفطرية لا تأخذ بعين الاعتبار استعمال الألسنة، لأن اللغة، لا الألسنة، هو موضوعها في حقيقتة الأمر. ومع ذلك يسمى موضوعها قابلاً للنقاش. هناك تجربة معروفة منذ زمن بعيد من شأنها دحض ما تُحتمله الملاحظة الساذجة. إذ تعترض أهلية الحياة الاجتماعية، التي تطعت في الشيفرة الوراثية للحسن البشري (نظر الفصل الأول) خلال تطوّر دام مئات الآلاف من السنين، وكحدث الملكة التي تتوافق معها أي ملكة الدعة، مجموعته أفراد حكماً أم التجربة فهي تجربة الأطفال المتوحشين بعد اسراعهم من وضعهم الأصلي، وتربيتهم لجعلهم كائنات اجتماعية، مع ما يواجه ذلك من صعوبات كبيرة. فملكة الدعة لا تؤدي إلى عملية التواصل إلا إذا كانت هناك حياة اجتماعية. ولا شك أن للغة وظائف أخرى علاوة على التواصل. وإذا ما كان بإمكاننا وصفها أيضاً بالملكة المستتقة، فإن الحسن البشري لا يمكن تعريفه إلا كجماعة. والإشارة إلى الداء وإلى الآخرين هي عملية التحاطب هي من الكلمات، سواء أكانت لذات صغيراً، مفصلاً أم شكلاً من أشكال الفعل أو غير ذلك. وإذا ما كان الإنسان يمتلك تلك الأهلية فلأن "أنا" نقول "أنت" "أنا" آخر يتلقى منها هو نفسه هذه الـ "أنت" رداً عليه. وإذا ما كانت هناك من كلمات ومقدمات الحوار هي معاً تفسيرها وعابيتها.

الفصل الرابع

الكتابة والشفاهة

محبو الكتابة ومحبو الكلام

ما سبب عشق البعض للمكتوب؟ ويمادا يفكر أولئك الذين لا يهتمون إلا بالشفهي؟ لقد عثرت معامرة كبرى مصير الألسنة، تلك لأمظمة الدالة، التي يربطها بصورة وثيقة بالجسر الشرقي تشكبل متبادل عبر الزمن، لم تنوقف خلاله عن شديب كل شيء ورسم حدود هويتها الخاصة المتوصحه شيت فشيئاً كما يعبر معها مصير لشرية، أو مصير القسم لأكبر منها على الأقل إنها معامرة المكتوب التي ولدت من مبادرة ظهرت محصلتها ببطء شديد وأشركت، لتطويرة، العديد من العوامل المحلقة والمعقدة لدرجة أن نساءل ما إذا كانت كلمة "خترع"، التي كرسها المداول وعديون الكثير من الكتب، ملائمة جداً

يمكننا اعتبار الشفاهة، ويعكس لكتابة، تحصيل حاصل وأنها من مكونات الألسنة "مد الأرض" ولا معنى بالتالي هذا لأي جدل حول انسلسل الرمي بين آثار موضوع العلاقة بين لشفاهة والكتابة خلافات قديمة لم تنوقف ولا شك أن العديد من المسائيس الحديث، ممن تتلمذوا على لسوية، برون صلاب ما يقوله فابر دولميه (Fabre d'Olivet)، وهو قول يمثل تياراً فكرياً لم تنوقف حدوده عند بداية القرن التاسع عشر

«إن كُتبت المبادئ الكلية التي بسميها الصييون كينج (King)، وكتب اعلم الإلهي التي سماها الهندوسيون فيدا (Veda) أو صدا

(Beda)، وسفر موسى، تلکم ما یصح الشهرة الأبدية للألسه الصبسة
والسسكریبه والعبرية إلا أني لم أذحل اللسان الثثري أو معوري
(oighoury)، مع أنه من ألسه أسب السدائیه، في عداد الألسه التي
نُعسر دراستها ضرورية لمن يريد العوده إلى مبدأ الكلام، إذ لا يوجد
ما يعيدها إلى هذا المبدأ في لسان ليس فيه أدب مقدس فكيف
يكون للتتار أدب مقدس أو دبیوتی وهم لم يعرفوا أحرف الكتابة؟ إذ
لم يعثر حكیرحاد، الذي عطف إمبراطوریتیه مساحة شاسعه، على
رجل واحد من بين المعمول فادر على كتابة رسائله، بحسب أكبر
المؤرخین كما لم یکن تیمورلک، وكان بدوره سید حرّ من اب،
يعرف القراءة ولا الكتابة إن عاب الحرف والأدب، إذ ترك لسان
التتار في حاة تقلب دائمة أشبه ما تكون بتلك التي تعاني منها اليوم
اللهجات العديمه الشكل لشعوب أميركا السدائیه، يجعل دراستها
عديمه الفائدة لعلم الاشتقاق، ولا تترك في الدهن سوى ومصات
عامصه وفي معظم الأحيان خاطئة^(١)

ليست أولوية الكتابه، المفكرة الوحيدة اني يحتوي عليها هذا
النص والمفكرة الأخرى ملازمة لها، وهي حكم مسبق معاده أن
الألسه التي لا تملك تراثاً مكتوباً منقلباً وعديمه الشكل وتؤكد هد
الحكم المسبق تلك الفصص السائسه لمعوشين تشيريين يفتخرون إلى
الكفاء السابیه ويعجرون عن ملاحظة براعة تعقيد العديد من الألسه
الشفاهية واستمراريتها التاريخيه إن مثل هذه الأفكار نسود في العرب
تحت أشكال محتلهه مد عصر النهضة على الأقل ولا شك أن
احتراع الطباعة لعب دوراً حاسماً في الأمر

مد فجر العصر الكلاسيكي، صرح كل من ب دو فيجنور
(B. de Vigenere) وك دوريه (C. Duret)^(٢)، أن المكتوب نسبو

(١) La langue hébraïque (انظر هنا من ١١٥) Dissertation introductive, p. XI-XII
restituee

(٢) B. de Vigenere, Traité des chiffres et secrètes manières d'écrire, Paris, 1586. p

12, C. Duret. Trésor de l'histoire des langues, Cologne, 1613, p. 9-20.

المصنوع كما يسيطر "المبدأ الذكري" على المصمم الأنثوي من
 للسان لقد كانت هناك على الأعلب، بحسب وجهة نظرهما، كتلة
 طبيعية قبل الطوفان هي تلك التي فتّ طلاسمها آدم، إذ كانت
 مكتوبة على الحيوانات الدابة والطيائرة حين جعلها الحالف تمرّ أمامه
 لتتحد أسماء لها ولم يتم التحلي عن هذه السطره في القرون
 لعشرين؛ إذ يخصص ج. ففرييه (J. Fevrier) في كتابه انكلاسيكي
Histoire de l'écriture (تاريخ الكتابة)^(٣) ثلاث صفحات لدحض
 طروحات ب. ج. غيبكيين (P.J. Ginneken) لذي يرى^(٤) أن ظهور
 الكتاب سبق ظهور اللغة المنطوقة، وأن النقوش الرسومية لأولى هي
 نقل حطّي لحركات اليد التي تشكّل المصدر الأول لأي لسان
 وبمكنا، حول هذه النقطة الأخيرة ومع أن لا يملك أي دليل قاطع،
 تقديم بعض انقراض أم فرصة التعبير الحطّي الأولى عن حركات
 اليد، فقد دحضتها ملاحظة أكثر الكلمات المعروفة قديماً إذ تُعبر
 هذه الكتابات رسوماً، ثمّ تسميها سريعاً، لأشياء وأعراض لا
 لحركات تحاكيها رد على ذلك أن الإصرار على اعتبار الكتابة
 "الحقيقية" صلبة هي القيد لا يعني أن وجودها يعني وجود اللغة
 المنطوقة، ولا شيء بثت أن تلك المحاولات البدئية لم تكن
 معاصرة لتلك اللغة يقول محب للكتابة دافع الصيب، لا يؤمن
 بأصقية الشفه ولا حتى بأصقية الكتابة "اعتقد الملاسعة خطأ أن
 الألسنة ولدت أولاً ثم جاءت الكتابة بعده، بينما هما بواقي، ولدت
 معاً وبتواً بشكل متوازي"^(٥) ومع ذلك يلاحظ ج. ديريديا (J.
 Derrida) في كتاب يمتد الكتابة (بمعناها الواسع في الحقيقة)، أن

(٣) مشوار، 1959، p. 14-15 Paris, Payot.

(٤) *La reconstruction typologique des langues archaïques de l'humanité*, (1)
 Amsterdam, Uitgave van de N V Noord-Hollandische Uitgevers-
 Maatschappij, 1939

(٥) G. Vico, *Scienza nuova*, Naples, 1744. 31

«الكلام عن كتابه أولى لا يعني تأكيد أولوية رسمه واقعه»^(٦)

ولا شيء ذلك المستعبر إلى المعسكر الآخر، المتمسك بالشعاع كمصدر مطلق، عن مهاجمة «فقدان الذاكرة» الرهيب بسبب الكتابة^(٧) الذي تعود المسؤولية فيه إلى انتشار الكتابة المطبوعة في العرب

«لقد ارتكبت الكتابات أولاً، ومن ثم أصحاح المطابع وصاعير لكتاب والورق الجرم نفسه بحق ملكة الذاكرة. لقد جعلوا ذكرنا مبدعاً حتى يكاد أن يعجز أكثر الموهوبين عن تذكر أسماء أصدقائهم المفترسين ودعوا لا نستخرج من ذلك أساً في حالة انحطاط، لكن بكل بساطة تعاني من تردّي ملكة أصحت، مع ترسانة الرسائل والكتب التي عداها، غير مجدبة تقريباً»^(٨)

لا تتصنّ كتابة نصوص كتلك المستخدمة في التعليم النقدي للأديان الكبرى، وفي نظر أصدفء الكلام الحقي، نشاطاً كتابياً ذا شأن، إذ تعتبر مجرد وسيلة في خدمة «الملء الشهي» وكوسيلة مساعدة باقصة بالضرورة لعمليات الطق الحية

«لقد سبق التعليم الشاهني التعليم المكتوب في كل مكان على وجه التقريب () وكان وحده المستخدم خلال عصور طوبله () فليس النص التقليدي المكتوب (كالتلاوة العبرية لمصّة لخلق على سبيل المثال) () إلا تشبهاً حدثت شيئاً في تعليم كان أولاً شفهياً هكذا، وبما شعر بالثقة في حيازه المحفوظ الأولي يجب أن يعرف كم من الوقت دم البقن الشاهني قلعه»^(٩)

(٦) De la grammatologie. Paris, Ed. De Minimi, 1967, p. 16. note .

(٧) M. Jousse, *Le style oral*, Paris, Fondation Marcel Jousse, 198. (1^{re} ed. 1925), p. 257

(٨) C. L. Julliot, *L'éducation de la mémoire* Paris, 1919, p. 33-35.

(٩) R. Guenon, *Introduction générale à l'étude des doctrines indiennes*, Paris, 1921 p. 43

وهناك أيضاً ما هو أكثر من أسقنة الكلام الحني إذ بصطدم
المكسوب، في بعض الحصاصات، بمحظور يصير شعاعه بقى
انمعرفة وتشهد العديد من لصوص التلمودية على مثل هذا
لمحظور فمن يكتب قصص الأقدمين aggadot هي القصص
اليهودية التقليدية) لن يشارك في الحية الأخرى^(١٠)، وأيضاً «من
يعهد إلى الكتبة بال halakot (قواعد السلوك العملي في اليهودية)
منه مثل من يرمي بالوراثة إلى البار»^(١١) فمثل تلك لصوص
علاقة ما بأسلوب بعض لكتابات في النعاش مع، لكيونه اليهودية،
كما هي الحال عند إ. جابيس (E. Jabès)، الذي تعدّه صعوبة إنجاز
هد التعديش، «الممرح مع صعوبة الكتبة، لأن اليهودية والكتبة هما
ترقبت واحد وأمل واحد واستسرف واحد»^(١٢). وليس من شأن
لقرءه اللاعوضية لهد النص أن تعلمنا شيئاً آخر عن ذلك الانتظار
الذي لا بد أن يحياه المتدبسون كعباب للكلام المباشر في الأرض
الموعودة، وبالتالي فإن أية كتبه، وحتى الكتبة القبلية* التي تقف
عند حد حرفيه الكلمة نفسها لتتساءل عن معناها، هي نوع من
المنفى خارج التبادل الحني للكلام المنطوق

الكتابة - الاختراع والأحلام

لمصطلح الكتابة معانٍ مختلفة إذ يمكن أن يُدرج فيه الموش
لصحرة التي تظهر مشاهد الصيد في لعصر لحجري القديم الأعلى
لكنا إذا ما اقتصرنا على المعنى الشائع للمصطلح والمتعلق بنسبة في
عدة نمثل الكلام بواسطة أثر على حامل قابس للحفظ، فمن الممكن
عندها الحديث عن اختراع (لكن بالمعنى العام جدّ للكلمة)

(١٠) *Talmud de Jérusalem*, Paris, Maisonneuve. 1972, *Traité Schabbat*, XVI, vol. 3, p. 162

(١١) *Talmud de Babylone*, *Traité Guittin*, 60 b.

(١٢) *Le livre des questions*, Paris, Gallimard. 1963

(*) صبه إلى العبالة Cabbale وهي صرّبت من العبرية اليهودية (المتروجم)

وبمكس، وإن بصورة تقريبية، سنُّه إلى قضاء تاريخي. فليقد كانت تلك معامره حاسمه لهذا القسم من الشريعة اندي استناد مهـ ويمكن مقاربه هذه المعمرة تلك الصاربه في القدم بعيداً في ظلمات الزمن، أي اكتشاف النار لقد بدأ الجسُّ البشري يتمتع بوسيلة طويلة لأمد لتثبيت الكلام والإبقاء على معرفة تاريخها على حافة هاويه السيد التي تعجز الذاكرة الجمعية، حتى عن طريق وسيله التناقل الشفاهي العريقة القدم، عن تجنب السقوط في أعماقها

هكذا فإن ولادة الكتابة، عند أقدم الحضارات المعروفة، هي ولادة للتاريخ وهذا تكمن اردواجية ذلك التحديد الثوري فاصص المكتوب، ويعكس ما تكبُّت عنه، ثلَّم في حماد، يعيُّت عنه حضور الأطراف المكتوب عنها، وقصُّ مؤخر للأحوال إبه حوار عن بُعد يُبطل تجاوز الأمواه والآدان والعيون ولكنه أيضاً، وبهذا السبب بالذات، حضور لعرص في متاول من يشاء من العراء، سجع عليه حالته الاستمرارية والكثافة ويتيح امتداده فوق حير مكاني ما يشاء المرء من توليفات وازدادات واستدلالات ممكنة، إذ يستدل عياب الأشياء والكلمات المقولة، التي يحكي لاحقاً سابقها، بأثار حامده لكلمات يمكن لكل امرئ النوقف عندها والتأمل فيها فليكنابه، إذ، انقدره على التماس الفكر وربما الحث أيضاً على تطوير ملكات التحليل والتجريد لم يكن أهل لمجتمعات الشفاهية محرومين من تلك الملكة على الإطلاق، لكنهم طُوروه بوسائل أخرى لم تكن بالتأكيد في متاول كل فرد علاوة على ذلك فهناك نشاط واحد على الأقل لم يكن ممكناً من دون الكتابة إبه التوقييم لموصعي اندي يصرص وجود أنجدة من الأعداد ونظام تسلسلي مكتوب كاللدين يبحث فيهما علم الحساب

ميّرت أهلية الحياه الجماعية وملكته النعة، في عصور ما قبل التاريخ وبصورة حاسمه خلال مئات الآلاف من السنين، حسب شرياً

حديثاً ، فلقد ظهرت الكتابة ، وفق ما توصلت إليه الدراسات حتى اليوم ، في عدد محدود جداً من المجتمعات ، ويدور ، على أي حال ، أنها وثيقة الارساط بحانه معقدة خاصة من العلاقات الإنسانية وشبكة دقيقة من التراتبية تميّرت بها المجتمعات الحضرية ذات البنية لاقتصادية القوية فالأمر إذ لا يتعلق هذه المرة بتطور طبيعي ولا بحاصية تعريضية

ولا بد من عظمه موسوعه هـ ، لإدراك أهمية هذا انزهان والمصير الذي قاد الحسن البشري إليه فلقد مرت تلك انظاهرة في ثلاثة مراكز حضارية ، احتضنت مجتمعات زراعية قديمة ، تعدت حرياً وامتارت بعدد سكانها الكسر ونظام متطور للتبادل . إذ تم اختراع الكتابة في منطقة الشرق الأوسط في مكرين ، هما لحضارة السومرية وحضارة مصر القديمة ، وفي الوقت نفسه تقريباً يعارق حوالي مائتي سنة حوالي ٣٣٠٠ قبل الميلاد في سومر (كنداب أوروك) ، وحوالي ٣١٠٠ قبل الميلاد في مصر ولا يعلم بوضوح ما إذا أدى أحد المراكز دور السموذج بالنسبة إلى الآخر أم لا فالعلاقات كانت بالتأكيد وثيقة بين المراكز لكما سرعان ما نتساءل عن أحقية علاقه التأثير عند تبين الفارق بين القيتين

استعملت للكتابة في سومر ، حيث الأرض الطينية التي تعمرها الفياضات في منطقة ما بين النهرين السفلى ، ألواح مصنوعة من عجينة الطين نطع عليها القلم خطوطاً مستقيمة بالصعط على القصبة ، ورؤوساً أشبه بالمسامير المحنية بالصعط على رأس القصبة ، ومن هـ جاء اسم هذه الكتابة المعروفة بالكتابة السومرية وسرعان ما محت هذه التقية ، بفصل التسميق المطرد الذي حصعت له ، كل شه بين الخط والأشياء التي كان يمثلها ببساطة في مرحلة الكتابة التصويرية البدئية فهي بالنالي غيرت ، لمرحلتين لكلاسيكيتين للكتابة لمصورية ، أي رسم لشيء ، وللكتابة المصورية في ما بعد ، أي الرسيمة الفكرة التي تقابل كلمه ما في اللسان ولقد أصبح هـ

التاريخ مألوفاً، على الرغم من قدمه، إذ استعاد عدلُ اليوم مبره هذه الكنتانة وراد من استخدام الكتابة التصويرية في الكتب الساحية والأماكن العامة وإشارات المرور ومحتد أشكال الإعلانات والصناديق والطرود التي تُشيرُ ترسماتٌ عليها لا تغفل اللبس إلى جهتها لعد والسفلى وقابلتها بعبط ودرجة الرطوبة إنج^(١٣) على أي حال، فلقد ظهرت الكنتانة الصوتية^(١٤) في سومر بعد الكنتانة التصويرية، أي أصح الأمر يتعلّق برمر يُكتبُ فيصح، لأنه يمثل كلمة تحتوي على صوت ما أو مجموعة أصوات ما، خاصاً بكنتانة هذا الصوت عد كنتابه أبه كلمة أو أي جزء من كلمة يكون فيها هذا الصوت

استعمل السّاح في مصر ساق سات الأصل فكانوا يصنعون طرفها ليصح رشه ثم يعطونها في حر أسود من هباء الدخان كما كانوا يكتبون على ورق الردي المصنوع من سات من فصيلة السعدبات كثير الانتشار على صفاف النيل، فكانوا يقطعون ساقه إلى أجزاء ويلصقون الصيالات ببعضها البعض ليحصلوا، بعد تحميمها وصقلها وجمعها، على لعافة مره ومثينة^(١٥) هذا الاختلاف في التفقات ليس الوحيد بين مصر وسومر فهناك اختلاف آخر أساسي إذ يبدو أن الكنتانة المصرية، وفق أقدم الشواهد التي نحيلها إلى الماصي، قد أشتت مد البداية بصورتها الدائمة فلا تقسم الأحرف الهسروعلبية لأقدم المصوص المكتوبة إلى تصويرية وتصويرية

(١٣) هناك نوع يجمع بين الرسم الصرف والتعبير الخطي لسان ويسير إلى الحروف والطرود، ألا وهو أعلام الكرون التي أصبح يحاكيها الكثير في العصر الثاني من القرن العشرين حتى سمات النقد المسماة بالشعبية، ودبت بانتظار بطور لرب لايت أكر في المستقبل انظر U Eco, *Apocalittic e integrati*, Milan, Fabbri-Bompiani, 1964

(١٤) انظر *Naissance de l'écriture, cunéiforms et hieroglyphs*, Catalogue de l'exposition du 7 mai au 9 août 1982, Paris. Editions de la Réunion des musées nationaux 1982. p. 51 contribution de B André-Leiknam

(١٥) *Ibid.*, p 35. ماصه د باير D Beyer

وحسب، بل نجد فيها أيضاً نظاماً متكاملًا لكثافة صوتية يعمل بالطريقة نفسها التي للكثافة الصوتية المسمارية، أي وفق مبدأ لرمز الصوتي. إذ تُظهر هذه النصوص مجموعة من الرموز الهيروغليفية الخاصة، تسقى المعرفات. وإذا ما وُضعت بجانب الرموز التي تعادل كلمات مشتركة في اللفظ من ناحية الصوامت (وهي النوحيدة التي تُكتب) فهي تحلّ ليس (تماماً كما يفعل بعض الرموز في الأحرف لصيغة دت اللفظ الواحد) بتحديد لفته ابدانية أو الحومة التي تسمي إليها الكلمة

نقبت تلك الدقة اني سم عنها تلك لكثافته، رغم قدمها،
مجهولة لرمز طويل ولكن بأويلها كشف عن الكثير من المعالطات
إذ يقول ج. ج. روسو (J. J. Rousseau) ^(١٦)

«نقدر ما تكون الكثافة غير متقنة يكون للسان قديماً فرسماً
الأصوات ليس أسلوب الكثافة الأول، إنه رسم الأشياء نفسها إما
بصوره مباشرة كما فعل المكسكبون أو برسوم مجازية كما فعل
المصريون في الماضي. يعكس هذه الحالة لساناً ملتهب المشاعر
وتعترض نوعاً محدداً من المجتمعات والحاجات ولدتها هذه المشاعر
() إن رسم الأشياء يلائم لشعوب البدائية»

لقد حل شامبليون (Champollion) رموز الكثافة الهيروغليفية
عام ١٨٢٢، ومع ذلك محدث بوديه (C. Nodier) يكتب بعد
سنوات من هذا التاريخ

«كان العنق بأسماء الأشياء محاكاة لأصواتها، وكثافة أسماء
الأشياء محاكاة لأشكالها وبالتالي كانت المحاكات الصوتية بمط
لألسنة المطوقة، والهيروغليفية بمط لألسنة المكتوبة» ^(١٧)

^(١٦) *Essai sur l'origine des langues, Œuvres, éd. 1826, t. I. chapitre V, «De l'écriture»*

^(١٧) *Dictionnaire raisonné des onomatopées françaises, Paris, 1828. Préface, p. 11*

هكذا نجد أن الشخص الذي أرسط اسمُه، في الأدب،
 بالحكاية العرائبية وبالسرعة الإشرافية يبحث عن حلّ العار الألسنة
 بتأملات نظرية في قلب عصر إردهار علم القواعد المقارن ولا
 يدهش ما يقوله هنا عن الكتابة الهيروغليفية والمحاكاة الصوتية،
 بحاصة حين يصرّح ما كنبه في *Notions elementaires de*
linguistique^(١٨) (مفاهيم أولية في اللسانيات)

«إن أسماء المخلوقات () هي أسماؤها الحقيقية في لسان
 آدم الذي شكلها وفق إحساسه، أي بحسب ما بدا له أكثر بروزاً في
 صورة الأشياء»

سجّل هذه الرؤى الرومسية اللطيفة، بطبيعة الحال، تعقيد
 الثقافات التي اخترعت الكتابة المسمارية والهيروغليفية وبدوا
 ولادة الكتابة في الحالتين وعلى الرغم من الاختلافات التي ذكرناها،
 مرتبطه بتطور ميل متنام إلى احتساب الأشياء تنح عن ضرورة إدارة
 الثروات المتراكمة فكما تنح النفود عن استبدال للأشياء بالرموز،
 فإن الكتابة من اختراع التجار في الشرق الأوسط إذ يقابل الإله
 هرمس (Hermès) في الأسطورة السومارية، وهو إله الحكمة
 والخصوصية والتجارة أيضاً، الإله ثوت (Thot) في الأسطورة
 المصرية، وهو إله العلوم والتقنيات وأيضاً إله الكتابة الذي يعمره
 أفلاطون، في نهاية مؤلفه فيدروس (*Phedre*)، مخترع الكتابة ويبدو
 أن التطور الحاسم يعود إلى مستعملي اللسان ممن هم على تحومها،
 من عرباء ومسافرين وتجار من كافة المناطق المحاذية للإمبراطوريتين
 الكسيرتيس والمركريتيس ويكمن هذا التطور في التسميق الذي هو
 المرحلة الأولى في الطريق التي تعود إلى كتابه حفيّة معصدة عن
 التمثيل التصويري للأشياء، وبالتالي إلى تطوير المقاطع الصوتية ومن

(١٨) راجع M. Yaguello. Paris, 1934, chapitre II, «Langue organique»
Les fous du langage. Paris, Ed. Du Seuil, 1984, p. 182

ثم تنظيمها وتحقيقه أن التحصن البالغ الذي تتطلبه هذه الناحية، وكانت تحتاج إلى تدرب طويل وبالتالي إلى إمكانيات مالية، جعلت من معرفة الكتابة مرمية ولا يوجد مع ذلك ما شئت أن من احترعها هم النساخ الذين تقلدوا الوظائف الرسمية والكهنه الذين احتكروها ولربما استولوا على نظام في التدوين بشأ بصورة مشتركة أولاً ثم حولوه لمصلحتهم ذلك أن الكتابة أداة سلطوية، فهي التي تتيح إرسال الأوامر إلى الولايات البعيدة وتدون القوانين الذي يعود عليهم بالنفع وإذا ما أحاطت الأسرار بالكتابة بصير أكثر فعالية أيضاً ويمكن لافتراض أن الباطنية بعيدة عن أن تكون الشكل الأول للمعرفة بل هي إفساد لها^(١٩) إنها محصر فرصية بالتأكيد وليست مصر امثال ابوحند عن ذوي الامتياز المنتمين بالحفاظ على امبياراتهم والحرص على عدم تماسها مع الاخرى وسسوف مثلاً واحداً شبيهاً به من قصاء جغرافيين وثقافيين مختلفين مع اختلاف، إذ كانت معرفة الكتابة في حضرة الأرتيك، وهي بدورها كناية مرجية ومعقدة، حكراً على لكهنه ولأشراف فإن كناية الأرتيك التي تقع بين الكتابة التصويرية والكتابة الصوتية مروراً بالكتابة التصورية، طلت باطنية مثل المعرفة نفسها في مجمع بالغ التراتبية^(٢٠)

غير أن الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى لارتمته سادلات قلنت الأوصاف القائمة عند البصف الأول من الألف الثانية قبل لمبلاد

(١٩) انظر M Foucault, *Les mots et les choses* Paris, Gallimard, 1966, p. 103. n.1

ويشهد المؤلف دعماً لقوله بـ وـ واريوربون في كتابه W Warburton, *Essai sur les hieroglyphes des Egyptiens*. London, 1741 (trad. Fr. 1744).

(٢٠) انظر J Soustelle, «De la pictographie au phonétisme dans l'écriture aztèque», in *Colloque du XXIX^e Congrès International des Orientalistes*, présenté par J. Leclant, Le déchiffrement des écritures et des langues, Paris, I. Asiatique, 1975, p. 173 (169-176).

كانت اللغة السامية، المتعايشة مع السومرية في بلاد ما بين النهرين، تستخدم الكتابة المسمارية ولقد لوحظت من خلال ملك الكتابة (كما هو الأمر إلى حد ما في اليابانية بمساعدة الكنية المقطعة الحاضرة المسماة كاتاكانا (katakana) الألفاظ العديدة التي اقتستها السومرية عن السامية وكذلك الأسماء الأجنبية كأسماء الساميين المحاورين^(٢١) ولقد أذت هذه الحالة إلى تبخيس جوهريين فمن جهة، تعددت في اللسان الأكادي، وهو اللسان الرسمي للإمبراطورية أكد منذ ٢٣٤٠ قبل الميلاد، وفي اللسان السومري كارتداد لذلك، الكتابات الصوتية على حساب التصورية^(٢٢)، بعد مرحلة من المرح سبها وأل ذلك إلى نظام يدون اللسان مدته، ويمثل وحدة إثر وحدة دالات أدلها كما تلفظها مستعموها ومن جهة أخرى، أدى هذا الوضع إلى اكتشاف رئيس هو الأبجدية، التي كان أول تعبير عنها، منذ حوالي ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، مسماراً لا هيروغليفياً على الرغم من العلاقات الكثيرة التي كانت بين المصريين ومندعيها الساميين سكان ممكة أوغاريت (هي اليوم رأس شمرا في سورية)

لم يلع هذا الاختراع، مع أنه كان حاسماً، مرتبة الكمال إذ يلاحظ في كافة الألسنة تعديل تدريجي في النطق تتفاوت سرعته، يظل كتابة كانت في البدء أمية من هب بأي صعوبة صط الإملاء الرسمي اليوم مما يفسر حثياً كارهه معلمه ومع ذلك فهو إن

(٢١) J. Bottéro. «De l'aide-mémoire à l'écriture», in *Actes du Colloque International de l'Université Paris VII Écritures, systèmes idéographiques et pratiques expressives*. Paris. Le Sycomore. 1982, p. 32 (13-37).

(٢٢) من الممكن مع ذلك أن يكون تطور الكتابة السومرية قد تم بعيد عن الأكادية وهذا ما يؤيد ج. م. دوران (J.-M. Durand) انظر «Espace et écriture en cunéiforme» in *Actes du Colloque International de l'Université Paris VII, Écritures, op. cit.*, p. 63 (51-63) يكون هذا التطور عبداً فمن بين أوضح الأدلة على الترفيع من استعمال ذلك اللسان محلياً فمن شأن من لا ينشئ العبرية أو العربية المحرم على عياب الأحرف المعانته والمطاف بإدخالها

صعوبة لتدوين الأبجدي، وهو يحمل آثار بطق قديم، يمكن أن
ترداد بسبب تعيرات صوتية، إلا أنها قد تكون أيضاً عامل استقرار
محرف *r* في آخر مصدر لأفعال التي تنتهي بـ *-r*، في الدعة
المرسية، سقط ثم عاد من جديد بالتعادل مع أشكال كتلت لي
لمصدر أفعال لمره الأولى حيث يترك سقوط حرف الـ *e* (غير
المسقوط) حرف الـ *r* في آخر الكلمة عند الكتابة^(٢٣) وعنى لعكس
من ذلك، قد يكون لجهل الكثير بالأبجدية عاملاً يريد من التعيرات
ويريد من إيقاعها فلقد عرفت المرسية أهم التعيرات لصوتية في
المصور الوسطى قبل ظهور الطاعة وفي عصر كتب فيه أعداد
الأميين كبيرة جداً

وعلى أي حال فقد تم التأكد، عند ولادة الأبجدية، الالتفات
إلى مفاعيلها أكثر من عبورها فسرعان ما سخدمت لتدوين السنة
عديدة ممية وغير سامية^(٢٤) والأمر نفسه بالنسبة إلى أبجديه أخرى
أحدث عهداً، كُتبت لها مستقل باهر، ظهرت فيها كتابة التجار
الفيصيين الحطية (في لسان الحالي)، بأحرفها المخطوطة لمستقيمة أو
المائلة المخطوطة على ورق السردى إن هذه الأبجدية هي التي
وصلت، في أحد أشكالها، إلى العصر الحاضر في العرب، عبر
مراحل محتله من سها تلك التي أضاف خلالها اليونان أحرفاً صائنة
إلى لأحرف الصامية التي كانت تدون وحدها في الكتابة وليس من
فيين المصادفة أن يكون مخترعو الأبجدية من الساميين فالكتابة
تحليل لسانى بدرجات وعي متفاوتة إذ لم تكن باستطاعة الساميين،
بالنظر إلى نمط اللسان الذي كانوا يتحدثون به، الاكتفاء بحد الكلمة
في التقسيم كما في الكتابة المتصورة للصينية، التي هي لسان وحيد

(٢٣) لم يكن العمل chanter (غنى)، وأصله cantare، يلفظ channtère مع حرف الـ *e* في آخره

مشكلاً مقطوعاً، وربما (كما في الحال اليوم في جنوب شرق فرنسا وفي بعض الأساليب الغليدية
للإملاء المدرسي) chantèr ومن ثم chanté

(٢٤) J. Fèvre Histoire de l'écriture, op cit., p 173, 79

لمقطع ذات كلمات ثابتة فهي اللسان السامي عدد كبير من الكلمات تحوي عدداً من المقاطع، كما تحمل تعبيرات الأحرف الصامتة والأحرف الصائتة (التعاقبات) وظيفة قواعديه، أي يفيد في معارضة مفرد الاسم وجمعه أو معارضة أشكال الفعل على سبيل المثال فلقد ساعد وعي، واصح إلى حد ما ومنصل بمط اللسان، بالصوتيات على ظهور الأبجدية والعكس بالعكس، فقد أعنت الكتابة الأبجدية تأملاً سمعيّاً حاضاً بالعرب فالأحرف تفعل - وإن بصورة ناقصة بسبب التعيرات الصوتية - الأصوات المكوّنة للكلمات بحيث تبدو لمعاني التي تشكّل هذه الأحرف وجهها الصوتي للألسنيين الذين يعرفون التراث اللغوي اليوناني واللاتيني، مرتبطة بهذا الوجه بعلاقة توخّدية ويختلف الأمر في حالة الكتابة لتصورية، كما هي الحال اليوم بالنسبة إلى الكتابة الصينية والجرء الصيني من الكتابة اليابانية (بينما الجرء الآخر منها مقطعي) فلا تبح طبيعة هذه الكتابة، عند مدوس الأحرف التصوريه، أي هيئة المعنى المتحرّر من روابطه الصوتية والمنشكّل، بالتالي، خارج العلاقة بين السبب الصوتية والمصنوع (وهذه العلاقة قاعدة في كل الألسنة)، بقول لا تبيح هذه الكتابة إدراك الرباط التوحيدي بين الدالّ والمدلول

مخلص من ذلك إلى أنه يجب النظر إلى سومر ومصر - وهما مركزا الكتابة السانعة للأبجدية - كما هما محدّ داتهما، لا بحسب ما نعرفه عن التاريخ إذ يميل البعض استدلالياً، ولأن الشرق الأوسط والعرب هما أيضاً مركزا حضارات الأبجدية، إلى سبب قصدية ما وبصورة اعتباطية - إلى الكتابات ما قبل الأبجدية تاريخياً بحيث تبدو مدورة لأن نصيح أبجدية لكن الكتابة المصرية حاضرة لتثبت أن لا سمه برومية في هذا التطور وهناك "اهتمام ذو برعة أوروبية المتمركز "européo - centriste يدفع إلى البحث عن حلّ لـ "مسألة أصل الكتابة الأبجدية" في مراحل تاريخ انكساره هذا، فيما يجب الاهتمام أولاً - "الدور المتعدد بين

الدليل والدال (٢٥)

ويمكن للخط الثالث من الكتابة الإسهام في توضيح هذا الدور إذ توجد بالتأكيد بعض السمات لمشاركة بين الأحرف الصينية وأحرف لكتابتين السومرية والمصرية فهناك أولاً قدمها على الرغم من عدم الاتفاق على تاريخ ظهورها إذ يرى البعض^(٢٦) أنها تعود إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، بينما يرى البعض الآخر^(٢٧) أنها تعود إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد هناك سمة مشتركة أخرى هي انتشارها على مساحة ثقافية من الشرق الأقصى في فيتنام حتى القرن السابع عشر، وحتى اليوم في اليابان حيث تم ربط الأحرف الصينية بالرموز المقطعية، وبصورة محدودة في كوريا حيث تستخدم شيفرة نصف أجدية بالغة الدقة^(٢٨).

يتوقع عند هذا الحد انتشار الكتابة الصينية من جهة، والسومرية والمصرية من جهة أخرى ويبدو أصل الكتابة الصينية في الحقيقة سحر - ديباً - تجيماً أكثر منه اقتصادياً وتجارباً رد على ذلك أنه على الرغم من تعمق وتنشيد الأحرف التصويرية، إلا أن الأمر لم يتعمق بشكل كاف بحيث نحتمل آثار التمثيل المباشر للعالم التي ما تزال حتى اليوم واضحة في بعض الأحرف وما هو أهم من ذلك أن إدخال المبدأ الصوتي في معظم الأحرف أي اعتماد كتابة تؤول بين الصوت والمعنى، أو ما يمكن سميته بالكتابة لتصوره الصوتية - لم تقد إلى كتابة مقطعية كذلك فإنه لم يتم صياغة الرموز

(٢٥) انظر J. Leclant, *Présentation du Colloque du XXIX^e Congrès International des Orientalistes*, op. cit., p. 69.

(٢٦) انظر J. Février, *Histoire de l'écriture* op cit p 69

(٢٧) انظر Jao Tsung-I, «Caractères chinois et poétiques», in *Actes du Colloque International de l'Université Paris VII, Écritures*, op. cit., p. 272 s (271-291)

(٢٨) فريد من المعاصيل حول أنماط الكتابة الرقمية للخط، راجع C. Hagège et A. G. Haudricourt, *La phonologie panchronique*, op. cit., p. 31-37

الصوتية التي هي أساس تلك الممارسة، لا عن طريق توصيحتها، لأنه لا توجد أحرف ذات قيمة صوتية ثابتة يمكن استخدامها لكل عصر من لسان يطلق صوتياً على ما يدل عليه هذه الحروف في الأصل، ولا عن طريق فهمها لأن القسم الصوتي في الأحرف التي يوجد فيها لا يحوي إلا بعض سمات نطقها، وليس النطق الدقيق للكلمة التي يقابلها بالإضافة إلى ذلك فإن هذه النطق تتغير عبر الزمن كما في أي لسان آخر، وبالتالي يشتد معه عدم دقة نطق الكلمة ولا يشير الأحرف الصيية إلى التعيرات الصوتية المهمة التي تسم تاريخ للغة الصيية لأن القسم غير الصوتي من الأحرف التصورية الصوتية لا يمثل سوى المعنى لا الصوت

ولقد استمر هذا النظام من الأحرف التصورية والأحرف التصورية - الصوية، شكله الثابت إلى حد ما منذ العصر القديم، حتى الأرمينية الحديثة ويأتي لاهتمام بهذه الكتابة، من ضمن أسباب أخرى، من قوة تأثيرها في خيال العربيين منذ زمن بعيد وتُظهر ما أوحى به إلى الفلاسفة والشعراء تلك العودة المنتظمة إلى إعواء بدفع المتكلم، وهو سيد كلامه وعبيده في أن معاً، إلى تحطيم دائرة الكلمة أما هنا فقد اعتقدوا أن الكتابة، في مقام الكلام وعلى بعضه، هي التي تشق الطريق

لم تفلت بعض كبار المفكرين في القرن الثامن عشر من ذلك السعي الأسطوري إلى نظام عالمي في الكتابة يفهمه الجميع في أي مكان كانوا ومهما كان لسانهم ولقد أمل لايسر في الاقتداء بمودح الكنية الصيية، بعد إدخال بعض التحسينات عليها، وكان معجاً بها إذ كان يراه كتابة أكثر قرباً إلى الفلسفة من الكتابة المصرية ستكون تلك الكتابة نوعاً من الكتابة العالمية، تتحلّى بميزة الكتابة الصيية، ويمكن لكل فرد أن يفهمها في لسانه الخاص لكنها تتفوق على الصيية في القدرة على تعلمها خلال أسابيع قليلة وفي ارتباط أحرفها

وفق نظام الأشياء ورباطها»^(٢٩) والحقيقة أن ما كان معروفاً عن
لكنة الصينية، من المشرير ليسوعس، ليس صحيح تماماً
ويجب «نظاراً عام ١٨٣٦ حتى يُظهر ب. س. دو بوسو (P S Du
Ponceau)، وهو عالم متخصص في اللغة الصينية ولغات الفارة
لأميركة»^(٣٠)، وفي مقالته *Dissertation on the Nature and*
Character of the Chinese System of Writing (مقالة في طبيعة نظام
كتابة اللغة الصينية وسماته) (فيلا دلفا)، أن نك الكتابة تمثل اللغة
لصبة لا نظاماً عالمياً من الأفكار لكن يبقى لجهل بعدي التأملات
النظريه طالما لس لدينا مثل هذه المراحعات الدقيقة فلقد كان
ب. أ. كيرشر (P A Kircher)، وقبل لابستر بسنين سنة، معتوياً
بالأحرف انهيروعلبية التي سئعد أي محاوله لحل رمورها، مكتفياً
بالنظر إليها على أنها «اللغة الأكثر جودة وروعه والأقرب إلى
التجريد، والتي تقدم دوعة وحده لدكاء الحكيم، بفصل التسلسل
لدرع لرمورها، معبنة عقلية معقده ومهايم رقية أو سرّ عظيم ديب
في قلب الطبيعة أو الآلهة»^(٣١)

أما بالنسبة إلى الكثير من الشعراء فتعتبر الكنة الصينية، التي
تقول الأشياء متحاورة العلاف المادي للكلمات، شيئاً قاتلاً^(٣٢) إذ
يلعب أحلام البعظه الحظية - لتصورته^(٣٣) سجون اللسان وتنوق إلى

(٢٩) من رساله إلى الأب بوفيه (Bouvet) عام ١٧٠٣، في كتاب *Philosophische Schriften*,
éd. Gerhardt, t. VII, p. 25

(٣٠) أبنا في الفصل الثالث، ص ٨٨ - ٨٩، كيف ساهم في عدم تصبب الأنماط بعديمه بعد
اللسان المتعدد التركيب المستوحى من معرفته بالذات الأميركية الهندية

(٣١) *Prodromus coptus sive aegyptiacus*, Rome, 1636, p. 260 (علا من ج. ديريد، J.
Derida) في كتابه السابق الذكر *De la grammatologie*, op. cit., p. 120, n. 20

(٣٢) كما هي حال الشعراء مدق سيجالين (V Segalen) وحس ه. ميسو (H. Michaux)،
نور ذكر ١. پاوند (E. Pound) (الذي لتركيب خطا اسرائيليا بادياً فلم ير سوى أحرف بصوريه
في الكتابة العيبه التي عبر بينها وسيطاً شعرياً)

(٣٣) أنظر E. Formentelli, «Rêver l'idéogramme Mallarmé», Segalen, Michaux.
= Mace» in *Actes du Colloque International de l'Université Paris VII Ecritures*.

العودة إلى انسجام العوالم الدفنة في الرسم حيث سجل التاريخ وما قبل التاريخ لأنها مهما حاولنا تحليل معاصر بطق الشر القدامى في طهولات اللسان، فليس هناك على جذران الكهوف سوى تلك الخطوط الأسطورية ذلك الجد الأول السعيد للكتابات التصويرية - ترسم أمام عالم الأسرولوجيا إذا لم يترك الصوت أحافيره

ولا يمكن تصور مثل هذا التحليل للكتابة غير الأبجدية، والتي لا تدون الكلمات بكسائنها الصوتية الحي إلا على حسب الكلام وليس بلا دلالة إذاً أن يكون انعكس في الكلام، كما يرسم عبر قرون من دراسة اللسان، أدت إلى جعله من بين أهم مشاغل اللسانيات اليوم، قصة أناس من العرب اعتادوا قراءه كتابه تسبح الأصوات

«لكون الكتابة لم تتوصل في الصين إلى تحليل صوتي للسان، فهي لم تولد إحساساً هناك بأنها نقل للكلام أمين إلى حد ما ولهذا فإن الرمز المكتوب، وهو رمز واقع متوحد ومتعدد مثله تماماً، حافظ فيها كثيراً على أنهته الأصلية وليس هناك ما يدعو لشك في تساوي فعالية الكلام والكتابة قديماً في الصين، إلا أن سلطان الكلمة قد يكون مال جريئاً من سلطان الكلام والعكس بالنسبة إلى الحضارات التي تطورت فيها الكتابة في وقت مبكر نحو المعطعية أو الأبجدية، حيث تركزت في الكلام كافة سلطات الإبداع الديني والسحري ومن الملفت في الحقيقة ألا نجد في الصين هذا التمييز المدهش للكلام وللقول وللمقطع أو للحرف الصائب الذي شهدته في كافة الحضارات الكبيرة القديمة من حوض البحر الأبيض المتوسط وحتى الهند»^(٣٤)

= op. cit. p. 209-233 يذكر هذا المقال أيضاً باقتان الشاعر مالارميه بالكتابات الهيروغليفية التي يظهر صدى إعجابه بها في مراسلاته مع الحبير في الحضارة المصرية (لوفيفور E. Lefebvre)

(٣٤) J. Gernet, «Aspects et fonctions psychologiques de l'écriture», in *والمسح* *L'écriture et la psychologie des peuples. Actes du Colloque, Paris, A. Colin, 1963, p. 38.*

ومع ذلك، وإن بدت الكتابة الأسجدية أقرب إلى الكلام والسطق
المعللين، تبقى المسافة كبيرة، كما سرى، بين نشاط أنكناه ونشاط
الشفاهة، وأيضاً بين المواقف الثقافية ونصوّرات الدعة التي تنصّن
كلّاً من هذين النشاطين

دروس الشفاهة

إن مطوّقاً مكتوباً، منعصلاً عن الظروف الطبيعية التي يجب أن
يسطق فيها، «لا يملك وحده»، كما يقول أفلاطون في فيدروس
(Phedre) (275e)، «القدرة على أن يحمي نفسه ولا على مساعدة
نفسه» لأنه محروم من «مساعدة أبيه» ولأنه «صنم» هنّ لـ «الحطاب
الحق» وفي رسالته السابعة (Lettre VII) يصرّخ أفلاطون أن معالجة
المسائل الحذية كتاباً لا يتطلب الكثير من الجدية^(٣٥) فالتواصل
الشفاهي، وهو وحده الطبيعي، هو الحامل الوحيد لكامل المعنى
الأصلي إنه متعدّد الطبقات لا يحفظ أي نظام في كتابه أثره،
وإنما تظهره بجلاء ظاهرة أساسية واحدة إنها أداة الصوت فلقد
لاحظ لحيويون وبعض الفلاسفة قديماً أن النصوص اللابنية مثلاً،
وسبب عدم الفلّره على تدوين المحسّنات النغمية، قد تؤدي إلى
فهم معطوط (كما يحدث عند ساول صبيعة استمهامة على أنها
تقريرية) أو مصاد للعقل وقد أعطى كل من كاتيليان (Quintilien)
والقديس أغسطين (saint Augustin) أمثلة ساطعة^(٣٦) على ذلك
فمع الصوت عملاً ما يقسّم الحطّاب الشفهي إلى سه هرمية لا تُلَفّط
لرسالة الأساسية فيها بدات الطريقة التي تُلَفّظ فيها العبارات
المعتصرة التي قد تتداخل في بعضها البعض أما التدوين الحطّي

(٣٥) انظر M Baratin et F Desbordes, *L'analyse linguistique dans l'Antiquité classique*, 1 Les théories, Paris, Klincksieck, «Horizons du langage», 1981 p 18 et 90-93

(٣٦) انظر F Desbordes, «Ecriture et ambiguïté d'après les textes théoriques latins». *Modèles linguistiques* V 2, 1983, p. 13-37

للخطاب الشفهي فلا يمكنه كتابه نعم والصوت مهما كان دقيقاً، بل قد يبدو غير مفهوم بينما يكون الخطاب واضحاً عند المستمع وعند الملقين على حد سواء. إذ تتحول مثلاً بديهة إحدى المحاضرات الجامعية عند تدوينها إلى شيء من هذا القيل^(٣٧)

«Alors aujourd'hui, si vous voulez bien, enfin, je, ah ça c', c'est un peu le self-service, si vous voulez, j'ai plusieurs choses à vous proposer, heu, d'une part, je souhaiterais qu'on revienne un petit peu sur les discussions qu'on a eues l'année der... la dernière fois. »

«اليوم إذن، إن شئتم، نهاية الأمر، نعم هذا ما، إنها الخدمة الذاتية إلى حد ما، إن شئتم، لدي عدة أمور أعرضها عليكم، من جهة، أنسى العودة قليلاً إلى مناقشات السنة الماضية، المرة السابقة»

لقد ساهمت الكتابة، مع أنها عاملٌ جوهري في مصير النشر أو بالأحرى في مصير المعين بها، في حجب المدرسة الحية للكلام إذ تهيئ الكتابات التصويرية والتصورية والصوتية والمقطعية والأبجدية إسقاطات خطية، مبنية وغير كافية، للأداء المطلق وللسميائيات التعبيرية كسمياء الوجه. إلا أن حركات الحجرة والعم، التي تعتمد على إفراح التنفس، قد جذرت عمقاً في الذاكرة الحركة وأصبحت، في العديد من حضارات الكلام، عنصراً مكوناً لأسلوب شفهي ما. ولقد أحدث كتاب م. جوس (M. Jousse) لدى صدوره عام ١٩٢٥، وهو يحمل هذا العنوان (مصدر سابق الذكر)، أثراً شبه لا يمحى. فصدرت مئات المقالات في صحف تلك الفترة، ودرسات جامعية مختلفة، وأحدث تردد، حول بعض المجموعات غير المعروفة بشكل جيد، هذا الاكتشاف للموانيس التي تُدير الكلام المنطوق على نحو

(٣٧) سقراط الممثل روج فوناشي (J. et J. Fonagy) في «L'intonation et l'organisation du discours», *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, LXXVIII. 1, 1983, p. 189 (161-209).

شعائري إلا أنه يجب التمييز بين الأسلوب الشعري وأسلوب الكلام لمحكّي، إذ يشير هذا الأخير إلى الاستعمال العادي للكلام، العبد إلى حد ما عن اللسان المكتوب، في حالة التحاطب أما الأسلوب الشعري فهو نوع أدبي محق ويتعلو الأمر في الحقيقة بتقليد ثقافي يبدو أنه سرز استداع مصطلح مثل (orature) الذي أصبح مورداً لمصطلح الكتانة، بمعناها الأدبي (أي عالماً بمعزل عن التراث الشعري) وبعد أدبياً هو الآخر بالتأكيد. لدي بحفظ صروح الثقافة لكن من دون ترك أثر مكتوب)

ليست الثقافات التي اعتمدت الأسلوب الشعري، أو هي تعتمد اليوم، شعافية حاضرة بالضرورة إذ توسعها، وعلى العكس مما عودتنا الحطاطات العربية على الاعتقاد به، الاحتياط بالكتانة لاستعمالات أخرى غير أدبية تماماً كما رأينا كيف أن الكتابه عند ظهورها في بلاد ما بين النهرين ومصر لم تكن بالضرورة مرتبطة بالاستعمال الأدبي إذ كانت، بوصفها ظاهرة مرتبطة بسط بنيه اجتماعية محددة، أداة للحياة العملية (تدوين الشرائع والقوانين والعقود الخاصة والعامة) والاقتصاد (دفانر لحسابات) والسطة السياسية والدينية (نصر السومريون طويلاً، على ما يبدو، من استعمال لكتابه لعبات فكرية بحتة إذ مضت عدة قرون قبل أن يظهر عدد محدود من النصوص الأدبية على ألواح الطين^(٣٨) أما الأسلوب الشعري فيعتمد على مختلف لطرق الترميز الإشارية والبطقية التي تُكسب معانيه مداه في المساعدة على التذكر من لارمات تكرارية ومعاطف بقطبة افناحية وألغاط نداء وأسماء متعلقة ونعسر حائيه وكثرة أشباه المترادفات والسجع والصوفي والجناس الصوتي، وغيرها من الأصداء الصوتية والدلالية كالمناورات المعجمة والنحوية والشائبات الحاملة المعنى والإيحاء عن طريق

(٣٨) انظر مداحه د. نورو (D Armand) في كتابه *Naissance de l'écriture*, op cit p. 235

الإيماء وحركات المم ويأتي التكرار على رأس قائمة هذه الطرف
 كإجراء عام ولا يُستبعد أن يكون للتكرار روابط ما مع الجنسية
 وهي، كما يعلم الجميع، من الحواصن التعريفة للحس البشري بموم
 وفقها أحد بصفي الدماغ بالتحكم بهذه الوظيفة أو تلك الأعضاء. إذ
 تمثل أمثال العالم كله التكرار في عباراتها التي تعتمد على التناظر «tel
 père tel fils» (الولد سر أبيه)، وهي أمثلة معروفة سيئها داب الزجج
 كما إن التكرار في عمقه يدخل في ساء الشعاهة بوصفه أداة لنماتك
 أبقوي أكثر فعالية من صبيح مكتوبة مثل "etc. إلح" و"et autres
 وغيرها" والحقيقة أن الحطاب الذي يعرضه الشعاهة ليس تدوساً
 يمكن للعين استعراضه في الاتجاه المعاكس، وإنما هو موجة صوتية
 قد يعثرها السيان كلما امتدب إن لم تعتمد على عناصر مساعدة

وهكذا فإن تقنيات التكرار تُدِيم، بصورة كلام حي، قصص
 الشعوب لأسطورية والحرافة للحكواتيين الإفريقيين ولأسياء النوراء
 وللشعراء التقليديين الربر والملاحشين ولشعاليين والهيريديين الحُدد
 (néo-hébrdais)، وجميع زواة العالم وهم ذاكرة الشر ولطالما
 استشهد بتلك العبارة المسبوبة إلى المالتي هـ هـماتيه با (H.
 Hampté Ba) «إن موب مسر في إفريقيا هو حراق مكتبة» كما
 يروي^(٣٩) عن الأشانتي (في عانا) أن كل رجل يقبل لموهته في طنقة
 الرواة، مؤزحي الملكية، يعاقت بالموب عند أي خطأ يشوة الرواة
 المسموح بها وبالطبع بهذا الأمر لا يمكن تعميمه، بل على العكس
 فأكثر الرواة موهبة في إفريقيا نفسها هم الذين يتقنون الارتجال
 انطلاقاً من محطّط تم تناقله مع التراث عبر أن، لعرف الأشانتي
 بفصح عن رمانات الرواة الشعبية رذ على ذلك أن الكتابة حين
 تُستعمل في مجتمعات الشعاهة لعبات أدبية فهي تُستخدم بشكل
 حاصر كمدكرة لكن مد اللحظة التي بصح فيها الشكل الشعري

(٣٩) انظر R. S. Ratray *Ashanti Proverbs*, Oxford, 1916

المكتوث نوعاً أدبياً فهو يُخَيَّرُ لصالحه بعض إجراءات الأسلوب الشفهي، ويحاصله الإنفاع والقافية، إن وُحِدَتْ، وذلك بعد تفريغهما من لغائيه المساعدة على التذكُّر والتعلمية وتلك الغائية معروفة تماماً في الحَصَارَات الشفهية، وهي موجودة بدرجات متفاوتة في الحَصَارَات الأخرى أيضاً ومن أوصَح تجلياتها تعلِيم السحو للأطفال^(٤٠) بالاعتماد على الصلوات والأحجيات والعديّات الطعولية والمفطوعات الوصفية العاضة بالعبارات التي تُفجِّم مقاطع لمظية فيها أو تفدها، أو ما يمكن تسميته رلات اللسان (عبارات رلّ اللسان) ومقترح هنا هذه التسمية الأخيرة التي سنحلصها من عبارة *langue m'a fourche* (رلّ لساني) والتي تدلّ على الشراك الصوتية من قبيل القول *un chasseur sachant chasser sait chasser sans son chien* (٤١) (*)

الكتابة من حيث هي غاية

لم تكف قصائل الشعاع لدفع إعوء قديم يرمي إلى تحويل اختراع الكتابة لصالح حلم يراود أدهان الكثيرين ألا وهو التحرّر من انطبعة ومن السح المعادي ومن الواقع لصاعط ويمكن لدعاصر بين اللسان المحكي واللسان المكتوب أن يذهب بعيداً جداً إذ أذى في الصيغة مثلاً، ومنذ زمن صدرت في القدم، إلى لسان إبحاري يمكن فيه لمعظم الكلمات، وبحسب السياق، أن تشمل وطائف

(٤٠) انظر في ما يسمون بلغة الـ *Penl* (في شمال الكاميرون *D Noye, Un cas d'apprentissage linguistique: l'acquisition de la langue par les jeunes Penls du Diamaré (Nord-Cameroun), Paris, Gentner, 1971*

(٤١) لا يوجد في العربية مصطلح يشير إلى تلك الظاهرة التي يحمل مسمياً في لغة أخرى فهي في الإسبانية *trabalengua*، وفي الألمانية *Zungenbrecher*، وفي الإنجليزية *tongue twister* انظر *L.-J. Calvet, La tradition orale. Paris, P U F, coll. «Que sais-je?», 1984, p. 10 et n. 1*

(*) ويمادلها في العربية على سبيل المثال حيد حرير على حيد خليل أو مرقه رقيه بقرنا أحلى من مرقه رقيه بقرنا قاصينا (المترجم)

متنوعة وهي لغة الويسان (Wenyan) التي لم تكن على الإطلاق بغير لسان محكي^(١٢) حقاً، مع أن الكتانة الصيبي، وحلان ما يقارب ألف سنة لم تعرف سوى الاستعمان الطقوسي والسحريّ والحفيفة أن مقاومة الصيبي لاستخدام الأحرف اللاتينية في الكتابة لا يمكن تفسيره بالتراث وحده فالأحرف وحدها هي التي تميز بين الكلمات المتماثلة الصوت وهي كثيرة جداً وتعتبر الصيبي في جميع الأحوال حالة متطرفة، على اعتبار أن لغة الويسان بشكل مستوى ثالثاً يضاف إلى الشائبة النعاصبي مكتوب/شعبي الموجودة هنا كما في معظم الألسنة التي تُكتب

ليست هذه التعارضة بالسنة إلى الألسنة تعارضية تفصل بين نظامين يمثلان محتوى من المعنى هو نفسه وحسب إذ تنصّب في الواقع اختلافاً بين مستويين، الأول عمويّ وأقل اصطلاحية والثاني أكثر اعتباراً يتمتع سلطة أكبر لأن ما أن بدأ في الكتانة، وإن كما تنوّه إلى مُلقّ واحد وإن كنت علاقتنا به لا تتجاوز لألفه، فرب يعطي الرسالة وطبيعة أكثر مهانة وبولي الشكل اهتماماً أكبر ولعد لوحظ، في اللسان الواحد، أن أصاليب الكتانة والكلام لا تعرف من المعين نفسه إذ تحتوي، للصوَصُ المكتوبة بالإنجليزية، على سبل المثال، عدداً أكبر من الحمل الاسمية ومن أسماء المفعول والمفعول ومن المفعول مما هو في الصوَصُ الشعبية^(١٣) كما إن أنه المكتوب في بعض الحالات هي أنه عصر قدم للسان بعيد كل البعد عن الاستعمان الحالي له، ويُستعمل كحرف من الحمل المنققة

(١٢) انظر C. Hagege. *Le problème linguistique des prepositions et la solution chinoise (avec un essai de typologie à travers plusieurs groupes de langues)*, Paris-Louvain, Peeters, coll. Linguistique publiée par la Société de Linguistique de Paris, 1974, p. 21-22

(١٣) انظر W L. Chafe, «Integration and Involvement in Speaking, Writing, and Oral Literature», in D. Tannen, ed. *Spoken and Written Language*, «Advances in Discourse Processes», 9, Norwood (NJ), Ablex, 1982, p. 35-53

وكمصدر للاستعارات السرعة والمعقدة وبصوره مستغلة عن استخدامه
لمستمر في الشعائر هذه هي حال اللاتينية ولسسكريدية والسلافية
القديمة ولغة ايبالي (pali) والعربية الفريسيه ولغة العير (guèze)
والمعولية التقليدية، بالمقارنة مع لغات الرومان واللغات الهندية
الآرية والمعارية والنورمية والعربية الحديثة والسنة الأمهرية والمعولية
المعاصرة. بيد أن استعمال لسان ديني قديم أمر معروف في
مجتمعات الشهامة وتعتبر هاواي مثلاً على ذلك وإن على مستوى
محدود

إن استغلال المكتوب تجعل منه عبة في ذاتها فمتعة الأدب،
في حصادات الكتابة، هي أولاً منعاً الأسلوب، إذ يسهم كل شيء
في ابتداع كلام لكتابه ومن نفوه بشكل حاصر إنما هو بطل
الخطية، تلك الحصة التي لا يمكن معديها في الشهامة والتي طامها
كانت في قلب لتأمل في اللغة وتستطيع الكتابة، لأنها تبسط على
سطح ماذي، السلاعب بحرية كسرة بالاحتمالات السويصة بين
الاتجاهات عمودياً وأفقياً، من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى
اليمين (بؤائف كندة البوستروفيدون (boustrophedon) بين هائس
الأحيرتين) كما نجد في الكتاب الهيرودوتية بعض حالات الطباق
إلا أن هذا الانتعاد عن قيود الخطية ليس إجراء قديماً في مصر
المرعوية وحسب، إذ نجد نجلياته في كل رمد ومكان فالالاندروم
(le palindrome) لا يمكن تصورها إلا في شكلها المكتوب، إذ هي
كلمات أو جمل يمكن قراءتها بدت الطريقة من اليسار إلى اليمين أو
من اليمين إلى اليسار على حد سواء كما إن الشعر المسمى
بالمحسوس والشعر ذو السرعة المكينة اليوم ليسا سجين، مثل الشعر
لشعهي، داخل فيود نغد واحد فهناك الكانة التحطيطية والأيقوبية
والرسمية ومحمل النقييات لبي يعود إلى قصيدة Coup de dés
(صورة حظ) للمارمييه، وهي جميعاً تعطي اسن هينة الصورة التي
هي مصمومة

وهناك أيضاً إجراءات أخرى تعطي الكتابة الاستقلالية بوصفها عادةً، وهي بصورة خاصة نصيبات طباعية كالقمرات والمساحات البيضاء والفصول والأحرف السائدة الكبيرة والصاويين والصاويين الفرعية. تسترغ هذه الإجراءات والتفسيات الكلام من الرمز وتصعده داخل حيز مكاني يجعل منه عرصاً ذا بُعدين على الصفحة وثلاثة أبعاد في الكتاب^(٤٤) إنها سقل إيقاع التنفس، وإن بصورة غير كاملة، لكن مع إضافة مكونات جديدة. ولا يجر تأويل (قراءة) الكتابة الأحادية نفسه، المتضمن أليات دماغية بالغة التعقيد^(٤٥)، بالضرورة عبر الوحدات الصوتية الصعري أو الصوتيات الممثلة، مع أن هذه الكتابة، وهي قابلة للتحليل، تمثلها بدقة نسبية. وإذا ما كان الأمر كذلك، فليس على الصم - البكم، إذا تم تدريبهم بشكل صحيح، سوى معرفة قراءة الكلمات التي تعلموا مطلقاً. إلا أنهم يقرأون ويكتبون أكثر من ذلك بكثير. وحتى إذا ما، فتصرت معارفهم على ما تعلموا بطقه، فذلك يعود إلى تدريب ستي يقوم على وهم كاره للمكتوب يرى أن العلاقة المباشرة بين الكلمة المكتوبة وما تُحس إليه مستحسنة. إن مثل هذا الوهم يتجاهل الاستقلالية السسية للشيفرة المكتوبة أمام اللسان.

ولا يعني هذا الأمر، مع ذلك، استقلالية أمام الثقافة. فالكتابة اليابانية توليف معقد من كتابتين مقطعتين وأحرف صينية عددها ثمانية وخمسين حرفاً على الأقل، كما أن لها قراءه وعالماً قراءتين صينيتين - يابانيتين بالإضافة إلى اليابانية. ولا تتكف هذه الكتابة شكل جيد مع نمط اللسان الذي تدونه. ومع ذلك اندمجت الأحرف البصورية بعمق بالحصارة اليابانية، فلقد أتاحت تلك الأحرف عدد

(٤٤) انظر M. Butor, «Le livre comme objet», repr. Dans *Répertoire II*, Paris, Ed. De Minuit, 1964.

(٤٥) انظر R. Husson, «Mécanismes cérébraux du langage oral, de la lecture et de l'écriture», *op. cit.*, p. 23-28.

أحدها عن الصينية (في القرن الرابع بعد الميلاد) تدوين لسان كان حتى ذلك الحين من دون كتابة وتعتبر تلك الأحرف أحد محاولات الفن الياباني، إذ لم تؤد المحاولات الرامية إلى زيادة استعمال الكتابة المقطعية إلا إلى تثبيت عدد محدود من الأحرف المعترف بها رسمياً كذلك ذهب مصطفى كمال، الراحل، إلى سرعة الصفة الإسلامية عن مركبها، إلى اعتماد الأسجدة اللاتينية عام ١٩٢٨ لأن الكتابة العربية شديدة الارتباط بالإسلام وتدوّن الكلمات العربية التي تنتمي إلى مفردات الفلسفة والدين والسياسة وكانت كثيرة في المعجزة التركية لم تكن الأمر بالنسبة إليه مجرد إصلاح إملائي وحسب، بل ثورة ثقافية

ونشأت استعلائية المكتوب محدودة أمام الثقافة، فهي أكثر أمام اللسان المحكي إذ تمتلك الكتابة تلك القدرة المدهشة على تحويل المعنى إلى موضوع، وبالتالي فهي تفرع إلى أن تصبح ما كانت تحمل طبيعتها جذوره عند ظهورها أي أن تصبح حمالية وسرياً ما تشغل الأحرف الهيروغليفية المصرية مكانها داخل هذا المشهد، إذ يتعذر فهم أسلوب تنظيمها التشكيلي إلا بوصفه شعراً بالرمل المكتوب كذلك يرتبط الخط الصيني بالشعر والرسم بصميميه، فهو يرافقهما دوماً ويشكل في الحقيقة أحد مكوناتهما إذ تُتيح بعض الأحرف الصينية المعقدة، والمشكلة من تألف العديد من الأحرف البسيطة، عدداً من التشكيلات لخطية فيمكن الحصول، بمجاورة المعقد والبسيط، وفي الحالات الملائمة، على حُملي قابلة للتأويل^(٤١) وكذلك المُستعانت التي تنقل على الحجر رسائل حمالية وآيات قرآنية في الوقت نفسه كما تحاطب الـ (ديما) بأعاري la (deva) nāgarī، والعديد من لكتابات المقطعية في آسيا التي هي مثلها مشتقة من الكتابة البراهمية (brahmī)، النظر وتعرض أمامه

(٤١) النظر V Allon, *L'écriture chinoise*, Paris, P U F. coll. «Que sais-je?», 1970. p 63-66

تشكيلات متنوعة بحسب العُقُول (ductus)

ويمكن أن نلاحظ في استخدام المكنوب، وما وراء العاية لتشكيلية، عايه منحنية إذ تُنقى هذه العاية على علاقات تاريخية، أو على نوع من التواطؤ بين الصورة وبين الحظ المرسوم الذي يعكس الأشياء، وذلك مهما كان أسلوب صياغتها، الذي يحد في تجريد الأحرف الأبجدية (الرومانية والعربية والعربية على سبيل المثال) أعلى درجة له^(٤٧) وربما كان هذه سبب غياب اهتمام العديد من اللسانيين بالكثافة، وهي ليست إطلاقاً اعتباطية بشكل كامل، كما هي الحال مثلياً بالنسبة إلى الأدلة التي تدونها ويدل على ذلك الربط الشبه لسحري بين الكتابة - الصورة وبين الأشياء ما يقع عليه في بعض غرف المومي المصرية حيث يتم تعديل الأدلة وتشويهها وطعها بالسكين إن كانت تدل على حيوانات أو مخلوقات عدوة محنمة، لتجنب الأذى الذي قد تلحقه بالمسوقى ندى المخلوقات التي تصورها^(٤٨) هناك إداً رابط عصوي يوحد الحرف الهيروليفي بالكائن الذي يصوره ويمكن للمحتوى الأيديولوجي للكتابة أن يبلع حد حرق بخو الدعة المصرية فعلى سبيل المثال، بسن الاسم المضاف، في هذه الدعة، الاسم المضاف إليه، فعادة scribe (du) roi (كانت الملك) نُكتب ss nsw وفق النظام السلسلي نفسه الذي تدبها بالعربية لكن قد تُكتب أيضاً أحياناً nsw ss بتسيق عتاري للدليل المقابل لأكثر الناس اعتباراً^(٤٩) هكذا نجد أنه حتى

(٤٧) هناك من المراء، وعلى الرغم من أسلوب الصياغة هذا، من يعرف في الرسم التشكيلي لكلمات صوره لأشياء المدبوس نفسه، وذلك في الحالات التي تتبع ذلك ولا يجب أن هذا بأملات ب كلوديل (P. Claudel) حول الرمزية الخطية راجع *Idéogrammes occidentaux*. Paris, 1926 وكذلك حول رسم "السيف" (toit) *Œuvres en prose* Ed. De la Pléiade, p. 10.

(٤٨) انظر المرجع السابق الذكر P. Vernus, «Espace et idéologie dans l'écriture égyptienne», in *Actes du Colloque International de l'Université Paris VII, Écritures*, op. cit. p. 102 (101-114).

Ibid., p. 106 (٤٩)

وإن كنت الكتابة تندو بوصوح نظاماً ذا شيفرة (وهي حالها في مصر
مهما عدنا بالرسم إلى الوراء)، بحيث لا يتعلّق الأمر بحجاسها
التشكيلية وحسب بل بتدوير اللسان، فإن إغواء عدة بحفير الخط
يبحث نفسه في كل مكان عن حلول مناسبة

تشبه النتيجة هـ تلك التي يعطيها، في لشعاهة، معنى التعميم
أو إسماء ت الجسد والوجه. بدُرْفون الرسالة الأولى رساله ثنية تُعْمَمُ
عن طريقها الكتبت الأولى كما يمكنه أيضاً تحريها بإضافة معنى
خطي إنني أتمثل الخطي للمعنى كما يفعل خطاطو الكتابة اليابانية من
الأتيجي (ateji) فهم يستعملون توافقاً عريضاً بين كلمات يابانية
والطق الصيني - الياباني لبعض الأحرف الصينية، ويصفون المعنى
لدي بوحى به تلك لأحرف إلى المعنى الأول هكذا نجد على
العديد من علب القمامة في ليدان اسم هذه لأشياء وهو في يابانية
(gomibako) أي قمامة علبة، مكون لا بالكتابة المفطعية للكلمات
يابانية (هيراغانا hiragana) وإنما بحرفين صينيين خاضعين لتدوير
مقطعي go و mu ويُقرأ هذان الحرفان تماماً عو مي (go-mi) وهو
الطق للصبي الياباني، لكليهما يقابلان في الصينية كلمتين تعني
الأولى "خمى" والثانية "جمال" فنكون بذلك علبة القمامة "عليه
حماة الجمال"!

وهناك في مصر القديمة أيضاً عدد من الكتابات التي تدل
التمثل لصوتي العادي (المتحدّر كما سنو قلنا من رمز صوتي أصبح
جراً) بحرف يقابل الصوت نفسه ويُحيل إلى آلهة يصنع المكتبت
نفسه تحت حمايتها وقد تُعري الكتبة أحياناً برسالة سرية لا يمكن
سوى للمرسل إليه فك رمورها. ويقدم لنا كتاب أبي بكر أحمد بن
علي بن وشعة لسطي (من القرن الثامن)، وهو بعنوان *Livre du*
desir frenétique du devot d'apprendre les enigmes des antiques
écritures (صع تركيب وأويل الأحدياب السرية التي كنت نستعمل
في مدرسة لسحر) وأيضاً في لمرسلات السرية بين الملوك

والسعراء وبين فدة الجيوش إلا أن الأمر يتعلّق هنا بشيعة حاضرة ابتدعت لعايات محدّدة وفي سياق تاريخيّ معيّن وباطنية الرسائل التي تجمعها الأحرف الهيروغليفية هي باطنية كتابة قومه، حتى وإن لم تكن واسعة الانتشار على المستوى الشعبيّ إذ نعى تلك الكتابة متحرّدة تنعّس حواضها ومصيرها، كما سميرتها الصورية التعدّدية إن الكتابة المصرية تسجّل محمّل تاريخها في عاينها فالنصر تدخّل فيه بصوص مراقبة استعطافية، والرسالة تركب عليها، أو تندمج في سياقها، وفي سلسلة من الرموز الصوتية، عبارات تتوسّل دفع الشرّ والأذى وتنصرعُ إلى الآلهة لقد ظهرت ملك الكتابة منذ البدايه شكل كتابة نائمة متعدّدة الرسائل، فلم يعد بإمكانها قط أن تتطوّر والحقيقة أنها لم تكن نسخة مُفعّلة لمسطوفات الصوت على عرر الكتابات الأبجدية، بل كانت نُذوُن، بطاقي، الكاتب ورعته

الشفاهة والكتابة والمجتمع

هل هي رعة الانضمام إلى سى العالم المعاصر الاقتصادية، أو إحدى محلّفات الاستعمار الأخرى، ما يدفع العديد من الدول اليوم، وبخاصة الإفريقية، إلى اعتماد الأبجدية لتدوين ألسنتها الشهية البحتة؟ أم أنه صعط وسائل الإعلام التي حملت الأمية، وبدون أي تعريق، نصمياً سلبياً فمن المؤكّد أن الرمن لم يعد زمن إعادة الاعتبار للأمية على طريقة المراثي الجديدة المتأثّره بروسو ولا شك أنه لم يعد من الجائر اعتبار الكتابة أداة اصطهاد لأنها تتيح إرسال أوامر محدّدة ويترك أثراً تُمكن من مراقبة تنفيذها والقانون ليس الاصطهاد، وإنما لمتساءل م إذا كان شعب لناميكوارا (Nambukwara) قد تحلّى حقاً من رعيه بسب رعة هذا الأخير في تثبيت سلطته بكتابة حيالية^(٥٠) ما يعيه أن إدخال الكتابة إلى مجتمع

(٥٠) يرى بعضه كلمة في الفصل المشهور الذي يحمل عنوان *Leçon d'écriture* (درس في الكتابة) =

يعتمد الشفاهة أمرٌ يحتاج إلى بعض الحيلة. إنه انتقال يُصطلح عليه لا نتيجة تطوّر فجائي، وهناك اختلاف ثقافي حقيقي يفصل بين لمجتمعات التي تكتب وتلك التي لا تكتب. فلقد طوّرت هذه الأخيرة مد رمس بعيد، وبناءً على ممارسة الشفاهة، مادجها التعبيرية الخاصة وأنظمتها التبادلية والتوارية بالإضافة إلى ذاكرتها. عليها إذاً أن ترسم بداتها الطرق التي من خلالها تؤدّ التمتع بما توفره الكتابة غير العرضية من فصائل، وإلاّ كان عليها تحمّل مسؤولية العواقب الخطيرة التي قد يجزّها اقتحام المكتوب لبيئة شفاهة. ولا أحد ينكر هذه لفصائل^(٥١) إلاّ أن مفهوم الأمية، تماماً كمفهوم الألسنة التي لا كتبة لها، لا يمكن في مجتمعات الشفاهة تلك الشحنة لمتعالية الماعة ودات البرعة المركزية الأوروبية الموجودة في تلك الأجراء من العالم حيث تُكتَب الألسنة مد رمس طويل^(٥٢) إن المؤنمين على تاريخ مجتمعات الشفاهة هم علماء هذه المجتمعات وشعراؤها

إن اقتحام الكتابة لعالم الشفاهة خطر لا على للمجتمعات التي تدحلها وحسب، بل على ألسنها أيضاً. ويعطى التاريخ القريب لبعض اللغات الكريولية مثلاً على ذلك. فهي شأن لغة كريولية أساسها المعجمي فرنسي كما في هايتي (Haïti) على سبيل المثال، يرى أن إدخال الكتابة يشعل مد رمس بعيد نال مستخدميه من المثقفين وأولئك الذين يمارسون مهنة الكتابة والتعليم. فما أن تُمثّل بالكلمة لساناً كان حتى ذلك الوقت محصّ شعبي حتى يجد أنفس

= والذي وضعه ك. ديبي سنروس في خاتمه كتابه *Tristes tropiques*, Paris, Gallimard,

J. Derrida, *op cit*, p. 337-349, 1955. راجع أيضاً كتاب جاك ديريدا السابق الذكر

1918 وكتاب ل. ج. كالف السابق الذكر L.-J. Calvat, *op cit* p. 105-111

(٥١) وكيف لنا أن نكرها في هذا الكتاب وهو نتاج للكتابة

(٥٢) انظر C. Hagège, «La ponctuation dans certains langues de l'oralité», in

Mélanges linguistiques offerts à E. Benveniste, Paris, Louvain, coll.

Linguistique publiée par la Société de Linguistique de Paris, 1975, p. 251-

266.

في موقع يتجاوز التمريض، البسيط في التدوين، إذ لا يكفي مثل هذا التمريض للوصول إلى لسان مكتوب بكل معنى الكلمة، فاللسان المكتوب ليس مجرد لسان شعبي مدوّن، إنه ظاهرة لسانية، وأيضاً ثقافية، جديدة، فالإعواء الدائم هنا يتصل بدخول روابط نظاميه تربط الجمل الأساسية بالباقي في الخطب المدوّن، وهو ما لا يوجد في اللغة الكريولية التي نأخذها عن الفرنسية المكتوبة مثل *que, lorsque, parce que, si, bien que, de sorte que*. إلح وسقول عن الفرنسية المكتوبة لأن المعامل الحوية من الجمل في بعض طبقات الفرنسية المحكية، كما هي الحال في العديد من الألسنة الأخرى، موسومة بالبيرة أو بمحبات التعجب المتنوعة، وهي حقاً وحدات دلالة صغرى بطقية (انظر الفصل الثالث، ص ٧٧ وما بعدها) تلك هي الحال أيضاً في لغة كريول هايتي والحلّ الواحد، إذا أردنا عدم نشويه اللسان الفرنسي وإحلال سمات غير بطقية محل السمات النعمية، هو تدوين البيرة بدقّة غير استعمال نظام دقيق وموَّع من علامات التنقيط أما تلك العلامات الشائعة في الكتاب اللاتيني، فهي علامات غير متكاملة وعامصة لإمالات الصوت وللوقف وللمحبات التي تُشكّل النعم فهل هو حلم هواويّ أم نأمل في إعاء هذه المجموعة من الإحراء بإضافة علامات أخرى حطية تعكس نعم الصوت بصورة أدق؟ الجواب هو نعم إذا ما استلنا إلى واقع أن لا كتابة اليوم تدوّن النعم بصورة دقيقة فالمواصل وعلامات الاستفهام والتعجب إلح هي أدوات قاصرة والجواب هو لا إذا ما علمنا أن أحد أسباب هذا القصور يعود إلى عدم كفاية معرفتنا في الماضي بظواهر النعم، بل أنها تُدرّس اليوم بشكل أفضل بكثير وعلى الألسنة الشفاهية التي بدأت تعتمد الكتابة الاستعانة من هذا النصرف قبل غيرها.

نؤكد دراسة بعض النصوص الأدبية بصوره غير مباشرة هذا الرابطة بين علامات الوقف والمحبات النعمية، وهو رابط مبرال

يستقر المرید من الدراسة فالأعمال المكنونة التي نستخدم أول قدر ممكن من علامات الوقف، أو تلك التي لا نستخدمها على الإطلاق، هي في الوقت نفسه الأعمال التي ندحا بصورة أكثر إلى الإحراجات المعجمية والنحوية ليربط بين الكلمات ومجموعة الكلمات والجمل ويقابل هذه الإجراءات في الخطابات الشفهية المنحنيات النغمية وتتميز بهذه الإجراءات بعض أشكال الشعر المسموع والنثر الفصيح التي تتحدى التقاليد الكتابية. إلا أن أسس ترتيب عظمي في الشعر التقليدي يكفي للاستعناء عن علامات الوقف، طالما أن كل بيت يقبل مجموعة نحوية أو جملة وحيدة. إذ يتبع تقطيع المعنى تقطيع لعروض، إن لم يكن هناك من معاطلة أو من امتداد لدائرة الكلام على عدة آيات معاً. ويوجد في الشعر الكريولي أمثلة على ذلك^(٥٣)

* * *

«تحدث الكتابة مشهد البعاد فهي ليست رداء بل تنكر»، هذا ما علمه سوسور^(٥٤) وكتب روسو قبله برمن طويل «تجلبت الألسنة للتكلم بها، أما الكتابه فملحق بالكلام لا أكثر»^(٥٥) وبأحد أحد المحدثين^(٥٦) المنحصرين لكتابة على هدين لعالمين بالكتابة الشهيرين برعتهم المركزية الصوتية أو الكلامية فهم إذ يصعد الخطابات في المركز، بتجاهل الأثر الذي لا يحتاج إلى حضور وتواحد لأنه إعادة تمثّل لكن هل هناك ما يصم لهدد الكتابة، التي اخترعها البشر لترى من قدرتهم، مستغلاً دهرأ لدرجه تبرر رعة "المحرومين" منها في ممتلكها؟ لقد أدت عشرات السنين من

(٥٣) M-C Hazaël-Massieux, «L'écriture des créoles français: problèmes et perspectives dans les petites Antilles», Fifth Biennial Conference, Kingston, Jamaïque, 1984

(٥٤) F de Saussure, *Cours de linguistique générale*, éd. Crit. Prép Par (٥٤) Tullio de Mauro, Payot, 1972 (1^{ère} édition, Genève, 1916), p. 51-52

(٥٥) راجع *Essai sur l'origine des langues*, op cit, Chap. VIII

(٥٦) راجع المرجع السابق الذكر لجاك ديريدا J. Derrida, *op cit*, القسم الثاني، الفصل الثامن

التحويلات التقنية إلى تمنيت سلطة المكتوب بحيث أصبح بموذه مهتداً وما ترال المهن ترداداً عدداً، من رجال السياسة إلى الإعلاميين ومن الشعراء إلى الصحفيين، مهر لا يمكن لأني نشاط فاعل فيها، سواء أكان للإعلام أم للإرصاء أم للإقناع، الاكتفاء بالنص المكتوب، ولا بد له من الاستعانة بالكلام إذ يمكن لآلة التسجيل وللحاسوب - ماسح القرون الحادي والعشرين - وجهار الفيديو قلب العلاقات بين الكلام والكتابة، أو هي تقلبها اليوم ولا يعرف أثراً خاصاً لها في جوهر اللسان العميق، إلا أن لها أثراً سلبياً مهماً في الكتابة أفلا يكفي هذا للاحظ أن الكتابة، وعلى الرغم من الدور الجوهري الذي ما زالت تلعبه والأبهة التي ما ترال تحافظ عليها، أصبحت تربطها باللسان علاقة برابة لا يمكن تفاديها؟

قد لا نعيب أهمية اكتشاف وسائل حفظ الكلام الحديثة وانتشارها الواسع عن التأمل اللساني نفسه إلا أن اكتشاف الكتابة الأبجدية قديماً هو الذي أعطى دفعاً حاسماً للبحث السحوي بكل تأكيد فاستعمال دليل لعوي واحد لتدوين تلك السوعات المساطقية والمردية التي لا حصر لها لحرف مثل p أو a أو r يدفعنا بالضرورة إلى وعي ظاهره مذهشة معادها أن الاختلافات الهائلة لا تحول دون تواصل أفراد الجماعة اللسانية الواحدة وتعامهم فلا بد إداً من أن يكون هناك ثوابت لا تختلف وما هي اللسانيات، إداً، إن لم تكن البحث عن هذه الثوابت في مجال الأصوات كما في مجال المعجمية والسحو؟ وإن كان احتمال حدوث انقلاب أمراً وريداً في الأرمسة القادمة، فذلك لأن أحهره تسجيل الكلام يقوم بعكس ما يقوم به اللسانيات فهي لا تحفظ سوى الاختلاف ولا يمكن للسانيات عدم الاكتراث بمثل هذا التطور الذي تشهد التقنيات لا بل هي وحدث فيه فرصة لتطور دراسة الاختلاف لم تكن عائرة عنها في حصة الأمر وهي سبعت بكثير دحول الأحهرة القادره على تسجيل واستعادة ملامح الاختلاف بأمانة كبيرة إلا أن هذه الأحهرة سزعت

من يقاع الحركة التي كانت قد بدأت لقد ولدت اللسانيات من الوعي بالثوات، وهي بشكل كبير اليوم قيد أن تصبح علم المتغير على حله، الثابت، علماً لم يعد بدوُس غير المتغير كشيء في ذاته، بل يتأوله كجزء من كل وفي وجوه الآخر المتعددة بعبارة أخرى، أصبحت اللسانيات علم لغة اجتماعياً (سوسiolسانية)

II

فائدة هذه المعرفة أو الكون والخطاب والمجتمع

الفصل الخامس

موطن الدليل

معنى الأصوات أو الثنائي الذي لا يتفصم

الكلمة هي بمثابة مؤسسة فهي معظم ألسنة العالم ثمة مصطلح يدرّ على لفظ "كلمة" أو ما شاكها إلا أن الوحدة الوحيدة للحدرة عمياً على إمالة اللثام إلى حد ما عن اللسان هي ما يعرف بالدليل أي تلك الوحدة الصغرى الناتجة عن التحليل والمرحلة لأخيره من عملية تشريح الكلمة وقد يتطابق الدليل والكلمة في العديد من لحالات فكلمة *jardin* (حديقة) هي لمرسبة لها مقطعان لكها عبر قالة للتحليل، كذلك أيضاً كلمة *elegant* (أنيق) مع أنها ذات ثلاثة مقاطع إيهما دليلان إني هاندا الأمور شديدة السهولة إلا أن حالات أخرى عديدة تهال من كافة الجهات، وحوو كلمات منتهى الشيوع، يعتر عن مقاومة اللسان للجهد لرامي إلى جعله موضوعاً للمعرفة كما في كلمتي *est* و *a* في جملتي *il est elegant* (هو أنيق) و *il a un jardin* (عنده حديقة) فهكل من هاتين الكلمتين مقطع وحيد نكتب على التسلسل *[e]* و *[a]* في علم لأصوات ومع ذلك لا يُحزّل كل منهما إلى دليل واحد على الإطلاق فإذا ما أحدا حاله كلمة *est* وحاولنا، في الجملة الأولى، القيام بتحليل المصغرات المننالية لمعنى واحد، نصبح لدينا عدد من الأدوة مور لعدد العمديات التي نفوم بها فإذا ما اخترنا الرمن كعامل متغير نحصل من معسره هو وحده على جملة *il etant elegant* (كان أنيقاً) على سسل لمثل ودا ما اخترنا المجل نفسه نمكا الحصول على جملة

il devient élégant (أصبح أيقاً) وإذا لم يغير الرمز ولا الفعل وإما
 الفاعل ثم العدد وحده دون الرمز والمفعول والفاعل يحصل على
 جملتين أخريين مثل tu es élégant (أنت أيق) و ils sont élégants
 (هم أيقون) بهذه الطريقة يبقى السياق الذي تشكله الكلمتان الأولى
 والأخيرة واحداً، اللهم إلا ما يحتص بالوصل بين حرفين وهو ما لا
 يقع عليه دائماً في كافة أساليب الفرنسية الحديثة وتبدو النتيجة،
 وهي معروفة عند خبراء اللغة الفرنسية، مقلقة بقدر ما هي غير قابلة
 للدحض فكلمة est، وهي تلك التي تستعمل يومياً وهي كافة
 الظروف، تحوي مدانها، وتحب شكلها غير القابل للتحليل والمحزون
 إلى حرف صوتي واحد، لا أقل من أربعة أدلة

ليس المبهج الممثل هنا محيلاً للسانيات، فهو يمتص على
 وقائع يمكن ملاحظتها إذ يعترض التواصل عن طريق اللسان معنى
 منتجاً ومُدرَكاً، ويأتي المعنى الحاضر للكلمة عن استبعاد المعاني
 التي يمكن أن تحملها كلمات أخرى يقل بها لسياق نفسه وبالتالي،
 فكل معنى يمكن استخلاصه بصورة مستقلة، يجب وضع دليل، وإن
 احتلقت الأصوات التي تقابله مع تلك التي تعود إلى أدلة أخرى،
 انصهرت معها في مريح لا يمكن تمييزه ومن هنا يأتي التعريف
 الأسامي للدليل إنه أصغر ارتباط بين معنى، يُطلق عليه تقليد قديم
 يمتد من القديس أغسطين (saint Augustin) وحتى موسور
 (Saussure) اسم المدلول، وبين شريحة صوتية يطلق عليها اسم
 الدال والدال عالماً ما يكون ظاهراً كما في كلمة elegant (أيق) التي
 هي نفسها شريحة صوتية قابلة للتحريك إلى خمس وحدات صوتية
 صغرى (صوتيات) وهي أصوات تميز في ما بينها الأدلة التالية /e/ +
 /l/ + /g/ + /ā/ (يُدوّن الحرف الصوتي الأبي عند كتابته
 «ant») وقد لا يكون الدال ظاهراً من حصيدة عمليات ستهي إلى
 إظهاره، في حالات أكثر تعصداً كما في الإدماج الذي رأيه متمثلاً
 بكلمة est أعلاه

إن الحاصية الأساسية في الدليل هي نفسها التي تكمن وراء
لعن الألكسة بوصفها بيئات تتقنّد الجوهر الصوتي عن طريق بنة
التدليل، أو تعمل على إثبات المعنى من مادية الأصوات. إذ لا
يمكن إطلاقاً فصل الدال عن المدلول كما لا يمكن إدراك أحدهما
دون الآخر. إذ ولدت أكثر من مسألة محرجة في الدسائيات
الفديعة والأقلّ قدماً من جهل هذا الأمر الذي نشه ساطقة بساطة
ملخصت الكتب المدرسية. ولن نذكر هنا، توجيهاً للاختصار،
سوى إحدى النتائج العملية لذلك من سن الكثير منها
فامبرتيحيات التجنّب الكلامي التي تُسنى منذ القرن الثامن عشر
بالمحظورات. وهي كلمة مأخوذة عن أحد ألسنة المجتمعات
الموليسيرية التي ما تزال تمارسها (وعرفها العالم كله في فترات
مختلفة) ليس هدفها لشيء المحظور بحد ذاته، وإنما هدفها هو
لمدلول الذي يستدعيه ألباً مجرداً لنقط بالدالّ فياستعداد أصوات
لكسمة المحظورة يتم في الوقت نفسه كسّ معابها وكافة المفاهيم
التي بحركتها ذكرها. وهكذا نجد أن لتدليل نفسه دالاً، مهما كان
شكده، ومدلولاً، مهما كان مجاله، هما يحكم سى اللسان الذي
يحويهما وحها لواقع واحد متصاممان تكويماً

«لا يوجد كيان لساني إلا من خلال تربط الدالّ والمدلول
() فما أن يأخذ بأحدهما دون الآخر حتى يسهار هذا انكسار
() إذ لا تُعثرُ سلسلة صوتية م لسانية ما لم تكن دعامة فكرة
فدا م أحدث وحدها لا تُعدّ سوى مادة لدرسة فيريولوجية. والحال
كذلك بالسنة إلى المدلول م أن يفصله عن الدالّ إذ تنتمي مفاهيم
مثل maison (بيت) blanc (أبيض) وvoir (رأى) وعبرها إلى علم
المنس إذ تمّ تناولها بحدّ ذاتها وهي لا تصح كياناً لسانية إلا
بربطها بصور صوتية»^(١)

(١) انظر المرجع السابق الذكر F. de Saussure, *Cours de linguistique générale* op. cit p. 44.

لم تعقد هذه السطور بعد، لكلاسيكيتهما (الرائدة؟)، فعاليتها كحطبات شفاف حول الدليل بكونه البعض طائعين، وتتحله مطوقة الاخرين عدراً لمناطرت غير محدبة وبكمي التشديد على أنه لا تطابق هناك بين الدال والكلمة من جهة، وبين المدلول والشيء من جهة أخرى. والدليل بوصفه وحدة ذات وجهين متصاممين هو الذي يحيل إلى الأشياء وإلى المفاهيم، أي إلى ما يسميه اللسانيون بالعالم للسان في ذاته ليس نشاطاً والمطوقات التي تتح إلتاحها تتحدث عن العالم، إلا أنها ليست العالم، بل هي تحلي نلت الأهلية الشرية على الدليل

الدليل والاختلاف

أهمية الدليل لا الترميز وحسب فهناك مشاطات يساويه أخرى ترميزية، كالفن بصورة أساسية أم السلوكيات، اللغوية فهي حرفاً signifiantes، أي أنها مستحقة للأدلة هذا ما تؤكد عليه كافة الدراسات والدليل، بخلاف الرمز، ليس مرتبطاً بالمستند إليه (عالم الأشياء والمفاهيم) بعلاقة يمكن بطريقة أو بأخرى سريرها أو جعلها سبباً بل يصرص الدليل، ويكن ساطة، اصطلاحية ما هي بمثابة اتفاق على أنه مفهوم ولا يشهد التاريخ على مثل هذا التعلم السريع ولاكيد للأدلة في أي مكان آخر دحل، لأنظمة الرمزية واكتساب ابن الإنسان للأدلة يرتبط مع تطور الذكاء وانتداع العالم بعلاقة تأثير متبادل ويتيح الكلام، بوصفه وسيطاً، للتعلم النحكم في الأشياء عن طريق تمثيلها

وسدح الدليل اللساني تحت بواء الذكاء البصوري وترر، دون نلت المرنة، مرحلتان ليستا حكراً على الحس البشري على ما يبدو إذ تمتلك قروذ الشمساري ذكاء حسيّاً حركياً يسبح لها المعرف على، لأشياء الحارجية وتكيف سدوكها على أساسها كما تستطع، إذ، حصعب لتربيته ما، اكتساب الذكاء التمثلي، أي المتعلق بالرمز

يوصفه ملاحظة مُرجأة لأشياء في حالة الغياب^(٢) أم اذكاء
النصوري، المرتبط بأدلة اعتباطية لا برموز، فيبدو إنسانياً حصراً

فإن كانت هناك علاقة لرومية بين الدليل، الموسوم بالخواص
لبي ذكرها، وبين شيء آخر، فلا بد أن نكون تلك لعلاقة بينه وبين
أدلة أخرى دخل الإنسان الواحد نفسه وهناك أيضاً خاصية مميزة
أخرى للدليل هي أنه يحيل إلى ذاته هذا ما يؤسس لأي خطاب
حول الإنسان ويمثل صعوباته في أن معاً إذ يربط أدلة النظام الواحد
بينها بعلاقة اختلافية بصورها تصامم وجهي الدليل فإذا ما كان
لمفهوم لاختلاف من مضمون عند تطبيقه على وقائع الإنسان، عدلت
صمم نطاق كون الوجدات الصوتية الصغرى (لصوتات)، التي
تشكل طبيعتها وتوليقاتها دال كدليل، لا تخلط بعضها لبعض
هذه هي الحقيقة البسيطة التي يجب قرءنها في الحداوت الصوتية
التي يعطها أي وصف جيد للسان إذ تظهر هذه لجدول أساليب
لسان التي تشكلها كل لغة في تنوع الأصوات لستيم عالم أدلنها
وقد يحدث طبعاً أن يكون للدليل الدل نفسه وهي حالة معدديه
المعنى كما في انكسمة الفرنسية chemise^(*)، وحالة الجاس اللطفي
كما في كلمة louer (مدح، أجر) التي لا يوجد أي ربط بين معيها
إذ يعودان إلى مصدرين لاتيين locare و laudare ثم لتما عرصاً
وفق انتظور الصوتي إلا أن المدلولات تكفي عندئذ للتعبير بين
لأدلة إذ تتحدد مدلول كل دليل أولاً من كونه ليس مدلولاً لدليل
آخر

(٢) يرمي استعمال مفهوم الرمز هنا، وهي ما سيأتي لاحقاً، بشكل خاص إلى تحديد معاني مفهوم
الدليل اللساني كمصدر من عناصر التواصل والتي لا يتم في التجارب التي مسجدة عنها
(انظر أدناه)، استخدام الرمز بمعناه القديم مع الفروقات عناصر الشجرة التي يتم تعيينها لهم
عناطه إلى حد كبير، على عكس الرمز الذي يتم جريباً بالمعنى
(*) ومعني، بحسب السياق، العيص وحافطة الأوراق والقسم لأسفل من القرن العالي والسوي
الخارجي لسان الخ والمرجم

ومع ذلك فهناك ظاهرة عرسة وأساسه تشكك، في مقفه محدّدة، مهدد التنظيم في الساء السوسوري (saussure) إسه الترادف فهذه الظاهرة الممعطة للمعاني هي التي تسمح بوجود للمعاحم وهي بالأكيد ليست سهلة الاحواء في أي سعي نظري فلفد فدم أفلاطون (Metaphysique 10006 b 5) (ميتافيزيقا)، وفل سوسور برمن طويل، مسلّة الوحدانية التي سمع أي النقاء للدليلس حور معنى واحد «الآ يعني شيئاً وحيداً يعني الآ يعني أي شيء على الإطلاق» ثم جاء بعد ذلك دو مارسه (Du Marsais) ومعى بعباً فاطعاً وجود الترادف التام، إذ لا يعقل أن يوجد اللسان في اللسان الواحد^(٣) لكن يكفي النظر إلى الألسه تتجاوز الألسه الهندية الأوروبية، المألوفة لدى اللسانين العربيين، للاقتناع بأن إعادة صياغة المعنى بتعبير الألفاظ وشرح النص (وهما حالتا التشاكل في المعنى) الوحدانيان التان معروفون بهما كواقعتين باستثناء الترادف التام) لا يستوفيان خواص الألسه كما أن استعارة ألفاظ معجمية علمية أو قديمة ترفد العديد من اللغات الخاصة بمتراذفات باقة بين المصطلحات الداحلة والكلمات المحلّة بذلك هي حال اللغة الهندية الأردية (hindi-ourdou) بالنسبة إلى مصطلحات اللعثنس العربية والعارسية التي صاعمت المحرون الهندي - الآري، وحال للغة اليابانية التي دخلت فيها مصطلحات صينية مند بهايه القرن لرح واصافت إلى المحرون اليابانيّ وحيث نقل الحرف الصيني الواحد، في كل حاله، حرفي الثنائية المتشكّلة معاً، لآ أنه صحيح أن بالإمكان الرعم بوجود اختلاف في الطبقة

لا يمع احتمال وجود مترادفات أصيلة الألسه، أيّا كانت، من نظم مدلولات مبرداتها المعجمية على أساس الاختلاف، إذ يكفي أن تتغير الدالات حتى يتغير الدليل ولا شك أن هذه السلبه

(٣) انظر Des tropes. Paris, 1730 معاً عن " فوكس C Fuchs, La paraphrase, Paris, P U F, 1982, p 53

للمصموم لا يمكنها وحدها، على الرغم من أن عشرات لسبين من لتعانيم لسوسورية قد برعت عنها ظاهرها السافسي، التأسيس لظرة في المعنى ومدلول الدليل لا يشكل سوى أحد مفصل مثل هذه النظرية (انظر الفصل العاشر)، على الرغم من التقليد السيوي وعلى الرغم من امتداده إلى قواعد توليدية ومع ذلك يبقى، للعرف السليبي أساساً قد يموت عليها عدم إيلائها إياه الاهتمام الكافي سمه جوهرية للآلية بوصفها سبت متجة للمعنى. ويظهر ناريخ المفردات بشكل كافي أن مصموم الدليل داخل لساب ما يحدده بشكل كبير مصموم الأدلة الأخرى، ويحاصه تلك التي نسمي إلى الحقل الدلالي نفسه وأي تعبير في المدلول يكفي لجر تعبير في سلسلة المدلولات لأخرى المحاوررة وتعتبر معامرات الدلالة هذه مادة واسعة عذب الكثير من الدراسات العلمية^(٤)

تدخا علوم أخرى غير اللسانيات إلى مفهوم التعارض، ومن بين لعلوم الإنسانية هناك علم نفس لطمل بقول هـ ولون (H Wallon)^(٥) «لا يوجد الفكر إلا من خلال لسي التي يدخلها في الأشياء» () لا ينسم الفكر مند لأصل بالقطعية، بل بالشائبة وبالاردو حية () يد يرتبط كل تعبير وكل مفهوم عموماً بصدّه بصورة وثيقة، بحيث لا يمكن التفكير فيه من دون هذا الصّد () والحذ الأكثر ساطة وإثارة هو، لتعارض فالمكرة تنحد أولاً وبصورة أسهل عن طريق صدّها، حتى ليصبح الربط شبه التي بين معم - لا وأنص - أسود وأب - أم، بحيث يبدو أحياناً أنها ترافق على لسانا وأن عليها الاحتيار وإبعاد أحدهما إن لم يكن ملائماً. ويجد نظرة مماثلة في حقول علمية أخرى هي الفيزياء وليولوجيا، وبحسب

(٤) نجد أمثلة عديدة عليها في مقاطع كثيرة من كتاب فـ برونو من بين الكتب العديدة الأخرى

F Brunot. *Histoire de la langue française*. Paris. A Colin, éd. 1966, 1968.

(٥) انظر 15، 44، 67، 1949. *Les origines de la pensée chez l'enfant*. I. Paris.

شرودينجر^(٦) (E. Schrödinger)، «الموارق بين الحواصص هي في الواقع غير مادية تماماً، وتبقى سميتها الاحتلافية المبدأ الأساسي في الحفصة» كما يلاحظ ب. بيل^(٧) (E.T. Bell) أنه في المقاربة اللاكمية للرياضيات «ليست الأشياء هي التي تهتم وربما العلاقات بينها» ونُسب العبارة التالية إلى الرسّام براك (Braque) «نسب لأشياء ولهتّم فقط بعلاقاتها» (Cahiers, Gallimard, 1952, p. 40) هذا في الفن التصويري نفسه

الأدلة والقرود والتواصل

يمكن أن نتساءل، مع عدم سريان البعد بين السيمياء البشرية والرمزية الحيوانية، ما إذا كانت الطبيعة الاحتلافية للدليل موحدة في الشجرة التي نعلّم للحيوانات «الفريه» من الإنسان. إذ يعرف الجارب الكاليفورني التي أحرّث على الشمائري في السيبب^(٨) فما الذي يمكن أن نحرمنا به هذه الجارب المهمة في الإثنوبوجيا حول اللغة البشرية؟ لقد علّم المدرّسون أنثى الشمائري واشو (Washoe) لغة الإشارات الأميركية وهي لغة الصمّ والمكم من الأميركيين كما تعلّمت الأنثى سار (Sarah) شجرة تقوم على قطع من المعدن تلتصق على لوح معاطيسي والحقيقة أنها لم تكتسب معنى وحدت هذه الشجرة إلا عن طريق معارصها فيما بينها لا يقع إذاً ما يمكن سميته بالحدود (بالمعنى البرامي بالقطع، لأن الأمر يتعلق بالشمائري ما عند الحديث عن تدرج الأنوع)، بين أدلة للسند الشري وعناصر الشجرة التي يكتسبها بالتعلّم حيوانات فريه

(٦) *What is Life?*, Oxford, 1944, p. 28s

(٧) *The Development of Mathematics* New York London, 1945, p. 466

(٨) B. T. Gardner & R.A. Gardner «Teaching Sign-language to a Chimpanzee», *Science*, vol. 65, n° 3894, August 1969, p. 664-672; D. Premack «The Education of Sarah, a Chimp», in *Psychology To-Day*, vol. 4, n° 4, 1970, p. 55-58

من الإنسان، عند هذا المستوى إنه في مكان آخر فهناك حميفه متواصعه طهرياً لكنها تُعَبَّرُ عن واقع عميق والألمسة الشرية هي معاً أنظمة أدلة وأدوت تواصل^(٩) وكل من هاتين الخاصيتين منحقق فيها شكل كمن، كما أنهما متصامتان مع بعضهما البعض بصورة وثيقة

لا نستطيع إدأ تصور هاتين الخاصيتين إحداهما مفصلة عن لأخرى فالاستعمال اليومي بلغة يجعلها مألوفة لذي وشهدا بسطة بدرجة أسا لا سنه إني الاختلاف بين الخاصيتين واللغة تُشركهم معاً في وحدتها لظاهرة لدرجة أنها تحجب عن شائيتها لخصفبه ويمكن لدراسة ما هو "طبيعي" ها، كما في حمول أخرى للمعرفة، أن تستخلص درساً مهماً من خلال الاهتمام بما هو حائد عنه فقد حرت العدة أن تصف لغات الهنوسة على تحوم المحصص لصاني للعرف، وهي حالات هامشية في متداع الألسنة تحت تأثير وحي وسبطين أو دسني^(١٠) وملاحظ في هذه الألسنة بحاد وثيق عرب إد يتعشع عصير التواصل مع العصر غير السيميائي فالأمر يتعلو سواصل ويعيب كامل أو شه كامل للأدلة في أي معاً ويتصلر لتواصل بمرسلة تعبيرية أو متافيريقية تشه الرسائل للعبه أو انحصانية لشعر حليسيكوف (Khlebnikov) الذهني (حرفياً بالروسية za um) اسدي فام بدرسته ر ماكوسون (R. Jakobson)^(١١)، أو ملك لوطانات المشعولة والتي يعبرها بعض لحيون عند رابليه (Rabelais) وجوس (Joyce) وميشو (Michaux) أو حديث عدأ إيكو (U Eco)

(٩) لا يذكر هنا عبد الحديت عن أداة التواصل سوى وطيفه واحد من وظائف الألسنة، ولا يعني بذلك أن يحترلها جميعاً في واحد (انظر الفصل العاشر، ص ٣٤٧ - ٣٤٧)

(١٠) T. Flournoy, *Des Indes à la planète Mars*. Genève, 1899. réimpr. Paris, 1983. Ed. Du Seuil. 1983, avec introduction et commentaires de M. Yaguello et M.

II.

(١١) «Retrospect». in *Selected Writings*. Mouton, 1966, vol. IV, p. 640 راجع

في *Le nom de la rose* (اسم الورد)^(١٢) حيث يصعُ على لسان العرّ
المعظّ سالفاتوري (Salvatore) حليطاً عجيباً من الكلمات لا أنها
تشي، في الوقت نفسه، بعيب الأدلة اللسانية، بوصفها كيانات يمكن
تحديد هويتها من خلال استقرار العلاقة التي نعيمها بين الدالّ
والمدلول، واصطلاح جماعة شريّة عليها بامصادقة عديها عن طريق
تداولها إنه محلّ مقدّ إداً لحالة من الانحراف عن القاعدة في مثل
هذا السلوك الدعويّ، وهو انحراف لعلاقة تكوينه من الخاصيتين
اللتس ربط القاعدة بينهما وبشأ في السلوكيات التي يملأ جواب
هذا المعطى نوع من التواصل، إلا أنه تواصل لا يستخدم وساطة
الأدلة وإذا ما كان باستطاعة الملقّي أو القارئ أو معكّ الرموز
فهم هذه التاجات الدعوية "المُرَصَّبة" التي تتواصل من دون أن تعي
أي شيء، فذلك بالتأكيد لأنها تستعين بوحدة فقط من هاتين
"الملكيتين الدهشتين" اللتين يعسرهما بنفيس (Benveniste)
مديرس ملكة المعرف وملكة الفهم، أي ملك التي تدرك نطاق
السانس والحالي من جهة، والتي تدرك دلالة مطلق حديد من جهة
أخرى^(١٣)

لا نملك لغة القردة، وكذلك لغة أولئك الذين يحيدون عن
الطبيعة، سوى واحدة من هاتين الخاصيتين ويبقى شكل هذه اللغة
بدنياً وتشير الطريقة التي يبدو فيها قرداً الشماسري واشو وسرا،
أثناء تدريجهما، كأنهما بسيطران على الشيفرة التي تم ترويضهما
عليها، إلى أنهما قدرا على الترميز واستيعاب استعمال الرموز حتى
في عيات الأشياء التي تقامها وما هو أكثر من ذلك، يمكنهما عر
السمات عن طريق التحليل كما يستطعان، شرط استعمال رموز لا

(١٢) U Eco, *Le nom de la rose*, Paris, Grasset, 1982 (trad. Fr. de Il nome

della rosa, Milan, Fabbri-Bompiani, 1980) أتوجه بالشكر إلى ب. مديريه B

Niederer التي لعبت أدواراً في هذا المعطى من الرواية

(١٣) E. Benveniste, «Sémiologie de la langue», *Semiotica*, I, 1969, repr. Dans

Problèmes de linguistique générale, II. Paris, Gallimard, 1974, p. 65 (43-66)

أداة عتاطية، استخدامها للتجريد، أي لتصنيف أشياء متمايزه بحسب
 سمه مشتركة بينها إذ يستطيعان، على سبيل المثال، وأمام مجموعة
 تتألف من تفاحة وموزة، تجريد الرمز الذي يعني "فاكهه"، أو
 يستطيعان على العكس من ذلك، وأمام مجموعة تتألف من لون أحمر
 وشكر دائري، استخلاص "تفاحة" يستطيع هذان لقردان، أخيراً
 وشكل حاضر، تمثل السى المحددة المفيدة لحمل بسيطة في الألسنة
 البشرية يمكن لمعاصرها، المرسمة في متواليات غير إشكالية كل منها
 في مكانه، أن تستدل بأخرى تسمي إلى مجموعات واحدة وهكذا
 فاستطاعه سارا تركيب وحدات وفقاً لسية واحدة للحصول على
 مطوقات مثل *Mary + donner + pomme* (ماري + أعطى +
 تفاحة) كما تستطيع سارا تعليم الشيمره لقروء أخرى ومع ذلك
 سر هذا مكاف على الرعم من طاهر الأمر فلنكي يستطيع الكلام
 عن لغة، لا بل عن لسان أيضاً، لا يكفي وجود إدراك وحيد الجانب
 للرمائل كف هي البحار عند القروء لتي علمها المدرسون كيف
 تتحدوث مع مطوقات تتألف من رموز درزوها أولاً على نأويلها
 شكل فردي بل يجب، من جهة، أن يكون هناك دكاء بصوري
 ينظم الأدلة البحة وأن توجد، من جهة أخرى، مبادره يقوم بها كل
 من طرفي الثائية مُرسل - مُستقبل ضمن علاقة تقوم على لأدور إذ
 يصطلح المستقبل بكافه وظائف المُرسل حين يصرف بدوره
 كمُرسل

نوجد صيغتان تواصليتان مهمتان، بالإضافة إلى انصيعة
 التقريبية، تسمان استعمال اللغة في المجتمعات الشربة ولا يظهران
 تقريباً على الإطلاق في استعمال القردة لشيمره الترويض بهما
 لاستمهام والأمر إذ بشر آل غاردنر (Gardner) إلى حالة وحيدة
 لرسالة وخبتها القردة واشو لرفيق لها يتهدده، من دور علمه، حظر
 وشبك الموضوع وتألف الرسالة من منظومة الرموز "تعال" +
 "أسرع" إلا أن هذه الواقعة نعى، سجلها العزصني، على نحوم

العامل للتشهير غير أن هذا لا يكفي لعدم الحديث عنها ، إذ تُظهر هذه الواقعة، وعليها الإقرار بذلك، أن هناك، بين الألسنة الشريرة والشبهات التي تعلّمها الإنسان للقرود الأكثر تطوّراً، "فقط" بصعوبة ملايين من السنين تطوّرت خلال مسيرتها الطويلة حياة اجتماعية مترابطة التعقيد وأدوات متراصة الإتقان. والحق أن هذه الواقعة تُذكر أيضاً بأنه على الرغم من صعوبة ابتداع نهج تجريبي غير معروف بالمحاضر والأوهام، فليس من المستحيل الكشف عن استمراريته أنماط التواصل الشريرة والحيوانية. وتبقى هذه المحاولة في لترويض مجملها، على ما فيها من فتنة في مسعها وفي طموحها، محاولة يفوقها لمصلحتها. ومع ذلك تُظهر السمّة الاستثنائية لصيغته الأمر ولعبت انكامل لصيغة الاستفهام أنه يجب التمييز بين أنماط مختلفة في التواصل إذ لا نضامن مفهوم اللغة والتواصل في الحقيقة إلا وفق أكثر معاني مفهوم التواصل كثافة وتركيزاً أي المعنى الذي معناه أن قناة اتصال واحدة تصنع فرداً، تربطهما بعضهما البعض شبكة وثيقة من العلاقات الاجتماعية، في علاقة تحاطب ولكي تلعب تلك العلاقات الاجتماعية، بالضرورة، لحد الذي يعرفه عن درجة تركيبها، فإنها تنتج عن فترة طويلة من الحياة ضمن جماعات متماسكة يعرف أفرادها بعضهم البعض من خلال الحاجات المتنوعة التي وندها بعيشهم الوثيق وهذا الباريح هو حصر تاريخ الشريرة وحده.

ليس الرهان إداً ما كان يتحججه بريماك (Premack) والمسألة لا تتعلق بمعرفة ما إذا كانت سارا يؤكد، أم لا، كليات شومسكي المتصلة بتحويل منطوق ما بصيغة التأكد إلى صيغة الاستفهام، أو بوجود فعل لكون (être) بصيغة التساوي، أو باستعمال أدوات العطف مثل et (و) والعطف) إنه إجراء دائري لا نهاية له يبحث، عند الشمائري، عن وجود بعض الكليات الدساسة التي يفترض وجود أسسها في ملكة لغوية مطبوعة في نظامها الحسي وهناك

سؤال أكثر حصاً شيره سعي يقع دون مسأله إشكالية الألسنة الشرية
 كيف تتواصل فرود الشماسري وإلى أي حد تتواصل؟ والنحو
 وضح تكشف الملاحظة، وبالمقارنة مع الإنسان البدائي، عن
 وجود أهلية م وحسب، ربما هي وراثية، لحياة اجتماعية شديدة
 البساطة ضمن جماعات محدودة، وهي لا تُسلم بوجود أي تطور
 يمكن موارته بالتطور الذي تدل عليه المحلفات الأثرية التي تمتد من
 الإنسان الماهر إلى الإنسان المنصب، من غير ذكر المراحل
 اللاحقة والشماسري لا "تتكنم" لأن حياتها "الاجتماعية" لا
 تصعب في طرف من لديه الكثير ليقوله وهي إذا ما نعمت
 "انكنم"، بعد فترة طويلة من اتعلم يُسي حافر لمصون خلالها
 المدرّب معاناته وصبره، فلأن المكافآت (من مور وشوكولا
 وملابس) التي يرود فيها المدرّب كل جلسته تدرب بأنواع من
 المكاسب تحلق عند الشماسري حاجات سعى إلى تبيتها

أما ما تستطيع تلك الفردة "قوة" فهو يشهد في الحقيقة على
 عدم قدرتها على تجاوز عبة بحدها تطورها الوراثي الذي لا يجد ما
 يقابله عند الجنس الشرقي، اللهم إلا بد ما عدنا إلى مرحلة صارفة
 في لهدم ما قبل التاريخ كما يشهد على ذلك فقر العلاقات
 "الاجتماعية" لوائمه بصورة مصطنعة بين حيوان معرول، أو حيا
 ضمن جماعة صغيرة، ومدرّب تحري بحره تقوم على منح مكافاه
 عند كل إحائه صحيحة ويسا لشك في كفاءة مثل هذ الأمر لردم
 الهوة الرسمية السحيقة وماداً لو كان الأمر في الحقيقة، على اعتبار
 أن هناك ترقاً دائماً للمكافأة، محرد ترويض بالمعنى الدقيق للكلمة؟
 ترويض على درجة كبيرة من التعقيد بالتأكيذ، لكن لا علاقة له على
 الإطلاق باكتساب اللغة كما يتوهم لمحقق لأنه يمارس، في لسان
 شرقي، هذ التمرين الحظر القائم على عادة صبة المعنى بالعاط
 مختلفة أي وضع مُعادل باللغة الإنجليزية برسائل مسيه على أدلة

صطلاحية.

على أي حال نعيب هنا تماماً سمة جوهرية من سمات التناجات اللسانية البشرية أن باستطاعتها التكلم عما هو غير موجود - كلمات من غير مُحالٍ إليه أكيد، جمل تناقص الواقع التجريبي. وقد لا يبحث المتلقون من بني البشر مثل هذا النوع من التواصل الحادع، إلا أنه يلعب انتباه الجميع فهناك أعاط من الردود تعاليه، سواء أكانت حورية أم غير ذلك غير أن أحداً لم يمع على رسائل نتصم من هو غير موجود عند الحيوانات المدربة على "الكلم"، على الرغم من أن الشماري تعرف "الكذب" بالحيلة

تثبت هذه التجارب إداً، سلباً، أن الإنسان هو الوحيد، في عالم المخلوقات الحية، القادر على الإدلال وعلى لتواصل معاً، بكل ما في هذين المفهومين من معنى أي أنه الوحيد القادر على استخدام أدلة مطمة في بني متماسكة، يمكن أن يردد عددها باصطراد، لنقل وتاويل رسائل تعرض وجود علاقة اجتماعية بالغة العقيد قائمه على التفاعل المتبادل وعلى الحوار أم هذه الرسائل فهي تؤكد وسأل وتأمّر وتعرّ عن الأحوال ويحب التعرف على الألسه البشرية في تعزدها وتميزها، لأنها الأنظمة الوحيدة التي تتمتع في آي معاً بتلك الحاصية المردوجة ويقابل هذا التمرد، القائم على الشائبة، علم لسانيات واحد لا اثنان، كما هي حال المشروع الذي تقع عليه عند البعض ممن عرفوا جنداً طسعة الألسه المردوجه فكهم عتقدوا أنها لا يمكن أن نحصع بمودج واحد^(١٤)

(١٤) انظر E. Benveniste, *Problèmes de linguistique générale. II*, op. cit., p. 64-65, 235. نجد أيضاً مرفوع من هذه الرؤية المطلقة بعلمي لسانيات في C. Hagège, «Les pièges de la parole Pour une linguistique socio-opérative», *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, LXXIX, 1984, p. 147. وأيضاً بتكاتب نفسه في «Benveniste et la linguistique de la parole» in *E. Benveniste aujourd'hui*, Paris, Société pour l'Information grammaticale (diffusion Ed. Peeters Louvain), Bibliothèque de l'Information grammaticale, 1984, p. 18, 05.

حيوية الأدلة

هل يرجع لسبب، ونحن في نهاية القرن العشرين، إلى قوّة وسائل الاتصال الموجهة إلى الجماهير العريضة والتي تتيح للباحثين عن الأساطير فرصة بث أفكارهم؟ أم أنه يرجع إلى أن عمل لعقل، المطيئ والدؤوب، عليه باستمرار مواجهة إغواء الحلم وسحر اللاعقلاني؟ على أية حال هاك في مختلف العلوم حقائق لا تفرص ذاتها إلا بصعوبة ومن بينها الحقيقة المنعقدة بالغة ^{١٥} إذ يصعب دفع من لم يمتهموا درسه الدعة إلى القول بها، كما تجاهلها طويلاً حتى أوثق الدين امتهموا الدعة إنها الحقيقة التالية ^{١٥} إذ ما كان لكل دليل في لسان ما علاقة لا تُفصّل غراها بين ما يدلّ عليه ولأصوات التي تشكّل منها، أي وجهاً للدليل المكتسبان معاً مدّ الطعونة، فإن هذه العلاقة ليست قائمة على التحفير ولا تتمتع بسمة الضرورة وعالماً ما يُستشهد بوجود عدد كبير من الألسنة التي تُشرك دالات، تختلف في كل مرة، مع مدلولات تستطيع الترجمة تصفيتها إلى حدّ ما يفي مع ذلك، بالسنة إلى المتكلم العاديّ وعند مسوى هو دون مستوى المعاينة العلمية، أن ما يقوله لسأته هو ما يجب قوله

كما يصعب عليه أكثر قبول عدم وجود رابط قائم على التحفير بين أصوات الكلمات وأشياء لعالم التي تُحيل إليها هذه الكلمات، أي بين اندال والمسند إليه فالذال لا يحاكي المسند إليه، وكأنا يقتصر أن كل شيء في الكون (هذا من دون ذكر المفاهيم المجردة) يُنتج صوتاً، أو يوحى بصوت، يمكن لأصوات الألسنة البشرية أن تحاكيه وبعبارة أخرى، فإن دالّ الدليل غير محفّز، أي لا يملك علاقة شككية بربطه بالواقع الذي نرحمه لسانياً^(١٥) إن هذا الأمر،

(١٥) أثار هذا الموضوع جدلاً طويلاً مجلّي خلاله النباشان، بين الدالّ والغير من جهة، وبين اعياطه العلاقة بين الدالّ والغير (إن وجد) واعياطه العلاقة بين الدالّ والمسند إليه ويمكن بهذا الحصر من العرّة إلى R Engler, «Théorie et critique d'un principe

على الرغم من بديهيته ومن مدرسته بصورة منتظمة ابتداء من حصة المدخل إلى اللسانيات، لم يفرص نفسه على الجميع. فهل يلبي السعي إلى انسجام كوني رغبة كامنة في أعماق ذهن كل من البشر؟ مهما كان الأمر، يعلم بعض الحكماء أن ذلك لا يتجاوز حدود الرغبة. إد بشير ديكارت (Descartes)، في رسالة معروفة إلى الأب ميرسين (Mersenne) (عام ١٦٢٩)، إلى أنه من الممكن نظرياً صياغة لسان فلسفي بحق تكون كلماته رموزاً مباشرة للأشياء. لكنه يشكك بقدره مثل هذا اللسان على أن يفرص نفسه يوماً ما. أما الأب ميرسين فيقر^(١٦)، على الرغم من رغبته في لسان مثل هذا لا يحتاج المرء إلى تعلمه لكونه جذ "طبعي"، بأن الاعتباطية التي يقوم عليها أي لسان بشري تجعل مثل هذا المشروع بوطوريا خيالية.

غير أن ذلك لا يكفي. فمع أن النظريات التي تحدثت عن رمزية الأصوات أو عن محاكاة لأصوات في الألسنة لم يعزرها أي دليل غير قابل للدحض، لا بل مع أن الأمثلة المصادفة العديدة التي تبطلها هي في متناول كل من يُحيدُ بعين، وحتى من يجيد لغة واحدة ويستمع شيء من اللفظة، فإن مثل هذه النظريات تظهر بوضوح مد من طول ولا تحدها فقط عدد بعض علماء العصور الوسطى، لكن رأى بعضهم في القواعد مفتاح العلوم لأن معرفة الكلمات وقوانينها لا بد أن تفود إلى معرفة العالم الذي ينطق صوته. فلم يردهرت أيضاً في عصور كانت فيها العقلانية المزعومة مشوبة بأحلام النمطة التي لم تكن تفصل بين الاصطلاح والضرورة. فمن جهة، هناك الطسعة الاصطلاحية للدليل الذي يحل تناقض صحتي محل الشيء المسمى، وهناك من جهة أخرى قدرة هذا الدليل على السمنة ونأني من العلاقة بينه وبين ما هو مسمى بفصله. وهذا الوجه لثاني هو

saussure: l'arbitraire du signe», *Cahiers Ferdinand de Saussure*, 19, 1962, p.

5-66. وهذا الكاتب نفسه 25-32, 1964, p. 2, «Complément à l'arbitraire», *Ibid.*, 2,

(١٦) راجع Harmonie universelle, Paris, 1636

الذي أثار انصاف كور دو جيملان (Court de Gébelin) على سبيل
 امثال، إذ يقول معترفاً عن دهشته أمام العلاقة بين الكلام والأشياء
 «كيف يمكن للمرء أن يقتنع بأن الكلام لا يملك أية طاقة في
 ذاته؟ بأن لا قيمة فيه إلا اصطلاحية ولا يمكن أن تكون دليلاً
 محدداً؟ بأن اسم الحمل كان يمكن أن يكون اسم الدئب وسم
 لرديده اسم العصيدة؟ بأن الإنسان كان أنكم ولا تصدر عنه سوى
 صرخات لقرون عديدة متوالية؟ وبأنه استطاع بعد محاولات كثيرة غير
 محدنة ومضنية تمتمة بضع كلمات وتبين له بعد ذلك برمن طويل أن
 هذه الكلمات يمكن أن ترتبط بعضها لبعض؟»^(١٧)

هناك لغة بصورة خاصة، هي العبرية، فتب مد أو حر العصر
 الوسيط أولئك الذين رأوا في قصة ناس حكاية حكم سماوي يعاقب
 لعبو الشري^(١٨). نرى هذه العمولة المودجيه التحمير عن الدليل،
 وبالتالي تحكم عليه ألا يكون سوى محزذ ساح لاصطلاح بحث، مما
 أذى إلى بعث الألسنة بكثرة فلمد بدا لهم أن اللغة العبرية هي
 وحدها التي ما تزال مثل حلمود صحر، تحمل ثار انقراة اللعونة
 الأولى ولقد حصص فار دوليفيه (Fabre d'Olivet) للعبرية بالحدبد
 «كتاب الذي أصدره بين عامي ١٨١٦ - ١٨١٧ في باريس وحمل
 عنوان *La langue hébraïque restituée* (استرجاع اللغة العبرية) وقد
 سعى فيه إلى إظهار أن اللغة العبرية، ومقصص التطورات المحصية
 «مدهلة»، «لا يوجد فيها كلمة واحدة، تتجاوز المقطع الواحد،
 ليست مركبة ومشتقة من جذر بدائي» (القسم الأول، الحدود

(١٧) راجع *Le monde primitif analysé et comparé avec le monde moderne*. Paris, 1773-1774, p. 66.

(١٨) يشير مع ذلك إلى أن هناك تفسيراً آخر يبعد عن الفراءه العبيديه يرى في ذلك، في معر النكوب
 لإصحاح الحادي عشر ٩-١٠، إسجازاً بقدر لا عمومه انظر C. Hagège, «Babel du
 temps mythique au temps du langage». *Revue philosophique*, n° 4, oct-déc
 1978, p. 465-479

العبرية، ص ١) يتصل الأمر هنا بنظام الاشتقاق العبري الذي نسميه صرْفُ اللغات السامية

ويعتبر فابر أن هذا النظام لا يمكن أن يكون اعتباطياً والحقيقة أنه يتسبب بآرائه إلى كور دو جيلان عندما يخلط بين التحمير الصوتي (الأصوات التي نستحضر الشيء المُسمَّى أو محاكيه) والتحمير الصرفي (الاشتقاقات ذات الشكل والمعنى القائلين للتقدير بصورة منتظمة) ويقابل فابر آراء دو جيلان بآراء واحد من المدافعين المعروفين عن اعتباطية الدليل هو هوبر (Hobbes) «لا بد أن يكون المرء ممسوساً بذهنية النظام ()» وبخاصة أن يوغل في جهل متعمّد بالعناصر الأولى للغة، حتى يزعم كما فعل هوبر، إذاً حداً جميع علمائنا الحديثين حدوده، بأن كل شيء اعتباطي في مؤسسة الكلام إنها بالتأكيد معروفة عربية وتنبق حقيقة من () عنم أن علينا عدم الاستنتاج بعد التجربة بأن شيئاً ما هو صخّ أم خطأ () مؤكداً أن الصخّة والخطأ لا يوجدان () إلا في تطبيق المصطلحات كما نجد الروحانية نفسها عام ١٨٢١ في كتاب ح دو متر (J de Maistre) المصادر بعد وفاته بعنوان *Les soirées de Saint-Petersbourg* (أمسيات سان بطرسبورغ) حيث يقرأ «دعونا لا نتحدّث إطلاقاً عن المصادره ولا عن أدلة اعتباطية»^(١٩) (وهو يأخذ من دون أي تردّد "الاشتقاقات" المعبّدة للتحمير التي سبق لـ إيريدور دو سيميل (Isidore de Séville) أن تناولها مثل cadaver (جثة) التي اشتقت من *cora data vermibus* أي لحم متروك للديدان) يوجد في هذا التوجّه في التفكير رابط يجمع بين تحمير الأدلة وأخلاقيه ما،

(١٩) مصدر هذا الكتاب من Edinona du Vieux-Colombier, Paris, 1960, p. 76. نقل عن H Meschonnic, «La nature dans la voix», texte liminaire à la réédition du *Dictionnaire raisonné des onomatopées françaises* de C. Nodier (1828), Mauvezin. Editions Trans-Europ-Repress, 1984. p. 92. L'«étymologie» de cadaver selon Isidore de Séville est rappelée, *Ibid*, p. 81.

ويوجد في التوخه المقابل له رابط يجمع بين الاعنطاطية وتصوّر
إسمائي للكلمات بوصفها مجرد أدوات للتسمية غير قابله للتفسير.
وتسم هذه الإسمائية، التي يراها لبعض أقرب إلى التجديف، فلسفه
هورس الإكليري كما تسم أيضاً فلسفه راسل (Russell) وأوستر
(Austin)

لكن على أية معايير محدده بسي المُعادون للإسمائية موقفهم؟
بهم يسويه، بكل ساطة وبالاتماد على عدد من الشواهد المختاره
بعباية، على توصيح وجود ربط يفترضون أنه طبيعي بين أصوات
الكلمات والأشياء. يد يصز كور دو جيبيلان نفسه على أن «المسحة»
لشعرية في النطق، وهي الأسهل في الاستعمال والألطف ولأطرف،
كانت تُستخدم في تسمية المخلوقات الأولى التي عرفها الإنسان، أي
تلك المحيطة به والتي يدين لها بكل شيء»، سما «الأسان» (راسحة،
بقدر ما أن الشفتين متحركتان ومرنات، لذلك تصدرُ منها الأصوات
القوية والرنانة والصاححة»^(٢٠) ويُردّد روسو (Rousseau) صدى هذه
التأملات الطرية، يد يرى في خشونة الأحرف الصامنة وعدوية
الأحرف الصاتة أقدم انعكاس يدل على ما كانت تُعزّ عنه "بطسية"
بالغة في فجر الأرمية البشرية^(٢١)

يمكن الاكتفاء بهذه العتبات من أدب واسع ويزه لمن السهل
موجهتها بأمثلة مصادقة. إذ لا تختلف هذه المساعي تماماً، مع أن
عبيها اكتشاف التحمير داخل السنة حقيقية، عن كل تلك التي حصل
بها تاريخُ النهوضات المتعلقة بالدعة المثابة. فمن ويدكر (Wilkins)

(٢٠) انظر *Histoire naturelle de la parole ou grammaire universelle et comparative*, Paris, 1778 (Monde primitif, analysé et comparé avec le monde moderne, t. II); éd. 1816, Paris, p. 98-104. موكو (M. Foucault) في كتابه السابق

الذكر *Les mots et les choses*, op. cit., p. 118.

(٢١) انظر *Essai sur l'origine des langues*, op. cit., tome XIII, p. 188-192. موكو عن م

موكو (M. Foucault)، المرجع نفسه

إلى بريسو (Brissot) مروراً بسراسو دو ميرجوراك (Cyrano de Bergerac) وفيراس (Vairasse) وفوايني^(٢٢) (Foigny)، ثم التوصل إلى ابتدع ألسة موصوغها الصريح هو الاستحجام مع الطسعة بقوون فوايني عن لسانه "الحنوي" "إن ميرة هذه الطريقة في الكلام أنها تجعل المرء فيلسوفاً مع تعلمه اللطو بالكلمات الأولى، وأما لا يستطيع تسمية أي شيء في هذا البلد من دون شرح طبيعته في الوقت نفسه وقد يبدو الأمر معجزة ما لم نعرف سر أبجديتهم وسر تركب كلماتهم"^(٢٣).

وهناك بحث يتميز بجديته أكثر، بدأ منذ عصور قديمة بهم بالحاكات لقد قام أحد معاصري كور دو حيلان، على عنة الأرمه الحديثه، وهو الرئيس دو بروس (le Président de Brosses)، بتعريفها انطلاقاً من أصل الكلمة على أنها تشكيلات تنبع "أن تُصدر بصوتاً الصوت نفسه لذي للأشياء التي يريد تسميتها"^(٢٤) لكن من بين الذين اعتادوا على دراسة الألسه لا يعرف، ومن من بين الآخرين يُنكر، أنه حتى في أكثر الحالات ملائمة لا يمكن للشاه أن يسمع حد جعل العادات الطقية والأنظمة الصوتية الخاصة بكل لسان تعطي مظهراً واحداً للكلمات، وأنه لا يمكن حتى لإجراء محاكائي واحد جعل هذه الكلمات متشابهة؟ وينفي صياح الديك، وهو مثال سيق كثيراً، مثلاً نموذجياً فالأمر يتعلّق بالحيوان نفسه (من دون شك) وبميريلوحد للسمع متطابقة (وهذا احتمال كبير)، لكن ألسه مختلفة تحاكي هذا الصياح بطرق مختلفة ففي الفرسية يقال cocorico وفي الهوسدة kukecku وفي اللسانة kokekokko

(٢٢) هناك إساراب ممد إلى هؤلاء الكتاب وأعمالهم في كتاب م. يانغيلو (M. Yaguello) السابق الذكر *Les fous du langage*, op cit

(٢٣) راجع G. de Foigny, *Les aventures de Jacques Sadeur dans la découverte et le voyage de la terre australe* Paris, 1676, chapitre IX. p. 130

(٢٤) راجع *Traité de la formation mécanique des langues* Paris, 1765. p. 9

أفلا يجب إدراك الصوت عن قدرات اللسان السحرية، إن وُحِدَ حتماً، في مكان آخر غير إعادة الإِسْباح السليطة والوهميه لأصوات العالم؟ قد يكون بإمكان النوحه الطاهراني لـ ميرلو موتي (M) (Merleau-Ponty)، بعد إدخال بعض التعديلات على صياغته القديمة، إلقاء بعض الضوء على هذه المسألة «إن الوحدات الصوتية الصغرى أو الصوتيات هي أساليب تُعني العالم» () مكرسة لتمثيل الأشياء، لا سبب تشابه موضوعي، كما تعتقد نظرية الحاكيات الساذجة، وإنما لأنها تستخلص منها الجوهر العاطفي وتعتبر عنه بالمعنى الحقيقى للكلمة^(٢٥) إلا أنه يجب إعطاء هذه لفكرة لموجية الشكل الدقيق الذي يجعلها أكثر ملاءمة للوفائع فالصوتيات ليست بحذ ذاتها التي تعكس طبقات المشاعر، وإنما هي درجة قوة أساليب السطو ودرجة وصوح لصور أو نُحْتُهُ وسطاء الإيقاع أو سرعته ويعود لفصل في ذلك إلى خاصية كليه عند الجس لسري، ألا وهي العلاقة بين التوتر العصلي والحالة النفسية إذ تؤثر تلك الخاصية في مشاعر النور، من صيق وقرف واحتقار وكراهية، وتبيح لها أن تومس دئماً تقصص في عضلات الحلق. إلا أن الأمر لا يتعلق به شيء لرومي فحتى أكثر الطواهر، لظلمة أيقويه، أي التسعيم وهو المنحى للحبي المرفق لطور كلمة أو مجموعه كلمات أو جملة، لا يعطيه مثلاً على توافق ما بين جميع الألسنة فمثل هذا التوافق هو وحده الذي يحولنا، إن وُجد، الحديث عن علاقة تحميرة حقاً مع ما هو خارج للسانات ولا يُعطي بعض النظريات للتسعيم إلا دوراً هامشياً عند التعريف بمهارة اللسان والسبب في ذلك وصح فبحر التسعيم حاصر بالضرورة في لواصل لشهني، كما هي خار الطاقة النمطية ومد الأحرف انصامنة ولصائته إلا أن ملاحظته أقل سهولة لأنه يسم للعه أكثر مما يسم اللسان

(٢٥) رجع 218, p. *Phénoménologie de la perception*. Paris, Gallimard, 1945.

والحقيقة أن أكثر التجارب شهرة تعطي سائح غير أكيدة حول الاتفاق على تأويل ألحان التعميم فمن جهة، هناك ألسنة بعيدة عن بعضها البعض من الناحية الوراثة والسمطية والجغرافية مثل الهواستيك le huastec (في المكسيك) واليابانية والسويدية والكوييماي le kunimaipa (في غينيا الجديدة) تُصفي على عدد من محييات التعميم المتشابهة إلى حد ما من الناحية الفيزيائية عدداً من المعاني المتشابهة نوعاً ما بدورها، والمرتبطة بظروف خارجية من النوع نفسه كالدهشة والرفض القاطع والطلب المبهذ والسؤال الذي يحتمل معنى الإنكار أو التقرير البدهي أو العبثي كمثال على هذه الحالة الأخيرة لدينا في الفرنسية السؤال

Est-ce que les animaux possèdent des langues?

هل للحيوانات ألسنة؟^(٢٦)

ومن جهة أخرى، لا تتوصل دوماً، وصغر اللسان الواحد، إلى وضع محتوى للتعميم يكون طبيعته الأيقونية بديهياً بحيث يقوم جميع الناطقين بذلك اللسان تأويل معنى التعميم نفسه بصورة متطابقة، فإدراك عرصة على مجموعة من الناطقين بالفرنسية مساوٍ في كماعتهم اللسانية معنى التعميم وحده معرولاً عن بقية المنطوق باستعمال جهاز لاقط لدخس، يرى أنهم يتعرفون على الحرف سسة ٨٠ / وعلى الحروف سسة ٧٠ / وعلى الإعجاب سسة ٥٠ / وعلى المرح سسة ٣٠ /^(٢٧) يتبين لنا هكذا أن نسبة تعرف هؤلاء الأشخاص على الحرف والحرف كبيرة، بينما تصعب نسبة التعرف على الإعجاب والمرح، مما يدل على أن التعميم لا يُعْتَرُ مستنداً غير قابل للدخس، حول المصامين

(٢٦) انظر D. Bolinger «Universality», in D. Bolinger, ed. *Intonation, Selected Readings* Harmondsworth, Penguin Books, 1972, p. 313-315

(٢٧) انظر P. Léon, «De l'analyse psychologique à la catégorisation auditive et acoustique des émotions dans la parole», *Journal de Psychologie* 4, 1967, p. 305-324.

التي يُعرضُ فيه أن يحملها، والتسعم إسقاط على الحيز المكاني
الدارجي بمحاكاة تتصل بالحجرة، وهو بالتأكيد حركة لحيه مرسمة
حرثاً في الجوهر، أي في الفيزيولوجيا العصبية. ولكنه يُدخّل في
لألسنة عبر دمجها في الكلام. والتسعم ليس إلا عنصراً من العناصر
التي تسهم في إنتاج المعنى متصامماً معها جميعاً، وبالتالي فهو لا
يعتد من التشفير الذي يصنع كافة تلك العناصر في خدمة هذه الغاية

والأمر كذلك بالنسبة إلى الظواهر انطقية الأخرى كالمد
التعبري للأحرف الصائتة على سبيل المثال. إذ يُعتبر هذا المد في
أعاب الأحياء عن التمييز أو عن التوكيد. كما يمكن أن يعبر عن
مشعر محتلفة كالتحريك في الكلام، الموحه إلى الأفعال أو في
الحركات العرمني. كذلك فإن مد الأحرف الصائتة لا يعبر عن
العدوانية وحسب، بل أحياناً أيضاً عن الدهول أو عن الإعجاب
وبشكل عام فإن للإجراءات التعبيرية قيمة تشديدية، أيغويه جريئاً،
مهما كان الواقع الدقيق للظاهرة التي يصور الدسان فونها بهذه
الطريقة. رد على ذلك شكل خاص أن لغات اصطلاحية كثيرة
تحتوي على أحرف صائتة أو صائتة مصغمة هي بساطة صونات
مثل غيرها لكنها لا تعادل أي مدلول خاص يحمل ممة الكم
الصوتية. كما توجد لغات أخرى في لخمعة، مثل انكاروك (le
karok) والويو (le wiyot) واليوروك (le yourok) (من عائلة اللغة
الألغونكية في أميركا الشمالية)، تشمل بعض الصوامت المصاعفة فيها
أحياناً، ومعزل عن اشتراكها في ممة، الدالّ لدليل ما، وظيفة الإحالة
إلى اسماء الفيرمانية للمحاطب^(٢٨) عبر أن هذه الحالة من البرميه
لصوتة تنقّى مفردة صمّر مجمل لألسنة المعروفة

إن السمة التي تقرّت الصويبات من الوقائع الطمعة أكثر من

(٢٨) راجع كتابا السابق الذكر C. Hagege, *La grammaire générative Réflexions critiques*, op. cit., p. 146.

غيره، في العديد من لغات إفريقيا وحسب شرق آسيا وأميركا وأوقيانوسيا، هي سمة النغم أي للحرف لصوتي الذي يميز وحده الأحرف الصائتة أو المقاطع المتطابقة، سواء عن طريق التسوي أو حركة اللحن المساعدة أو النارة أو ذات لاتجاهين. ونجد بالتأكيد هنا حالة من ارتباط النغمات بالمصامير. فهي بعض اللغات الإفريقية يحل النغم الأكثر ارتفاعاً، أي الذي يقابل التردد الأعلى بحسب المصطلحات السمعية، محل النغم المعجمي أي النغم الأصلي (وهو على الأعد مرتفع أيضاً) للإشارة إلى منطوق تقريرتي شديد القوة، وخاصة لإبرار (للتكرير على) معلومة مهمّة وعلى العكس من ذلك، يرتبط النغم لأكثر خفضاً، وعن طريق الإبدال أيضاً، بأحد الأحرف الصائتة في إحدى كلمات المنطوق الحامل لمعومة أقل أهمية أو لا تتميز بالجدّه. هذه هي الحال في لغة التورا (toura) والووسه (wobé) (في ساحل النجاح) والإيميك (efik) (في نيجيريا)^(٢٩) وسقى هذه المهمة الإحاربة المصوّطة بالنغم بدرجة الوجود إحصائياً، خارج تلك الألسنة المذكورة وبعض الألسنة الأخرى غير التي تشهد مثل هذه لظاهره. ويسهل فهم السبب في ذلك. إذ يتشفر النغم في أنطمه داخل لألسنة بحيث يصبح جزءاً من الأدوات المميزة. فيكون له، داخل معجم هذه الألسنة وأحياناً في فواعدها، مكانه السمات المميزة الحاضنة بالأجراء الحاملة له. إذ يسهم النغم في تحديد هوية تلك الأجراء التي عاباً ما تكون صوائت، تماماً كما تسهم الموضعه (لصوائت المنطوقه من مقدمه النغم أو من حذوه) والقشخ (الصوائت المفتوحة مثل a والصوائت

(٢٩) T. Bearth, «Is there a universal correlation between pitch and information value?», in *Wege zur Universalienforschung. Sprachwissenschaftliche Beiträge zum 60. Geburtstag von Hansjakob Seiler*, hrsg. von G. Brettschneider und C. Lehmann, Tübingen, Gunter Narr Verlag, 1980, p. 124-130.

المعلقة مثل ١) والتدوير (الصوائت المصنومة مثل ٢) وعبر
المصنومة مثل ١)

نرى إذاً أنه من غير السهل تأكيد حساب القيمة الرمزية للعم
الكلام بحجج متبينة وبما أنه من الأصعب أيضاً، مطلقاً، محاولة
ذلك مع عناصر الأصوات غير المرتبطة بحركة لحيية، أي الصوائت
ولصوائت نفسها، فقد يبدو أن هذه لأخيرة على الأقل لا تتسع مثل
هذا لحساب لكن على الرغم من ذلك لا يستسلم البعض ولا
تخلون عن الاعتقاد القديم بسحر اللسان، هذا الكهف الواسع حيث
تردد صدى أصوات لعالم فهذا الاعتقاد حي مد العصور القديمة
وعيد الإفرار بأن شكل أعضاء جهاز الكلام نفسه والحركات التي
يمكن أن ترسم عليها تروحي بوجود أساس لهذا الاعتقاد. إذ يشير دو
بروس (De Brosse) الذي سبق وذكرناه إلى هذا المشابه الممكن
«يصح الصوت الناتج عن شكل العصور وحركته الطبيعية () اسم
الشيء»^(٣٠) ويرى معاصره الفس كوبيسو (l'abbé Copineau) أن
«الانطباع الذي يعطيه اللون الأحمر (rouge)، الحسوي ولسريع
والصعب على النظر، يترجمه الحرف R (حرف الراء) بشكل رائع إذ
نترك في السمع انطباعاً مماثلاً»^(٣١) وبصورة أدق، فإن حرف الراء
نفسه ينصف، عندما يكون مُردداً (roulé)، نوتراً وتذبذباً للسان
ويمكن اعتدله صوتاً معوطياً^(٣٢)، إذ يؤكد البعض أن «اللسان وعصو
الدكوره هما البيتان العضليتان لوحيدتان المرتبطتان بعظمة واحدة كما
أن شكل اللسان ولونه يدعمان مثل هذه المماثلة»^(٣٣) يبدو أن مثل
هذه انترميزات المعيشة قد تؤكدها وقائع مختلفة مثل تكرار حرف لراء

(٣٠) De Brosse, op cit, p. 9

(٣١) انظر Essai synthétique sur l'origine et la formation des langues, Paris, 1774, p

M Foucault, op cit., p. 123 فلا عزم فوكو

(٣٢) انظر I. Hollós, «Die Phasen des Selbstbewusstseins», Internationale
Zeitschrift für Psychoanalyse, 8, 1922, p 42, 439

(٣٣) انظر J. Fonagy, La vie voir Paris, Payot, 1983, p 97

في النصوص الشعرية التي تتحدث عن موضوع الرحولة في شكلها المتعرج أو عن العريرة الجنسية الذكرية^(٣٤)، حجل واضطراب الفتاة التشوكتشية (tchouktche) (هي شمال غرب سيبيريا) عندما تقع في أحد النصوص، وهي تقرأ في درس اللسان، على كلمات فيها لراء المرذدة، وهي حرف صامت لا يستعمل في ذلك اللسان إلا في كلام الرجال، بينما يستعص عنه كلام النساء بالحرف الصافر الحثكي الأعلى (š) (ويقابله في الكتابة الفرنسية ch) (ش)^(٣٥)

أما حركة اللسان باتجاه مركز الحث فتبدو محاكاة للتجاور، وبالتالي لكل ما يربطه الخيال به من حميمية وعدوية ورفقة وصغر وكثيراً ما يقال بأن الحرف الصامت الجوف أو الحثكي الأمل هو حرف ال (الياء) وأنه يظهر بصورة شبه عالمية في كلمات تعني petit (صغير) أو تعني مفهوماً من هذا القسل كما يشار أبصاً إلى أن أصواتاً أخرى تطلق من جهة الحث والحث الأعلى، مثل الصامت الصافر š (ش) والصائت ll (الذي يقابله ll في الفرنسية)، تظهر في لغة الناعين العاطفية أو الرفعة عند محاكاة الحيوانات الداجنة على سبيل المثال إذ يمنع إحسان دعدة اللسان لأعلى الحث، عند النطق ببعض الصوامت الحثكية، هذه الأخيرة حواضاً توحى بحركة الإثارة الحسية وهكذا يتم بصورة كلية، وبشكل نصف واع، شبيه جوف النعم بالأعضاء الحسية الأنثوية وتثير مردات العديد من الألسنة مثل هذا التشبيه شكل صريح في حالات كثيرة كما في كلمة lèvres (شفاه) في الفرنسية ونحدثك إبراهيم (K. Abraham)، في موضوع اللذة التي يحس بها أحد مرضاه عند مداعبة سقف حلقه بسنانه، عن «الاسماء العموي»^(٣٦) كما أصبحت من الأمور العادية

(٣٤) Ibid. p 96-97

(٣٥) V. G. Bogoraz, «Chukchee», in *Handbook of American Indian Languages*, II, Washington, 1922 (p. 639-903), p. 665

(٣٦) *Etape prégénitale*, 1916, chap. du *Développement de la libido*. Œuvres complètes, II, Payot, 1966, p. 246

لإشارة إلى العلاقة بين لمأمة (لميل إلى تكرار حرف المسم m) ولحين إلى ثدي الأم الذي ترصعه الشفتان، وإلى القبلة التي تعطيها وتلتقها هاتان الشفتان، وأيضاً إلى العلاقة الجنسية.

إن الاعتراض الذي يمكن توجيهه إلى جميع هذه الملاحظات، وهي تقليدية في الأدبيات المكرسة لدراسة تحمير الأصوات، لا يتعلو بكونها خاطئة وإنما بكونها لا تأخذ إلا بحرف من الحقيقة فالكسائت الجوهرية التي توحي بها بعض الحالات الملمنة تفقد صحتها ما إن نتوسع في التحقيق فهناك أمثلة مصادة كثيرة تدحض العلاقة بين حرف الـ i (الياء) ومفهوم الصغر (petitesse) فمن بين مجموعة نصم حوالي ٧٥٠ لسان نجد أن ٥٨ / منها تؤكد ذلك، و ٤٢ / تدحضه^(٣٧) وبعض تلك الحالات التي تدحض العلاقة معروفة جداً big بالإنكليزية، "كبير" بالعربية وصحيح أن في الهندية kici (صغير) إلا أن فيها أيضاً apró (صغير جداً) والحق أن تصور الألسنة لا يطابق بالضرورة تحييل لناطقين بها وتظهر تجربة مثيرة للفصول^(٣٨) أن عدد من الكوريين - والمعروف أن لعنتهم تدخل صمم تلك لني نعطي أمثلة مصادة (والعديد من الكلمات التي تحوي على الصائت المفتوح a تعني الصغر) يربطون مع ذلك، وكمعظم الآخرين، معنى الصغر بحرف i والكبر بحرف a عند الإجابة على ستمارة تعلق بالكلمات المستكرو وهذه من الحالات (وهي أقل من غيرها من الحالات المصادة) لني لا تأخذ فيها التمثلات مما يقوله اللسان وإنما من ردود أفعال حسية غير مرتبطة بالعامل اللساني

مهما يكن من أمر، فهناك العديد من الأمثلة الداحضة لمقولة

(٣٧) انظر C. Hagège, *La structure des langues*, op. cit., p. 25 يأخذ هذا الحساب بعين

الاعتبار الحالات التي يحوي الوجهين في اللسان الواحد

(٣٨) راجع K O Kim, «Sound Symbolism in Korean». *Journal of Linguistics*, 13. 1977, p. 67-74

تحمير الأصوات اللسانية بحيث لا يمكن أن شجبت التساؤل جدياً حول مدى صحتها لا شك في أنه كان هناك رابط طبعي، في أعماق ما قبل تاريخها، بين بعض المعاني وبعض الأصوات وهو ما يبرز ظاهراً في القدرة الإيحائية التي يصفها على هذه الأخيرة، والتي عالمياً ما نبالغ في تقديرها المجاملة التأويلية المعالية للرسائل المدرسة المظنعة بعلوم النفس التحليلي إلا أن التطابق يرفص مسبقاً بفعل تلك الحقيقة الماثلة هناك شرح واسع يفصل بين لانهائية المعاني التي يمكن التعبير عنها وبين العدد المحدود جداً للأصوات التي يستطيع الجنس البشري التطور بها، بحيث يستحيل على أحد هذه الأصوات أن يحتضن، بصورة منظمة ومُجمع عليها، في برحمه محال واحد من العالم لسائياً كما لا يمكن للتعارض بين الأحرف الصامته والصائته - وهو من بين وسائل الاختلاف لواسعه النطاق البادئة في الألسنة - أن يبقى انعكاساً لتعارض حاصل (حشوة/عدوة) بين أشياء العالم الحسي، خلافاً لما يقوله روسو في المقطع الذي استشهدنا به سابقاً من رسالته (*Essai*) لا يمكن ذلك حتى وإن قلنا بوجود مثل هذا الدور للتعارض في طفولة الجنس البشري (في اللسان "الوحيد" الذي تنصه هذه الرؤية، أم بصورة مرامنة في الألسنة التي ظهرت في مختلف بقاع الأرض؟) إن الوحدان اللذان للأدلة يُحلل إلى صويتات، أي إلى وحدات صوتية تميز الكلمات عن بعضها البعض لكنها لا تنطبق على مدلول خاص محدد. إذ لو كان للصويتات مثل هذا المدلول، فكيف لها أن تقوم في ان معاً بمهمة التعبير عنه ومهمة تمييز الكلمات، وهي مهمة موطنة بها داخل كل لسان؟ كيف لها ذلك وعددها لعليل وبشكل عام فئة الأدوات الشكلية التي تملكها الألسنة، بالمقارنة مع لامحدودية ما يمكن التفكير فيه، هما من بين أسس وفرة الحاسات اللفظية؟

من بين السائح غير المباشرة لما سبق هي أن الاصطلاح

والنحفير لا يعتمد بعصهما، على العكس مما يُعتقد عالياً فمن الحائر إظهار لناظر الذي توحى به السنة الشرحية لأعضاء لطق وفير يوحيا الكلام غير أنه لا يمكن أن يعرب عن بالك أن على الدعاب استعمال وسائل الميير القليلة التي تتيحها الطسعة إلى أقصى حد ممكن وبالتالي فإن الاصطلاح مطوع في مصير الألسنة لهذا السب، وتجاوز بعض أساليب الطق الخاصة، فإن التعميمات حول لسنة لإسايه المتنوعة للأصوات عند المفرد به بينها سرع دتم إلى الفرصيات، اللهم إلا إذا أدخل عليها بعض التوارد بحسب الحفر الذي تُطنق عليه وسذكر ي بودون دو كورتيه (I Baudouin de Courtenay)، في محاضرة له بعنوان Hommisation de la langue (أسنة اللسان)^(٣٩) عام ١٨٩٣، ثابته متعارضتين الأولى «س الحجرة وحرف لعم شكل عام» والثانية «وهي التي ملاحظها، في جوف الفم، بين الأحراء والأعضاء الحنفيه والأجراء والأعضاء لأمامة» ويابع قائلاً «ستنج في كل مكان تراجعاً يميل إلى الروال لشاط الحجرة لصالح شط حوف الفم، سواء باحتفاء انشاط لأول بكل ساطه أو بحلول الشاط الثاني محله بصورة جرتية ولأحرف المهتوتة لهدمة الأوروبية انقدمة ph, th, kh, bh, dh, gh، التي كانت تُطوق بنفس يوند في الحجرة، تشهد اليوم في الألسنة الحديثة من العائنة نفسها انحصاراً مهماً في معدلها فهي قد احنف من دون ترك أي أثر في ألسنة صلالة وبلطيقية (مثل اللينونية Lituanien والليتونية Letton) وهي السنتنة والإبرية ونقيب السنة الحاسمة لعميرة في لبعض الآخر مرور هذه الأحرف من الحجرة إلى جوف الفم كما في الألسنة الجرمانية واليونانية . إلح يحدّد هذا لانتقال للشاط الكلامي من لمناطق لعميه المحمية إلى المناطق

(٣٩) مي 1893, p 153s, (ناربر اليوم) Annales de l'Université de Dorpat
 ندم بلص وبرحمه كلود حجاج في A. Jacob, Genèse de la pensée linguistique.
 Paris, A. Colin, 1973, p. 162-164.

الأعلى المتقدمة والقريبة في هذه الحركة نحو الخارج، والذي هو بمثابة حكم مبرم على حياة اللسان، يحدد هذا الانتقال إذاً كل التطور التاريخي لجانب اللسان الصوتي وأرى فيه أسس تراتبية ذات مراحل متنامية ويسجم هذا الارتقاء لشاطئ الكلام، من الأعماق إلى السطح فربما من الوجه، بشكل كامل مع الوضعية الجسدية لمخلوق يقف على قدمتين وينفي منتصباً ينظر من عليائه بجرأة إلى العالم المحيط به»

لا شك في أن وضعية الوقوف وبحرير الأعضاء الأمامية ورفع الرأس قد أدت دوراً جوهرياً في مصير الجنس البشري، كما يرتبط بذلك بصورة وثيقة تطور حجم داحل قحف الجمجمة. إلا أن عوامل الزمن تحتل هنا لأن الأمر يتصل بتطور الألسنة في التاريخ لا في ما قبل التاريخ فإذا ما أخذنا براء بودوان دو كورنبيه قد يكون علينا اعتبار لسان كالعربية، وهي غنية بمخارج النطق المختلفة، لسان مجتمع بدائي والحقيقة أن الكاتب يقدم كسمة كلية للجنس البشري سمطاً من التطور يعتقد أنه حطّئي، سيما لا يظهر هذا التطور في الألسنة الهندية الأوروبية، التي من المفترض أن تطلق عليها، إلا كجرء من دورة لا كحطّ مستقيم (انظر الفصل الثاني، ص ٥٢ - ٥٣، والفصل العاشر، ص ٣٢٨) وبالتالي فإن النطق الخارج من الحجرة لا يعني بالضرورة أسس أقل وهكذا فإن السعي إلى الرمية الصوتية نمكر أن يصلنا، هنا أيضاً، وإن نطلق من أسس وفائعية قوية

فهل هناك دقة في التسميات يجعلها تعكس الطبيعة، أم أنها، في كل مجتمع، ولادة اصطلاحية بحتة؟ إنه السؤال الأول الذي طالما أزعج كراتيل (Cratyle) وأزق أيضاً، في عصر أفلاطون تهرين وأما في قصاء آخر بعيد عنه، الفيلسوف الكونفوشيوسي فقد يتصل الحدس باللغة في مستواه العام، لكنه لا يتصل بالألسنة إذ يؤكد هيرموجين (Hermogène)، معارضة كراتيل، أن أسماء محتلة تقابل في ألسنة محتلة المسند إليه الطبيعي نفسه إذ تعدل أنظمة لصوت في اللسان الواحد باستمرار، وبالتالي فإن اسم شيء م

ينعزل بدوره لكنه لا يتوقف عن سمة هذا الشيء (ومن دون أن
يعتبر هذا الشيء وفق الإيقاع نفسه) وأخيراً فإن الأصوات التي يحق
أن تربطها بموضوع ما موحدة أيضاً في دالات الأدلة التي لا تربطها
علاقة بالموضوع

ليس هذا، كل ما في الأمر إذ ليس لعالم لمسند إليه الذي
تتكلم عنه اللسان من قدره على التحكم المباشر بالصوتيات، على
اعتبار أنها تتحدد أولاً بتصاممها الذي يؤخذ كل صوت منه، في
الكلمة التي يظهر فيها، مع كل ظهور له في كلمات أخرى وتضاف
إلى هذه السمة الأساسية في هوية الصوت شبكة العلاقات التي تربطه
بالصوتيات الأخرى، داخل الأنظمة الصوتية لكل لسان وتلاحظ هذه
الاستقلالية للممثل الصوتي بالسمة إلى ما يمثله بوصوح في اتجاه
التعبيرات التي نصيب الأنظمة الصوتية للآلة، وإن صح أن أساس
هذه تطورات عارضة في معظمها إذ تشكل هذه الأنظمة بسمة إلى
حارجية لمسند إليه، كما يتشكل أيضاً اللسان نفسه كسمة تمثل
والعلاقة الوثيقة التي لا تنقسم عنها لا تؤخذ بين الدال والمسند إليه
وبما بين الدال وبين ما هو أشبه بمسند إليه مُرجأ، أي المدلول
ولدت صورة واضحة عن هذا الفرق إليها انتماء المدلولات بدورها
إلى شبكات متصامة مُشكّل، داخل كل لسان، سمة المفردات
المعجمية وددك لا يمنع بالتأكيد لمسند إليه من أن يكون جزءاً من
عناصر بناء المعنى وتأويله إلا أن الارتباط الحميم بين وجهي
لدلّس، أي بين لدال والمدلول، هو الذي يصمم في آن معاً
مكائهما، لسانيه واستقلاليته

وهكذا، فإن كل ما تُظهره الظروف حدث التحميرية هو القدر
الإيحائية لبعض الأصوات ولبعض التوليفات الصوتية في حالات
محددة وإذا ما كانت هذه القدرة تتيج مجالاً للتعبيرية فهي أيضاً
مسجّمة مع طسعة الأصوات الاصطلاحية فهذه الطبيعة اصطلاحية لا

اعشاطية (وهو المصطلح الذي استعمله سوسور) لأن الاعشاطية تنصّص معنى العرصة الحبة وحرية الاختيار في وقت واحد لكن لتجويرات المتفرقة تدحض العرصة، ويجعل جهلاً بطعونه الألسنة الصاربه في العدم حرية الاختيار مشكوكاً فيها ويمثل نمط من المحاكيات الواسعة الانتشار في ألسه إفريقيا وآسيا، وهي الأصوات التصويرية، تلك القدرة الإبحائية. يد تُستخدم هذه الأصوات أساليب في الطق أو توليفات صوتية، تعبيرية نسب بدرها السسه، لتعبر لسانياً عن انطاعات حسية أو ذهنية محدّدة تتعلّق بأشياء أو حركات أو ظروف ما ولكن على العكس مما هو متوقّع، وعلى الرغم من الفشارية التعبيرية التي يدلّ عليها استعمال أكثر الرواء موهة لها، فإن الأصوات التصويرية جزء دقيق انشعير من مفردات الربط الاصطلاحي بين الأصوات والمعاني يتعرّف عليها جميع الساطقين لمتعمس إلى الجماعة اللسانية نفسها ونبرع الدعة الكوردية، من بين غيرها، في ضبط التوري القائم على تناوب أحرف صامتة مدنية، هي أصوات تصويرية مصاعفه، وتنوعات محدّدة لمعاني بسية داخل سة دلالية مطّمة يقال على سبيل المثال golang golang (الحرف البدني الصوتي g) للدلالة على صوت سائل في إناء غير مليء أو على شحص كثير التردد ويقال kolong kolong (الحرف البدني المحووف k) للدلالة على صوت أشدّ في مكان صيق ويقال kholong (المهتوت البدني kh) للدلالة على صوت سائل في وعاء شه فارغ يضاف إلى هذا التشعير الدقيق أن الأصوات التصويرية ليست جميعها عائبه عن بقية مفردات الألسنة المعيبة، والسبب في ذلك هو دائماً شخ الأدوات الصوتية النميريبة الذي يؤذي إلى الاستعمال المرديد لكلّ منها، بحيث لا يمكنها، في ما يتعلّق بالأصوات التصويرية وبأنماط الأخرى للمحاكيات، الحديث عن رمزه صوتية بمعناه الدقيق فالمرمر ليس اصطلاحياً بقدر الدلس اللساني، يد يحتفظ بعلاقه قابلة أكثر للاستدلال مع الشيء الذي يرمز

إليه، وإن كنت هذه العلاقة غير مكتملة، المعالم ولا تترك طبيعة
لأدلة اللسانية الاصطلاحية إلا حبراً صثلاً نسباً للشاط لمرى،
حتى في حالات المحاكاة لظاهرة

القواعد الأيقونية

هل هناك في الألسنة على الأقل، وفي عاب رمزية صوتية
(معلقة بالأصوات) بمعناها الدقن، رمزية صرفية (معلقة بسببه
الكلمات المنظومة في مقاطع)؟ بعبارة أخرى، هل تمثل أحداً نسبة
الكلمات، ومجموعة الكلمات والجمل، الأشياء لى تشير إليها؟ قد
يوحي بذلك ظاهرة عالمية مؤكدة بصورة واسعة في الأصوات
التصويرية نفسها إنها ظاهرة التعددية اللى تشكل لمصاعفة أكثر
حالاتها انتشاراً ويمكن وصفها بالأيقونية على اعتبار أن تكرار مقطع
أو اثنين أو أكثر من مقطع كلمة ما، أو الكلمة بأكملها، بصور
المقصود بشكل ما، أي بصور التعددية والاستمرار ولشدة والندرج
واحدة وتعمل العديد من الألسنة هذا الإجراء ضمن مفرداتها،
وحى في قواعدها الجمع أو لشكر المشدد للأسماء، صيغة
الكرار، صيغة الاستمرار وصيغة الندرج إلح في الأفعال لكن
حتى هنا، تُشكك التعيرات الملاممة بطسعه للمعة في لعلاقة الظاهرة
في البدء وتؤدي إلى إرلة تحفير السى وتعتبر صيغة التام النوبانية
القديمة وللانية حير مثال على ذلك إد بقال *tango* (c. touche)،
المس (tetigi) (ai touché) لمست)، وهي صيغة أو من قواعدى
نحت تصعب فيه ثر القيمة التعبيرية ويمكن أن يصعب أمثله أخرى
كثيرة

هل يُعطي علم تراكيب السى، خارج المصاعفة، حالات أكثر
بقاعاً بالأيقونية؟ ملاحظ عالماً نوارياً بين الواقع واللسان في التعبير
عن علاقات انتماء ملاممة تفرساً، وعلاقات علنة مباشرة تفرساً،
وعلاقات معلومة لعل ما قوية تفرساً، وعلاقات تناعية فورية تفرساً

تُقبل هذه العلاقات التي يمكن جمعها وشملها جميعاً، على الرغم من تنوعها، في ثنائية مفهومية هي الاتصال/ الانفصال، سنان متمايزتان في العديد من اللغات بنية تُعزّز عن العلاقة المتصلة وتستدعي، كما لو كانت تحاكي ظروفاً بالفعل، أدوات لسانية إضافية بشكل كلمه قواعدية محسنة التوسيطية (اللامباشرة)، بينما تُشرك البنية الأخرى بالتجاور العاصر المتصلة

تسمي العبرية الإسرائيلية والبالو le palau^(١٠) ولغات الماندي mandé (في إفريقيا العربية) الملكية عبر العائلة للعمل (ملكية أجراء الجسم أو الأقرباء المباشرين) بلاصقه أو بمجوز تجاور، بينما تسمي الملكية القابلة للنقل (ملكية الأعرص أو المعاهيم التي لا تنتمي عصبياً إلى المالك) بوحدة دلالية صغرى مستقلة. والوحدة الدلالية الصغرى التي تسمي العلية غير لمباشرة، في اللغة الأمهرية amharique (في إثيوبيا) والميكسيتيك mixtec (في المكسيك) واليانانة، هي أطول وأعمد من تلك التي تسمي العلية المباشرة^(١١) وتوحد في المدرسة حالة قرية، فودا أحد حمدة je lu ai fait apprendre sa recitation (حفظته الاستظهار) فودا lui، وهي تعزّز عن حالة موارد تسمى أحياناً "غير مباشرة"، تتضمّن هنا مادّة أضعف للصغير المفصل je مما بعده في عبارة je l'ai fait apprendre sa recitation حيث 'ا' حالة مباشرة وتعارض لغة التوجان le tongien (في بولسيري) والكابارد ke kabarde (في القوقاز) والبالو le palau بين بيتين للمطوق دي الفعل المتمدي، الأولى لا تحوي وإثابة نحوي وحدة دلالية صغرى ترمز إلى المسافة بين عمل الفعل وتبعته، بحسب العمل إن كان باحراً تقريباً أو بلغ عرصه بشكل

(١٠) راجع C Hagège, *Les catégories de la langue palau (Micronésie) Une curiosité typologique*. Munich, Fink, 1986.

(١١) راجع J Harman, «Iconic and Economic Motivations», *Language*, 59, 4, 1983, p. 781-8.9

عميق نمريناً^(٤٢) ويظهرُ هذا التعارضُ في المرسية في العلاقة بين
لثائيات التالية

Fouler ses poches/fouiller dans ses poches

فَشَّ حِيوَه/فَشَّ في حِيوَه

Pénétrer un objet/penétrer dans un objet

ولَح انشيء/ولَح في انشيء

Toucher quelque chose/toucher a quelque chose

لَمَسَ شَيْئاً/مَذَّ يَدَهُ إلى شَيْءٍ^(٤٣)

وأخيراً، تقدّم لغة العيمه le fèfè (في الكامبيرون) والموريه le mooré (في فولت العيا / بوركينا فاسو) وألسنة أخرى إفريقية وآسيوية، سي
د ت سلاسل فعنية يرتبط فيها فعلاّن سلسلة مباشرة أو تفصلهما أداة
ربط وفق حاله الأحداث التي تفصلها خارج الحطاب إن كانت
متلازمة أو متتالية، أو وفق ما هي عليه إن كانت متتالية رميياً
وحسب أو مرتبطة بعلاقة عائية. فلعنة العيمه تُعرَض بين البيسين
لتلتس à ká sá n zā wúzā (وبعني حرفياً "هو ماص جاء و
أكل طعاماً"، أي جاء وأكل) من جهة، ومن جهة أخرى à ká sá zā
wúzā (جاء بياكل).

وهناك أمثلة أخرى ترسم لأحداث لسانياً، مثل المثال العربي
لغة الهوا hua (في عيسا الجديدة) إذ تسمُ هذه اللغة التادل بمعزقة
ربط فعل يقع في آخر المنطوق بلاحقه وطبيعتها الإشارة إلى أن
الفعل لا يقع في آخر اللامنطوق وأن فعلاً آخر يلحقه وبالتالي
نكمز أثرُ هذا الربط في إزعاما على العودة إلى أول المنطوق
ولا يمكن تأويلُ ألسنة اللسانية هنا إلا من خلال هذه العودة إلى

(٤٢) انظر C. Hagège, *La structure des langues*, op. cit. p. 50-51.

(٤٣) انظر C. Hagège, «Pour un retour d'ex. des périphériques», *Modèles linguistiques*, V, 1, 1983, p. 16, 107.

الذات التي ينصتها العمل «المصادر»^(٤٤) والحق أن القواعد، في هذه الحالة كما في الحالات السابقة جميعاً، تدور وكأنها تأخذ عن طريق محاكاة سمة من ظواهر العالم غير أنها حالات متواترة لا قوانين كلية ومن جهة أخرى، فإن خواص لنشأته مع العالم الخارجي المتمثلة هنا ليست خواص الأصوات وإنما هي لحمل، وهي أكثر تجريداً

حلم اللسان السحري

من الممكن، في حتام هذا السر للأدلة التي تُمنح فيها لحياء وليس القواعدية الأيقونية، الحديث عن سحر في ما يتصل بتحفير الواقع اللغوي، أي في العلاقة الشفافة التي تلاحظ أحياناً بين المعاني والأصوات؟ بد مسيئلاً السلوك السحري لعمل بلعبه المحاكاة، ويمسح هذه اللعبة قدرة إعادة ابتداء العمل أو تحريضه فالمصادر، الوعية إلى حد ما، التي تميل في تاريخ الألسنة إلى تقليص مجال الاصطلاح بدو كإسقاطات صوتية لسلوك سحري عبر أن هذا لسلوك ما لست، بعد فترة من الزمن، أن تحطم على صحره الاصطلاح والحصنة أن ذلك لم يتم من دون إحداث شرح فيها، وكان هذا كقوة لتحريك مصادر أخرى تؤكد الملل الدائم إلى إعادة التحفير الذي بشكك في التعابير الاعشائية ويترك في تاريخ الألسنة بصمة أولئك الذين يستخدمونها في فعل الحائط ولكن كانت الأمور أكثر بساطة لولا الحوادث بين هذين القطبين من الدليل المُحرر والدليل الاعشائي فالشاهد المعبد للتحفير هو معاً نتاج ميل ارتدادي أو ارتكاسي للكلام وحاجة تعبيرية لتجديد الأشكال بجعلها أكثر تصامماً مع الأشياء التي تمثلها وإعادة توطين العالم وأصواته

(٤٤) J. Haman, «The Iconicity of Grammar Isomorphism and Motivations», *Language* 56. 3, p. 545-540.

داخلها وهكذا نجد الألسنة لشريعة تنتقل من اصطلاحه إلى اصطلاحه مروراً بالتحفيز في مسرة لا تسهي عمر مجموعه من لأطوار ومع ذلك، فإن كان باستعدتنا القول إن الاصطلاح يهيمن بشكل كبير فذلك لأن هذه الأطوار لا تنطبق إلا على جزء من المفردات المعجمية أو من القواعد والدليل الدسامي يُرى في الأساس وفي تطور حتمي، الجوهر المادي الذي ولد منه والذي كان نُشئت حدوره في العالم به ضرورة عمل نحاري

بقول ضرورة لأن الأمر لو لم يكن كذلك، أي لو بقي الدليل من دون أي إردج يحيا مرتبطاً بالعالم، لأصبح التواصل مستحيلًا بعد حين، أو شقّ تواصل نافع للتسيط طريقه وأصبح وحده صوتاً وبالتالي لما يمكن الدليل من أن يصبح عرصاً سيمائياً بحثاً له خاصة لإدلال بإساح معنى مستخدماً الأصوات فالألسنة لم تكن لتوحد من غير دفع هذا الثمن، أي قطع السلاسل التي تحد من انطلاق الدليل، وشرط أن يصبح الدليل أداة اصطلاحية هي لمثل وأن يعنى من قود ما يمثله ولا تضمن الألسنة املاك العالم خطائياً إلا تنريح جوهره من العالم وبو امنكت عدداً من الأشكال المسوعة نوري عدد المفاهيم والأشياء ولعلاقات بينها في العالم الخارج عن اللسان، لأصحت تلك الألسنة غير قابلة للاستعمال بسبب انبعاث الهائل الذي تعرضه على لداكرة والحق أنه لم يشز أحد إلى وجود لسان بحسن هذه السمة في أي مكان من العالم ولقد جعلت المجتمعات الإنسانية هذه الألسنة، وسبب خواص تعود إلى لجس الشري، أنظمه تميز بالمعرفة ومع أن الألسنة توجد في كل مكان وتتحوّل باستمرار في مختلف أرمة التاريخ، فإنها أنظمه لا عُمر لها ولا مكان، وفي الوقت نفسه يظهر تجنّياتها المتتابة في الزمان وفي المكان ولقد شككت هذه الطبيعة المزدوجة الألسنة التي تُخيد بوجودها نفسه

هذه البعثة الشاقصية - وحولتها إلى أدوات سامية للتجريد

إن مثل هذا المصير مليء بالدروس فإن كانت الألسنة، وهي بحد ذاتها ليست معارف، قد تشككت وفق هذه الصبغة فكيف لنا المصادقة على هذا الاعتقاد، الذي ينسلل اليوم بهدوء إلى الإعلام الجماهيري الذي يرى أننا نشهد في البحث العلمي في نهاية هذا القرن العشرين انطلاقاً ممكنة توافق ما بين العقلاني والرمزي؟ إذ يؤكد أصحاب هذا الاعتقاد أن العلوم، ومن العيريه إلى البيولوجيا، أصبحت تعتمد أكثر فأكثر على إحصاءات وتصورات (انحطال الوريثي والتفاعل المسادل وعدم القابلية للمصل إلح) ليست بعريية عن الفكر الأسطوري وعن السحر والحقيقه أن بعض الصيغ المحاربة للعلماء يمكن لها، اليوم كما بالأمس، أن نحمل تلك المدة على الإيحاء، لكن ذلك لا يعني أن العلوم تتحلّى عما يبرز وجودها أي عن السعي العقلاني بفهم لكون وقوايه وتظهر الأكسنة البشرية في تاريخها الطريقة التي يتعلّق فيها الفكر بالأساطير ويصلب منها في آراء معاً

ليس لهذا تأرجح من نهاية إنسان الحوار نحن إلى الكون، لا بمعنى أنه من الجنون بحيث يؤدّ، محالاً تلك البدهية التي فرصت نفسها منذ أيام أرسطو على الأقل، لو تكون باستطاعة العدد المحدود من الكلمات أن يكفّي لتمثّل العدد اللامحدود من الأشياء وإنما بمعنى أنه لا يستسلم لروايات آثار العالم المادي عن اللسان لهذا السبب بالذات تُحصرنا جذلية الاصطلاحات والمحفّر ثبت ما عن الإنسان المكلم، هذا الإنسان الدائم الحيرة إذ يستولي عليه دورياً من الرعدة في الالتصاق بعالم الموجودات ثم ما يلبث أن بشيح بوجهه عنه أما الأنظمة الصوتية التي يشكّلها لسانه بصورة لاشعورية، والتي يفاوم بماسكها مختلف العوامل الحارضية الرامية إلى إبعادها بوردتها، فلا تنهذهما الشخصات التعبيرية، التي بعرضها فيها

من عصر لآخر وتبقى تلك الأنظمة محفوظة معاً عن صحيح
العالم وأصواته وهكذا يتضح الإنسان، الهيمة نظام التحرير ويسبي
أنظمة التصسف، لكنه لا يمنع تماماً عن قول الطبيعة معماريته
عقلانية، إلا أن عريته تجعله يميل أحياناً إلى السحر

الفصل السادس

اللسان والواقع والمنطق

اللسان والعالم

يرى انشُر أن لعالم موجود بقدر ما تعطي ألسنتهم أسماء لما
يستطيع حواسهم وأجهزتهم رصد من هذا العالم إذ لا تأتي الأشياء بأن
يكون لها أسماء أو لا يكون، وإنما تأتي الحس الذي يحيا بها بإطلاق
لأسماء عليها تلك هي حقيقة حول اللغة يُذكر بها، داخل صياق معبر
وربما موضح أشبه بالدراسات النظرية، أكثر لأعمال التحليلية لغوية
Alice au pays des merveilles (أليس في بلاد العجائب) إذ يسأل
انطووس أليس «هل تُجيب الحشرات عند مداداتها بأسمائها؟»، وترد
عنده أليس «إياها لا نعم، على حدّ علمي»، فيسأل انطووس قائلاً
«أما نعم هذه الأسماء إن لم يجيب عند مداداتهم بها؟»، فتجيبه أليس
«إياها لا تنصعها في شيء، لكنني أعتقد أن في الأمر فائدة لئلا
يسمونها وإلا فما مرر وجود أسماء للأشياء؟»^(١)

ومع ذلك فانسمية ليست إعادة إنتاج، بها تصنيف وإعطاء
اسم للأشياء لا يعني وضع بطاقة عليها كما إن تركيب حمل أو
تأويلها لا يعني لقاط صورة فوتوغرافية للأشياء أو تأويلها إذ لا
يمكن لأي فكر أن يوحد لو كانت كلمات الألسنة مجرد صور
للأشياء فالعلم لا يمرر فكر، وإنما يُمكن للإنسان الذي يُنشئ
حادثات حول العالم أن يفكر لعالم والكلمات، وبالتحديد ما يُطلق

(١) L. Carroll, *Alice's Adventures in Wonderland*, (1865), London, Macmillan, 1896, réed. New York: Potter 1960, p. 225

عليه في اللسانيات اسم الأدلة (راجع الفصل الخامس)، ليست إداً مجردة بطفافات إدا ما جمعها وقما بعملية حرد لها تشكلت لديها الألسنة وهي ليست مواد مصنعة يمكن إحصاؤها، بل هي مصادر المفاهيم المحردة فوسطها سظم الكون في طبقات مفهومية، طبقات لسب إدا ملارمة بطبيعة الأشياء بأي شكل من الأشكال فاللسان يعد، ولاستعماله الخاص به، ساء أشياء لعالم انحرحي ومفاهيمه (التي، كما سبق ورأينا، تشكل ما يطلو عليه اللسانيون اسم المسد إليه) تملكها ويحصع هذا الساء نفسه للتعديلات، لأن الاستخدامات في حالات الحطاب تتعثر باستمرار، كحال السامح الأيديولوجية التي تعمل داخلها

وهكذا تعيد الألسنة استدع العالم من جديد وهي تقوله وهي تُنظم الأشياء والمفاهيم وفق ما يمكن أن يطلو عليه اسم مبدأ عملية البناء المزدوج

تتدع عملية الساء الأولى المقولات بالسجريد ورتبها هرمياً والعالم لا يحوي أشياء تُمثل المتعدد والمفرد والمثنى والحق والإنساني والكيف والكم والممكن والتعريف والمفعول به والتعدي والندود والمراة إلا أن هذه المقولات موجودة في الألسنة ككليات لا جمعها معاً وفق السى الشكلية نفسها وفي أي لسان، وإنما كمجموعة من العناصر الممكنة تشعل داخلها كل مهولة مكاناً ما

أما عملية الساء الثانية فداخلية بها تلك التي تُنظم الألسنة نفسها في عده مستويات وفي شكاب متصمة إدا بتحدد مدلول الدليل، داخل المعجم وبخاصة داخل جعل دلالي ما، تبعاً لاختلافه (انظر الفصل الخامس، ص ١٣٢ وما بعدها) ويرسط نظام وظائف الأصوات ونظام القواعد لكل لسان، بعاقياً وترامياً، بعلاقات تفاعل متبادر لا تقبل أي شيء في الواقع انحرحي وشكل، بانتعاصر مع

هذا الأخير، استقلالية الألسنة بوصفها بمادح لإنجاح المعنى وهذا ما يجعلها تعمل كحركات مفهومية أو كمبادئ تصنيفية وعملها هذا هو الذي يرسم الحد الأسنموي وحيث بين الدراسات وعلوم لطبيعة على الرغم من أن يستطيع اعتبار لألسنة كائنات طبيعية

والحق أن موضوع دراسة لساحت اللساني ليس، كما في القيراء والسيولوجيا، عناصر العالم المحسوس فصحيح أن القيراء ولسولوجيا الحديثتين تندعان، في أساس نظريتهما لتفسيريه، مفاهيم نظام لا تقبل أشياء موحدة، إلا أن هذه المفاهيم مسحصنة مباشرة، بوصفها بمادئ موجودة صمماً، من ملاحظه الظواهر التي وقف هذان العلمان نفسيهما لتفسيره ومن جهة أخرى، سم التحلي عن هذه المفاهيم ما أن تظهر مفاهيم جديدة، أي مودح نظري جديد ستوعب عدداً أكبر من لظواهر لقابلة للملاحظة

وعلى العكس من ذلك، فإن المفاهيم التي تبدها الألسنة لإساسة بأدلتها ليست بأي شكل من لأشكال بمادح وفتية من المعرفة يمكن التحلي عنها يوماً ما بمصانح مفاهيم أخرى أكثر ملاءمة، وإن شككت فعلاً، في بعض نواحيها، شبكة تأويلية إنها بالصبط مسح الألسنة فتطور هذه الألسنة وحده، وهو طبعي بقدر من هذه الألسنة وبصعب التحكم فيه مثلها، هو لقادر على تحريك الشبكة وهكذا فيصا تندع علوم الطبيعة لمفاهيم والمقولات التي تحتاحها لوصف ظواهر العالم المحسوس وتفسيره، تجد اللسانيات هذه المقولات والمفاهيم، مثلها في ذلك مثل بقية علوم لإسسان، جاهرة في لألسنة يمكن بمثل ذلك في لمقابلة التي يقوم بها اللسانيون السيويون بين علم الأصوات لوطبيعي وعلم لأصوات إد ينمي علم لأصوات إلى علوم الطبيعة بعبارة أن موضوعه نصيف طبقب الأصوات التي يسحبها الحهاز الصوتي (من الشفتين حتى الحنجرة) ولي بتمطها بالأذن، وحدث على أسس بظيفة وسمعية أن عدم

الأصوات الوظيفي فيدرس، بدوره، الصوتيات داخل للسان الواحد، أي فئات الأصوات الموجودة في هذه اللسان والمميّزة للأدلة ولا شك في أن الكتابات الأسجدية، على اعتبار أنها نُشئت اللفظ المعاصر، تصحح، خلال بعض الوقت، عاجره عن تدوين كافة بصويبات بأمانة لأنها تناخ تطوّر لا سوفف إلا أن المتكلمين قد يعون أحياناً هذه الصوتيات، ويمكن لعلم لأصوات الوظيفي الاعتماد على هذا الوعي لتوضيح هذه الصوتيات كوحدة وطبيعة لا تتحلّى مباشرة في كافة الحالات

يمكن قول كل شيء نسمح به قواعد لغة اصطلاحية، سواء أكان المتلقون مهتمين لفهمه والقبول به أم لم يكونوا وهناك حالة سمودحية في العقيدة بين الإنساني وغير الإنساني، كما يمكن استعمالها في اللسان فإن كان من غير اللائق أن يقول في اللغة الفرنسية

une maison de retraite héberge du vieillard

(دارٌ تؤوي ما هو عجور)

فلأننا لم نعتد على اعتبار ما هو إنساني كلفة من العادة غير انقبالية للإحصاء، وبالتالي ليس من الشائع تداول مثل هذه التعابير غير أن للسان لا يجمع إطلاقاً مثل هذه الاستعمال فما يشير الجدل في مثل هذا المصطوق هو أنه، ومع أنه غير شائع التداول، يرضى باستعمال حرف لتحرّثه du للإشارة إلى ما هو إنساني والأمر نفسه في ما يتعلّق بأي ربط بتهك عمداً انتصافات المعتادة، والمسفة بالدلالة (وهي ليست كذلك ما لم سطق هذه الصفة على المعنى حصراً على اعتبار أنه بعكس، لأشياء) كما في عبارته Paul se répand partout وعبارته Jeanne a encore mis bas^(*)، وفي منطوقات أخرى من هذا

(*) لا يستعمل المصطلح se répandre (سأل أو نشر) وmettre bas (وضعبت الدابة أو الحيوان) عادة في الفرنسية مع البشر (الممرحوم)

الفين «من غير اللائق أن تُقْطَعِي أحداً سبق لك أن تعرّفت به»، هذا ما تقوله الملكة لأليس بينما هي تقطع لها قطعة من طبق فحد حروف كانوا قد عرّفوها به قبل ذلك بصورة رسمية^{٢١}، مما يجعل هذا الحوار ينبؤاً موقعاً في عالم الشر لأن اللغة لا تتحدث عن لقاء وتعارف متبادل إلاّ عندما يتعلق الأمر سي الشر.

مثل استعمال الصمائر أبصاً هذه لاستقلالية النسبية للنسب أعم لعالم فقد سبق ورأيت أن الأسماء ليست محرّدة بطاقات، فهي تُصَفِّي الواقع ونحده قابلاً للتفكير وللقول نكتها بحفظ محتوى ما من هذه لتصفية وعلى لعكس من ذلك، فإن من خواص الصمائر الملمحة عبات أيّ مسد إليه ثنت فيها خارج لمقام الحوار لحاضر بها. إذ لا يكتسب الضمير en (أنا) وtu (أنت) معاهما، في الألسنة التي لا تُستعملُ الفعلُ فيها من دون هاتين القريبتين، إلاّ إن ملقظ بهما انمشاركان في الحوار فهما يحيلان إلى الشخص الذي يقول "أنا" والشخص الذي يقول "أنت". لكن سؤج هذين لشخصين لانهائيّ بحسب الحالات داخل الزمان والمكان بحرّم هاتين القريبتين الشخصيتين من الحصول على محتوى ثابت فهما بحذّ دانهما دليلان لا يقابلهما أيّ عرص.

القطبية الفعل - اسمية

يبدو استعمال الألسنة للعالم بصورته الأوضح من خلال لعلاقة بين الفعل والاسم. هناك خلاف قديم بين مؤنّدي أولويه لفعل وبين من يفضّلون الاسم. إنها مواجّهة بين أصدقاء الفعل وأصدقاء الاسم. فمعد آلاف اسميين والنقواعديون واللسانيون، من مختلف بقاع الأرض، يقدّمون إسهاماتهم، مما يترّر افتراض وجود هذا الجدل في قلب دراسة الألسنة واللغات.

(٢١) M. Yagueño. *Alice au pays du langage*, Paris, Ed. du Seuil, 1981 p. 159.

لهذا الجدول محوران أولهما محور المطلق يطلق المصطلح
من ملاحظات مختلفة ويستنتجون أولوية الاسم فمن جهة،
يلحظون أننا حين نسوق كلمة، أي ضمن النشاط المسمى
بـ "متناسي"، لا يمكن، في العرسية والإنجليزية وفي الألسنة التي
نعرفها، للملاسة العربون، استعمال المحيل الذاتي، أي الكلمة التي
تشير إلى ذاتها، إلا كاسم مهما كانت المقولة القواعدية التي ينتمي
إليها عندما لا يكون مستخدماً كمحيل ذاتي ضمن هذا السياق،
تجعل العرسية مثلاً حتى من الظروف ومن حرف الجر اسمين فيقال

Le «fort» de «fort loin» prend un «t», alors que le «for» de «for
interieur» n'en prend pas

(تأخذ كلمة fort في عبارة fort loin (بعيداً جداً) حرف t في آخرها
بينما لا تأخذ كلمة for في عبارة for interieur (الطوية) حرف t في
آخرها)

كما يقال

Le «avec» du français a produit en japonais un mot, «abekku»,
signifiant «d'amoureux, ou couple d'amoureux»

(أعصب كلمة avec (مع) العرسية كلمة abekku في اليابانية وتعني
"لعاشق، أو العاشقين")

ومن جهة أخرى، نلاحظ أن للاسم سمات داخلية هي
بالتحديد شحنة عملية التصعب التي تقوم بها في اللسان انطلاقاً من
الوقائع المشار إليها عرصاً، كائن حتى ذكر أو أنثى، شرقي،
بالع إله، أما سمات الفعل فهي ليست داخلية وإنما برسط
بأسس الذي يظهر فيه وأخيراً وكتبحة طبيعية للملاحظة الثابتة،
نلاحظ أن الاسم، من وجهة نظر عدم تراكم السى، هو الذي
يُدير توافق الفعل، في الألسنة التي تعتمد التوافق، وهو ما نعتبر
عنه القواعد التقليدية العرسية على سبيل المثال حين نعلن

«يتوافق الفعل مع الفعل في الجنس والعدد»

وإذا ما تنوعا الآن المحور لرمي لا المنطقي فربما يطرح مسألة لأولوية من راوية تاريخ لأكسة وحتى من راوية تاريخ للغة ويعود الخلاف إلى أرملة جذ قديمه فالفعل هو الذي يجب لأحد بأولويته بحسب النحويين العرب والنحويين الهند القديمة، وكذلك اليونان ومعظم اللاتسيين، مع بعض الاستثناءات المهمة ولقد دام هذا الاعتماد ونقي غير فترات رسمه محللة من تاريخ الفكر النحوي، يظهر من جديد في بداية القرن العشرين بإصرار مطرد إذ يعدن اللساني الألماني هـ شوشارت (H. Schuchardt) بساطة^(٣) أن الفعل كان، في الأصل، الجزء الوحيد من الجملة البسيطة وبؤيد لموقف المعارض لهذا الرأي، والذي يعطي الأولوية الرمية للاسم، قسم من اللاتسيين مثل قارون (Varron) وفيما بعد لهديس أغسطس (saint Augustin) ثم جميع الاسمييين في العصور الوسطى ولقد استعاد لاسر (Leibnitz)^(٤) هذا الرأي في العصر الكلاسيكي، ثم فعل مثله ف مولر (F. Müller)^(٥) في العصر الحديث، ثم و وودت (W. Wundt)^(٦) في الفترة الأقرب إلينا

يبين لنا سريعاً عدم جدوى مثل هذا التحول إذ يدل مصطلحا لاسم والفعل على جرائين من الخطأ، أي على عنصريين لسان المطوف لا يمكن تحديدهما الأخذ بأحدهما بمعزل عن الآخر من علاقتهما بعضهما ببعض ومن المثير للدهشة أن يعلن م بريال (M. Bréal)^(٧) أن الخطأ لم يكن يتشكل في البدء إلا من الصوائف، وهي مقوية كنية في الألسنة البشرية وعلى درجة من الأهمية بحيث

(٣) انظر Brevier .928, (1^{ère} éd. Halle, .922), p. 231

(٤) انظر Opera philosophica, Leipzig, 1717

(٥) انظر Einteitung in die Sprachwissenschaft, Vienne, 1876

(٦) انظر Elemente der Völkerpsychologie, Leipzig, 1911-1914

(٧) Essai de Sémantique Paris, 1897 p. 192

لا يمكن تصوّر أية مرحلة من مراحل أي لسان محلّو منها ويمكن بالتأكّد تحيّل وجود عناصر إشارية، في مرحلة بدائية خدّاً من اللع، نصاحب تعيين الدات والآخرين بالمحاكاة وتشكّل الجره الجوهري للعه حركية أولى (نظر الفصل الأول، ص ٢٦). إلّا أن لا يرى كيف يسمح ذلك باعتبار جره من الحطاب، يسمّى الصمير، سابعاً على كل جره آخر والدهشة أكر حين يعلو الأمر بجدل حول أسفية أحد طرفي ثنائية الاسم والفعل لمتصامة بها خلفه مفرعة فلم هذا الإصرار على اعتبار الاسم أسبق من الفعل أو الفعل أسبق من الاسم، بينما لا يمكن تحديد أحدهما إلّا في علاقته بالآخر؟ إن الاستدلال، بصعته لجافة هذه، أمر سهل للعابه إذ لا يمكن الحدوث عن الاسم إلّا بوجود مقولة للأفعال، والعكس صحيح فهي البدء لم يكن الفعل، وعلياً تطبيق النظرية السبية على البحر عندئذ يبدو دُعاء الأسفية السبية هواة ظرفاء إلّا أن معظمهم علماء يتمنّون بالصراخ إذ لا بد أن يكون بعض اللّس ذو الجدور القوية، لا أخطاء أناس غير أكفاء، هو الذي يدفع بالجدل إلى هذه الطريق المسدودة

نقد ساد الاعتماد بأن المميز بين لأفعال والأسماء بعكس اختلافاً في نظم الأشياء، نظراً لعدم السطرة التي تسع على هذين المفهومين محتويين متعارضين وبعد قيل الكثير عن أهمية هذا التعارض وسدو أن بعض الرفائع تؤكد، لدوينة الأولى، صحة هذا التقليد ويمكننا الإشارة إلى بعض من هذه الوقائع وإظهار اللّس الذي يقوم عليه تأويل كل حالة منها تتعلّق وقائع السط الأول بعلم اللسان للطفل، أما وقائع السط الثاني فمسألة معروفة تتعلّق بالجملة المسمّاة سمة

يرسم حلول حدث مهم، عند طمس البيئة الساطقة بالقرسية، الحدود بين مرحلة أولى الأصوات التي يصدرها الطفل ثم لشعثة ومرحلة يبدأ فيها طريق اكتساب اللسان بشكل حاسم إنه حدث

حلول المظروفات الدنيا حيث يُعتقد - وحسب أفراح " انترجمه " إلى
 لسان الكبار وورد - أنه يمكن التعرف على اسم سمعه فعل أو العكس
 (ليس نظام ترتيب الكلمات ملائماً دائماً) ومن المعروف أن هذه
 المرحلة الحاسمة، التي تقع في عمر بين ١٨ شهراً والسنتين بحسب
 الأفراد، تعاصرُ بشكل عام ثنائيات الإدراك الحسي الأولى فهي
 الملحوظة التي يدرك فيها لطفل التعرض بين الأحداث والأشياء يبدأ
 أيضاً التمييز بين نوعين من الكلمات التي يبدو أنها تقابل هاتين
 لمفهومين من إدراكه الحسي فهناك إغواء عظيم إذن يعود إلى
 لاستنتاج بأن التعرض الفعلي - لاسمي هو بساطة انعكاس التحرك
 مع العالم المحسوس عنده يبدو سيروية الطفل في اكتساب اللسان
 أكثر وضوحاً، ويُسهّل ذلك هذا التطابق بين أنماط للكلمات والعالم
 إلا أن مثل هذا الصور يُفرغ تلك السيروية من مكوناتها العنيفة
 لأساسية أي من ذلك الجزء الذي يعود إلى محاكاة محيط البالغين
 كما أن هذا الصور، وبشكل خاص، لا يفسر نظام الضروريات
 الأول - إذ يجب، لتكوين مطلق لاسمي ما، امتلاك أدوات هذا
 التركيب، أي أجزاء لحطاب لمؤعه

على الرغم من هذه الصعوبات تسمى القناعة راسحة بأن
 لتعارض بين الفعل والاسم يقبل ثنائية موجودة في طواهر العالم
 وتُعزّي هذه القناعة أفكار نكوّنت منذ زمن طويل حول ما يسمى
 بالحمله الاسمية إذ تتجلى في هذا النمط من السى، وبصوره
 مثلى، السمة الخاصة بالاسم، أي التعبير عن الجوهر والكم
 والمفهوم والتعرض، أو عن لازمة لارميه، على العكس من الفعل
 الذي يعتر عن لحدث وهو صيغ الفعل والحالة والسلوك والظرف
 أو التعبير فتعريف الحمنة الاسمية على أنها تلك التي يكون
 المُستند فيها ممثلاً باسم أم بصفة عوضاً عن الفعل يجعلها تبدو
 وكأنها مُعرّز احارج الرمان ولأشخاص والظروف، حفيفة تُقدم

كـ جرة^(٨) وبالتالي فهي تتعارضُ مع الجملة الفعلية، وحتى إن كانت تحوي فعل الـ *être* الكون إلا أن نجد في الألسنة التي عالما بُشَّه بها كاليونانية القديمة، وبشكل خاص لغة هوميروس وباندرا (Pindare)، أمثلة كثيرة عن حالات محالمة لما يفهم من هذا الدرس التقليدي. إذ نضع فيها على جمل فعلية نُعزِّر عن حقائق كلغة، كما نضع فيها أيضاً على حمل اسمية تنصّل بحالات خاصة، وحتى نعاقب أفعال^(٩)

ولا يمكن، بالطريقة نفسها، تأييد عدم قيام المُسندات الاسمية بالتعبير عن الرمن أو الشخص أو الطرف، إلا إذا فزرتنا، وفق إجراء دائري، عدم إطلاق تسمية الجمل الاسمية إلا على تلك التي يتسم فيها المُسند بهذه السمات السلبية فالرمن يتلاءم تماماً مع المُسند الاسمية، كما يشهد على ذلك عدد من لغات أميركا الشمالية والجنوبية. ففي لغة الكوموكس Le comox ولغات أخرى في كولومبيا البريطانية كما في بعض اللغات الإصطلاحية مثل تلك التي تنتمي إلى عائلة لغة الأوتو - أرسك uto-azteque (في كاليفورنيا الجنوبية)، يُقال إلى حد ما «هذا رعم - رمن ماص»، بمعنى «كان هذا لشخص رعباً»^(١٠) أما نالسه للشخص، فالسنة كثيرة تربطه بصورة عادية جداً بمسند اسمي فالحوار كان كذلك في اللغة الأكادية، واليوم نجد في لغة الساموييد samoyède (في سيبيريا الوسطى) والموحس bugs (حرر السيلب في أندونيسيا) والإمارا

(٨) E. Benveniste. «La phrase nominale», *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, 46, 1, 1950, repr. Dans *Problèmes de linguistique générale*, Paris. Gallimard, 1966, p. 65 (161-167) هذا المعال المشهور هو من بين تلك التي صاغت بشكل كبير، في الخمسين سنة الأخيرة، في إعانة المعنى إلى تدك الموضة القديمة

(٩) C. Hagège, «Du concept à la fonction en linguistique, ou la polarité verbo-nominale», *La Linguistique*, 20, 2, 1984, p. 19 (15-29).

(١٠) Ibid p 20

aymara (في بوليفيا) أم ما يتعلق أحيرة بالظروف، فحدد أن بعض
لألسنة يعرفون للمفعول فيه بمصافات أخرى إذ يقال في لغة
لوجيس «mon père il-dans maison» (أبي هو - في بيت) معاملة
طرف المكن كآه فعل dansmaisonner (بينت) = être dans la
maison (انكون في البيت)، يتبع الشخص

ri-barúga-I padaworoané-ku = dans-maison

(de réunion)-il père-mien

في بيت (الاجتماع) هو أب - لي

= mon père est dans la maison (de réunion)

= أبي في بيت (لا اجتماع)^(١١)

تعرض هذه الوقائع نتائجها فالاسم الذي يشعن وطيفة المُسند
في الجملة لاسميه لا يحصل على مكانة خاصة تعرضها الخاصية التي
قد يأخذها الأسماء في التعبير عن الجوهر والمفهوم ولعرض عوص
عن الفعل أو التعبير إذ يستطيع عاماً العمل كما يعمل الفعل بقدراته
التوليفية وهناك شحة أخرى أيضاً فما عتدنا على سميته بالتعرض
انفعلي . الاسم يعطي في الحقيقة جملة من الطواهر المتنوعة
والاختلاف بين الفعل والاسم واضح جداً في بعض الألسنة حيث
الفعل يُقرّر بينما لاسم يُصنّف، إلا أن الاختلاف سهم عائب في
ألسه أخرى ومن بينها لغة النوتكا le nootka (في كولومبيا البريطانية)
وهي مثال معروف عندئذ حتى وإن كان للتمييز بين الكيان والسيوك
أهمية تحد ذاته أو بالسنة إلى الفلسفة، فإن تجليه بصورة تعارض
بين الاسم والفعل في لألسنة لا يكون ثباتاً بشكل كافٍ ليتأكد بصورة
خاصة

إنّ النفس الذي عمّ الجدول مد رمي طويل هو نفسه الذي يعطيه

(١١) Ibid يوجد هذه البنية أيضاً في لغة الموردي mordve (في الاتحاد السوفييتي)

عنواناً فالعمل والاسم تسميتان لأجراء من الخطاب، مصطلحان
 شيران إلى معولتين من شأنهما عكس العالم الخارجي شكل ما، لا
 مفهومان يحيلان إلى وطيفتين، إلا أن المقولات ليست ما يُدير بطيم
 المبطوق، إذ هي تصنف بحتلف باختلاف اللسان، وإنما هي
 الوظائف أو العلاقات بين الحدود والعلاقة الأساسية التي من دونهما
 لا يوجد منطوق قابل للمول في أي لسان، هي العلاقة التي توحد بين
 طرف محدّد أي المسند (انظر الفصل الثالث، ص ٧٤ - ٧٥) وما
 سقى أي المنحدّد وهي علاقة مؤسّسة للمطوقات، إذ يجب، لكي
 تتشكّل رسالة كاملة، أن تعمل تراتبية صارمة على إبراز التعارض بين
 مركز (العنصر المحدّد، أي المسند) ومحط (العناصر المحددة، أي
 غير المسند)، وذلك مهما كان التجلّي الشكلي للمسند سواء أكان
 مقطوعاً (أحرف صامتة وأحرف صائتة) أم سعيماً أم أيضاً حركياً أو
 ظرفياً في المطوقات غير المسية على عناصر لسانية مفهوم العلاقة
 اللازمة يداً بين مسند وغير مسند، لا بين فعل واسم والوظائف هي
 ما يجب لتأكيد عليه أولاً لا لأجراء الخطاب

يصحح عندئذ من السهل فهم التعارض المعنوي - الاسمي
 والحقيقة أن بعض العناصر قد احتضنت شيئاً فشيئاً بوظيفة غير المسند
 إذ كان المشاركون في الإجراء بمثابة المسند إليه لديهم في العالم
 الخارجي أما الإجراء نفسه فتمثله العنصر الذي يصطلح بوظيفة
 المسند ويربط المشاركين ببعضهم البعض، إلا أن عدد الإشارات التي
 تدلّ على المشاركين هو طبيعته أعلى من عدد الإشارات التي تدلّ
 على علاقتهم سواء صمّم إطار المبطوق، طالما هو ليس أدبياً
 حصراً، أم صمّم إطار نصّ عادي هو عبارة عن سلسلة من
 المنظوقات وكما هو متوقع والكلمات التي تدلّ على العلاقة هي أقلّ
 من الأسماء التي تدلّ على العناصر المتعلقة وبالتالي والكلمات التي
 تشعّل وظيفة غير المسند هي أول ما يكتسب السمات التي يميزها عن
 بعضها البعض وتحدّد هذه السمات من اللسان الذي قد نشأ عن

السوء الدلالي لهذه العناصر وعن تعددها لوظيفة في غير المسد هو جملة من العناصر غير المحاسة التي يجب بالضرورة أن تتميز عن بعضها البعض، سواء بموقعها أو بوحداث دلالية صغرى تدخل إليها، كالحركات الإعرابية في الألسنة النصيرية، وتآلف مع قرائن مثل حروف الجر والنواحق ونجد هذه الأخيرة في اللاتينية والألمانية ولروسة والعربية لأدوية ولهدية وكافة الألسنة التي تتميز فيها شكل وصح لماعل في الحالة الاسمية والمفعول في الحالة غير المباشرة، سواء أكان مفعولاً به أم عانة أم أداة أم كان مفعولاً لأجله إلح

تكتسب المفعولة المحتضنة بوظيفة الإسناد بدورها، وبعد هذا الإجراء المميزي، سماتها الخاصة بها، على الأقل في الألسنة التي يوجد فيها نماذج شكلي بين الألسنة وليس هذا التحديد للهوية عن طريق الاختلاف سابقاً لأوانه، لأن المسد مركز التحديد بحيث به لا ينحصر معنى المحيط فالمحيط هو الذي يجب أن يتميز بالنسبة إلى المركز لكن من أين يحصل المركز على سماته حين يتحتم عليه ذلك؟ من المود، المتاحة بطسعة أحوال أي من المود التي اكتسبتها العناصر غير المسددة عن المود بهذه الطريقة، أو في حالات كثيرة على الأقل، تتحدد طقة هي الفعل ومن دون أن يسبب ثورة شكليه هذه العمية لكن إن كان للاسم وظائف متعددة، والفعل (ويحس تحدث عن الفعل وحده لا عن الأشكال الاسمية من بمط لمصدر) لا يعرف وظيفته غير وظيفة المسد لسر هذا المحطط الإجمالي الصرفي التكريري بطبيعة الحال معطى على أنه قابل لتطبيق شكل عام، لا أنه يوضح معنى التطور بالنسبة إلى الألسنة ذات لمصبي المعروف إلى حد ما فهو يفسر لتماثل الشكلي، الملمت من محذبات الاسم ومحذبات الفعل في بعض العائلات اللغوية كالأورالية ourahenne والأسرالية لوليرية austronésienne إلح

يظهر مبدأ لاختلاف بهذه الطريقة على أنه الدور لحوثي في علاقاته اندفقة بالمعنى، لا لغته، القواعدية محد داتها والفعل والاسم

هما بمثابة قطبي حقن معاطيفي تتأرجح المقولات داخله حاصصة بما لجذب الأول أو لجذب الآخر. يعكس إدّ مصطلح التفاضل لظواهر بشكل أفضل من مصطلح التعارض. وترتبط الوحدات الدلالية الصغرى المتصلة بالاسم، ويقترح تسميتها المسّميات، وذلك المرتبطة بحقل حادية الفعل، ويقترح تسميتها المفعّلات، بعلاقة مسّميتها التجاذب الداخلي ويُعتبر التوافق القواعدي أكثر أشكالها المعروفة، كذلك العلاقة التي تربط في اللغة الفرنسية *es* - *ment* (علامة الجمع في المصنوع التالي *es enfants* *dorment*)^(١٢) وتشكّل "السعوت" و"الظروف"، عند التأكد من وجودها اعتماداً على معيّرات موثوقة، مجموعات من العنات بميل، بحسب خواصها، إما إلى الفعل أو إلى الاسم أو، كما في العديد من الألسنة، إلى كليهما في آنٍ معاً. وأخيراً، تحتفظ الأسماء المفعلة (أي المصادر في العديد من الألسنة) بجزء معين من السمات الخاصة بالفعل مثل فسحة التوليف مع أَمْطٍ أخرى من الكلمات، ودور الجزر أو النصب في ما يتصل بالمفاعيل (وهي عناصر يتحكم فيها الفعل)^(١٣).

تُعطي البقائط المعلي - الاسم صورة اسمريه ما ويستوجب الأمر هنا توصية محدّدة هي التحلي عن استعمال مقولات مفصلة (نقصها حدود لا تحتمل الانتقال) وسمات ثنائية (" + أو - س"، أو العلاقة المعصية من نمط "إف أ إم ب")، لاستبدال ذلك المنظور التقليدي بمودح غير موجه أي مسي على مقياس انتقال مرن بين الدرجات. عدتد يصح الانتقال من الفعل إلى الاسم وكافة الأَمْطٍ الأخرى للكلمات سهلاً لا عائق أمامه. وبمكث المجرفة بالدهات أعد من ذلك. فاعتبر أن نظور الألسنة دو محي

(١٢) - محمد المسّيات الاسم بوصفه اسماً ونكبة "الاسمية"، ومن هنا جاء هذا التعبير - حو د هـ

المصطلح وغيره، راجع C Hagège. *La structure des langues*, op cit, chap III

(١٣) انظر *Ibid.*, p 73-74

دورتي يصح من الممكن، في فترات وعلى درجات متفاوت بحسب
الأنماط وعدلات الألسنة، الوقوع يوماً من جديد على حالة عدم
انتماء الأصلي بين الفعل والاسم، ومن ثم التحلي عنها بعد آلاف
السبب

مهم يكن من أمر فإن لمقاطب المعني الاسمي هو، في
لوصف الحالي، سح تشكيل لساني حاصر للعالم المراد تمثله، لا
انعكاس حاصر لغواهره يُظهرُ هذا لمقاطب إذا الطريقة التي تستحوذ
فيها الألسنة على الأشياء بإناحة الفرصة لها لكي تُقال غير أن هناك
ما هو أكثر من ذلك فبعداً عن محاكاة ظهور العالم، وتنظيمها
وفي نتائجها الخاصة بها وإعادة انتداعها وتوليدها عابداً تؤثر الألسنة
شكل كبير في لتصوّر الذي يكونه عنها كل مجموعة بشرية وتُمنح
كلمة "تأثير" إلى صعوبته إثبات وجود رابط سببي مباشر ومع ذلك
فإن مثل هذا التأثير يتخصص لفرصية المسماة فرصية "ساير - وورف
(Sapir-Whorf)" باسم عالِم في اللسانيات من بداية القرن يقول
لأول «من لوهم أن سحيل تكيف الأفراد مع الواقع من دون
استعمال اللغة بشكل أساسي وأن تعتبر اللغة مجرد أداة ثانوية لحل
مشاكل محددة تتعلق بالتوصل أو بالتفكير وحسب ولحقيقة أن
"العالم الواقعي" يتم بآؤه بشكل واسع بواسطة العادات اللسانية
للمجموعات لثقافية المختلفة»^(١٤) أما ب ل وورف (B L
Whorf)، وكان تلميذ ساير، فيقول «إننا نمتص الطبيعة بحسب
خطوط مصعها لساناً () ولا أحد يستطيع وصف الطبيعة بحزبه
وحيدة مطمعة بل على العكس، فالمرء مرغم على الحصوع لبعض
أنماط التأويل وإن عنقد أنه يتمتع بكامل حريته»^(١٥) ويصنف

(١٤) اسطر E Sapir, *Selected Writings*, ed. by D G Mandelbaum, Berkeley
University of California Press, 1951

٢٠٥ ر. ح. Language Thought and Reality New York. The Technology Press,
1956

وورث أن الهوبي (les Hopi)، وهم جماعة من الهنود تعيش في
جنود شمال أريزونا الصحراوية، يعجزون عن تحبّل أمكنة يتحدث
عنها المشرون مثل السماء والحبم

ونقد واجهت الآن لبسوعين صعوبة مشبهة في مطقة مشيريه
بعيدة كل البعد عن أريزونا، هي النص فهي حاتم كتاب يتحدث
عن تلك الإشكالية ويؤولها^(١٦)، نذكر لمؤلف بمقال، معروف جداً
عد اللسانين، فيه إشارة إلى أن مهولات أرسطو العشر ترتبط بصورة
وثيقة بتقسيم الخطات إلى أحرء وفق ما كانت تقوم به اللغة اليونانية
لكلاسيكية، وذلك على أساس التعارض الواضح بين الفعل والاسم
«إن لائحة الشروط الكلية والثانية التي يندمها أرسطو لا تتعدى كونها
إسقاطاً مفهوماً لحالة لسانيه محددة ()» إذ يسط مفهوم
"الكون" l'être، وراء المصطلحات الأرسطية وفوق تلك
التقسيمات، ويحيط بكل شيء () فاللغة اليونانية لا تفصل
فعل "لكون être" وحسب (وهو فعل لا يُعتبر ضرورة لازمة في
جميع الألسنة)، بل هي أعطت لهذا الفعل استعمالاً مميزاً
() فأناح اللسان عطاء فعل "الكون" مفهوماً موضوعياً يمكن
لتأمل الفلسفي استعماله بحرية وتحليله وتحديد موقعه كأني مفهوم
أحر^(١٧)

والحقيقة أن موقع المسمات الجوهرية في الفكر العربي لا
يفصل، على الأرجح، عن موقع فعل "لكون"، ومن المفيد دراسة
الأسلوب الذي تتعامل فيه مختلف الألسنة مع مفهوم "لكون"
être^(١٨)، في حال وجدت فيها أشكال تقابله إلا أن الماش يحتد

(١٦) J. Gernet, *Chine et christianisme action et reaction*, Paris, Gallimard, 1982
«Bibliothèque des Histoires».

(١٧) E. Benveniste, «Catégories de pensée et catégories de langue», *Lex* اسطر
Etudes philosophiques, 4, 1958, repr. Dans *Problèmes de linguistique générale*,
op cit. p. 70-71 (63-74).

(١٨) يمكن المودة إلى مجموعته من الترجمات صدرت تحت عنوان (فعل "الكون" وبراكاته) = *The*

ليشمل مفاهيم أخرى فقد جهد أشهرُ المشيرين ليسوعيين في الصين، وهو الأب ماتيو ريتشي (Matteo Ricci)، في عرض طريقته لتفكير المدرسة التي يؤسس لمذهب "رت اسماء"، وهي ترجمة نوضح إليها لبقرب إلى الصينيين مفهوم "الله" ولإبصاح الصعوبات بشرح جيريه (J. Gernet)، إلى العلاقات التي تربط في الصين بين المبدأ والفكر. أما أن اللغة الصينية محدودة من الإعراب، فإن الاستدلال في الحمل يتم بمساعدة عدد محدود من حركات الجملة ومقارنة كلمات ذات معانٍ متعارضة وبمعانٍ كلمات ذات معانٍ متعارضة، وبالإيقاعات ولتوريات وموقع "الكلمات" أو الوحدات الدلالية وأنماط علاقاتها () وسوّل المعنى عدد كافة المستويات من عملية التوليف. من هنا يأتي بالتأكيد لدور المهيمن للشائبات المتعارضة لمتنمة وللتعديلات في الفكر الصيني، وبصورة خاصة بسببه الأساسية () فالفكر الصيني لا يتعامل بالإيجاب أو بالنفي، وبالكون أو بعدم الكون، وإنما باستقائص التي تتوالت وتتألف وينتمى بعضها البعض () كما تدخل استعمال اللغة الصينية ألباب ذهنية أخرى ويطوّز قدرات أخرى غير التي يؤثرها العرب^(١٩)

كما يبدو أثر السبب اللساني في طرائق التفكير في محالات أخرى من محالات لألسنة إذ يصعب ألسنة أوروب العربية إلى لتعارض بين الفعل والاسم تعارض لاسم ولصنع، وهو مورد لتعارض الجواهر والعرض. لقد ساعد اللسان هنا أيضاً على تصور وجود حقائق دائمة ومشالبة ومنقلة عن التنوع غير المنقتر للمحسوس. أما عند الصينيين، وعلى اعتبار أن لديهم حيل من أي

¹⁹ = *Verb "be" and its Synonyms* Dordrecht, Reidel Publishing Company 1968 (sous la direction de J. M. Verhaar).

(١٩) J. Gernet, *op cit* p 326-327

إعتراف، فالمفهوم المجرد للجوهر لا يمكنه أن يكتسب سمة الضرورة
المسطقية التي رأها المشيرون الأوروبيون في القرنين السابع عشر
والثامن عشر، وهم أصحاب ألسنة تُعَبِّرُ بالنظام بين الصفة
والموصوف، وورثة تقليد مدرسي طويل. ولقد اضطر ماتيو ريشي
لشرح مفهومي الجوهر والعرض المهمين في المرحلة على الحقائق
المسبحة، اللذين كان المشيرون يعتقدون أن من دونهما يتعد أي
تفكير سليم، إلى الاعتماد على الكلام غير المباشر لترجمة الجوهر
بـ "ما يُرْهَرُ عن ذاته بذاته" (zilizhe) والعرض بـ "ما يعتمد على
شيء آخر" (yilaizhe) ولقد كان هذا التعبير، بالنسبة إلى الصينيين،
محايلاً تماماً ومصطنعاً لأن لسانهم لا يشي بأي شيء من هذا
الميل. فحسب مفارقة غونغسون لونج (Gongsun Long) (٣٢٠ -
٢٥٠ قبل الميلاد) المشهورة، بـ bai (أبيض) المكانة نفسها التي
بـ mā (حصان) في كلمة bauma (حصان أبيض) «والحصان الذي
لا يربط بالأسنن هو الحصان، والياص الذي لا يربط بالحصان هو
الياص»^(٢٠)

عسا أن نذكر مع ذلك بأن السادلية التي تتمثل في هذه المقارنة
هي حاضيه من خواص لغة الوييان (wenyan)، وهي لغة كلاسيكية
مكتوبة (الفصل الرابع، ص ١١٤) يبدو أن اللغة الدارجة كانت تسعد
عنها باستمرار. إذ تتعرض للكلمات التي من نمط كلمة bai في اللغة
الصينية اليوم إلى قيود محلله تماماً عن تلك التي تتعرض لها كلمات
من نمط mā. رد على ذلك أنه مهما كانت العصات التي تعترض
الترجمة، فقد رأينا (انظر الفصل الثالث) أنها تبقى ممكنة شرط
التحليل الدقيق للأسلوب الذي يعتمد كل لسان في تنظيم مقوله
ولا يعكس، أخيراً، إثبات وجود علاقة بحديدية بين السى اللساني
والأنظمة الفكرية. فمصطلح التأثير مصطلح يتصف بالحصافة أم إذا

(٢) Ibid p. 328-329

وحده لبعض شديد الدقة، ويمكن لاكتفاء بمفهوم العلاقة المتبادلة يبقى أن انسان آليه من الآليات الاجتماعية فالعقل يتعلم ما يبيع له لسانه قوله أو عدم قوله و لعالم الذي يكتشفه عندئذ هو عالم قسمة هذا انسان إلى مفعولات ونظم أدته بصورة بصاميه فالنسان، وفق هذا المنظور، يُشكّل لتمثّل ولا يأخذ لمرء بعين الاعتبار ما لا يسبقه لسانه

إلا أن عليّ التحذر من فسفات الاستمرارية السسية كتلك التي تعبّر عنها هذه لسطور لنيّتشه (Nietzsche) «يمكن بساطة تفسير هذه القراءة العربية بين الفكر الهيدوسي واليوناني والألماني فحيث هناك قرابة لسامية بصح من لحتمي وجود فلسفه في لقواعد مشتركة () تؤهل الفكر للإنحاح منظومات فسميه تنطوّر بالطريقه نفسها () هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن فلسفات المنطقه اللسانيه الأورانية - الألطيه (ouralo-altaïque) (لتي شهدت أهل تطوّر لمفهوم لدات) تنظر إلى العالم بطره مجذبة عن نظرة لشعوب انهيدية الأوروبية والإسلامية، وتسلك دروناً محتله عن دروبها»^(٢١)

والحقيقة أن أثراً ما للقواعد في المنظومات الفلسفية لا يعني أن لأولى مفهوم بتشكيل الفكر بشكل كامل إذ يعرف الجميع أن الأشياء لدهيه تُدرّك كمجموعات غير منقسمة، بينما يعتمد انسان إلى تقطع تمثّل العالم، ليصح قابلاً للقول، إلى وحدات منفصلة هي المقولات «موعديه ولكن الحق، ورغم كل تلك لتعطّات، أن التواري بين سى انسان ونرميمات الفكر، في ثقافات شديده الاختلاف، منتظم لدرجة لفت بناء وحيار من يلاحظه إن استحواد الألسه على العالم وإعده تشكيبه بالفكر الذي تعديّه هذه لألسه، هم من دون أي شكّ مرحلتان في دوره لسطواهر واحده

(٢١) اجمع كتاب نيسه Par-delà le bien et le mal, 1886, trad. Fr. Paris, Gallimard. 1971, p. 38
J. Gernet, *Ibid.*, p. 322

منطق الألسنة

هل يمكن تأويل الألسنة كأظمة منطقية، أليس هي حروباً
 أنظمة منطقية، أم أنها مستقلة عنها تماماً؟ هنا ينقسم اللسانيون
 والبعض يبقى حذراً إن لم نقل متجاهلاً ويعرف الآخرون إعواء
 المنطق الذي يتبع، في تاريخ القواعد، مسيرة ذات حركة دورية. ففي
 القرن التاسع عشر رفض عريم (Gramm) للمنطق، مع أن أعماله
 كانت معاصرة إلى حد ما لولادة مصطلح "اللسانيات" وبحق به،
 في منتصف القرن نفسه وفي أواخره، كل من هـ شتاينثال (H
 Steintal) و بودوان دو كورسييه (I Baudouin de Courtenay)
 وآخرون غيرهما^(٢٢) وبعدهم هذا التيار، مد أرسطو على الأقل
 وحتى ن شومسكي (N Chomsky) مروراً بمدرسة پور رويال (Port
 Royal)، تيار تنصّبه مسلّمته وجود توارٍ بين القواعد والمنطق
 وهناك كتاب مدّنت انتقد، مد أكثر من خمسين سنة، هذه المسلّمه
 ونتائجها الصارّة في مسألة بوصف الظاهرة اللسانية كما في منطق
 نفسه «ومن جهة، لا يتفهم العلم من قيم القواعد التي تمنح بها
 للغة للتعبير عن أفكارنا ومن جهة أخرى، لا يمكن للغة، بوصفها
 أداة مادية، اللحاق بتطور العلم لأنّها لا نستطيع ذلك إلا إذا كان
 العلم قابلاً دوماً لتعديل لا في مصطلحاته وحسب وإنما في قواعده
 أيضاً فالقواعد تولّد بين الكلمات وفي العلاقات بين الكلمات،
 وهي تخضع لشروط هي ليست شروط الفكر مهما كانت دقيقة
 () ويمكن الاعتقاد بتقابل القواعد والمنطق في حال اقتصر هذا
 الأخير على العودة إلى مسألتَي التسمية والبهوية () لم يكن
 الحذر كافياً في مسأله تعامل الحظاظ مع الفكر وما يقرضه على هذا
 الأخير لحظة التعبير عنه () والخطأ التليدي والعسد الذي

(٢٢) سميريد من المصمبل النظر C Hagège. La grammaire générative Reflexions critiques op cit, p. 25, n 1

ستعده هو خطأ التمنطق (موانعدي كما يعبر عنه، على سبيل المثال، كلمات سيكار (Sicard, *Grammaire générale*, Paris, 1808, p. 306) "كل ما في اللغة، وحتى أكثر الحالات شذوذاً، يندرج بسهولة في النظام العام" () ولقواعد المنطقية هي قواعد العقل" فوجود بعض لحالات المتشابهة لشذوذه، ولكنه في جميع أسس العالم يعود إلى النمط الذهني للجسر الشرطي ويحب العودة إلى علم النفس للحصول على تفسير للأمر () إذ أصبحت اللغة، بمقتضى الأشياء، غير مألوفة بفلسفتها الخاصة بها، كما حطمت أضر هذه الفلسفة في نقاط كثيرة. مما أدى إلى أخذ عدم لاجتماع بعض الاعتبارات فائدة للمؤسسات الاجتماعية من دون النظر إلى الأحكام الفلسفية التي أذت إلى ولادتها^(٢٣) إن هذا ليس فصل عريض عناصر الخلاف بوضوح، على الرغم من الصياغة القديمة لبعض النقاط

فلقد كانت هناك محاولات قديمة لساء لغة خاصة بالمعروف لعقلانية، حاليه من الاستدلالات الرفيعة التي تعص بها الألسنة والتي سبقتها المنطقيون ومنتدعو الألسنة الاصطناعية، بمرجع عام من الاستعلاء والاحترام، بـ "الطبعة" وبنسب إحدى أشهر الدراسات في القرن العشرين، وهي تلك التي تنتمي إلى مدرسة أ. تارسكي (A. Tarsky)^(٢٤) البولونية وهو مؤسس "لنظرية الدلالة بدمادح"، جملة من الشروط التي تتيح تشكيل اقتراحات علمية وتحويلها إلى حالات تحليلية إلى اقتراحات أخرى معادلة يمكن فحصها لمراقبه، لوقائع وفق شروط التماثل بين أنظمة رموزها والبجارب المعيشة التي تمرر إليها هذه الأنظمة. تُرر كافة الدراسات التي تنتمي إلى مثل

(٢٣) انظر C. Serrus, *Le parallélisme logico-grammatical*, Paris, Alcan, 1933, p. 385-391.

(٢٤) انظر *Logic Semantics and Metamathematics*, London, Oxford University Press, 1960.

هذا النمط، وعن طريق الاستدلال بالصد، أصالة الألسنة يد تُرطُ فيها التمثيلات العاطفية والعريضة بالإحراءات المعرفية البحتة أم لو احترلت إلى مباحث تحريدية أو تُرعب عنها هالها وأصحب مبتدأ - صميمائية، أي منظومات من الأدلة تسمح بأويل منظومات أدلة أخرى، لأصح التفاعل التواصلي الذي تؤسس له مسنحيلاً، ومعه كل وجود اجتماعي وذلك لأن التعبير عن طريق قناة الكلمات والحمل إحراء إفراجي من دونه بمنع المشاعر عن الانتاح خارجاً أو لا ينفى لها معد عدا الإيمائية، الإشاراته عنده يبقى الفرد أسير كتب خطير على توازنه وعلى انسجام علاقاته مع الآخر على حد سواء إن المظهر نتاج العقل، والألسنة ليست بالضرورة بمودحه المعلن أو شبه الواعي

لا تُعيد الألسنة ابتداء العالم سطيمه وفق مقولاتها المفهومية الحاضرة وحسب وهي لا تنطلب حتى وجوده بجانب الحطاب الذي يتحدث عنه إنها تمثله وتعيد تقديمه بالمعنى الحرفي للكلمة والكلام بمحو الرماد والمكان اللذين يحيل إليهما بإعفاء الأشياء من الظهور لمجرد صوغها في كلمات فهو مسحود عنها بمحرد ذكرها في رمة ومكانه الحاضرين به كما يستطيع الكلام قول اللاواقع أيضاً، بعكس رسائل القروود المروضة على "الكلام" ولطالما حُرّص القارن(*) حبال اللسانيين والمناطقة المفوسين بتلك القدرة للألسنة على تسميه ما هو غير موجود كما يفتح الكلام باب "لمسحجين"، إذ يمكن أن يقول «ما عداء» أو «قدمت له أرملة» وحبه دسمة، سواء عرونا مثل هذه التناجات اللعوية إلى البحث عن شعرة ما أو إلى تمثيلات حلميه أو لعية أو إلى لغة تحريصه وإن بدت عشيه أو صادمة فلا شيء يميزها مع ذلك عن الشواذ التي يسمح بها عمل

(*) حيوان أسطوري يهينه حصاد نه فون وسط جه (المترجم)

التعديلات لرميه في القواعد، فهو صحفي يتحدث عن أم تصل
من أجل إحراج بها من حالة عبوة يستعمل من المستقبل لسردتي
للإشارة إلى حدث ماضٍ «ومن أجل بها سذهب في أدر الماضي
إلى المعهد الدولي للحروب من العينة في نيويورك»^(٢٥)

مكنا، وفي هذه السمات، بأويل حاضيه تعيب عن الكثيرين
على الرغم من بدايتها هي أن لألسة لست أدوات لاكتشاف
الحقيقة إنها، لألسة إلى الأفراد والمجموعات، بمثابة مصادر للتعبير
مباحة تستطيع الألسة إذا أن تكذب وهي لا تطلب سوى احترام
بعض قواعد البناء اللغوي التي لا سب بدعوها لأن تكون انعكاساً
حرفاً لنظام لعالم في كل مرحلة من مراحل اكتشافه إذ تُتيح لقاء
ذلك بناء أي منطق يلقي الرعدة في التعبير، لا الرعدة في تمثيل
الأشياء الحقيقية، عند مستخدم محدد للغة في ظرف حاضٍ وقد
يرعب هذا المتكلم أن يفور، على سبيل لمثال إنها الدجاجة التي
تعوي، أو كان يرسم دوائر مربعة الشكل ويحور بعض هذا
"انكذب"، المعول بهذه الطريقة، يوماً ما إلى حقائق مدهية وفي
الاحترافات والاكتشافات إذ يشع نارح لألسة نارح المجموعات،
وإن يفرق رمي حنمني عبارة مثل طار إلى فيينا، التي كانت
منهجة من عصر الطيران، لا تدهش أي أحد اليوم

والحالات المتناقضة طسعة هي الأخرى إذ تسجل الألسة
على التولي أنظمة في التمثل متعددة وحالات مختلفة من المعرفة،
ولهذا السب فهي تحوي هذا التناقض الشئ عن حمل أنظمة قد لا
توافق مع بعضها البعض لانتعائها إلى عصور مختلفة فلا شعر عالم
الميرباء الكوسة بأي حرج في استخدام تعبير مثل غروب الشمس،
معترفاً بأنه يرعب في وعي ذلك، على الرغم مما في هذا التعبير من

(٢٥) انظر جريدة لوموند *Le Monde*، عدد ٨ ٩ تموز/يوليو ١٩٨٤، ص ١٠ مقال لـ ن. ب.
(N Beau) بعنوان «L'acharnement d'une mère»

معرفة مدائيه تعود إلى عهد سائق لكومبريك فهل يريد أولئك الذين يدرسوا الألسنة أن تكون كما "يجب عليها" أن تكون؟ إنه حلم يقظه ذو برعة منطقيه! والألسنة تسدع العالم الذي نتحدث عنه وفي الوقت نفسه نتحدث عن العالم

إن الألسنة شبيهة بمتاحف شمع عريقان (Grevin) للمعرفة، فهي لا تندرج إلى التكيف مع التطور العلمي طالما تسحب لمحات ومتطلبات مستخدميه. فإذا ما بدا أن هذا التكيف حاصل فلأن الألسنة، بمثابة سجل حالات المعرفة المتتالية، بصم إلى ذاتها آخر هذه التطورات ولكن ليس هذا ما يجعلها تعمل بشكل أفضل إذ بعكس هذا خاصية أساسية غالباً ما تهمل كما تهمل تلك التي تجعل منها تعويذات للعواطف ومن شأن تدويرها من مظهر الاستبيانات اللارمية البحتة دفعها إلى روية السنان ذلك لأن هذه الخاصية لأخرى للألسنة تجعل منها أعراضاً تاريخية إذ تندرج الألسنة ضمن رمية وتبقى باستمرار مفتوحة على التعبيرات ومنسجمة لاحتواء كل ما هو حديث وبلقي حاجة ما، من دون التحلي عما هو قديم ومدائني فيها وبالتالي تراكم الألسنة معارف متنوعة، مما يكسبها قيمة الشاهد الثمين فلقد أكد روسو (Rousseau) على أن يستطيع، في الألسنة، قراءه تاريخ الحرية والاستعداد^(٢٦)، كما أراد ميكائيليس (Michaelis) أن يكشف فيها عن تاريخ المعتمدات والأحكام المسسقة والحرافات^(٢٧) أما م فوكو (M Foucault) الذي يستشهد بمهدين الكاتس، فيذكر بالقول مشيراً إلى هذا الأخير «معروف من كلمة δόξα وحدها أن اليونان يطافون بين المحد والرأي، ومن العسر das aebe Gewitter أن الألمان كانوا يؤمنون

(٢٦) راجع المرجع السابق الذكر - Essai sur l'origine des langues. op. cit t XIII, p. 220.

221

(٢٧) اسطر - De l'influence des opinions sur le langage, 1769 trad. Fr. Paris, 1762, p.

24 et 40

ومع ذلك فهناك "منطق" للآلة، "منطق طبعي"، إلا أنه لا يمكن احتراؤه بأي شكل من الأشكال إلى منطق تحت إد لا شكل منظومة صواعق متماسكة "لكل" علوم القواعد مشارب، يقول سابر (Sapir) بحسب تلامذته ويمكن الحديث عن مبدأ السيولة اللسانية أو، في مجال أكثر خصوصية، عن حوّل قواعدي والامثلة على ذلك كثيرة، وأكثرها شهرة ذلك التعارض، وعالمياً ما يستشهد به انسانيون من مختلف المشارب، بين الموسوم وغير الموسوم يبدو وكأنّ النظام اللساني، وهو نظم حرّ في ما يتصل بالمبدأ المنطقي - الرياضي في الاختلاف بين مصطلحي السالب والموجب، يحصغ آلية المشاركة بموجب مبدأ السيولة فهو لا يتأسس على مبدأ أ/غير أ (A/non-A) وإنما على التعارض بين وجود أ (حالة موسومة) ووجود أو غياب أ (حالة غير موسومة). ويرى لبعض في هذه الظاهرة طابع عمدة ما قبل منطقية قد يحملها اللسان^(٢٩)

ويجد أمثلة على ذلك في محالات شديدة السوء كما في تعارض صيغة الكامل وصيغة الناقص وتعارض بين الجمل ذات المفعول في حالة الجزّ أو في حالة النص بعد فعل في صيغة النفي، مثلما يحصل في أغلب الألسنة السلافية، ويطوّر العديد من اللغات الاصطلاحية التصريفية تكاملات وظيفية وهي حالات نادرة التعقيد تحصغ للمبدأ نفسه توجهي/بعتي/عاية/مفعول، فاعل - أداة/فاعل - متتبع (قارن في الفرنسية "par" من قبل "في عارني le livre d'art a été acheté par Pierre" "تم شراء كتاب الفن من قبل بيير" و Jean a fait acquérir le livre d'art par Pierre à un très bon prix "استحصل بيير بواسطة جان على كتاب الفن بسعر مناسب

(٢٨) Les mots et les choses, op cit p. 102 n. ١

(٢٩) L. Hjelmslev, «La catégorie des cas Etude de grammaire générale», انظر

Acta Jutlandica, 7, 1935-1937 p. ٥2

حداء^(٣٠) أما النفي النسبي فهو ليس مجرد إبطال أو إزاله لما هو منفي إذ يقابل كل ما يقال شيء ما ممثلاً وذلك وفق طبيعه الألسنة نفسها بوصفها شكات من الأشياء الماسدة للقول وبالتالي لا نفي الألسنة إلا ما تقوله بلاعها المراسم وثبتت الألسنة بالحمل التي تمنح تشكيلها الاستقلالية نفسها أمام المُسلمات المطلقية فإذا ما كانت هذه الأخيرة تتحكم بمن القول، فقد نددوا العديد من المقولات الشائعة عندئذ حشواً بحداً يحلو من أنه قيمة إحصائية ومع ذلك بعض لحوار بها إذ يقع في الحوار على العديد من الردود السريعة مثل je suis comme je suis (هكذا أنا)، والأمثال مثل (l) faut ce (l) faut (الواجب واجب) و les affaires sont les affaires (التجارة تجارة) و ce qui est dit est dit (قد قيل ما قيل). ويقع في الهولندية على عبارات مثل gezegd is gezegd، وفي الإسبانية lo dado, dado, y lo prestado, prestado وكذلك o que no debe ser, no debe ser وفي البرتغالية o que está feito, esta feito negócio é ser negocio^(٣١) لا يمكن لأي تحليل منطقي لهذه الجمل إلا أن يستنتج ما فيها من تطابق، وبالتالي ما فيها من حطت أخوف إلا أنها أعتد ما تكون عن الرأفة داخل الحوار، إذ تشير شدة إلى وجه ما من حاله محدده توخذ معها بعملية تثبيت إحصائية، أي بارتباطها بظروف دقيقة في عملية الخطاب بتولّد منها، في صيغ هي حشو في ظاهرها الحدع، معنى شديد الوضوح إلا أن الأمثال ليست حالات معرلة فخرية pas tres في عبارة Pierre n'est pas très malin (ليس بغير شديد الذكاء) لا يعني ما تعبى حرفياً عند المنطقيين، أي pas très (ليس كثيراً) إنها في الحقيقة تعني "ليس على الإطلاق" pas

(٣٠) C Hagège. *La structure des langues*, op cit, p 43 راجع

(٣١) J Schmidt-Radefeldt, «Structure argumentative, référence et contextualité du proverbe» in *Actes du XVII^e Congrès International de Linguistique et Philologie Romanes*, Aix, 1983

le libraire a vendu un livre aux parents عمارنا du tout pour leur fils (باع صاحب المكتبة كتاباً لوالدين من أجل ابنيهما) les parents ont acheté un livre au libraire pour leur fils و الوالدان كتاباً لابنيهما من صاحب المكتبة) هم عمارنان منكافشان من الساحة المطفية، لكنهما تحلفان في الحالة الحوارية إذا يحذف انقائهم بالمعمل من أجل الأس فيهما كما يمكن قول il fait froid, donc il ne fait pas froid (الحق بارد، إذا فالجواب ليس بارداً) إذا ما أردت الإبقاء إلى المسموع بأساً يعرف أنه معتاد على شيء ما هو مديهي

ن كنعن أو تعبيرين يدوان خارج سبافهما ضمن علاقته تصادفه حالته بمكنهما مع ذلك، وفي بعض الحالات، الإحالة إلى الطرف نفسه من دون الاحتفاظ بصيغة مطابقه أو لتوقف عند مرحلة مشابهة ضمن سرورة يد نقول في العربية c'est un accident dont on imagine la gravité (إنه حادث نتصور مدى خطورته)، كما يمكن أن نقول c'est un accident dont on n'imagine pas la gravité (إنه حادث لا نتصور مدى خطورته) يعلق الأمر في الحالات بحدث خطير لكننا نحار بقوة إما التلميح إلى أن التأمل فيه يتيح لنا أن نعه، أو لتقرير بأنه يتجاوز تصورنا عما يمكن أن يمثل كذا في un avantage appréciable في معنى المصانة حلف مظهر الصادق لعماري un avantage inappréciable (فائدة ثمينة) والحكمة أن التعبيرين يحلان أيضاً إلى معين محتمل للمعمل apprecier "evaluer قدر" و "trouver bon" سحر كما نجد معنى الاحترار الشديد في عمارتي réduire au maximum (قلص إلى أقصى حد) و réduire au minimum (قلص إلى أدنى حد) على حد سواء فكلمة maximum مطلق على عمله لاخرن، بينما تنطق كلمة minimum على شجرة هذه لعمله أخيراً، هناك في بعض الألسنة كلمات تدو، خارج سبافها،

دات معيين متناقضين فهل علبا، وبحر أمام مثل هذه الكلمات دات الوحير المتناقضين نظرياً، اعترار أن بإمكان الألسنة تجاهل مدأ عدم التصاد؟ تشير مثل هذه الحالة بالطبع بأملات نظرية لدى بعض الهواة، يقع على أحدها في كتاب ك آيل (K. Abel) الذي يحمل عنوان Über den Gegensatz der Urworte^(٣٢) إد يعلى آيل داعماً أقواله بـ "الحجج"، ومتأثراً على الأعلب بنظرية أ باس (A. Bain)^(٣٣) حول السية الجوهرية للمعرفة وثائية أية تجربة بعكسها اللسان ثائية معنى كل كلمة، أن الألسنة البدائية تحوي العديد من الكلمات دات المعيين المتناقضين ولقد أعرت فرويد^(٣٤) هذه المقالات غير المصبوطة التي مدت وكأنها تحمل معها شاهد، لسياً قنباً مؤنداً لنظريته حول الحلم بوصفه تعبيراً عن فكر بدائي ولا يرتبط حكماً بالمنطق ولا يابه بالتناقض إلا أنه تم فيما بعد تصيدُ تصريحات آيل وبيان عدم صحة ادعاءاتها، وذلك في دراسة دقيقة ومفضلة^(٣٥) ولا شك في أنه لا يمكن دحض نظرية بالتصيدات الدقيقة فالمشكلة ليست ها والحقيقة أنه لا يوجد ثائية دلالية (أي وجود مترار لمعيين متناقضين) وإنما احتمال معنى عام على معيين إد تمتلك الألسنة حاضبة القدرة على شمل المتعدد والمردوح في ثات مرة متعرة تُسهلُ سمها العامصة التقاط أشياء العالم وتسهم في الوقت نفسه في اسداع دينامية المفردات فاللغة العربية الكلاسيكية معروفة في احتوائها على عدد من هذه الكلمات التي تعتر عن العلاقة، وإن كانت غير متناطرة أو تدو كذلك عند

(٣٢) Leipzig, 1884

(٣٣) Logic, London, 1870

(٣٤) راجع «Sur les sens opposes des mots primitifs». *Jahrbuch für psychoan. Psychopath. Forschungen*, II, I, 1910, p. 179-184

(٣٥) راجع E. Benveniste, «Remarques sur la fonction du langage dans la découverte freudienne», *La Psychanalyse*, I, 1956, p. 3-16, repr. dans *Problèmes de linguistique générale*, op. cit., p. 75-87

ترجمتها، أكثر ما هي بعين أحد هذين الطرفين، فكلمة 'باع' كدت فيما مضى تعني معاً 'اشتري' و'باع' ولا يعني تقديم السنة أخرى لمحايل على أنهما متناقضتان أن المقولتين اللتين تشكلهما هذه الألسنة عاقتان إذ يمكن تعيين عملية التبادل من دون التعبير عن عدم تناظرها كما نلاحظ أن معظم الألسنة تعبر بواسطة أحرف الجر وإضافات إلى أواخر الكلمات وأدوات الربط الأخرى^(٣٦) عن الربط بحد ذاته، مما يتيح استعمالات دخل سياقات مختلفة ظاهرياً كما في العبرتين التالينين في اللغة العربية *la passion qu'elle éprouve envers lui* (الشعف الذي تكنه له) و *la répulsion qu'elle éprouve envers lui* (الاشمئزاز الذي تكنه له)

توجد في اللغة العربية أيضاً كلمات محابذة^(*) يشهد عليها لشعر العديم وتحمل هذه القيمة المردوحة التي قد تدفع ترجمتها إلى السنة أخرى إلى الاعتقاد بأنها متناقضة. ففعل 'تهافت' يعني 'استولى عليه شعور قوي'، وبالدلي نراه، بحسب السياق، حساً بمعنى 'بكى' وحيماً بمعنى 'صحح' كذلك الفعل 'تعشمر'، أي 'ركب رأسه'، فهو يحمل، بحسب الطرف أيضاً، حياً بمعنى 'ركب رأسه في الحق' وحيماً آخر 'ركب رأسه في اللطف'^(٣٧) كما نفع فيها على حالات تدل على دلالة بيوية تتيح أيضاً وسم للسان بالتعارض مع الانعلاق في الأنظمة المنطقية إذ يتضح فيض الاشتقاق المعلي من الأسماء (وهي سمة مشتركة بين الألسنة السامية) ومبدأ السيوالة اللسانية المقترح أعلاه، والتي نعتبر لأصواب الوسيطة حالة تصنيفية خاصة فيها، حالات مثل 'أصرد' (أصاب الهدف) و(أخطأ الهدف)،

(٣٦) وهي تعبر عن الربط بعض النظر عن المعاني الكثيرة التي تُضاف إليها.

(*) إنها لا تعرف في العربية بالألفاظ (المترجم)

(٣٧) راجع D. Cohen, «Aplid et ambigué linguistique en arabe», *Arabica*, VIII, 1961, p. 29

ومن هـ استقيت أيضاً الأمثلة التالية أما في العربية (المعجمة) فيمكن لاستشهاد بعلم *éverdumer* ويعني 'سرع اللون الأحمر (الحضار)' أو 'لون بالأخضر (الفاكهة)'

و"أسحق" (سحب السيف من عمده) و(وضع السيف في عمده)،
و"تأظم" (أثم) و(امنع عن الإثم) والحقيقة أنه لو لم يعتبر اللسان
صحيحاً، في هذه الأفعال لمشتق من أسماء، إلا المعنى العام الذي
يشير إلى "العصا يعمل بتصل بما يشير إليه الكلمة" لكانت هذه
الأفعال بطسعة الحال تحمل معاني متناقضة من وجهة نظر المنطوق
والأمر نفسه بالنسبة إلى اللسان الأمهري (في أثوب) حيث يفيد
الشكل الذي يعتمد التكرار بما التأكيد وإما التحفيف كما في
sababbara (حطّم إلى قطع صغيره) أو (كسر بشكل خفيف)^(٣٨)
فكرة الانقسام هي الوحيدة التي يحتفظ بها، بوصفها ملائمة، أصغر
وحدة مدلولية أساسية قبل تحميلها وحدات مدلولية. صغرى أخرى
سياقية

لا يرى أن اللسان يناقض نفسه في جميع هذه الحالات كما في
حالات أخرى عديدة غيرها. فعطية الأصداد بعلامات معنى مشترك
بينها لا تؤدي إلى التناقض بل يجعل التعميم أكثر سهولة إذ يوجد
تناقض حين يكون محتوى ما نفسه وفي المنطوق الواحد مؤكداً ومعياً
في آن معاً، أي حين لا يتعارض "قول نعم" مع "قول لا" ولا
يوجد لسان معروف يعطي صورة عن ذلك

بعد كل هذه التحفظات، من الصحيح القول إن الألسنة نشتر
مع الأنظمة المنطقية في سمه جوهرية هي التعبير عن العلاقة ولا
يمكن بالتأكيد أن تحتل إلى عملات المنطوق الشككي تلك العمليات
التي تحمل بعض أدواتها الأساسية أثر هذا المنطق، ومهما كانت
المقولة القواعدية التي تسمي إليها هذه الأدوار في مختلف الألسنة
كالأدوات الوحدية والكلية المحددة لكمية مثل "جميع"
("كل" إبح) "أحد" ("بعض" إبح) والأدوات لتي تعني
"و" و"أصاً" و"لكر" و"دون" و"إدا" و"إدا" و"أو" إبح

(٣٨) Ibid., p. 29 n. 76

إلا أن أدوات العلاقة تؤدي دوراً جوهرياً إذ تمتلك جميع ألسنة العالم نوعين على الأقل من الوحدات، يطلق عليها الناسون اسم لوحات المعجمية الصغرى والوحدات الدلالية لصغرى، وهي تعادل إلى حد ما ما تسميه القواعد التمهيدية الصينية بالألفاظ العلية والألفاظ النحوية^(٣٩) تقوم الأولى بتقسيم لأشياء والمفاهيم إلى طبقات في اللسان، أما الثانية فهي ألفاظ - أدوات كحروف الجرّ واتوصل في الفرنسية - إلا أن هذا التقسيم أقل بساطة مما يبدو عليه إذ يمكن تصور أن طرفي المقطع الفعلية - لاسمية، أي الاسم والفعل، لا يمثلان معاً إلا الألفاظ لعملية لأنها أكثر إحاطة بكثير من الألفاظ الأدوات - إلا أن الأفعال، هي الحقيقة، ومقدر تحكّمها بسطيم الجملة، هي مركز وصل وبالتالي عناصر ربطية ووحدات معجمية صغرى في آن معاً ولهذا لسبب يمكن ربطها بالألفاظ - الأدوات كأحرف الجرّ، في الألسنة التي يوجد فيها أحرف جرّ

ويصحب راسل (B Russell) بأنه أعطى في الفلسفة للأفعال ولحروف الجرّ، التي تصيغ العلاقة في كلمات، كامل حروفها - إلا أن العلاقة بين الأفعال، من جهة، وأحرف الجرّ أو أدوات الربط بصورة كلية، من جهة أخرى، لسبب معقدة فقط فهي تكوينية حصراً في الألسنة لعددته التي تحدّد فيها أحرف الجرّ توزيعاً من الأفعال، كالصينية ولغات اصطلاحية أخرى في جنوب شرق آسيا حيث أعطت أفعال مثل "ذهب" و"تعلّق" و"حلّ" على التوالي "إنى" و"في" و"بمعنى" quant à "في"، كما في العديد من العائلات اللسانية في مختلف أنحاء العالم^(٤٠). يُعطي التعليق دو لسرعة الجوهريّة، من أرسطو إلى المحدثين مروراً بالاسميّين،

(٣٩) حول العلاقة بين هذه التسميات وهي تم تكرر سابقاً في الأصل، ريس الشعر العيني الكلاسيكي راجع C Hagège. *Le problème linguistique des prépositions et la solution chinoise*. op cit., p 23-24.

(٤٠) انظر C Hagège, *Ibid.*, p. 161-74.

الأفضلية للأسماء والصفات التي تعبر على التوالي عن الجوهر وعن السموت «إن لمثل هذا الإسقاط»، يقول راسل^(١١) (ويشمل الأمر بإسقاط الأفعال وحروف الجز)، «أثراً كبيراً على الفلسفة ولا سائح إن قلنا إن القسم الأكبر من الميتافيزيقا مد سبيورا قد نأثر بهذه الحالة بصورة خاصة».

أما ج. شتاين (G. Stein) فكانت بصيرة الحركة التكميلية التحليلية في المن وراعية لأتباعها، كما كانت في اللغة مسكونة بها حس إعادة نائها من شدة نفورها من الأسماء العالقة تماماً في مخ وطبيعتها الإحالية، على حد قولها «لأسماء للأسف وللأسف الشديد هي اسم لشيء ما»^(١٢)، وكذلك الصفات التي تتحدث عن خواص ذلك الشيء وعلى العكس من ذلك، كانت الأفعال، وبخاصة أدوات الوصل وأحرف الجز، تفتتها فكانت تسعى إلى انتزاع مؤثرات شعرية من هذه الكلمات، هذه الكلمات - الرابطة والعاملات الصوراب اللواني يقمن بما هو أفصل من تعيين الأشياء وحسب غير أنها سبت على ما يبدو أن «فراعها» الإحالي بضمه، وهو سسي في الحقيقة، يصفي عليها دائماً سمة الإسهاب ما إن يفتح السياق أو الطرف عن العلاقات إذ يسقط لعر المعنى عند ملتقى دوائر العلاقات بدوائر المصامير، بمعزل عن العناصر الخارجية التي تدحل فيها علم الأصوات الوظيفي مقابل علم الأصوات، ومن زاوية ما قريبة، المعجمية مقابل عالم المسد إليه، جمعها شكاب نبي علاقات، عند كل مستوى بالتأكيد إلا أنها تتصام مع الماذة التي تشكلها لهذا السبب بالذات لا يمكن أن

(١١) في كتابه *Problems de philosophie*, Oxford, 1912, trad. Fr Paris, Payot, 1965, p. 110

p. 110

(١٢) انظر *Poésie et grammaire*, Essai de 1937 trad. dans *Change*, n° 29, 1976, p.

يُحتَرَل اللسان، مع أنه خَبِرُ العلاقات التفاضلية بوصفه - أي اللسان - نظاماً في الأدلة، إلى هذه العلاقات وإلى برسمة منجحة للمعنى فاللسان ليس معرفة، وإنما ممارسةٌ وحتى إن كان «إدراكُ العلاقة» - وهو فعل مطلق - سابقاً للمعرفة الفردية للأشياء^(٤٣)، في المعارف المتصلة بالعالم، فإنه لا يحلّ محلّها الثقة وإذا ما تناولنا تاريخ أدبه أخرى في التعبير أكثر سيولة، وهي الرسم، فإن اختيار العلاقات بين الكُتَل، كأعراص أولى، لا يمكن تصوّره في بداية القرن العشرين إلا في اتصاله بتقليد طويل الأمد كان تُشعّخ المادة بدقة الرسم وفحامة الألوان^(٤٤)

إن موقع الألسنة في عقدة عمليات لتواصل بين المصموم ولعلاقة يجعلها في حالة توارن قلق بين اللاعقلاني والعقلاني أيضاً ومن جهة أخرى، فإنها مستودعات التحيل ولا تأبه كثيراً بالمتطلّات المطقية، في شكلها الكلاسيكي على الأقل، وبسبب التعارضات التي يعمها حاسمة دائماً يد تُقفي على نفايا بدخلات وعلى مناطق تسرب تتسلل منها مختلف "الشوائب" إلا أن هناك حتماً، من جهة أخرى، منطقاً للألسنة، على الرغم من عدم تطابقه بأي شكل من الأشكال مع المنطق المعترف به. إذ تُعبر الألسنة، بإحصاءها المادة لصوبه إلى مختلف لقيود وبرتبطها بالمعنى بقواعد من التوفيق المعقّده وتنظيمها الهرمي للأدلة وللجمال، عن أهلية الإنسان لتنظيم ما هو متواصل وتحديد تحريم الفئت من خلال كثافة لأشياء

لكن ماذا يمكننا أن نقول عن هذه الأهلية في نهاية المطاف؟ إنها عنصر يدخل في تعريف الجنس البشري ويشكّله خلافاً لبقية لأجناس الأخرى، وهي موجودة في ذاتها، ويمكن، بعبارة أخرى،

(٤٣) C. Lévi-Strauss, *Le regard éloigné*. Paris, Plon, 1983, p. 163-164 (éd. angl. 1972)

(٤٤) ريمس يجيب تالين دورة براك (Braque)، في عبارة التي استشهد بها في ١٣٦ من العمل الخامس، وفق هذا المعنى

تصوّرها بمعزل عن العلاقات التحاطية ومع ذلك، ربما أنها تُسعملُ
في كل مقام حوارِي، فهي تنصغي وتنكتيف وفق الحاجات التي
يمررها سادل الكلام الدائم لهذا السب فإن اللسانيات تُخبرنا، بإمرار
موقع العرّص . اللسان بالنسبة إلى العالم وإلى المطلق، عن شيء
جوهرِي في الإنسان فبناؤه لمصنوعات لسانيه تمثيلية أسح الإنسان
المعنى، وجعل من هذا الأخير أداة للتداول وإنتاج المعنى، حتى
وإن بدا هذا المعنى مخابياً تماماً أو كان لاستعمالات داخلية أو
علاجية حصراً، موجّه بعائته نفسها نحو العلاقه التحاطيه، أي نحو
المجتمع

الفصل السابع

نظام الكلمات

ونظام العالم

الخلافاً حول النظام الطبيعي

هل هناك نظام طبيعي، وبالتالي مبررٌ عالمياً، للكلمات داخل
الحملة؟ فالألسه تحلل تجربة العالم إلى أدلة منظومة بصورة حطة
ومن المجدي معابة هذه الواقعة السيطه لما فيها من دروس لنا حول
بعض الحواض التي بعكس صورة الجس البشري، وأيضاً حول
لطريقه التي تم بها معابته في تاريخ الفكر اللعوي فعلى الباحث
اللساني هبا أن يتحول إلى مؤرخ يد تسق عملية سر طنقات الفكر
المتصل بنظام الكلمات، عملة عرص مراحل تريحياً ويبقى نظام
الكلمات، من دون لعودة إلى هذه المسيرة، مجرد شرط شكلي
وبالتالي يكون قد محو المعطيات الاجتماعية، لا بل حتى السياسة،
التي يحملها ولا شك في أن استرجاع هذا التاريخ لا يعني إعطاء
مفسر ما، أو حتى نظرية تأويلية إنه بسط لمرحل محل الرباط
الذي يفيها حبسه في لعافه معقودة، والكشف عن مفاصلها بوصح
أكبر إلا أن هناك درساً مستحصه من ذلك إذ يبدو أن شهد،
وأعد من حاة نظم الكلمات الحاصه، بروع حقيقة كلية قد يصح
للتطبيق على علوم الإنسان الأخرى، في هذه الأرمه من الشك
المهجني في الإجراءات التي نقود إلى دراسته وهذه الحقيقة هي أنه
لا يمكن فصل اللسان عن تاريخ السبابات
قد ندو دراسة المتوالية التي نتظم وفيها كلمات الجمل بحثاً

تخصّصياً بحثاً، وقصية لا تتضمّن ما هو مهم خارج النحور، وجدلاً لا يجذب اهتمام من هم خارج طلائع اللسان ومع ذلك نجد، ومن دون الذهاب أبعد من المرحلة القديمة اليونانية واللاتينية، أن هذا الجدل يبدو فلسفياً بقدر ما هو لساني فالاسم، عند ديسس داليكارناس (Denys d'Halicarnasse) (القرن الأول قبل الميلاد)، يعرّف عن الجوهر ويأتي قبل الفعل الذي يعرّف عن الطارئ وحسب وعلى المعنى أن يسبق المعمول لأن فعل المعنى سابق لطروف المكاد والرماد والحال. إلح. رد على ذلك أن على لصفة أن تنبع الموصوف، وعلى جملة الصيغة الدلالية أن تسبق جمل الصيغ الأخرى ولقد دام أثر هذا المذهب طويلاً، على الرغم من قيام صاحبه المعروف نفسه بتقديمه بشيء من الحذر ومن رفض كاتشيدان (Quintilien) له إذ وجده بالغ التعقيد وأثبت بسهولة أن التحرة تدحّصه أو لتقلّ إن الادّعاءات التي قام عليها كانت من القوّة بحيث حافظت طويلاً على أتباع لها. وعلى الأعداء أن عالم المنطوقة اليوناني ديمتريوس إيكسيور (Démétrios Ixion)، في العصر الإسكندراني، كان أول من أطلق في مؤلّفه لرئيسي المعروف تحت عنوانه اللاتيني *De elocutione* (في المنطوقة) اسم "النظام الطبيعي" (في اليونانية *physikê taxis*) على نظام توالي الكلمات عند ديسس داليكارناس وهو نظام ينصح به ديمتريوس بدوره

لقد وجد مذهب النظام الطبيعي حقلاً مثالياً للتطبيق في اللغة العرسيّة، كما بدت في القرن السادس عشر من خلال الدفاع عن الـ *sermo vulgans*، أي اللغة الدارجة مقابل اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلماء. وجاءت العقلانية الديكارتية تأييداً مهيئاً لذلك المذهب منذ الثلث الثاني من القرن السابع عشر، أي مع بداية العصر الكلاسيكي واعتبر تلامذة ديكارت المقولات اللسانية مكومات كلية للعقل العصري وبالتالي رأوا النظام الطبيعي، الذي يرثها تدريجياً وفق تراتبية، نظام العقل بالذات وبما أنهم كانوا يأحدون به كمنظام

مرجعني فلقد اعتبروا، منطقياً، كل بناء بحيد عنه "قديماً"، وعروا مثل هـد الساء إلى الحال، ويشكل عدم إلى الأهواء التي تستمي بالضرورة، لأن موطنها هو الجسد، إلى مجال غير الكامل. والأمر أن العقل وحده هو الكامل، بحسب الثنائية العقلانية، ثنائية الروح والجسد أو الجوهر والمادة، التي كانوا يعتمدونها كإطار سام لأي تفسير أما الأهواء فهي عقبات في وجه الطريق التي تفود إلى مُملكة العقل

كانت حبيدية هذا المذهب السياسية ظاهرة محصنة، والحمقة أن خياراً أيديولوجياً أضيف إليها. إذ لم يكن الدفاع عن العرسية أمام اللاتينية دعاءً عن سان أمام آخر وحسب، بل كان في قلب الصراع بين القدامى والمحدثين. فلقد شيد كتاب لو لابورور (Le Laboureur)، وهو يحيل إلى سلامة ديكارت ويحمل عنوان *Avantages de la langue française sur la langue latine* (مميزات اللغة الفرنسية بالمقارنة مع اللغة اللاتينية)، على النظام الطبيعي نظرية حقيقية عامة للغة. ولا يشعر الكاتب فيه بالخرج من عدم اعتدال الموارد التي يقسمها. إذ يعلن ساطة أنه بما أن البشر بتقاسمون المادى المسطوية نفسها فإن اللاتينيين، وهم يمارسون القلب بسهولة، سحذثون رداً بطريقة تختلف عن الطريقة التي يمشرون بها، بينما يتزامن وتنطاق التفكير والتعبير عند العرسيين. ولا شك في أن تحفظات فوجلاس (Vaugelas)، التي تدافع عن العرف أمام العقل وتدين حثياً سيادة العقلانية، كانت معروفة منذ العام ١٦٤٧ إلا أنها، ومن جهة، كانت معتدلة وغير مباشرة إذ كان فوجلاس، والكثير من أمثاله، يحذر من استعمال القلب وذلك باسم «الترتيب السليم والصحيح للكلمات»، وهو أمر كان يرى فيه «أحد أكبر أسرار صعبة الأسلوب»^(١) ومن جهة أخرى، فإن الأب بوهور

(١) انظر C F de Vaugelas, *Remarques sur la langue française*, 1647, éd. Chassang, Paris, 1911, t. II, p. 20.

(Bonhours) الذي سار على هديه في نقاط أخرى ودافع، في كتابه *Entretiens d'Ariste et d'Eugene* (حوارات بين أريست وأوجين) (١٦٧١)، عن النظام الطبيعي أمام القُرب مع إقراره بأهميته في اختبار الكلمات ومعانيها لا في انتظامها داخل الجمل^(٢)

وبلت ذلك مساهمات أخرى عدتها البرة الأبدولوجية نفسها
فصدر عام ١٦٧٥ كتاب *Defense de la poesie et de la langue française* (دفاع عن الشعر وعن اللغة الفرنسية) لديماريه دو سان سورلان (Desmaret de Saint-Sorlin)، وفي عام ١٦٨٣ كتاب *De l'excellence de la langue française* لشاربانتيه (Charpentier) (سموّ اللغة الفرنسية)، وهو مؤلف كبير لأحد أهم أنصار لمحدثين ويؤكد فيه شاربانتيه، في ما يتصل بالعاق المتوالية في الجمل اللاتينية من انقيود، تفوق ما يُطلق عليه، مترجماً على الأعلب التعبير اللاتيني *rectus ordo* لكانسيليان، معبر «*construction directe*» (المساء المباشر)، وهو تعبير كثيراً ما سينكر في القرن الثامن عشر فالباء "مباشر" لأنه، في اعتقادهم، يعكس مباشرة نظام الأفكار من خلال تنظيم الكلمات ثم ظهر في نهاية القرن السابع عشر معجمان كبيران هما معجم ريشليه (Richelet) (١٦٨٠) ومعجم فيروتيير (Furetiere) (١٦٨٤) وهما جمع ومحضلة بقدر كونهما شاهدين موثوقين ويذكر هذان المعجمان في أبواب "ترتيب" و"بناء" و"قلب" و"نقل" أن النظام الطبيعي متطلب منطقي يذيعه تميز به اللغة الفرنسية

وهكذا نجد أن الجدال حول النظام الطبيعي لا يقتصر على مجرد جدل مدرسي بين المحويين، بل هو وثقة أساسية في ملف الدفاع عن اللغة الفرنسية، إن لم يكن عن هيئة الدولة كما سيصبح في نهاية القرن السابع عشر وخلال فترة طويلة من القرن الثامن عشر في صلب ما يسمى بالمواعد الكلية إنها ليست مجرد قضية تعي

(٢) راجع U Ricken, *Grammaire et philosophie au Siècle des Lumières*, Lille, P U L 1978, p. 20

فمهاء اندعة أو المعسرير والقواعد الكثرة في العصر الكلاسيكي نظام
 فسمي تماماً، موضوعها اللسان بوصفه محالاً للمنطق الطبيعي أو
 بمصيح تحيلتي عهوي إنه منظومة ليس مجرد انعكاس تحت للمعطي
 الحسني المباشر، بل هو على العكس مصعنة تنظيم دون العلم ورد ما
 اتفق انجويون - العلاسفة بشكل عام على هذه الرؤية للسان كشكر
 أولي لفكر لتقدي، فإن الاعتماد بالنظام الطبيعي العاكس لنظام العقل
 سيواجه هرات خطيره، حدثت إحداها إثر الجدل حول لحيار فقد
 انتقد بامسكار (Pasca) الحيال علماً وأيضاً مالبرانش (Malebranche)
 إلا أن علم الجمال الحسني المستوحى، عند دو بوس (Du Bos)^(٣)
 على سبيل المثال، من كتاب لوك (Locke) المهم^(٤) فيعتبر الحيات
 مدكه تقوم على الإدراك الحسني هي، بالتعارض مع العقل وصد،
 معيار التدوق إلا أن انديكارتيبيس ح دو كوردوموا (G de
 Cordemoy)^(٥) وب لامي (B. Lamy)^(٦)، ومد البصف الثاني من
 لقرن السابع عشر، كان قد أعطى، من خلال سر بصميتب الثائنة
 الديكارتيه نفسها، أهمية مترايدة للأسس النفسية الفيريولوجية
 للكلام

ليس من الصعب رصد أثر كل هذا في مذهب النظام الطبيعي
 ولقد أشار لامي، في طبعة عام ١٧٠١ من كتابه وفي حديثه عن
 الأساليب المنطوقية التي اعتبرها لغة الأهواء الحاضرة، إلى أن الانطباع
 لموتي الذي تتركه هذه الصور في نفس المستمع يعود إلى قدرتها
 على هدم النظام الطبيعي ويمكن ملاحظة آثارها في حالات محددة

(٣) في كتابه *Réflexions critiques sur la poésie et sur la peinture*. Paris, 1719

(٤) وهو بعنوان *Essai sur l'entendement humain*, London, 1690, 1^{ère} trad. Fr Paris, 1700.

(٥) في كتابه *Discours physique de la parole*. Paris, 1668

(٦) في كتابه *La rhétorique ou l'art de parler*. Paris, 1675 ولقد لامي هذا الكتاب بحاش

كثير، ويبلغ عدد طبعاته حوالي عشرين طبعه

في التعصب والوقف والطباق، وبخاصة في التقديم والتأخير الذي يجزئ، كما يعتر عنه أصل الكلمة اليوناني، التركيب المتصامس بإدخال كلمه أو مجموعة من الكلمات فيه فالنظام الطبيعي إذاً هو الذي يؤخذ الأفكار فيما بينها داخل الحطاب تبعاً لعلاقات شبيهة بتلك التي تؤخذ بينها في الدهر ويشبه هذا الموقف إلى حد كبير موقف كونديليلاك (Condillac) الذي سيخصص إليه حدس فيسبلون (Fénelon)^(٧) الذي يرى أن صرامة نسلسل الكلمات في اللغة العرسية وسد القلب هما علّة جفاء الأسلوب وغياب التنوع والبيان والمرحرف في الشر العرسية فهذا الشر مقتد وحسوع غير قادر على الإدهاش والإفتان

ولقد شغل الخلاف حول نظام الكلمات، منذ الربع الثاني من القرن الثامن عشر، موضعاً مهماً وحاسماً داخل الجدل الفلسفي ومع ذلك فقد استمرّ الدواع عما يُعتقد أنه النظام الطبيعي للغة العرسية، وبقي وثيقة إثبات في صلب القضية المرفوعة على اللغة اللاتينية، لغة النظام الحرّ ولقد صدر ضمن هذا السياق وفي العام ١٧٤٧ كتاب لـ لفرّح جيرار (G. Girard) بعنوان *Les vrais principes de la langue française* (الأصول الحقيقية للغة الفرنسية) حظي بشهرة كبيرة بسبب التأييد الذي لاقاه وبعض الاستقادات التي أثارها ويمكن اعتباره، على الرغم من عدم توسعه في هذا المجال بالذات، أهمّ تصنيف لأنماط الألسنة، يقوم على نظام الكلمات، أعطاه القرن الثامن عشر العرسية إذ كان جيرار يمتلك وعياً حاداً بالرهانات التي يواجهها عمله وتشهد على ذلك مرحلة من مراحل حياته^(٨) فلقد تعلّم الروسية وأصبح مترجم الملك لويس الخامس عشر، كما ربطته

(٧) في رسالته *Réflexions sur la grammaire, la rhétorique, la poétique et l'histoire*

(= *Lettre à l'Académie*), Paris, 1716.

(٨) انظر الطبع الأخير من كتابه الصادرة في باريس وجيف عام ١٩٨٣ من دار (Droz) مع مقدمه

لـ بـ سويغر (P. Swiggers) من ١٣

علافة وثيقة بالشاعر واللساني الروسي ف. ك. تريدياكوفسكي (V. K. Trediakovsky) الذي أقام مدة في باريس ولقد كان هذا الأخير ضمن مجموعة النحويين والكتاب الروس اللطبيين الذين انتقدوا، مع م. ف. لومونوسوف (M. V. Lomonosov)، احتكار اللغة لسلافونية s. avon للأدب^(٩)

يقترح جيرار، في مقطع مشهور في أول صفحات كتابه (ص ٢٣ - ٢٥) ومن دون أن يحصي اعتراضه بأنه أول من يؤسس في ذلك لمصح نحوي، تقسيم السنة العالم إلى ثلاثة أعمار الأول هو نمط الألسنة التي يطلق عليها اسم "لُماظرة" (أي المماظرة لتسلسل الأفكار التي يسنم بها وفق تقليد النظام الطبيعي *ordo naturalis*) فهي «تتبع في أسيتها، وبصورة عادة، النظام الطبيعي وتتبع الأفكار فالفاعل يأتي أولاً ثم يليه الفعل توافقه تعبيرانه، ثم يأتي بعد ذلك عرص الفعل ونهايته» وبالطبع فإن المدرسة (ومعها الإيطالية والإنسانية) من بين الألسنة لمماظرة وعلى العكس من ذلك، بقود نظام كلمات السنة النمط الثاني «سبّد الحطأ والريف» وفق ماسكال، أي الخيال وهو الموضوع المركزي للجدل هذه الألسنة «لا تتبع في بناء جملتها بظماً آخر غير شكلة الحال، فتارة تأتي عرص الفعل أولاً وتارة الفعل وتارة أخرى التعديل أو الطرف». ويسمّي جيرار هذه الألسنة "لألسنة المعدلة" على اعتبار أن النظم الطبيعي هو المعيار ويقدم مثلاً على مثل هذه الألسنة، الانلاسية بطبيعة الحال ويطلق أخيراً سم "لحليط" أو، بصورة فقهية أكثر، "مردوج المبطق" على نمط الألسنة التي «تمرح بين المعطين الأولين» في آن معاً، وتمثله اليونانية بحسب ما بدا له ولا يقدم جيرار أي تعبير لهذا الساقص الظاهر، ما عدا قوله إن اليونانية تمتلك معاً أداة التعريف، وهي من سمات الألسنة

(٩) C. Hagège, «Voies et destins de l'action humaine sur les langues», op. cit., p. 47-54

المناظرة، وحالات التصريف، وهي من سمات لألسنة المعدّنة
 إن الحماية العقلانية حملت حيرار بعيداً عن المعقول إذ يؤكد
 أن عبرية اللاتينية، وهي لغة معدّنة، وعبرية الفرنسية، وهي لغة
 مناظرة، مختلفان للدرجة أنه لا يمكن أن تكون إحداهما اللغة الأم
 للأخرى فلقد استعارت الفرنسية من اللاتينية العديد من المفردات
 وحسب، لكنها حافظت، بتوارثها عن الشعوب السانقة للعرو
 الروماني، على عبقريتها الخاصة كلغة مناظرة. وهذا يدلّ على جبرار
 لتقليد سياسي "علمي" قديم وقويّ. إذ كان أنصار اللغة السلتية
 المعادون لللاتينية، ومن عصر النهضة على الأقل، يدافعون عن مفولة
 الأصل العالي للغة الفرنسية. وإن كان هذا العرو الوطني قد بدا له
 ذا قيمة ما، لأنه كان يسوي بطبيعته الحال المساهمة في المحاولة
 القومية للدفاع عن اللغة الفرنسية وإشهارها، إلا أن عابته الشخصية لم
 تكن تاريخية. والحق أنها كانت مضادة للتاريخ، أو لقلّ لارسة،
 شبيهة في ذلك بعبرها في عصر كان، مع ذلك، شديد الاهتمام
 بالكثافة الحقيقية للرسم^(١٠) وإذا ما فسا محاولة حيرار بمقياس هو
 ليس له بالأكيد وإنما هو مقياسا اليوم، فلا يسم إلا الاشبه بها
 فإن تفرد نتيجة الاختلاف النصيبي إلى انعدام القوابه يعني، في لغت
 المعاصره، ارتكاب خطأ منهجي لأنها تعتبر تماثل لسي والسب
 التاريخي سمتن مميّزين مستقلّين مع أنهما متوارثان في أغلب
 الأحيان^(١١) فلعلنا من أصل تاريخي واحد هما فريتان حد من
 بعضهما البعض (مثل على ذلك الفرنسي والإيطالية، فهما من العائلة

(١٠) يحمّد ديرو (Diderot) في *Lettre sur les sourds et muets* (رسالة في الصم والبكم)
 (انظر من ٢٢٧ وما بعدها) يباراً أكثر اهتماماً بالتاريخ. انظر أيضاً الحداث المهيدي
 لدالامبير (d'Alembert) للموسوعة، وأيضاً S. Auroux, *La sémiotique des*
Encyclopedistes. Essai d'épistémologie historique des sciences du langage.
 Paris, Payot, 1979, p. 299-300

(١١) راجع كتابنا ألف الذكر C Hagège, *La structure des langues* op cit, p. 8

لهندية الأوروبية نفسها ومن فرع الرومان)، إلا أن هذا الأمر ليس بمثابة لغز (مثال على ذلك الإنجليزية والهندية فهما شديدتا الاختلاف على الرغم من أنهما من العائلة الهندية الأوروبية نفسها) وعلى العكس من ذلك، فقد تكون هناك شابهات مطية مهمة بين الألسنة لا قرابة بينها وبعود، على سبيل المثال، إلى احتكاك طوبل الأمد بينها كما هي حال الأرمينية والجيورجية ومع ذلك يزداد المعان الذي كنه بوريه (Beauzée) ودوشيه (Douchet) عام ١٧٦٥، في كتاب "للسان" من الموسوعة، صدى هذا الحظ بين لمدأين التصيين ويعبر عن سنة ابعلاسة وهي إحلل القواعد لكلية محلّ معه الألسنة، وعدم تصيف الألسنة محلّ علم الاشتقاق، وعلم النحو محلّ علم الدلالة وعليها الإقرار، بحديثاً، بالدور المهم الذي أداه انقش حيرار في تاريخ القواعد العربية وذلك للمكانه التي أعطاه لعلم النحو وكذلك لعدم تصيف الألسنة المبني على نظم الكلمات في الجملة

ومن بين أهم المدافعين عن النظام الطبيعي الذين قرأهم حيرار سرر دو مارسه (Du Marsais) فلمد غروف هذا الأخير في بداية القرن الثامن عشر من خلال كتابات^(١٢) بطانب فيها تعليم اللاتينية بعد 'إعادة' لنظام المنطقي (أي نظام اللغة لمرسبة بالطبع) إلى الحمل للاتينية التي تبعد عنه بسب هبمة موصى انحيان والأهواء عليها' في حين صدرت إداه النظام الطبيعي، في معسكر المفضل، عن فلسفة كوديبياك احسية فانمكر، وفق هذه الفلسفة، إحساس منحور لسر إلا ويدافع في كتابه *Essai sur l'origine des connaissances humaines* (رسالة في أصل المعارف الإنسانية) (١٧٤٦) عن فكرة مفادها أن نظم الكلمات، لصفة بالسنة إلى

(١٢) *Exposition d'une methode raisonnée pour apprendre la langue latine*, أنظر Paris. 1722 *Véritables principes de la grammaire ou nouvelle* وأنظر كذلك *grammaire raisonnée pour apprendre la langue latine*, Paris. 1729

الاسم على سبيل المثال، يرتبط بانطباع المتكلم إذ يعكس أن يقول grand arbre (شجرة كبيرة) أو arbre grand بحسب درجة تأثرنا بالإحساس بالكبر وبالتالي فالنظام العربي والنظام اللاتيني طبيعتان سواء، ولا يلبو القلب قلباً إلا إذا اعتبرا مسبقاً أن الترتيب في الفرنسية ترتيباً إحصائياً. فالتركيبة التي يعتقد أنها "مقلوبة" هي طبيعية بقدر تركيبة الفرنسية التي، إذا ما نمعنا فيها جنداً ومن دون أفكار مسبقة، نحوي من التركيبة المقلوبة بعدد ما تحويه من التركيبة "الطبيعية" وهناك عبارة للمشر فليشييه (Fléchière) نعماً كمثال، من بين جملة غيرها، لإظهار أنه يمكن للفرنسية، عند "حرق" النظام الطبيعي المرعوم، تكبيف مواقع الكلمات بحيث تتوافق مع التعبير الأمير عن المشاعر والعبارة هي «ها قد انطلق عالياً، هارماً نحو الجبال، هذا السر الذي كان تحليقه الجسور يثب الدعر في مقاطعاته»^(١٣)

يصفي باتو Batteux الطابع الراديكالي على فلسفة كونديليياك ويؤكد في *Lettres sur la phrase française comparée avec la phrase latine* (رسائل في الجملة الفرنسية بالمقارنة مع الجملة اللاتينية) (١٧٤٨) أن الفرنسية، ويعكس ما يحلو لأبصار النظام المباشر تكراره، تغصن بحالات القلب ويحاول باتو تعادي دائرية الإجراء الذي يعرف القلب وفق النظام الطبيعي نفسه بمصطلح القلب يشير، من وجهة نظره، إلى الانزياحات عن نظام الأفكار لا عن النظام المعتدول الذي اعتاده الباطقون بلسان ما وجعلوا منه نموذجاً يتفق مع حدس مستدل فاحتياراً لما يريد تسميته أولاً هو الذي يتحكم، بحسب باتو، بتسلسل الكلمات وقد يفود هذا التسلسل إلى الانزياح عن سلسل الأفكار إن ما ينقص باتو هو التأكيد بظرفية في التراتبية الإخبارية بالإضافة إلى التمريق الصارم بين وجهات النظر (انظر

(١٣) انظر E. B. de Condillac, *Œuvres philosophiques*, éd. Georges Le Roy, Paris,

U. Ricken, *op. cit.*, p. 106، قلا من 947 I, p. 576

لعصل التاسع) إلا أن الحجج ضد مبدأ النظام الطبيعي ملائمة تماماً، كتدث الحجج التي قدمها ديدرو (Diderot) عام ١٧٥١ في *Lettre sur les sourds et muets* (رسالة في الصم والبكم) وأظهر فيها أنه لا يوجد سبب واضح يدعو إلى اعتبار التعبير عن الجوهر أسبق طبعاً من التعبير عن الطارئ أو الصفة

ومع ذلك رادت حجة الخلاف حين صدرت، رداً على ناثر (Batteux) وكوندبياك وديدرو، مقالة دو مارسه (Du Marsais) في باب "تركيب" «construction» من الموسوعة (وكان دو مارسه السحوي فيها حتى وفاته عام ١٧٥٦)، ونحاضة مقالة بوريه في باب «قلب» «inversion» من الموسوعة نفسها (١٧٦٥)، وحين كرس بوريه فصلاً كاملاً من أكثر من مائة صفحة لهذه المسألة في كتابه *Grammaire générale* (القواعد العامة) (١٧٦٧) فلقط طار هذان الباحثان ثابته للدفاع عن النظام الطبيعي. إذ يجب منطقياً تسمية ما هو موجود قبل تسمية الحدث *prius esse quam operari*، وأسلوب الوجود أو التعبيرات *prius esse quam sic esse* إن تلك الصياغة اللاتينية بحد ذاتها، وهي تحديداً لسان لا يراعي هذا النظام إذ يصح *sic* (هكذا) أمام *esse* (مصدر فعل الـكون)، يعطي هنا طباعاً لا يحدو من العناية! مهما يكن من أمر، فإن بوريه يؤجج الخلاف «بحلظ لسيد ناتو بين الأهواء والحقيقة، وبين المصنعة والوصوح، وبين المسطوقة والقواعد، وبين الوصف الطارئ لمشاعر القلب والحرص لواضح والدقيق لمذكرات لدن المطرية ()» ولقلها مرة أخيرة، إن ما هو طبيعي في القواعد طارئ أو غريب في المسطوقة، وما هو طبيعي في المسطوقة طارئ أو غريب في القواعد» («القواعد العامة» II، ص ٥٢٦ وما يليها) وكما يرى فليس من الممكن التوفيق بين هذه المواقف. فالسنة إلى بوريه، ليس في لقواعد من نظام غير النظام الطبيعي، ولا يمكن لأي انتهاك له، لأنه مسوحي من الأهواء، أن يمتد إلى القواعد بصله بل هو ينتمي إلى

المسطورة التي تعابير، بالتحديد، التعبير التي تُحل بهذا النظام

ولم يسه الحدل عند هذا الحد، إذ عاود بأنو هجومه على
العقلايين وراى من حذنه وبخاصة في *Nouvel examen du prejuge de*
l'inversion pour servir de réponse a M. Beauzée (معاينة جديدة
للرأي المسبق عن القلب رداً على السيد بوزيه) (١٧٦٧)، فبات على
حصومه كونهم أصحاب برعة صفائية لا غير، بأحدول الشروط التي
يسونها على أنها انعكاس لنواقع «سرعان ما اقتنع المحويون، الذين
أقاموا شروطهم على اللسان الذي قام وستقر قلوبهم، أن شروطهم
هي الطبيعة نفسها التي تحكممت بشاة الألسنة» (ص ٢٩) بهذه
الطريقة أدت العقلائية المفترية ذات البرعة المعادية للتاريخ التي
اتسم بها فكر النظام، الطبيعي الذي سجاهل التطور بالمراحل وقرر
مبادئ تعتمد على التنظيم المسبق عوضاً عن تصورها نتائج سيرورة
ديناميكية يستعيد ناثر أيضاً حجة جوهرية لطالما استعاد منها فيما
مضى حصوم عقيدة النظام الطبيعي *ordo naturalis*، ولم ينف أنصر
تلك العقيدة أنفسهم صلاحيتها فبعد لاحظ الجمع، من لامي إلى
موريه مرور، بحيرار وكومدييك وديندرو ودو مارسبه، أن نصارىف
الأسماء في اللاتينية تكفي للإشارة إلى اللوطائف، وأنها تؤذي لدور
نفسه الذي للموقع في الفرنسية فعوضاً عن أن تشير الفرنسية إلى
الفعل والمفعول محالتي الرفع والنصب اللذين تعيينان عنها، فبها
شير إليهما بموقعهما، الأول قبل الفعل المتعدي والثاني بعده

إن يعرف مد زمن بعيد أنه يمكن للوفائع نفسها أن ترقد، في
الحلافات، لعدمه، صباغة بطريقتين معارصنتين إذ يرى المعص أن
الإضافات إلى أواخر الكلمات في اللغة اللاتينية "نصوص" "انهاك"
النظام الطبيعي في كافة حالات "القلب"، سما يرى المعص الآخر أن
تبجيل متتالية العاغل - الفعل - المفعول ("الطبيعية") يعني تحويل
الضرورة إلى فضيلة فالفرنسية غير قادرة على إظهار اللوطيفة عن
طريق الأشكال (الإضافات العرضية إلى أواخر الكلمات) لذا فهي

مرعته على إظهارها من خلال مواقع لكلمات وبالتالي فالمرسنة عبر قدره على قبول صيغ توليفيه، مثل تلك الصيغة اللاتينية *hominem fecit Deus*، تسترعي الحيل لتقديم المفعول على الفعل بد تعني العبارة اللاتينية السابقة حرفياً «الإنسان (من) خلقه (هو) الله» أي «خلق الله لإنسان» لقد ظهرت هذه الحجة وهذا المثال عند لامي منذ عام ١٦٧٦، وكان ديكارتياً يعني حدود العقلانية ثم أعاد الجميع استعمالهما من بعده، وبشير هنا إلى أن أحداً من كلا المعسكرين لم يشعر بالحرج الذي سببه تلك العائلة التي تكاد ترتدي حلّه الإنسان والتي نعزو إلى لسان "قرار" تعويض عيب الصيغ شتت المواقع داخل الجملة إذ لم يؤخذ لشطط اللسان لساظن قطّ نحن لا عسار (انظر الفصل العاشر)

استمرّ الخلاف في منتصف القرن الثامن عشر حول هذا الموضوع، وكانت امساحية الإنبيادة *L'Enéide*، وغيرها، ماذته *Arma virumque cano* «السلاح، ولأنطل أشد»، أي «أشدّ لمعارك ولأنطال (الدين)» فحسب دو مارسه استطاع فرجيل *Virgile* لاسنهلال بهذه العبارة بفصل إضافة علامة نصب *um* اني نتيج استعدده النظام الطبيعي الذي بدأ دهيأ تشكيل بيته الشعري وفقاً له، مما يحفف من حدة الانتهاكات لمستمزه التي يقع عليها في «لانسة» إلا أن ماثر يقلب الحجة إذ يتصمّن الفعل لمتعدي المقدم على المفعول، وفق النظام الذي يعتبره دو مارسه طبيعياً، وجود هذا المفعول، تماماً كما يتصمّن المفعول في حالة النصب والمقدم على الفعل وجود الفعل الذي يلحق به وهناك مثال آخر قدمه كوينديك، واستعمل بعده مناب المرات، أثر حمية بوريه *Darum vicit* Alexander (أدريوس، (من عليه) انتصر (كان) الإسكندر)، أي انتصر الإسكندر على داريوس فحسب ماثر، لس نظام كلمات هذه لجمده ولا البصام الحاصل عن الإبدال لتركيبتي، أي *Alexander vicit Darum*، طبعيين، إذ لا يعكسون عمليات الفكر بالإضافة

إلى ذلك، ينته ناتو إلى أن صلة الموصول، في جزء الجملة *Darius*،
que vainquit Alexander (داريوس الذي انتصر عليه
الإسكندر)، تحوي اسم الموصول المضاف *que* أمام الفعل
تماماً كما في الجملة الأولى من الجملتين اللاتينيتين ولا يكفي
لتوضيح هذا "الانتهاك" أن نقول إن الاسم الموصول هنا هو تحديد
حالة شدة أُنقِط عليها العرسيه في الأسماء الموصولة بينما فمديتها
الأسماء

القواعد والسياسة، نظام "الحكومة القديمة"

وحكومة "الثورة"، أو الوضع الفرنسي

يجب أن يصح داخل هذا السياق لحدلي ذلك العمل المعروف
بمعناه على أقل تقدير ويرجع صيت هذا العمل إلى موهبه كانه
أكثر منه إلى عمق محتواه أو حدته على وجه الخصوص إذ استحق
ريغارول (*Rivarol*) عام ١٧٨٣ عن كتابه *Discours sur l'universalité*
de la langue française (مقالة في عالمية اللغة الفرنسية) جائزة
أكاديمية برلين للمعلوم والآداب كما هو معلوم، لكن بعد حداث طويل
بين أعضاء لجنة التحكيم، وهو ما لا يعدمه الجميع بشكل كاف
فكل ما فعله الكاتب، وكان يعرف حق المعرفة أعمال كل طرف من
أطراف الخلاف، أنه لخص نظريتي النظام المباشر والطبيعي والحق
أن هاتين النظريتين كانتا قد أصبحتا، بعد أن مرّدت أصداؤهما عدد
مجموعة من المؤلفين طيلة حوالي قرن ونصف قبل ريغارول، في
عداد الأشياء المنددة المكرورة ويعود أثر كتاب ريغارول، الذي
عالم ما بدفع إلى سيات أعمال أخرى أكثر حذية بكثير (وأقلّ متاعاً
من دور شك) كانت وراء كتابته، إلى أسلوبه المبالغ والكاريكاتورتي
أحياناً لكن مع بعض العبارات الموقفة والمبالغة، كتلك التي سمع
عليها في أشهر مقاطع الكتاب "تسمي العرسيه فاعل الجملة أولاً ثم

المعمل وهو العمل، وأخيراً عرّض هذا المعمل دلكم لنظام الطبيعي عند جميع البشر () غير أن هذا النظام الملائم واللائم للتفكير العقلاني محال، بصورة شبه دائمة، للأحاسيس التي تُسبّغ أولاً ما يلفت أولاً لهذا السبب تحلّت جميع الشعوب عن النظام المباشر ورجأت إلى صبيح جريئة إلى حدّ ما وفق متطلبات الأحاسيس أو سجام الكلمات وبالتالي ساد لفت في أنحاء المعمورة () وبقيت الفرنسية وحدها، بمصل ميرة متعزدة، أمية لنظام الطبيعي وكأنه هو الصحيح () فعثّ نحاول الأهواء () دفعاً لانتاع نظام الأحاسيس إلا أن النحو الفرنسي غير قابل للعساد وهنا أصل هذا الوصوح الرائع الذي هو الأساس الأرنّي للسانا فما ليس واصحاً ليس فرسياً^(١٤)

وكما عجز إنشاء ريفارول عن تقديم ما هو حديد في عمق المسألة، عذب الانتقادات التي أثارها إلى المقولات انحسبة لمدرسة كويندياك إلا أن الجدل أحد، في فترة نهاية القرن الثامن عشر هذه، محي سياسياً واصحاً والنظريات اللسانية قلما تكون بريئة وهي ها أقل براءة منها في آفة مرحلة رمية أخرى فلقد صدرت دراستان عام ١٧٨٥ نشرحان وتنفقان مقولة ريفارول، الأولى لـ أ. دوميرع (U Domergue) نشرها في صحيفته *Journal de la langue française*، وهي بحثة مستودع مشهور وعني بالمعلومات حول فرنسية الثورة الفرنسية، لسان عصر اكتسب فيه الأسبوت تلك الطاقة التي تمسحها الحرمة (*Journal* عام ١٧٩١) أما الثانية فقدم ح. غار (J Garat) نشرها في صحيفة *Mercur de France* ولقد أطلق على الأول خلال الثورة الفرنسية لقب "المحوي لوطني"، وصار الثاني وزيراً للمعدل في عهد روبسبير (Robespierre) ثم بدأ في عهد حكومة المدبرين (Directoire) بتدريس فلسفه كويندياك في دار المعلمين

(١٤) انظر A. de Rivarol, *De l'universalité de la langue française*, op. cit., p. 89-90

(l'Ecole Normale)، حيث راعى العديد من المنظرين الأيديولوجيين المشهورين باعتباره أستاذ مادة تحليل الإدراك ويُصيغ اسم الشعبة الأولى من الصف الثاني في المعهد الذي كان يدرس فيه كاماني (Cabanis) وفولسيه (Volney)، وهو تحليل الأحاسيس والأفكار، عن الإرث الذي كان المنظرون الأيديولوجيون يديون به لكومبديناك كما لم يكن تلامي مثلهم العليا التحررية في السياسة ونظريتهم في النظام الحر للكلمات داخل الجمل عَرَصاً ونعنى الدراسة التقديتان عن ريدروو مثلاً على ذلك إذ يواجه الملاحظة هنا التأملات الميتافيزيقية كما يواجه العلم الدين يكتب غاراً في شرحه وتعليقه على ريدروو (ص ٢٦) «لقد كان صريحاً من الحبور المصالح فيه عند التماسه أن يندعوا قواعد ومنطقاً وميتافيزيقاً في حين كانت في الأساس موجودة وباحره في الألسنة ولو لاحظوا الألسنة جيداً لكانوا وحدوها لكنهم لم يعمدوا بالملاحظة، بل أرادوا أن يتدعوا وحين يريد المرء أن يتدع من دون ملاحظة سابقة لا يتوصل سوى إلى أحلام السقطة والأشياء المسافيه للعقل فلفد راودت فكرة كتيبه *Essai sur l'entendement humain* (رسالة في الإدراك الإنساني) دهن نوك لأول مرة أثناء تفكيره في الألسنة، فسقط فواها إلى أبعد حد نصيب مدانها»

تعطي عبارة ريدروو المشهورة عن وصوح اللغة الفرنسية طبعاً حاسماً، ومُزَصِّباً للعرور القومي، لأسطورة كانت، مثل الأفكار المسفة عن الحيل وقلب تسلسل الكلام، في قلب الجدل حول نظام الكلمات، منذ أكثر من قرن ومع أن الوقائع لا تنفي تماماً هذه النصيحة إلا أنه لا يمكن تسمين مفهوم لوصوح إلا تعاربات بسبه فالوصوح ليس عنواناً لقيمة كنية على الإطلاق، على الرغم مما قد يعتقد لبعض إذ بقول ت. سوزوكي (T. Suzuki) معلداً في ذلك ريدروو «ما هو واضح ليس مادياً»^(١٥) والحق أن الأمر لا يعنى

(١٥) انظر 2. *La langue close l'univers du japonais*. Tokyo, Shinchô-sha, chap. 2 =

هـ نظام الكلمات داخل الجملة اليابسة، وهو ما كان ريفارول
 ليصمه بالـ "مصطرب" (لأن المفعول يأتي في اليابانية قبل الفعل
 بدلاً من أن يأتي بعده)، وإنما بكثرة المترادفات النافذة لي تأتي في
 اليابانية من ثنائيات عديدة جداً يقابلها حرف تصوّري واحد وتسمي
 الكلمة لأولى من هذه الثنائية إلى المحرّون المحلّي سيما ستعيرت
 لكسبة من اللغة الصينية، مما يؤدي إلى شح التجانس الدلالي وإلى
 فئة الوحد في تلك المفردات. لا أن لعبات المحرّين للوصوح،
 في مجال الدليل كما في مجال نظام الكلمات، لا يبدو على الإطلاق
 مقيصة يشعر بها الناطقون بتلك الألسنة ومع ذلك ما تزال أسطورة
 الوصوح في فرنسا، وهي تروى بحسب ريفارول بالنظام المباشر،
 موجوده اليوم كما كانت بالأمس ولا يعتقد أنها ستخضع للمعاينة،
 فأنه حتى تدعمها تُعسر حجة صالحة إلا أن انتحاص الذي قدمه
 غرا لرسالة ريفارول عند صدورهما يردّ عليها بالقول إن خاصية
 الكلمات والنظام الأكثر ملاءمة للمحرّ، معرول عن قيود النظام
 الطبيعي المعروف، هما انعاملان الحقيقيان للوصوح "ليس النظام
 المباشر مصدر الوصوح الوحيد فالأفكار المصنوعة والحسنة النظم
 والمغتر عنها بالكلمة المباشرة أو بالكلمة التي تُعطي صورة صائبة هي
 أفكار واضحة في جميع الألسنة" (ص ٣١)

وهناك دومرع الذي وح ريفارول ودافع، بصورة أقوى مما
 فعله غارا، عن فلسفة كويدياك الحسية إذ لا يمكن بلوغ الوصوح،
 وهو ليس مدجاً لتسلسل ثابت، ما لم يتم التعبير عن المشاعر بحرية
 عن طريق حذر فريقي، وهذا يفرض نظاماً متغيراً. يتضح لنا أن
 المؤلف يردّ وصوح لسانا إلى النظم المباشر ويردّ ثابت قوتها إلى
 وصوحها لكن من النظام المباشر بداية؟ إنه حتماً ليس الترتيب

1 Tamba-Mecz, «Aperçu sur les notions d'ambiguïté et de paraphrase
 en japonais et sur leurs relations avec la lecture des idéogrammes sino-
 japonais», *Modèles linguistiques*, V 2, 1983, p. 78 (69-84)

المتتاع للفاعل والفعل والمفعول، وإنما ترتيب الأفكار داخل النظام الذي يحرصها فيه الدهن فعين أرى شعباً أي حين يكون الشعب أو ما تحمله عياني إلى ذهني، فإني أتبع النظام المباشر، ومهما كان اللسان الذي أنطق به، حين أبدأ جملة بكلمة شعب فسواء أصرحت باللاتينية *serpentem fuge* أم بالفرنسية *Un serpent! Fuyez!* (ثعبان! هربوا!) أكون في الحالتين أمياً للنظام المباشر وويل للغة الجافة والمساوية للعقل التي تريد أن تقول *Monsieur, prenez garde, voilà un serpent qui s'approche!* (احذر يا سيدي، هناك ثعبان يقترب!) ومع ذلك فالمؤلف يدفع الفرنسي إلى التكلم بهذه الطريقة، لأن هذا ما يسميه النظام المباشر (ص ٨٨٦) فإذا ما اعتبرنا نظام كلمات مطابقاً للعقل ومحالاً للأحاسيس طبيعياً، نكون عليها عندها أعباء هذه الأحاسيس غير طبيعية!

ليس الحدل حيادياً هنا أيضاً فترتيب الكلمات وفق تسلسل الأفكار يعني إعطاء التعبير الحرية التي يحجبها عنه حماة النظام ونكس المعارفة في أن الطروحة العملاية نصع الانتهاك ضمن القانون ويحب لتعادي هذا النقص عدم إعطاء سمه القانون للواقع المتغير لبناء الحمل الفرنسية والعديد من الألسنة الأخرى، حيث النظام المباشر هو مجرد سية ممكنة، من بين سى أخرى، ليست بالضرورة أكثر السى تداولاً هذا ما يُظهره دوميرع، وقله كور دو جيبلان (Court de Gébelin) عام ١٧٧٨ وج ك لافو (J.-C. Laveaux) الذي استهدف كتابه الصادر عام ١٧٨٤^(١١) رمارول على ما يبدو ولقد استلم لافو أثناء الثورة الفرنسية رئاسة تحرير صحيفة نواب اليسار *Journal de la Montagne*. فهو بالنالي لم يقل جراً

(١١) انظر J.-C. Laveaux, *Histoire naturelle de la parole*, op. cit., I. Cours théorique et pratique de langue et de littérature françaises, Berlin, A. Wever, 4 tomes.

العبارة التالية هي كتابه (١، ص ١٥) وهي تأتي بعد مقطع يهاجم فيه الأفكار العقلانية حول نظام الكلمات «يعتني لسان أمة ما وفق سبعة أفكارها، ولا تنتشر الأفكار إلا بالحرية والاستبداد الدني، يدعمه الاستبداد السياسي، يجعل الإنسانيه فظة أكثر مما يجعلها المساح أو المقر»

هناك نقطة قريبة من نظام الكلمات تنصص أيضاً بشكل حمي مواجهاة أيديولوجية فمد نهاية القرن السابع عشر على الأقل شب جدل حاد بين حصوم الألفاظ الجديدة وأنصارها وكما يمكن أن نتوقع فقد كان حصوم الألفاظ الجديدة أنصار القواعد العقلانية والنظام المباشر ومن بينهم القس ديمونتي (Desfontaines) صاحب *Dictionnaire néologique à l'usage des beaux esprits du siècle* (معجم الألفاظ الجديدة لمثقفني العصر) (١٧٢٦). وبانتواري كان المدافعون عن الحرية في نراكيب الجمل أنصار انتداع الكلمات الجديدة والاستعارات و"حالات القلب" مقابل النظام الطبيعي المرعوم، وأنصار كافة إجراءات التعبير التي قعد لها نظرياً فكر كوندسيك مقابل العقلانية الديكرتية واحتلعت المواقف داخل الأكاديمية الفرنسية فعد مرور عشرين عاماً على كلمة ديمونتي أمام أعضاء الأكاديمية بمساسة انصمامه إليها، وكانت هجوماً على انتداع الألفاظ الجديدة، أكد مونكريف (Moncrief) عام ١٧٤٢ - وهو تاريخ قال أحد مؤرخي الأفكار إن فيه «امتولب ثورة الألفاظ الجديدة على سجن الباستيل الأكاديمي»^(١٧) - أنه «لا يمكن ولا يحب تجميد لسان حي» وبعد هد التاريخ بثلاثة وأربعين عاماً كتب مرمونتيل (Marmontel) في كلمته عن سلطة التداول *Autorité de l'usage* (١٧٨٥)^(١٨) إنه «أي اللسان) مرعم كل يوم على أن يتوافق مع

(١٧) انظر J.-R. Armogathe, «Néologie et idéologie dans la langue française au XVIII^e siècle», *XVIII^e Siècle* n° 5, 1973, p. 22 (17-28).

(١٨) انظر Armogathe, *Ibid.* p. 22, n. 3.

طبائع عربية عنه () إذ بتقل المؤرخ والشاعر والفيلسوف كن يوم
إلى بلاد بعده () فمدا يكون مصيره إن لم يكن لسانه عالمي
مثله، إن لم يكن فيه ما يماثل ويقابل ألسه وأرمة البلاد التي بحثت
بها»

يُظهر ذلك عدم الجدل حول عالمية اللسان لكن خلافاً
للاستعارات المباشرة عن الإنجليزية والأميركية التي هي اليوم في
قلب الخلاف حول الدواع عن اللغة الفرنسية، فإن المقابلات التي
طالت بها مارموتش هي نواح أبداع ألفاظ جديدة داخلي فقد كانت
الألفاظ الجديدة، المستدعة بهذه الطريقة مد الثورة الفرنسية، كثيره
كما رُحِثَ بها سلطات النظام الجديد وفي عام ١٧٩١ وصفت
جمعية هواة اللغة الفرنسية *Société des Amateurs de la langue française*، التي حلت محل الأكاديمية الفرنسية، نصب أعينها مهمّة
«تقديم لائحة بالكلمات التي تدير بها للثورة» فقد أوجب ألوان
النشر الثوري، الذي لم تعب عنه الكلاسيكية في الحقيقة، لـ
س ميرسييه (L. S. Mercier) (مدعواً بالتيار الحثي مع أنه لم يكن
من تلامذة كوندريك) المقطع التالي، المقتبس عن مقدمة كتاب يعود
للعام ١٨٠١ ويحمل بحديثاً عنوان *Néologie ou vocabulaire des mots nouveaux* (النيولوجيا أو مفردات الكلمات الجديدة)، الذي
يعلن فيه عن نيته إعداد ملحق له بشكل مقالة حول حالات
«القلب» «النشر لنا، ولا شيء يعرض مسيرته ويعود إلينا أن
نطعمه بطابع أكثر حيوية () أفلا تستطيع الكلمات وحتى المصطلح
أخذ مكان يتبع لها أن نترك أعظم لأثر؟ فتراكيب ليست تشك
الصراخ التي أرادوا إقصا بها»

يعتر الحدث عن الطابع السياسي للجدل إذ هاجر الكونت
ريمارون، كمعظم السلاء الملكيين، عندما أصدرت الجمعية التأسيسية
(la Convention)، إثر اكتشاف مراسلاته مع الملك، قراراً باعتقاله
لقد استطاع ابن صاحب البرل القادم من نيبول سور سر (Bagnols

sur-Cèze بالقرب من أوريس (Uzès) في منطقة البييمون (Piémont) أن يصبح على التوالي سيلاً برنة فارس ثم كوت وذلك في ظروف ليست واضحة تماماً. أما الواضح فهو أنه كان، في كتاباته كما في عمله، إلى جانب أرستقراطية لنظام القديم. فلنظام الحكم والنظم الاجتماعي الحراس أنفسهم وسيحتد معلّمو الفكر في عهد لإصلاح الملكي الالتقاء «الذقة متناظرة» (بالمعنى الذي أُرده حيرار، انظر ص ١٥٧ وما بعدها) بقدر طبيعية القوانين التي يحضغ لها المجتمع. فلقد لاحظنا أن الذعة الفرنسية نفسها قد فقدت في عواصف الثورة شيئاً من طبيعتها، وأن العرب المثكلف والتراكيب انعمسة حلت محل انتظامها الحميل والنسب. صاحب هذا المقطع هو ل. دو بونالد (L. de Bonald)^(١٩) كما يقول ح. دو مبر (J. de Maistre)، الرعيم الآخر للاتجاه الكاثولكي لملكي بعد العهد الإمبراطوري، عن كوندريك في رساله إلى دو بونالد إن «أدبه أكبر من دُت بقية المتأمرين الحديثين»^(٢٠) تتوخد عن الأول والثاني نظرية النظام المباشر مع الاتجاه لمحافظة في السياسة. فالنسل انصارم والديق لنكلمات يعكس الشكل الطبيعي للدولة تُقوي هذه النظرية لسكونية حمود النظم السياسي، على العكس من ديناميه كوندريك القائمة على الحقن فكل انبهاك للقواعد التي يصعها "عقل" مسيطر يكون مستوحى من الرقص الثوري للنظم الملكي، نظام العقل وبالتالي بحب إبعاد الألفاظ الحديدة و"القلب" وكافة السمات الأخرى الحاصه سلاعة أناع الجمعية الأساسية في عهد الثورة (les Conventionnels) عن لداكره تماماً كالأحداث التي

(١٩) انظر *Œuvres complètes*, éd. de ١٨٦٤ (1^{re} éd. 18١9), Paris, t. III, p. 452.

(٢٠) H. Aarsleff, *The Study of Language in England, 1780-1860*, Princeton, ١٩٦٠.

U. Ruckert, «La *linguistique* N.J., Princeton University Press, 1967, p. 220.

critique sensualiste à l'encontre du *Discours sur l'universalité de la langue française* d'Antoine de Rivaroli, *Historiographia Linguistica*, I 1, 1973, p. 77 (67-80).

تعكسها «يبدو أن أفضل طريقة لنشد ذكرى تلك الأرملة المصعبة هي محور لعتها الخاصة الوحشية من مفرداتها»^(٢١) يدل ذلك على حماسة ارتباط الأحداث بشكل الخطاب الذي يعبر عنها.

نظام الكلمات

الصم - البكم ونسبية الطبيعي

ما من نظرية لسانية إلا واجهت المشكلة التي يطرحها تتابع الكلمات في الجمل ولقد أظهر البراع حول النظام المباشر مدى أهميته هذه المسألة وأبعادها الأيديولوجية ويوحى رصد اللسان في العديد من الحالات بضرورة إدخال طابع السية إلى فكرة الطبيعي، وهو متفدي ريمارول من تلامذة كوندريك الذين راوحوا مكانهم على عنه مجال رأوا حصه، وذلك لافتقارهم إلى معلومات متنوعة بشكل كاف وإلى أدوات عملاية ملائمة وإذا ما مررت للعامل «فا» وللصم «ف» وللصم «ف» في الجملة السبطة ذات العمل المتعدي «م» فإن أمثلة في اللغة الفرنسية مثل l'enfant a cassé le bâton (الولد كسر العصا، أي كسر الولد العصا) أو un chat aperçoit une souris (القط رأى فأراً، أي رأى القط فأراً) تكون ذات سية كالتالي SVO (فاعل فعل مفعول أو [فا ف م]) إلا أن نظام الكلمات في هذه الأمثلة، وهو أقرب إلى الكتابة منه إلى الشفاهة، ليس النظام الوحيد إذ يمكن، على سبيل المثال، أن نقول le bâton, l'enfant l'a cassé (العصا الولد كسرها) و il y a une souris, il y a un chat qui l'aperçoit (هناك فأراً، وهناك قطٌ راه) ومن جهة أخرى، فإن سية [فا ف م] لا تبدو طبيعية في نظر العقلانيين إلا بقدر تشبههم، تحت تأثير الفرنسية المكتوبة، في الافتتاح بأن على الأفكار أن

(٢١) انظر L. de Bonald. *Mélanges littéraires, politiques et philosophiques*, Paris, Le Clerc, 1819. I. 294

تعمل - وبالتالي على الجملة أن تسيطر - انطلاقاً من تعيين الفاعل كمصدر للمعل الذي يقوم به وانتهاءً بالعاية المرجوة لكن تكفي دراسة نظام الأدلة الإشارية، في معظم لغات الصم والكم، لكي نستنتج أن فيها إما السببية [م ف] (وهي الأكثر انتشاراً في اللغة الإشارية الأميركية) وإما السببية [م ف فا] (وهي عكس السببية [فا ف م]) وإما السببية [م فا ف]، لكن لا نجد السببية [فا ف م] وبالتالي يُقابل جملة *le chien chasse le lièvre* (الكلب يصطاد الأرنب، أي يصطاد الكلب الأرنب) في هذه الأنظمة إما سلسلة الأدلة "كلب" + "أرنب" + "يصطاد" حيث يأتي الفاعل والمفعول قبل العلاقة التي تربطهما، وإما "أرنب" + "كلب" + "يصطاد"، وإما "أرنب" + "يصطاد" + "كلب"، كما في إلقاء إيماني للمشهد، إذ يظهر الأرنب أولاً، بوصفه متصلراً وملاحقاً.

نتم ملاحظة الحصول الطبيعية لأعاط الموائية هذه في كتاب يعود إلى حوالي قرن مضى "يمكن البرهنة على أن لغا الحالية هي التي تعصر بحالات "القلب" لا لغة القدماء، كاللاتينية على سبيل المثال () فمن الخطأ معاملة نظام الجملة اللاتينية عند كتاب النثر كـ "حالات في القلب" لفتح أحد هذه الكتب، وليكن كتاب تاسيت (Tacite) على سبيل المثال يرى أنه اعتمد، منذ الجملة الأولى في *Annales* (حوليات)، النظام المألوف عند الصم والكم *Urbem Romam a principio reges habuerunt* وسفل هذه العبارة إلى اللغة الفرنسية كالتالي

Des rois eurent (ou gouvernèrent) d'abord la ville de Rome

ملوك حكموا أولاً مدينة روما (حكم الملوك أولاً مدينة روما)

وهذا يتطابق تماماً مع ما يمكن أن نعثر عليه الصم والكم "مدينة روما فيما مضى ملوك كان لهم" () إذ نعثر الصم والكم، وعلى عرار الشعوب (العموية)، عن أفكارهم في نظام تولد الأفكار (نظام

إيماء الحدث)^(٢٢) وكان سبق لديدرو، في رسالة حول الصم والبكم^(٢٣)، أن أوصى بدراسة أنظمة الإشارات المستخدمة للتواصل مع الصم والبكم، إذ بدت له فائدتها في دراسة اللغة أكيدة. فقد رأى فيها الطريق إلى حلّ مافض مهم في قلب العملية الحوارية. فالحدث يتم تصوّره فيها بصورة شاملة بينما يفصل تمثله اللساني مرحلته بالضرورة. وإذا ما عرف السلسل الطبيعي للأفكار بصح بإمكان على الأقل أن نتجّل كيف يتم تحليل الواقع بعد إدراكه في شموليه غير أن ديديرو يرى، وعلى أثر كوندبيك^(٢٤)، أن معرفه هذه التسلسل تتطلب اعتماد معيار النظام الذي أشعته الإشارات في حال اختيار لها كوسائل للتعبير.

والحق أن الإشارات هي التي كانت تُمثل الأحداث في الأصل، بحسب كوندبيك. فلقد رأى، متنبأً مقولة الأسبقية الرسمية للأسماء (الحلقة المفترقة انظر الفصل السادس، ص ١٧٥)، أن هذه الأسماء وحدها تتعشع بحصور لساني. وحين تمّ في مرحلة لاحقة استبدال الإشارات التي تعبر عن الأحداث بأفعال، بقي الاسم في المقدمه لأنه العصر الأول تاريخياً. وبالتالي، يتابع كوندبيك قائلاً، فإن نظام الكلمات كان في البداية "ثمرة" + "أراد"، وحين بلغ الإنسان مرحلة التعبير عن الفاعل وضعه في الموقع الأخير من الحملة. ويعطى ذلك وفق الصيغة الحديثة [م ف ها]، أي تماماً عكس السية الكلثة [ها ف م] وهي النظام الذي نصّعه مسبقاً البطره المعاديه للتاريخ.

وهكذا يبدو، وعلى الرغم من بعض مفائض منهج كوندبيك،

(٢٢) انظر A. Goguelot. *Comment on fait parler les sourds-muets*, Paris, 1889, p. 297-300

الإشارات بين معقوفين هي ١ م جوس M. Jousse في كتابه *Le style oral*, op. cit

وفي يشهد بهذا الكتاب (ص ٩٧ - ٩٩)

(٢٣) *Lettre sur les sourds et muets* 175, éd. Meyer, Genève, 1965

(٢٤) انظر *Œuvres philosophiques*, op. cit I, p. 577

أنب إذا ما نسب أسلوب التفكير وفق نظام العالم ونحسب تمثّل
إشارات الصمّ واليكّم للمكان وللزمن، نجد أن السلاسل [م ف فا]
و[م ف ف] و[فا م ف] هي طبيعية تماماً بمصر طبيعة السلسلة
[فا ف م] التي لا تشكّل الترتيب الوحيد الممكن في الألسنة التي
نوجد فيها هذه السلسلة. ونأني خلاصة كل ما مضى كنتحصيل
حاصل هناك أكثر من نمط واحد لما هو طبيعي، ونصوي تحت
هذا المفهوم العام وقائع غير متجانسة مختلطة بعضها لبعض ولقد
سبق لأحد المعقّين على ريفارون أن كتب «إن ما أوقع في الخطأ
جميع الدرس كنس في هذا الموضوع بقريناً، هو أنهم خلطوا بين
النظام المباشر والترتيب الحويّ إذ يصح لترتيب الحويّ أولاً فاعل
الجملة وبوابعه، ثم المسند وما بعده، وأخيراً المفعولات والنظام
المباشر بموضع كل كلمة وفق مكانة الفكرة التي تعبر عنها في
الذهن»^(٢٥) فالنظام [م ف فا] هو نظام طبيعي إذا ما أخذنا مبدأ
لوصوح كمعيار واعتبرنا، مع كوينديك، أن أوصح أسلوب للتعبير
عن العلاقة بين المشاركين في الحدث هو وضع الكلمة التي تعبر عن
هذه العلاقة بينهم كما إن لنظامين [م فا ف] و[فا م ف] طبيعيين
بدورهما فالأول طبعي إذا ما اعتبرنا، وفق تجربة الصمّ واليكّم، أن
الإدراك الحسيّ في الممكن يبدأ بإدراك المفعول، أو السيجة أو العاية،
ثم يليه الفاعل، أو السبب أو الإجراء. والثاني طبيعي إذا ما اعتبرنا
الفاعل محرك الفعل وبالتالي العنصر الأول، أما العلاقة التي تربط بين
العناصر في النهاية في الحالتين وهناك ما هو أكثر من ذلك فحتى
من وجهة النظر الحوية السحّة يُعتبر النظامان [م فا ف] و[فا م ف]
طبيعيين إذ ما أخذنا بمبدأ وحدة الاتحاد. فما أن الفعل عنصر
مركزي تتعلّق به اليتات الاسمية، تقوم الموالية في الحالين انطلاقاً
من المحدّدات وباتجاه المحدّد م ← ف ← فا ← م ←

(٢٥) راجع U Domergue, *op cit*, p 886

ف فهي إداً وحيدة الاتجاه تماماً كما هي، لكن بالاتجاه المعكوس،
في بنية أخرى لم يذكرها حتى الآن، هي [ف ف م]، حيث تنجس من
لمحند نحو المحددات

يمكننا بهذه الطريقة ملاحظة الوقائع التي نشهد عليها الألسنة
بمختلف أنواعها وإدا ف تجنس الإجراء المحترق الذي تنسأه
العقلايون المتمسكون بنية [فا ف م] بوصفها النمط الوحيد الممكن
للمتوالية، فإننا لا نعتمد نظاماً ما ونعتبره نمطاً إلا لأنه سائد إحصائياً
في الظروف غير الموسعة بالتعبيرية (لا لأنه وحيد وحصري) يمكننا
عندئذ استخلاص دروس مفيدة من دراسة التوزع وفق الألسنة إدا
بمثل النظام [ف ف م]، الوحيد الاتجاه، ١٥/ من الألسنة المعروفة
(ومن بينها السامية والسلتية)، ويمثل النظام [فا م ف] الوحيد الاتجاه
أيضاً (لكن بصورة معكوسة) ٣٩/ منها (كالتركية واليابانية والهندية
والعديد من اللغات الأميركية - الهندية والأوقيانوسية) أما النظام
[م فا ف] فلا يوجد إلا في جزء من الـ ١٠/ التي يوجد فيها أيضاً
النظامان [م ف فا] و[ف م فا] (الملعاشية ولغات بوليزيا وميلانيزيا
بالنسبة لهذا النمط الأخير) هذا التفاوت في التوزع بين [فا م ف]
و[م فا ف] يدعو إلى افتراض أن الطبيعي دا النمط المفهوم، حيث
تتم تسمية الفاعل أولاً باعتباره محرك الحدث، يتموق على الطبيعي
ذي النمط المكاني حيث يمكن ملاحظة المفعول قبل الفاعل، بحاصة
حين يتصغر الحدث حركة، كما في الفصاء المصري للأصم والحق
أن المتواليات الثلاث التي تشكل أقلية، وهي [م فا ف] و[م ف فا]
و[ف م فا]، يظهر فيها جميعاً التسلسل [م + فا]، المباشر أو غير
المباشر، لا التسلسل [فا + م]

تقابل بنية الـ ٣٦/ المتبقية ألسنة من نمط [فا ف م] (كالألسنة
الرومانية والسلافية والمعمولية الحميرية وغيرها) وتعرض مثل هذه
البنية شكلاً من أشكال الطبيعية، إلا أنه لا يعلق بوحدة الاتجاه

لأن النظام [فا د ف هـ م]، وهو يؤلف بين نظامين متناقضين كما يشير السهمان، نظام هجين من وجهة النظر النحوية كما لا يتعنى النظام الطبيعي أيضاً بمعايير مكاتبية أو مفومية، فالتسلسل حتى الآن ليس [م ف ف] ولا [فا م ف] فوجهة النظر النطقية هي التي تتحكم في اختيار المعيار^(٢٦) إذ تفقد الاستراتيجية الكلية للحطاب عالماً إلى الإجابة أولاً عن الموضوع (يتطابق الموضوع في حالات كثيرة مع الفاعل) ثم عما يقوله عن الموضوع (يتطابق الخبر في حالات كثيرة مع الفعل) فإن لم ينصنص الخبر مشاركاً آخر يكون لدينا النظام [فا ف]، وإن تصنص مشاركاً آخر يُضاف مفعول في آخره، أي يصبح لدينا النظام [فا ف م]. ذلك هو التبرير الوحيد المقبول لذلك النظام الطبيعي المشهور للغة العرسية (وللغات كثيرة غيرها) فوجهة النظر المعتمدة هي التي تؤسس لمفهوم الطبيعي مع أن الإطار المعتمد ما يراد إطار الجملة مما أن يتجاوز هذا الحد وتناول تنابع المطويات في النص، حتى يصحح نظام [فا ف م] بصرامته مغلفاً لمسطق الانتقال

المتوالية التصاعدية والمتوالية التنازلية

التأملات النظرية التكوينية - الاجتماعية

يمكننا أن نختار كإطار متوالية أقصر من لجملة لكاملة، متوالية من اسمين وهي: العرسية على سبيل المثال، يسمُ نظام ثابت مع أداة الوصل de (انظر الفصل الثالث، ص ٧٦) علاقة مُكببة (le cahier du maître دفتر المعلم) أو احتواء (une tasse de thé كوب من الشاي) أو أصل (l'oncle de Russie العم الذي في روسيا) أو مادة (un immeuble de verre بناء من الزجاج) إلح يصحح من لسهن، إذا ما تبنيّا هذا الإطار، إظهار خواص الألسه والمساهمة

(٢٦) حول هذه النقطة، راجع الفصل التاسع ص ٢٩٢ ٣٠٠

في الجدل حول نظام الكلمات كانعكاس للعلاقات التناحلية
فعلت موقع الاسم يعبر المعنى أو يبعده، بينما ليس لإحلال النظام
[فام فـ]، في الجملة النامة، محل النظام [ف فـ] مثل هذا الأثر
بالضرورة

لقد لاحظ أهمية طواهر الترتيب داخل المجموعة المكونة من
اسمين، وهي الستين سنة الأولى من هذا القرن تحديداً، سابور مثل
ب و شميدت (P W Schmidt) وش بالي (C Bally) ول تيسير
(L. Tesnière)^(٢٧) ويقوم هؤلاء بأولى الوقائع نفسها وإن استخدم
مصطلحات مختلفة. يبقى نظام تناح الاسمين سمة جوهرية، معزل
عن القرائن العددية التي تصف إليه في الألسنة (اللواسق لمحيطه
وعبرها) وهي سمة كلية لارتباطها بحطية الخطاب فأحدهما، أي
المحدد، هو بمثابة المركز الذي يصف إليه الآخر، أي المحدد وهو
محيطه، علاقة تناحية ويسمى شميدت التسلسل [اسم محدد + اسم
محدد]، كما في مثل le livre de l'écolier (كتاب التلميذ) في اللغة
العربية، "حالة الإضافة المتأخرة"، ويسمى بالي "المتوالية
المندرجة" (المدرج من المركز نحو المحيط)، أما تيسير فيسميه
"النظام الباد" كما يسمون النظام المعاكس، وعلى التوالي "حالة
الإضافة الساقطة"، و"المتوالية الاستاقفة"، و"النظام الحاد" كما
نُقل، أيضاً مواءمة سارية كناية عن الحالة الأولى، ومواءمة
تضاعفة كتابه عن الثانية

وهما أيضاً تتوارى الأيديولوجيا خلف النظريات البديه التي
محالها بريئة، هذا إن لم تكن تحكم فيها مباشرة إد بدأ الأب
شميدت بالبرهنة على أن علامات الجنس والعدد وكذلك لواسق

(٢٧) انظر P W Schmidt, *Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde*.
Heidelberg, Carl Winter's Universitätsbuchhandlung, 1926, C Bally,
Linguistique générale et linguistique française, Bern. Ed. Francke, 1932, 4^e
ed 1965. L. Tesnière, *Eléments de syntaxe structurale*, Paris, Klincksieck,
1959 2^e ed 1969

الثلاث (انظر الفصل الثالث، ص ٦٤) تميل، أمام الاسم 'المحدد'، إلى شغل موقع مصدق لموقع المحدد، وأن هذا الموقع هو أيضاً موقع المفعول بالسبب إلى الفعل المتعدي. وبشت هذا السبب للموالات في رأيه الأهمية التي يكسبها، في نحو كل سان، نظام تعاف كمتين يسهما علاقه تحديدية. وهذا النظام هو مثابه نموذج لغيره. إبدأ فتفسير الاختلاف بين الموالاتين [اسم محدد + اسم محدد] (أي 'حالة الإضافة المتأخرة') و[اسم محدد + اسم محدد] (أي 'حالة الإضافة السابعة') هو في قلب أية نظرية في نظام الكلمات. ويوحى المؤلف أن لتفسير نكس في عمديت التكتف الإجماعية

فهو يميز ثلاثة مجالات ثقافية: مجال المرارعين حملة القاس والمجل، وسود في مجتمعهم القابون الأمومي، ومجال الرخل مرتبي المواشي، ويحصعون لقبانون الأنوي، ومجال كدر الصيدس المنتحمةين في عشائر طوطمية، ويحصعون أيضاً للقبون الأنوي ويقدر شعبيات، من باب الإشارة إلى وجود صفة لا من باب المحاجة، أن حالة الإضافة المتأخرة لا يمكن أن يكون موطها الأصلي في هذين المجالين الآخرين، أي في المجموعات الأنوية ولواقع أنها لا توجد في المناطق التي ما زال لقبون الأنوي البدائي سود فيها في وسط أستراليا وشمالها وفي بولسبير وفي بلاد السونورا (sonora) (شمال المكسيك) وهناك استثناء، يؤكد القاعدة، في الثقافات المسماة بثقافات السهم المرند (boomerang) (*) التي تخص للقبون لأنوي ومع ذلك توجد في ساهها حالة الإضافة المتأخرة. والحق أن هذه السمة اللسانية في هذه الثقافات (كما في بلاد التسيمشيان (tsimshian) في أميركا الشمالية) هي سمة مستعارة. وهكذا نكون حالة الإضافة السابعة "عصوية

(*) إبدأ إلى ثقافته بدائي أستراليا (المترجم)

بمسية^{٢٨} ومن خواص المجتمعات الدائية الأتوية وعلى العكس من ذلك، تكون الإضافة المتأخرة "تحليلية - عقلانية" وحاضه بالمجتمعات الأمومية الأكثر تطوراً

كيف يمكن التسليم هكذا بوجود فارق بين درجتين من درجات العقلانية أو بين عموية عاطفية وتساعد انعكاسي؟ والتحديد عن طريق المصاف الاسمي ("الإضافة") يحمل، بحسب المؤلف، معلومه جديدة تشير إلى أي نوع ينتمي جنس الاسم المحدد وبالتالي فالدكر السابق لهذا التحديد، أي تحديد النوع قبل الجنس، هو أمر ساذج ويخالف نظام الوصف العلمي الذي يعطي الجنس قبل النوع في تصنيفات الكائنات الحية أما الإضافة المتأخرة، وهي تعكس عقلانية تم مثلها بصورة أفضل، فلا شك في أنها أتت في وقت متأخر^{٢٩} لتمثل الإضافة، صمم محمل جهاز التطور المفهومي، هذا الاختلاف التمييزي الذي يشكل النوع الجديد، مطلقاً من كلية الجنس وهي مفهوم Haus-Schlüssel ("بيت - مفتاح" = "مفتاح البيت")، على سبيل المثال، فإن كلمة Schlüsse "مفتاح" هي الجنس الشامل لجميع أنواع المفاتيح أما الإضافة Haus (بيت) التي تأتي قبلها فهي الاختلاف التمييزي والجنس هو الأقدم بطبيعة الحال، إنه المعروف سابقاً أما الاختلاف التمييزي فهو ما لم يكن معروفاً ثم لفت الانتباه إلى ذاته بوصفه جديداً لهذا السبب فإنه، في سطر التفكير الذي ينسجم بالسذاجة والطبيعية والحرارة العفوية، يأتي في الإضافة السابقة داخل تركيب الكلمات أما في أسطر التفكير الأكثر بروداً، والبناء و"المسطحي"، فإن الإضافة، وبما أنها تعبر عن الاختلاف التمييزي وما هو متأخر أي ما أتى لاحقاً، توضع بعد، كما في التسميات العلمية للأحاسر والأنواع الحيوانية والسائبة^(٢٨)

إلا أنه ليس صحيحاً أن المكان الطبيعي للتمييز يأتي بعد

(٢٨) W Schmidt, op. cit., p. 464

المعنى ولقد ذكر بذلك ديديرو في حديثه عن الجوهر وعن الصفة^(٢٩) وعلى أنه حال، وعند هذه الدرجة من التأمل النظري، لا يكون قد عاد بنا موطن العلم وحسب، بل دحبت في قلب العالم العجائبي وهو لا يحلو من الشاعرية في الحقيقة وإذا ما كانت هناك أيضاً من حاجة إلى دليل على هشاشة مثل هذا الساء النظري، فمجده من خلال توضيح عالم آخر، هو عالم النفس و وودت (W Wundt)، وبمطلقاً من المعطيات نفسها، إلى نتيجة محالها وغير قابلة للبرهنة كحال النتيجة التي توصل إليها شميدت يرى وودت^(٣٠) أن الألسنة التي تتبع لنظام [اسم محدد + اسم محدد] هي ألسنة بدائية، لأن هذا النظام هو نظام لغة الإشارات

كانت الدراسات المتصلة بأسباب الأمراض بصورة عمليات إعادة تركيب نفسية - اجتماعية - ثقافية ما تزال مرغوبة في بداية القرن العشرين وبعد لها أثراً، قبل الأب شميدت، عند رجل دين آخر هو الأب ج فان جينيكين (J Van Ginneken)^(٣١) ولقد كانت رائجة في القرن التاسع عشر وغير غريبة عن التقيد "العقلاني" فقد ميز هـ. فيل (H Weil) معطين من المفعولات "تصح الفرنسية العديد من الصفات قبل الاسم الذي تحلده، وتتيح للظروف وللصعظظفة أن تأتي قبل الفعل، إلا أنها صرامة في ما يتعلق بموقع المصاوت وبسطيع بالتالي تمييز نوعين من العلاقات بين المفكرة المتممة والمفكرة المسممة حدوا الجملة Tuer un homme, payer sa dette à la patrie (قتل إنسان، تسديداً لدين الوطن) تلك هي علاقة الفعل بالمفعول الذي يصيبه الفعل وهي علاقة حسية ومدبة إذا شأ القول Un grand appartement, bien parler (شقة كبيرة، تكلم بصحة)

(٢٩) راجع Lettre sur les sourds et muets, op cit, p. 42 s.

(٣٠) انظر Elemente der Völkerpsychologie. op. cit.

(٣١) Principes de linguistique psychologique. Paris, Marcel Riviere, Amsterdam, E. Van der Vecht. Leipzig, Otto Harrassowitz, 1907.

بلك علاقه بحونه تحديدديه لست مأخوذة عن العالم المحسوس، بل هي علاقه مجردة تعيّد فهم فكرة برابطها بفكره أخرى في العلاقه الأولى بفصل الطرفين أحدهما عن الآخر بسهولة ويمكن للحيال أن يتصور حركة مدرّجة من السابق إلى اللاحق أما في العلاقه الثانية فهناك تفكيك للفكرة وحسب عن طريق التفكير، وحيث لا يكتشف الحال طرفين مختلفين يمكنه أن يصفي على أحدهما صفة السابق وعلى الآخر صفة اللاحق^(٣٢) ثم يعطي فيما بعد مثلاً عن اللاتبيه يؤيد فكرة الوصوح الذي يتأتى عن لحالات التي يأتي المفعول فيها بعد الفعل (حيث يقول (Scipio Cartaginem) (سيبيون القرطاجي) فلا مجال للتوقف، إذ بقي حالة المفعول هنا معلقه في الفراغ ويجب أن تجد مرتكراً لها أعطى سريعاً فعلاً يدعمها وأصممه وليكن expugnavit (فسح) أما إذا بدأت الجملة Scipio expugnavit (سيبيون فتح) فسحتاج أيضاً إلى معرفة أنه مدينة فتحها سيبيون، لكن الكلمات المملوطة، ومن وجهة النظر الحونه، نستقيم بوحدها ولا نحتاج للارتداد إلى غيرها^(٣٣)

ليس لهذه التأملات، التي نحيل إلى نظام الكلمات صمم الحمله المرسيه وتشدها بمودحاً، من قاعدة صلبة وحتى إذا ما سلمنا بأنها بعكس استنتاجات حدسيه ليس حاطة بأكملها، بحاصة في ما يتعلق بموضع الصممه، فإنها لا تسمح بالتصريح بأن هناك نظام كلمات "أفضل" من غيره وحتى إن أصاب قيل في حكمه على النظام، التصاعدي بأنه أقرب إلى وحدة الفكر وأن لنظام التشارلي أفضل في إظهار مراحله بوصوح، فإن ذلك لا يكفي لاستنتاج أفضله أحدهما على الآخر والمرسية، منها مثل أي لسان آخر، تستخدم

(٣٢) انظر H. Weil, *De l'ordre des mots dans les langues anciennes comparées aux langues modernes. Question de grammaire générale*, 1844, 2^e éd., Paris, Librairie A. Franck, 1869, p. 53

(٣٣) Ibid p 56-57

النظام لأول أو الثاني بحسب التراكيب، وليس فيها ما يستدعي تفصيل أحدهما، وهو النظام [ف + م]، كما اقترحت مدام دو ستال (Mme de Staël) التي حصصت، مع غيرها، لإعواء المركبة الإثنية التي يعذبها الحال عن اللسان «اللغة الألمانية عبر مؤهلة مثل الفرنسية للمحادثة السريعة» إذ لا تتبح طبيعة سائها الحوي فهم اسمى إلا في نهاية الجملة عادة^(٣٤)

ومقع حتى عند أكثر اللسانيين حصة على بعض الأفكار الثقافية لمسبقة لها وهناك إذ يعتبر ش بالي أن المتولة لندرجية «تلبى متطلبات الخطبة»^(٣٥) وهذه الندرجة، ضمن لمجموعة [اسم محدد + اسم محدد]، هي ندرجة الفرنسية، لعنه الأم، أما المتوالدة المحالمة التي يسميها «ستافيه»، وهو اسم يحمل حكماً مسبقاً عليها، فهي تركيبة وصدة - حطية لأن «فسماً من المطوق، يرتبط فهمه بضم آخر، يسبق هذا الأخير بدلاً من أن يلحق به () ولا يجب أن يأتي المحدد إلا بعد ما يحدده عند احتفال الجمل إلى أحراء فارن سن la maison de mon père و de mon père^(٣٦)

وإذا ما افترضنا أن الناطقين بلسان يعتمد المتولية، اللامسقية يشعرون أمام هذا الجزء من المجموعة الاسمية de mon père بعدم اكتمال المعنى، وهو إحساس يصفيه عليهم للساني الفرنسي، فإسا نجد في الفرنسية نفسها حالات مشابهة فصمير الملكية المتصل، ويقابل الصمير المحدد المنفصل، يأتي قبل الاسم المحدد لا بعده فقول mon chapeau (فنعني)^(*) ويشير بالي بالذات، مؤكداً عن حق على العلاقة الجوهرية والمهمة في كثير من الأحيان بين نظام الكلمات والبشر، إنى أن كلمة chapeau منورة بما كنهه mon عبر

(٣٤) انظر De l'Allemagne, 813, I, chap. 12.

(٣٥) انظر Linguistique générale et linguistique française, op cit p. 20.

(٣٦) Ibid.

(*) من الواضح أن الوضع يختلف في العربية، فالصمير المنفصل يلاحق بالاسم (المترجم)

مسورة فقيود إيقاعات العرسية الحديثة، وهي لسان يسر أو آخر الكلمة ومجموعة الكلمات، تغلب المعنى حين لا تكون العتواليه تدرجية والحق أنا نتوقع سراً للعناصر بصيف معلومة جديدة عن طريق التعبير، كما هي حال le و de Jean في الجملتين prends-le (خذ) و le chapeau de Jean (قبعة جان) إلا أن الأمر ليس كذلك في mon chapeau (قبعتي) حيث السر في الاسم chapeau لا في الصغير mon، اللهم إلا في حالة تأكيد الصغير

يدو موقف تيسير (Tesnière) أكثر تماسكاً، فهو يرى أن «الحو السيوي بأكمله يعتمد على العلاقات بين النظام السيوي والنظام الحطّي»^(٣٧) فالنظام الأول هو النظام الهرمي الذي يصمم الجملة حول مركز، هو الفعل عند تيسير، تتسع له بقية الكلمات عندها يعني النطق بلسان ما القدره على الانتقال من هذا النظام الكلبي إلى النظام الحطّي الحاضر بذلك اللسان، سما يعني فهمه القدرة على القيام بالعملية المعاكسة. يقترح تيسير إداً بصيغاً عن طريق معنى الكشف الحطّي»^(٣٨)، أي، كما في بداية القرن التاسع عشر، عن طرق التفارب السمودجي لا الرابط التكويني، في وقت بدأت فيه النصيبات وفق العائلات اللعوية تسود في نهاية القرن التاسع عشر لدرجة أن ميه (Meillet) صرح فيما بعد أنها الوحيدة المعقولة. لقد اعتمد تيسير، كما فعل شميدت وبالي، المجموعة الاسمية أساساً لا المنطوق، على الرغم من أن بعض أمثله تأخذ جملاً تامه فالسبة العالم بالنسبة إليه هي ذات نظام بايد أو حادث بحسب ما يكون العنصر المحذو للاسم - المركز، أكان متأخراً (مثل الدعاء السامة والانتو bantoues والبوليسيرية) أم سابقاً (مثل الدعاء "الأوراليه - الألطية" والقوقارية والدرافدية dravidiennes) لكنه يتوقع وجود حالات وسيطة أيضاً. فالعربية لسان "نابذ معتدل"، إذ يقال فيه

(٣٧) Eléments de syntaxe structurale, op. cit. p. 19

(٣٨) Ibid, p. 32

Alfred frappe Bernard (ألفريد يصرب برنار) حيث Alfred frappe Bernard (ألفريد يصرب) جادة، و frappe Bernard (يصرب برنار) نادة كما أن للاتبسية لسان حادث معتدل مثل اليونانية واللغات السلافية

إن هذه التقسيمات مسطحة إلى حد ما فالواقع أن ألسنة مثل اللاتسية تتيح بعض الحرية في ترتيب الكلمات التي تؤدي بسهولة وظائف متميزة، على اعتبار أن التوافق بعكس التماهي بين المجموعات المتضامة. فهناك حاجة مشهورة لشيثرون نداء بالكلمة الأهم constrictam، لا نحول خمس كلمات أخرى معترضة من دون ربطها، بوضوح، بتلك التي تتوافق معها في الحالة الإعرابية (كما في السور والعدد) أي كلمة Constrictam jam horum conjurationem «omnium conscientia teneri conjurationem tuam non vides?» (Cat, I, 1) «إنها مشلولة - لأن الجميع هنا يعلمون - ماحاتك، أفلا ترى؟» (إن ماحاتك مشلولة لأن الجميع هنا يعلمون، أفلا ترى؟) ومن جهة أخرى، فإن التمييز، وعلى الرغم من أهميته، بين نظامين نداء وحادث، بسيط عاية السطحة حتى وإن شذباها بالتعرف على درجاب وسيطة لرصد تعقيد الوقائع وأحيراً، فإن المعيار المحدد لمكانة مفهوم المركز، أي الذي يبيح معرفة أي عنصر هو الأعلى مقاماً في الهرمية، غير واضح التعريف فهذه النقطة جوهرية إذا ما أردنا وصف نظام الكلمات في الألسنة مقبل نظام قابل للتفكير فيه ونظام العالم^(٣٩)

تنوع الأنساق

من سيئات الصيغ من مثل [ف م] و[ف م ف] إلخ، أنها تقترح نظاماً ثابتاً لكل لسان وهو أمر رأينا أن الوقائع تدحضه فتتوزع الأنساق، التي تستدعيها حاجات التعبير الموسوعة، شرط من

(٣٩) حول هذه النقطة انظر C. Hagège, *La structure des langues*, op. cit., p. 33-36.

شروط ما يمكن قوله ومن شأن نظام وحيد صارم لجميع الظروف أن يكون عاملاً مدمراً للسان. فالنوع يعكس معطيات من أسماط المؤلف متساخريين يقيد الأول المتواليات بمثيلائها في الماضي، والآخر يمتد بها بمتواليات اللسان المعاصر والحقيقة أن الكلمات الأدوات والوحدات الدلالية الصغرى بدأت تفصل عن الألفاظ المعجمية، اللغويات، عن طريق التحضيم في المعنى وعالماً عن طريق الاحترال الشكلي، وذلك عند منتصف الطريق ضمن الحركة الدورية التي تقود تطور الألسنة، أي أثناء مرحلة التقييد ومن بين الوحدات الدلالية الصغرى، حافظت تلك التي تعمل كعناصر ربط (كأحرف الجر في الفرنسية على سبيل المثال)، ولمدة طويلة إلى حد ما بالنسبة إلى الكلمات القريبة منها، على الموقع الذي كانت تشغله كلفظيات ولهذا السبب، وكمثال على ذلك، فإن عناصر الربط التي انحدرت من أسماء مفعول أو أسماء فاعل قديمة في الفرنسية ما تزال موجودة، على الأقل في اللغة الأدبية، وفي موقع التأخير أي في الموقع الذي كانت تشغلها فيما مضى. تلك هي حال كلمتي *excepte* (ما عدا) و *durant* (أثناء) في المثالين التاليين «*que tout le monde sorte, les filettes exceptes*» (فليخرج الجميع ما عدا الفتيات) (من دون توافق في النوع والعدد عند الكتابة لأن الحالة ليست اليوم حالة اسم فاعل - صفة)، و «*il a peiné des années durant*» (عاش طيلة سنوات) يتصل الأمر هنا بانسجام في المتوالية يعكس الريح إلا أن معطاً آخر من الانسجام السبوي والتزامي في المتوالية بحيل، هذه المرة، إلى تقييد كافة عناصر الربط بالمتواليه المهيمنة، ويعني ذلك في الفرنسية إعطاءها حالة حروف الجر ومحلها لهذا السبب فمن انشائع جداً في الفرنسية القول *excepté les filettes* و *durant des années*، كما تميل حالات التأخير المادرة في الفرنسية إلى الاستخدام في مواقع التقديم يُعْتَرَضُ هذا التنوع الأسلوبى حكماً في الخلاف بين معطى الانسجام في المتواليه التاريخية والسبوي

تجدد حالات مشابهة في الألسنة الأخرى. إذ توحد في اللغتين
«مباعدة» و«لهجارية»، وهم من ألسنة «لتأخير» بحسب النحو الأورالي
لتفليدي، بعض حالات التقدم لعناصر الربط يبدو أنها «حدة»
بالتوسع وفي حالات أخرى، يراعى «التطور» المتوابعات التي تحمل
أثر أصولها فهي الصيغة، على سبيل المثال، هناك تقديم وتأخير
معاً إلا أنهم يرجعان إلى أصول مختلفة. فعناصر التقديم هي أفعال
قديمة، وبالتالي فهي تأتي قبل الاسم المصوب أو المجزور مثلما
كانت تلك الأفعال تنسق المفعول أما عناصر التأخير فهي أسماء
قديمة وبالتالي فهي تسبق الاسم المصوب أو المجزور مثلما كانت
تلك الأسماء تتبع ما يحدثه وفق المنولية الصيغة المطفية. فندبا إد
الترسيمات لدايتان

Song + gēi + xuesheng

أرسل + أعطى (= إلى) + طالب

(أرسل إلى الطالب)

حيث gēi تعمل كحرف جرّ مقدّم، محلّها قبل الاسم المجزور

zhuòzi + shang

طاولة + فوق (= على)

(على الطاولة)

حيث shang تعمل كحرف جرّ مؤخر، محلّها بعد الاسم المجزور.
لا داعي إدّاء للاستمرار من وجود أحرف جرّ في الصيغة مع أنها
تؤخر الاسم المحدّد عن الاسم المحدّد مع إنّ ح عرّسرع J
(Greenberg)، صاحب الإسهام المهم في إشكالية نظام الكلمات^(٤١)،

(٤١) انظر «Some Universals of Grammar with Particular Reference to the Order
of Meaningful Elements», in J H Greenberg, ed, *Universals of Language*,
M.I.T Press, 1963 p 58-90

هو الذي يشعر بالدهشة حيال هذا الأمر، إذ سبق له أن ذكر بأن في الألسنة ذات البنية [اسم محدد + اسم محدد] تكون عناصر الربط مؤخّرة لكن تلك هي حال اللغة الصيبية التي وإن كان فيها أحرف جرّ أيضاً فلأنّ أصلها أفعال لا أسماء فالانسجام في المتواليات تامّ هنا إذاً، ويتميّز النظام بتماسك تاريخي وسيوي كامل

هناك حالات أخرى تظهر كيف يستعيد الألسنة من تنوع النظام وموقع الصفة في العرسية هو أشهر تلك الحالات فالعرسية القديمة كانت تقدّمها بصورة أسهل من العرسية الحديثة ويبدو، في الحالات العديدة التي يمكن فيها تقديمها أو تأخيرها، أن التسلسل [اسم + صفة] يتضمّن إلحاقاً تحليلياً لبعث، بينما يتضمّن التسلسل المخالف (متوالية تصاعديّة) تكافلاً أكبر للمجموعة المعطاة بصورة تركسية lois iniques (قوانين حائرة) / lois réelles, miques plaisir (متعة حقيقية) / réel plaisir, idée bizarre (فكرة عريضة) / idée extrême obligeance (فصل كبير) / extrême obligeance

وتظهر بعض الوقائع هذا التماسك الأقوى للسنة ذات البنية المقدم فهي الأكثر استعمالاً في العبارات الاصطلاحية والأقلّ تمكيكاً فعبارة مثل passe simple (الماضي الباقص) و-verbal (محصر رسمي) قابلة للتأويل تحليلياً، أم blanc-seing (توقيع على بياض) و sage-femme (مولّدة أو قابلة) و sauf conduit (حوار مرور) فأقلّ قابلية بكثير وهناك ظواهر أخرى تنحو المعنى نفسه. إذ يبدو، من جهة، أن ملصق glorieux souvenir (ذكرى مجيدة) و second tome (المجلد الثاني) بسرعة أكبر من لفظ souvenir و glorieux tome second إذ تشكو هاتان العبارتان من وقعة عند الحدّ العاصل بين الكلمتين ومن جهة أخرى، وفي حالة السير الهابط في نهاية مجموعة مفردات فرنسية، يبدو عبارة «souvenir glorieux» وكأنها تشدّد على مفهوم المجد بصورة أكبر وأخيراً، فإنما عادة ما يصل باللفظ بين كلمتي profond abîme (هوى عميقه) وبين كلمتي

excellent homme (رجل فاضل)، بينما الوصل ليس شائعاً في un froid extrême (برد شديد) وفي un remplaçant aimable (بديل لطيف) والحق أن هذا الفرق الشكلي هو الذي يميز الاختلاف في المعنى كما في un savant (t) aveugle (أعمى عالم) (حيث savant هي الصفة هنا وaveugle الاسم فالأمر يتصل بأعمى يتصف بالعلم) وفي savant aveugle من دون الوصل (يتصل الأمر هذه المرة بعالم يتصف بالعمى) ولا شك في أن هذا التمييز ليس عاماً في العرسية، كما إننا لا نجد الوصل وكذلك استعمال صفة savant (عالم) في حالة لتقديم عدد جميع الناطقين بالعرسية وبنه لصحيح، من جهة أخرى، أنه لا يوجد - خارج هذه الحالة التي يمكن فيها لأي من اللفظين المتشاركين أن يكون اسماً أو صفة وفق موقعه في الأمثلة التي سقناها حتى الآن اختلاف دلالي عميق بين الموقعين إما يتعلق الأمر بشكل حاض يتضاد بين معن داخلي أكثر (متوالية تصاعدية) ومعن خارجي أكثر (متوالية تنازلية)

ومع ذلك نظهر الألسنة، في حالات أخرى، ميلاً إلى استقطاب المعاني وفق مواقع الكلمات فمثلاً heureux poète (شاعر موفق) تعني أن الشاعر موفق كشاعر، أي أنه يتمتع بصحة الشعر، لكنه ليس بالضرورة poète heureux (شاعر سعيد) وfureux menteur (كذاب متأصل) [وهو استعمال قديم] تعني أنه يكذب باستمرار لا أنه menteur fureux (كذاب عاصف) ويدو أن الصفة المتأخرة تنزع غالباً إلى التمييز عن معنى علائقي محض كما في paternelle (أبوي = من الأب) في عبارة autorité paternelle (سلطة أبويه) وعلى العكس من ذلك، فإن المتوالية التصاعدية، وهي ليست سمة مهيمنة في اللغة العرسية الحالية، هي مصدر حائر لسموت غير العلائقية ويمكن لصفات العلافه نفسها أن تتقدم على الاسم أحياناً مما يتيح لها، لعدم حصولها لفيود المتوالية التارلية، أن تكون تدرجية إذ لا يقول l'autorité très paternelle (السلطة

الأسوية جداً)، كما لا يقول ces élections assez présidentielles (هذه الانتخابات الرئاسية بشكل كاف)، وإنما يمكن أن يقول a très paternelle autorité du maître (سلطة المعلم الأسوية جداً)، و cette fort présidentielle assurance (هذه الثقة الرئاسية لدعايه) بصفة العلائقي تصحح هذا نهضة.

إنما معروف بخاصة أن اللغة الفرنسية شكّلت حوالى سس روجاً من المواليات الثائية تقوم كل منها على صفة مطابقة، مستفيدة في ذلك من الميل إلى القطية واختلافات المعنى لا يلبي لها حاجات الانتظام، وبالتالي فهي غير قابلة للتوقع، اللهم إلا على قاعده تعارض عام، سبق وذكره، بين ما هو ملازم وما هو أقل ملازمة وتعتبر هذه الظاهرة من بين أكثر السمات غرابة في اللغة الفرنسية وتبين العنابر التالية بعضاً من هذه الثنائيات المعروفة هذا الأحمق، هذا الولد العكسكس pauvre enfant، لا ينمي إلى وسط الأولاد الفقراء enfants pauvres إنه رجل طنب brave homme في الحياة المدية، لكن هل هو رجل شجاع homme brave في الحرب؟ شيء من الكفاءة une certaine compétence لا يعني كفاءة أكيدة une compétence certaine أثبت ساديون أن لا حاجة لأن يكون الإنسان طويل القامة un homme grand ليصبح إنساناً عظيماً un grand homme هذا الإنسان الصغير le sale type كان شديد العناية بمظهره بحيث لا يبدو أنه إنسان قدر un type sale إنها كلماته بعينها ses propres termes وهي لم تكن كلمات مناسبة termes propres في العرف مجرد بساط un simple tapis دي رسومات جنرويه معقده (= «peu simples») assez compliquées إنها لعباره حقاً une vraie phrase لكنها ليست مع الأسف عبارة صحيحة une phrase vraie كما إن يعرف الفرق بين un chaud lapin (إنسان ذو طمع ملتهب) و un lapin chaud (أرنب صاحري) وبين un foutu cochon (إنسان حقير) و un cochon foutu (حزير

مقصي عليه)؛ وبين une fière canaille (وعد كبير) وune canaille
fière (وعد متعطر)

قانون الثاني الثقيل

يمكن للمعايير التي تتحكم في نظم الكدمات، ولتي رأت
نوعها، أن تنافس في ما سها وتُسبَطُ الطريقة التي تحل بها
التقصات صوءاً فوياً على الطبيعة العميقة للألسنة إذ تمتلك لعدد
من اصعاب الاصطلاحية المعروفة تعابير من حدين، موصولين أو
متجورين وحسب، من الصف نفسه وانوظف نفسه حين يمكن
فصلهم وغير قابلين للفصل في الاستعمال الاصطلاحي ويحاول
نظام نسلسل هذين الحدين مع بروع يمكن تسميته قانون الثاني
الثقيل فهو "قانون" سب بدره الاستثناءات المعروفة ولأن الصياغة
الصارمة والدقيقة تسهل بطاله في حال اكتشاف عدد أكبر من لأمنة
المصاداة تسهل الألسنة، بموجب هذا القانون وفي المحارح ذات
الحدين من هذا النمط، دفع الحد الأثقل إلى الموقع الثاني، والحد
الأثقل هو الحد الذي فيه انعد لأكر من المقاطع أو الأحرف
الصامتة أو الصائتة الأطول أو احلصه أو الأحرف الصامتة ذات
الطيف الصوتي لدي يظهر ستة عانية من لترددات الحميصه

عالمياً ما يؤحد بقانون الثاني الثقيل على حساب الأحاد بالإنسان
لمتكنكم كمعلم يتم من موقعه بمدير لعدد لمصائتي أو لرمسي أو
كمركز نظم لسلم القيم، أي بصورة كلته، كمرجع لأية إشارة أو
تعيين لتكون حول الأ بوصفها بؤرة بحث لإشارة عاده على
نصوّر وبالتالي على أن تشرح في هرمية من القيم وفي نظام تحديد
كحدود إيجسة داخل دائرة لأن لجوار المصائتي والرمسي والريادة
مقاس البعد والبصان وهي حدود موسومة سداً وهكذا تستطيع
الدعة المرسمة أن تقول، ومن دون انتهاك الإشارة، Ici et là (هنا)

وهناك)، و *tôt ou tard* (عاجلاً أم آجلاً)، و *plus ou moins* (كثيراً أو قليلاً = تقريباً)، حيث الحد الثاني يتبع قانون الثاني الثقيل وقد يحدث في السنة أخرى أن يترافق تطبيق القانون بانتهاك الحدين للإشارة إذ يقال في الروسية *tam i sjam* (هناك وهناك)، وفي الإسبانية *tarde o temprano* (آجلاً أم عاجلاً)، وفي الأردية (المتأثرة بالفارسية) *kōm o bēs* (قليلاً وكثيراً) والعصر الأثقل في جميع هذه الحالات هو العصر الثاني إلا أن الحد السليبي يسبق الحد الإيجابي وإلا لأصبح العصر الأول هو الأثقل^(٤١) ويطبق القانون في جميع الحالات الأخرى من دون تنازع لأنه لا توجد علاقة هرمية بين الحدين كما في العربية *bric-à-brac* (مقطّ متاع)، و *prendre ses cliques et ses claques* (رخل حاملاً معه ما تبسر من ممتلكاته)، و *bric et de broc* (من هنا وهناك)، و *mêl mélo* (مريخ)، وفي الإنجليزية *flip-flop* (ترجرج أو تقلقل)، و *by guess and by gosh* (بالتحريز والتخمين). . إلخ. إنها قرينة وندبة في اللعبة تعرض التسلسل [عنصر ضعيف + عنصر قوي]

لم تتم صياغة قانون الثاني الثقيل بشكل صريح حتى الآن، إلا أن آثاره قد رُصدت منذ زمن بعيد فلقد لاحظ الحوتي الهندي پانيني (Pāṇini) في القرن الخامس قبل الميلاد^(٤٢) أن اللعبة السسكرونية تنزع إلى تأخير الكلمة الأطول في التعبير ذي الحدين. كما لاحظ غرامون (Grammont)^(٤٣) أنه في أية لحظة بصعي فيها إلى الساعة الجدارية فإسا نسمع دوماً *tic-tac, tic-tac* ولا نسمع إطلاقاً *tac-tic* () فإبدال الصوائت في المحاكيات التكرارية () بقصي بأن أحرفها الصائتة المسورة هي () *i, a, ou* وتطلق من الحاذ إلى

(٤١) هناك استثناء معروف في العبرية الإسرائيلية التي تقول *pahot o yoter* (مبلاً أو كثيراً) بينما العصر الأثقل هو الأول

(٤٢) راجع C. Hagege, *La structure des langues*, op cit, p. 26

(٤٣) انظر *Traité de phonétique*, Paris, Delagrave, 1933, rééd. 1971, p. 379.

الحصيص ولا يمكن قلب هذا النظام كما يؤكد ابن جلدون^(٢٤)، وبصوره أكثر كلفة، أن الشاعر يتعامل مع الكلمات وأن الأفكار ثانوية بالمقارنة مع الكلمات. يشهد قانون الثاني التثجيل بصورة رائعة على هذه الأولوية للأشكال الصوتية إذ إن الألسنة تنتج المعنى، ولكنها تنتج بواسطة الأصوات والقيود الصوتية التي يحضغ لها هذا الإنتاج تتعلب على منطق المعنى لهذا السبب بالدت فإن اللسانات دات السرعة المطلقة - الدلالية حصراً قد تتعرض لخطر تناول موضوعها كما لو كان نظاماً شاداً أو يتسم بالمعارف

تخطيط الوحدة وصقل العالم عن طريق السلسلة الكلامية

إن الخطابات اللسانية، وبحلاف الوطات الموسيقية المؤلمة من أنعام تعرفها آلات متنوعة في وقت واحد، هي عبارة عن سلسلة من الأدلة من دون طاق إذ لا تُنطق الدلائل الصوتية إلا متتالية، فتولد دالات جديدة من العلاقات بين المواقع، وهي مباح كامة، تُسعل أحياناً بصوره دورية كما في حالة النعوت في العربية (نظر ص ٢٤٠) وترتيب حالات المفعول فيه مثل إصافني على ذلك فهذا الترتيب متغير ومرتبطة بالتأثيرات الأسلوبية، وقد يكون له بدوره ملاءمة أقل فردية فعلاً ما تكون بعض ظروف الرمان في العربية أقرب إلى التمسد من ظروف المكاد (ببما العكس هو السائد في معظم الألسنة). ويعبر الإبدال درجات الإخبار إذ تُقَدَّم السية il est arrivé hier à Paris (وصل أمس إلى باريس) حراً يتعلق - il (هو)، بينما الحبر الرئيس في il est arrivé à Paris hier (وصل إلى باريس أمس)، وبالسبة إلى معظم الناطقين بالعربية ممن عُرضت عليهم الجملة، بحمد كمة hier (أمس)، أما بقية الجملة فيعرض أنها أقل إخباراً، أو على الأقل يُحكم عليها أنها كذلك.

(٢٤) انظر V T Rosenthal, *The Muqaddam*, Princeton University Press, 1967, t III, p. 391 (chap 7, § 55) ولبي لأشكر هـ بيويك عن مله الإحالة

ومع ذلك سرر بعض الانتظام إذ تتناح صمات الألوان في
العديد من ألسنة العالم وفق النظام الذي يبدأ من الكلمة - المركز
ويتمحو نحو المحيط المتقدم (المتواليه التصاعديه في اللغة الألمانية
والإنجليزية والهنغارية إلح) أو النظام الذي يبدأ بالكلمه - المركز
ويتمحو نحو المحيط المتأخر (المتواليه التنازليه في العارسية ولغة
الناسك إلح) فيقال في الألمانية على سبيل المثال ein schöner
kleiner roter Ball (جميله صغيره حمراء كرة = كرة جميله صغيره
حمراء)، وفي الإنجليزية a beautiful small red ball وبالإمكان
افتراضاً أن يقترح أن ترتيب الصمات يتبع ترتيب درجات تلامها
بالموصوف، إذ يجد اللون لأحمر، وهو سمه موضوعيه، التعبير
عنه بآوار الاسم مباشرة، بينما توجد الصفة، وهي سمه ذاتيه، بعد
عنه، أما الحجم، وهو سمه متوسطه^(٤٥)، فيشغل موقعاً متوسطاً
ويؤكد الألسنة داب المتواليه المحتفظه، كالعربية، مثل هذه
الهرمية إذ يقال une joue petite balle rouge (جميله صغيره كرة
حمراء = كرة جميله صغيره حمراء) لا une rouge petite balle jolie
(جميله صغيره كرة جميله) ولا une jolie balle petite rouge (جميله
كره صغيره حمراء) إلا أن مثل هذه العرصيات مقبده، فهي
مشروطه بقيود الخطيه التي يحول ترتيبها اسد لالياً إذ تتمكنك حمماً
وحده الفكر وشمولية التمثلات ما إن موضعاً في كلمات رد على
ذلك أنه مهما حاولنا تفسير هذا النظام للصمات فهو يقابل تفسيراً
للكون لا للعلاقات الحقيقيه بين الأشياء والحواس

نظر الألسنة برامس لعالم ووحده العادل للتفكير فيه والقنود
العيربولوحية هي في الحقيقة قنود السابع والتوريات الصومية التي
يمثلها قانون الثاني الثقيل واللغة لا بسعها إلا المطق بالعلم والفكر

(٤٥) يمكن، من وجهه النظر المظليه أو العبرياليه، مناهضه درجه الموضوعيه وعير البعد، على
سبيل المثال، كمعنى له بعض موضوعيه البود ويطيحه المثال، فالتأويل الذي نستخدمه هنا من
التأويل بواسطة اللغة لا المنطق

إنها تُبَيِّنُ رموزها الحاص في التحليل، وفي رموز سطح الأدلة هذا
يدور رموز العالم كما إن نظام للكلمات، المنوع بحسب الألسنة
والمرتبط بالقيود الحظية، هو نظام خاص، ولا يمكن أن يكون نظام
العالم إذ نذكر ظواهر العالم وفي ترتيب وحيد لشكل الأساسات
تسبق النتائج حتى وإن لم تُعرف، لأن بعدها، وتتجه الحركة صوب
عاية ولا توجد لنظام الكلمات أية علاقة بمرتب هذه الظروف كما
إن نظام الكلمات ليس مطابقاً لنظام العسل للتفكير فيه أيضاً، إذ
يختلف هذا الأخير باختلاف الثقافات وهو أيضاً ليس انعكاساً للعالم
ولا مرة للمفكرة، فنظام الكلمات لا يهتدي إلا بداته ويعني ذلك أنه
يمثل نظام اللغة

يعوم نظام اللغة على علاقة السخاطب التي تسهم بصورة
جوهرية في تأسيسه ولأن ترتيب الكلمات يعكس فعل السخاطب
الذي يشارك فيه المنحاطبون (نقل حبر، استعهام، أمر، تشديد
تعيري إلخ) فهو ليس استراتيجية بريئة وتقدم اللسانيات، في
درستها له، مساهمة مصاعمه في المشروع الأنثروبولوجي فمن
جهة، هي تربط نظام الكلمات بالحاجات التي تفررها حالات التبادل
الكلامي الخاصة بالمجتمعات البشرية كما تُظهر، من جهة أخرى،
وكما رأينا في هذا الفصل من خلال دراسة الحدود حول نظام
الكلمات وكمية تناولها من وجهة نظر الباحث اللساني، العلاقة التي
تربط وقائع اللسان بتوزيع الأفكار ولست هذه المساهمة للسانيات
في التوزيع إلا إحدى مآثرها المهمة



الفصل الثامن

أسياد الكلام

تهويم كمال اللسان

يلتقي حلمُ اللسان العالمية تهويم قديم شعافية لغة ستدا آدم وتردد أسطورة نابل الصدى الاستحوادي لهذا التهويم في الوعي العربي إذ لا يمكن للعلاقة المتناغمة بين العالم واللغة، إن وُجدت، أن تكون متعددة الأشكال، ومن هنا جاء نظامها مع صورة اللسان الوحيد المتوحد لا يوجد إذاً نسخٌ جديد يعزّي لحلم نالسه اصطلاحية تعم العالم كله بشعافيتها وكمالها وتُعذّ لغة الاسبرانتو (l'espéranto) للطبيب ل. زامنهوف (L. Zamenhof)، الذي صدر أولُ كُتيب له عام ١٨٨٧، الأكثر شهرة والأطول بقاء من بين نتاجات هذا الحلم القرسة العهد أي الألسنة العالمية المحترعة في نهاية القرن التاسع عشر لكنها واحدة في عدد الكثير غيرها فمن السبي ريفاب (Zefania) (القرن السابع قبل الميلاد) وإلى القرن الألماني ح م شلاير (J. M. Schleyer) مخترع لغة الفولابوك (volapük) (١٨٧٩)، مروراً بالقديسة هيلديغار (sainte Hildegard) (القرن الثاني عشر) وفلاسفة اللسان وعلمائهم، لايبزر (Leibniz) وأمبير (Ampère) ورو بوانكاريه (R. Poincaré)، شغل تهويم كمال اللسان الأدهان كان زامنهوف ومناقسوه، ومن بينهم العالم اللساني أ. جيسرس (O. Jespersen) مستدع لغة الوثيال (novial) (١٩٢٨)، يهدفون من خلال القيام بعمل إرادي لسان شيعرة موحدة للجميع توقيع عماء تعلم لسان جديد على البشر في كل حالة من الحالات

التي يحول فيها اختلاف اللغات الخاصة دون التحوّل بالإصاغة إلى ذلك، فقد كان هناك ميل إلى الاعتماد، في رسم المثل العليا العالمية ذلك، بأن تعدّد الألسنة هو "علة" الخلافات والفقر

هناك نقطة مشتركة بين هذه المحاولات التي تمّ تصوّرها لكي تصبح حفيفة لا رخرة، وبين الإبداعات الروائية لألسنة مثالية تنسّم بالبساطة والمحافظة على المعنى والصيغ والمنطق، وكذلك بينها وبين لسان ح ف سودر (J F Sudre) (١٨٦٦) الموسيقي الذي يطالب بتوبيعات محدّدة من الأصوات مع معان خاصة فكما أن الوصوح لم يكن الطموح الوحيد إذ يرمي المصنّع أيضاً إلى التعلّب على الاصطلاح الاجتماعي الذي يعرضه نظام اللسان، وهو شرط تعسّفي للانتماء في الجماعة معروض من انطوائية مصنّعي الألسنة هم متمردون على هذه التعسف، بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة من الوعي بذلك والاصطلاح بذلك المسؤولية. إلّا أن يكتب مثالي واحد لإظهار هشاشة مثل هذه البونوبيات بطق شعب السيفرامب (les Sévarambes)، الذي نحيله فراس (Vairasse)^(١)، بلسان مصري كاللانية والألمانية ليس نظام الكلمات وحده هو الذي يسمّ الوظائف لأن علامات الإعراب تؤدّي هذه الدور، لذا فمن المصير بطرناً أن يكون هذا النظام أكثر حزية. إلّا أن هذا الاقتصاد الساتح عن التحرّر من قيود المورثات بهذه الحمل الرائد الذي يعرضه على الذاكرة تعلّم أشكال تصرف الاسم مقابل تحميف الغنى عن السلسلة الكلامية هالاً زيادة غنى نظام القواعد وهذه الحالة، كما يرى، هي عكس حالة اللعب العملية الهجينة (انظر الفصل الثاني، ص ٥٠ وما بعدها) سمّ تسعى الألسنة الاصطناعية إلى أن تكون لسان بسيطة. إن توق جميع الألسنة الاصطناعية إلى إشغافه يصير بدوره عميقاً نحو لوعي، حيث نجد في حالات

(١) انظر D Vairasse, Histoire des Sévarambes qui habitent une partie du troisième continent communément appelé Terre australe, Paris, 1677

المكتم أثناء النوم والحالات النصف الواعية من ابتداء الألسنة إذ
يتصل الأمر في كافة هذه الحالات بتحطيم فيود اللسان الاجتماعي
لدي هو سجن الحلم

إنها حركات تمرّد هامشية فإن كان بمقدور إنسان الحوار
العمل في اللسان، فليس بوجه رفض صعوبتها، ولا باحراج يرى في
العائمه ملاد، ولا بالإصرار على إسقاط بهويمنه على معالته
نوتوية، ولا بإنساح معتل الذاكرة لشيعرات عبر فابنه لتوصيل، ولا
بعيشة البحث عن اللسان الأول، وإنما بالمعينة المنظمة لمادة الألسنة
الحية حقاً والواقعية التي نرى شكل شبه واع تاريخها - كمشاهد
متواطئ وممثل أعمى سواء سواء حسب تاريخه الحاضر به

صناع المقول

إن ممالك التأثير الشرقي في مصير الألسنة حاضه وكنية، ولا
يوحد حاجر مطبق بين هذين السططين فدعم سلطات لدونه، أو
على الأقل حادها لمتعاطف، يمكن له أن يفسر التأثير الحاضر إن لم
يتناوب معه في التأثير بكل سيطرة إذ يشهد تاريخ الألسنة في العديد
من الملاد، من إيطاليا (أكاديمية كروسكا *Accademia della Crusca*
عام ١٥٨٢) إلى إسرائيل (أكاديمية اللغة العبرية عام ١٩٥٣)، تأسس
منظمات لإصلاح اللسان أو للحفاظ عليه ويأتي إغراء التصميم على
التدخل في المجري "الطبيعي" للسان في العتبات التي يدرك فيها
لوعي القومي بقوة انتماءه إلى ثقافة م وإلى اللسان الذي يعترعها
ويؤذي أفضل الصحفيين ومؤلفو الكتب التربوية والمعدنية وكبار
الكتاب دوراً مهماً في مجموعات الكتابة يلتقي مع هذه الأعمال فهم
لمثال في نظر الجمهور المثقف ويؤذي عمدتهم إلى نوارن النساء
اللاواعي لتاريخ اللسان عن طريق جمهور لمتكلمين لمُعقل وهم،
اسداء من فوجلان (Vangelas) وانتهاء - غروفيس (Grevisse) في
فرسا، أولئك الصمماء الذين يسند إليهم القائمون على التحكيم في

مجال اللسان كما يؤذي العلماء والتقنيون دوراً أيضاً فهم يتدعون في مجال اختصاصهم ما يقترح هنا تسميته لغات التقانة، أي المفردات التقنية (في الكيمياء والصناعات الشرولية والقانون إلخ)

إلا أن الحالة الأكثر استكثاراً ليست هذه، إنها حالة "تساه الألسنة" إذ تربط الذاكرة الجمعية والتاريخ الرسمي بعض الأسماء الكبيرة بمراحل حاسمة من مصير الألسنة لأن "الحواريين الأوائل"، مثل القديس ميخروب (Mechrop) في ما يتعلق باللغة الأرمنية (القرن الخامس) والقديسين سيريل (Cyrille) وميتود (Méthode) في ما يتعلق بالكتابة المسماة بالعلاوية للغة السلافونية (القرن التاسع)، هم مبتدعو كتابة وهي عمل جوهري وأقل هامشية على أية حال مما يعتقده اللسانيون عالياً (انظر الفصل الرابع) وهم، في حالات كثيرة، الأبناء المؤسسون لشكل متكرر للسانهم عند نقطة مصيرية من تاريخها م لوثر (M Luther) وم أغريكولا (M. Agricola) وج سيلفيستر (J Silvester) في القربس السادس عشر والسابع عشر، الأول في اللغة الألمانية والثاني الفسلندية والثالث الهنغارية وم ف لومونوسوف (M V Lomonosov) وأ كورائس (A. Korais) وف كاراديتش (V Karadžić) وإ أس (I Aasen) وإ بن يهود (I. Ben Yehuda) وم كمال (أناطورك) وح أفليك (J Aavik) والأمير فان (Wan) على التوالي في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، في اللغات الروسية واليونانية الصربية الكرواتية الموحدة والرومانية الحديثة والعبرية الإسرائيلية والتركية والأستونية والتايلاندية (التي)^(٢)

فهل تكفي هذه المصادر الطوعية لبناء أو إعادة بناء لسان بأكمله أم أنها تبقى وهمية إلى حد كبير؟ إن ما تم القيام به ليس بالأمر اليسير. إذ أقرز لوثر وأغريكولا، وكافة مترجمي النصوص

(٢) لمزيد من التفاصيل، انظر C. Hagège, «Voies et destins de l'action humaine sur les langues», op. cit., p. 43-52.

الدببية المهمة، مفردات وتراكيب حمل مستقاة من معطيات متوافرة واستجاب بن يهودا لطلب جمهور مُخَفَّرٍ وجمع، بمساعدة المعلمين، مادة كبيرة من الأدب التوراتي والتلمودي أصبحت فيما بعد مخزون المفردات الإسرائيلية كما أوجد أتاتورك، وهو مثقف وطني ورعيم دولة، للغة العثمانية شحنة ثقافية في الكلمات المستعارة، بمساعدة خبراء مراقبين عن كثب، من لغات تركية أخرى وهي مصادر "أصيلة" حلت محل المصادر العربية كما ابتدع المدافعون عن ثقافة محدّدة، مثل آفك والأمير فاد وغيرهما، لغات نقية متنوعة وكلمات اختصاصية ومفردات كاملة حديثة عن طريق الاستعارة من ألسنة قديمة ذات اعتبار، وهي مناجم باللغة العسى حتى وإن لم تكن بينها وبين اللسان - الهدف أية قرابة وراثية (كحال لغة البالي *ke pali* بالنسبة إلى لغة التاي) وفي حالات كثيرة يترافق صدور أعمال مهمة، معجمية وبحوية تشقّر الاستعمال الأكثر تمثلاً، مع مرحلة ارتقاء الدولة. فلقد ترسخت قوة الملوك الكاثوليك عام ١٤٩٢ في إسبانيا بفضل ثلاثة أعمال انتهاء عملية استعادة البلاد، وبداية حملة اكتشاف أميركا، وطرد اليهود وقد صدر في تلك الفترة بالدات كتاب نيسريخا (*Nebrija*) المهم في النحو، وشهرته تفوق المعرفة به، وأعمال أخرى رائدة ومع بروع فجر أمة جديدة لم تأت بلسان حديد مع ذلك. لأنها لم تستطع أن تفرز، على الرغم من بعض المحاولات، التحلي عن لسان المستعمرين البريطانيين لصالح لغة محلية للمُستَظَر عليهم (أي اليهود) - جاء معجم ن. ويستر (N Webster) (١٨٢٨) فشّت القواعد الكتابية للإنكليزية الأميركية.

نسمي كافة هذه الأعمال في العمق إلى تاريخ الألسنة المعية وهي أحداث لا معامرات طارئة لكنها، مع ذلك، تنقّي حد تحوم عملية إعادة منبِك حقيقية، فهي لا تعدو أن تكون إعادة تنظيم وتحديث وتُعشّر حرائر اللسان، مع أن لها بعداً سياسياً وثقافياً بديهي، أنصافاً للسلطة الحاكمة وضمانة قوية لما هو موحود، لا

محاولة تأصيلية إنها تثبت الماضي وترسم حدود القاعدة أكثر من ممارستها لقطيعة مع الأعراف والعادات ويعكس المعجم، وبشكل خاص إن كان تاريخياً (أي يقوم بوصف اللسان في كافة مراحل تاريخه المعروفة)، خطابات المجتمعات البائدة والحديثة على حد سواء، وهي خطابات تسكن الوعي وترسم المصير فيبدو المعجم أداة اجتماعية - سياسية لتمثل التاريخ وفق وجهة النظر التي يراود له اعتمادها، أكثر منه عملاً تجديدياً

لا شك في أن الأكثر حرارة من بين "صناع" اللسان قد أدخلوا إبداعات في سياق ما أدخلوه مكرسين في ذلك الأعراف المفضلة فهي بعض المعاجم كلمات اصطلاحية، وهو إجراء مكرّر في الإخراج غير مشروط ويمكن تفسير نجاحها بحاضنتين وقياسه وفق معيارين فهي تُشعّ دعة ما حين ينتمي المفهوم أو العرص الذي تشير إليه إلى البيئة المحيطة من دون أن يكون قد اكتسب اسماً، وهي لا تستهدف السلي التي اعتاد عليها المتكلمون ومن جهة أخرى، يقللها الجمهور وأسياد الإعلام المرئي والمسموع الأقوياء، وفي أحسن الأحوال يسي الناس أصلها المصططع أو يجهلونه فلقد صرح من يهودا أنه سيعتبر نفسه معموراً بالرضى إن تكيفت ربيع تجديده المعجمية على الأقل مع العبرية الإسرائيلية بحيث لا يدرك أحد أنه مدين له بها والحق أن ثلثي تجديده قد نجحت في عرض نفسها والأمر نفسه في بعض كلمات أفريك (Aavik) في اللغة الأستونية وفي إبداعات العاملين المسحوطيين مهوّه في الـ újtasnyelv (أي تحديد اللسان) في بهانه القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في هغاريا إلا أن هذه الأمثلة تبقى حالات معزلة سيما حالات العشل أكثر عدداً بكثير^(٣)

ينبغي أن الاناء المؤسسين استعملوا بمهارة الأدوات التفيدية في إعناء المعردات من استعارة داخلية (من اللغة لأم) لألفاظ علمية،

(٣) انظر Ibid

واستعاره خارجية (من لسان ذات يعود)، ومن صناعة محلية عن طريق التأليف أو الاشتقاق (وحاصة بالإنصاف أو بحدف أول الكلمة أو إحرها)، ومن توسيع أي إضافة معنى جديد أو أكثر إلى معنى آخر مرتبط سابقاً بمعنى موجود. وهناك محامع مؤلفة من اختصاصيين، نعيد استخدام هذه الطرق، اندفعت وما نزال تبتدع مفردات تقنية قادرة على تلبية الطلب الواسع للكلمات بمرورها التطور الكبير للمعارف وللمفردات البشرية. وتؤكد الجهود الحاضنة وكذلك الرسمية وجود ميل محدد. إذ تُفَصِّلُ الشفافية العمومية للمركبات المحفورة (أي الكلمات المركبة الوصفية المشتقة من أمطاط مختلفة) على لاشفافية وعموص الألفاظ العلمية المستعارة. إذ نُكْرَسُ استعارة الألفاظ من لغة الأسيراتو التقنية تلك، والتي هي - وبخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - اللغة الإنكليزية الأميركية، أشكالاً عالمية لكنها لا تحاطب المحنلات التي تنعدي من سبع الثقافات الوطنية. أما حالة المركبات المحفورة فمحالفة تماماً، وهي التي تنحصر في العديد من المحاولات الرامية إلى تحديث معجم الألفاظ. فليقد أثر مصطلحو الدعات الفيتنامية والناموليه والصومالية والجورجنية تفصيل صناعة الألفاظ المحنية^(٤)

شاعت، حتى في الألسنة التي تلجأ كثيراً إلى استعارة الألفاظ، إجراءات أصيلة محلية. وأحد أكثر هذه الإجراءات حيوية هو دمج صذر الكلمات، وهو نمط حاصر في التركيب لا يأخذ سوى أول مقطع، أو أول حرف، من كل كلمة في سلسلة من الكلمات، كما في الكلمة الفرنسية *cégétiste* (ما يُنسب إلى الاتحاد العام للعمل *Confédération générale du travail*) (وألصقت في التركيب هنا لاحقة الروع *-iste*) وفي اللغة الروسية والأندونيسية أمثلة كثيرة على ذلك، وكذلك في العبرية الحديثة حيث يُطلق على الجيش الوطني

(٤) نمره من المعامل انظر *Ibid* p. 52-58

اسم tsahal (تساحال) من tsava (حيث) + haganah (دفاع) + leisrael (الإسرائيلي)؛ ويُطلق على الرادار radar (وهي نفسها كلمة جاءت من radio detecting and ranging اسم makkam وهو من megalle (مكتشف) + kiwwum (اتجاه) + maqom (موقع) وتوجد بين استعارة الألفاظ وبين السرعة المحلية سُبلٌ وسيطة، من بينها الاستعارة - التورية، وهي ابتداء يصعب تلاعب بالألفاظ وبصعده الآخر ترمزت وطني فقد تشاء الصُدْفُ أن يوحى تشابه شكلي ودلالي، عالياً ما لا يكون واضحاً، ببعض الحركات الهلوانية بين لفظ عرب ولفظ محلي فتأتي بكلمات قد تعرض نفسها في نهاية الأمر - مثلاً هناك في الهنغارية اللفظ elem (عنصر)، وهو يشبه لفظ element بمعنى عنصر أيضاً) وهو من الجذر elō (هـ هو في الأمام)، وفي التركية okul (مدرسة)، وهو يشبه لفظ école ويعني مدرسة أيضاً) من الجذر oku (قرأ)، وفي العبرية الإسرائيلية ilit (سحبة، يشبه اللفظ elite ويعني السحبة أيضاً) من الجذر ili (متفوق) وهناك مسيل آخر، معمول به في ابتداء الألفاظ الجديدة العلمية وفي الابتداء العموي، هو إصغاء الطابع المحلي على اللفظ المستعار. يستعير اللفظ السواحلية (le swahili) لفظ kitabu (كتاب) من العربية لكنها تجمعه vitabu مستعلة الصدفة التي نصم هذا اللفظ إلى نظام فئاتها الاسمية حيث vi- هي علامة الجمع بينما ki- هي علامة المفرد

إعناء مدروس للألفاظ وتحكم بالألفاظ الجديدة ووضع لوائح الكلمات التي يُصح أو لا يُصح باستعمالها وإعداد المعاجم وإدخال الكتائب أو إصلاحها عند الحاجة، كل ذلك مهام أُبطلت في العديد من الدول بلجان من المختصين. وعالياً ما يتم اتخاذ القرارات بالتصويت عليها في بعض المؤسسات التشريعية كالبرلمان الفرنسي أو البرويجي وهناك حفل آخر تعنى به هذه القرارات هو صسط اللعبة، أي اعتماد وسيلة في التعبير اللساني يتم اختيارها من بين غيرها وتُرفع إلى مصاف إما اللسان القومي أم الرسمي أو تصح اللسان القومي

والرسمي معاً وقد يتعلق الأمر باعتماد لغة محلية ما كـمعمار موحد، كما حدث في إيطاليا في القرن التاسع عشر وفي الصين الشعبية منذ عام ١٩٥٥. أما عياب هذا المعيار، أو عياب سلطة موحد قادر على ترويضه، فيكون في بعض المجتمعات ملازماً لحالة شديدة من عدم الاستقرار. عندها تحدّد العلاقات اليومية بين الأفراد بالأعراف تلك هي، في أوروبا، حال اللغة الكارملية *carelien* (في الاتحاد لسوفييتي) والساردية *le sarde* (في سرديا)، ولغات فنانل إيمسيو *eménio* في مرتفعات عيب الحديد أما الريتانية *le breton* والباسك *le basque* (وعلى الرغم من الجهود التوحيدية) والريتورومشية *rhétoromanche* في سويسرا والشركسية في القوقاز، فإنها في سواعها، وعباب معيار تفرضه السلطة السياسية أو الأعيان الأدسة، مجموعات من اللهجات أكثر منها ألسة موحدة وقد يحث نقش لغوميات، وكنوع من التعويض، على تكريس أحد الألسة لقومه كالأمهرية (*l'amharique*) في أثيوبيا والتاغلوغية (*le taglog*) في الفيليبين، أو على تبني لسان رسمي أحسي فمع أن الفرنسية والإنكليزية كانتا لغتي المستعمرين سابقين، في الهند وفي القسم الأكبر من البلاد الإفريقية التي حصلت من الاستعمار، إلا أنهما أقل شجاً بالمشاعر الانفعالية من بحمله، تجاه بعضها البعض، ألسة لفانل المتحاور والمفسة التي تتصارع شراسة على الصدارة

لا يقع الإصلاح المعجمي، وعلى العكس من صط اللغة، على هامش اللسان بحصر المعنى ومع هذا فحتى لو نجح الإصلاح المعجمي فهو لا يزال سوى الأقسام الأقل بناء ومما لا شك فيه أن علم تراكيب البنى قد ساهم في المداخلات، إلا أن مداخلاته كانت محافظة أكثر منها بإصلاحه، لأن معظم لحالات المعروفة هي عبارة عن إحياء ولقد أعد إدخال لتأسث في لتراكيب الاصمعي، بعد أن كد مدثر في اللغة الرويجية الحديثة، وذلك وفقاً للهجات محافظة كست قد ألفت عليه كما أذى هم تشكيل اللغة الهولندية على صورة

اللاتينية إلى الحفاظ بشكل مصطع على موقع قوي للمؤنث، من خلال مبادرات بحويين مترقيين امتنعت حتى منتصف القرن التاسع عشر إلا أن تدخلات رسميه في بلجيكيا وفي هولندا أصعبت هذا الموقع أمام منافسه المذكور وزيادة على ذلك، فقد أعيدت الحياة إلى أشكاف شبه مية كما في نصريف الأعمال التي ينهي مصدرها ، ik في الهسبارية، وفي الصيغ المعربة pu'al و saf'el في العبرية الإسرائيلية، وفي العلامات الاسميه والعلية التي كان سقوط الأحرف الصائفة القصيرة غير المبورة والأحيرة قد ألغيت من اللغة الدارجة، مما أعطى metsā-s ('عامة - في'، أي في لعانة) tule-m ('أني - بحس'، أي تأتي) بدلاً من metsā-ssā ومن tule-mme وهناك أخيراً حالات من التعديلات الموضعية لنظام الكلمات إذ نجد في اللغة الرومانيه الحديثه المتواليه/عشرات + أحاد/ قد حلت، بمرسوم، محل المتواليه/أحاد + و + عشرات/ أي tje to ويقبلها بالفرنسيه vingt-deux (اثنان وعشرون) بدلاً من to-og-tje وهكذا نرى في كل مكان أن التدخل لا يُرصى التعليل وحسب عوضاً عن تجديده، لا بل يبقى أنصاً محدوداً في اتساعه ومتواضعاً في نتائجه

وكما هو متوقع، يبقى التلقظ خارج النطاق أو بمنصر من المساعي الرامية إلى حباره فقد كانت هناك محاولة في العبرية الإسرائيلية لمرض المعاده الصونية لليهود الشرقيين وهي، كاللغة العربيه، عمية بالأصوات الحثقيه واعشرت أقرب إلى العبرية الكلاسيكية إلا أنها كانت عريه عن عادات التلقظ عند اليهود العربيين ممن آمنوا الدولة وكانت لهم سيطره تامه عليها حتى عهد قريب، فأدت هيمنتهم إلى فشل تلك المحاولة

اللسان. مضنر أم مؤرد؟

الحاسوب واللسانيات

لا نشط مقدومة مختلف المحاللات عبر المتعلقه بالألغام

المعجزة عريضة صناع اللسان وإنه لدأب مدعش ولا فدا فمع أن
 لمعجزة وحدها هي التي تبيح مدحلاً فعلياً فيها، إلا أنهم لم يكتفوا
 بها. إذ كانوا باحثين مقدامين عن مطلق مقاده الوصول إلى انطريقه
 المثلث في لقول، فأعادوا النظر في التعلم الصممي للمواعيد
 المدرسية فما أن اللسان "قوة لا تتوقف عن الحركة" فمن الحسب
 أن يحول السيطرة عليها. ومع لا شك أنه إذا ما نظرنا إلى
 اللسان كمعطى "طبيعي" فذلك لا يستبعد الفعل الشرقي الساعي إلى
 قولتها "فالتحكم في الطبيعة ولاستعمال العقلاني لها هما، مد فجر
 لرمز الشرقي، مذكوران يميزان مجتمعات الشر عن باقي مجتمعات
 العالم الحي"^(٥) والحق أن الإنسان العاقل نوع مميز، فهو لم يحصع
 لبيته لطبيعة ولتأجيات بعض الحوض المطبوعة في شيفرته الوراثية
 وإنما معنى إلى تحويلها "تحتجر الطبيعة أحساساً أخرى داخل فوائير
 وضعها أن"، قال الله لأدم، بحسب بيت دو لا مير بدول (Pic de La
 Mirandolle) «أما أنت الذي لا حدود لك، فعهدت بك إلى حيارك
 الداتي لتحدد نفسك بنفسك»^(٦) فالمصلح اللعوني يرى أن باب
 لألسه يس موصداً أمام محاولاته لصسطها

ومع ذلك يجب الانسواء هنا إلى بعض المسلمات وإذا ما
 عنبر اللسان من الموارد الطبيعية، يكون عنده من ممتلكات الأفة،
 مثله مثل الموجود في باطن الأرض من البترول أو الحديد الخام.
 وعليه فإنه يجب أن يكون مفتحاً على الجهود لرامية إلى صسطه
 واستغلاله. إلا أن اعتبار اللسان أداة من هذا النمط فيتضمن إقراراً بأن
 إحدى وظائف اللغة، وهي هنا لتواصل، هي الوظيفة الأهم. إن لم

(٥) نجد نظيراً مثلاً لهذه المسألة في القسم الأول من كتاب م. غودلييه، M. Godelier

L'idéal et le matériel, Paris, Fayard, 1984. ويحمل هذا القسم عنوان

«L'appropriation matérielle et sociale de la nature» (ص ٤١ - ١١٣)

(٦) مثلاً عن م. غودلييه (M. Yourcenar) في مسهل كتابه، *L'œuvre au noir*, Paris,

Gallimard, 1968. والنقل عن اللاتينية نقل حر من

تكن الوحيدة الحاسمة لا يعودُ تحطيطُ الألسنة، وفي هذا المطور، عملاً ملحقاتاً ناعماً للسايبات، بل حرة، لا يتحرراً منها فليقد فال جيسرسن (Jespersen)^(٧) فإن اللسايبات النظرية كانت الأداة وإن تحطيط الألسنة كان العاية، كما يقع في عمل صدر مؤخرأ على التالي: «إن نظرية نحوية تعطي تصوراً للسحر يسهم في تمييز اللغة الشربة بوصفها أداة أو نمطاً من السلوك الموجه نحو عاية ما، فهي أفصل من نظرية تعبر عن ذلك»^(٨) وإد ما دفعنا بوجهه النظر هذه حتى أقصى نتائجها المنطقية، تصح اللسايبات علماً متمصلاً مباشرة على تطبيقها، كما يتم فصل عالماً النشريح والفيريولوجيا وعلم الأمراض على الطت وهماك ما هو أكثر من ذلك إذ يتوقع البعض^(٩) حلول يوم تتفوق فيه الآلات (الحاسوب اليوم) على اللغة لدرجة أنها ستحل محلها كركائر للفكر عندها يحرص اللسان، الأكثر انسجاماً للعمل مع الآلة نفسه نفسه على الشربة فعلى اللسايبين إد أن يكتوا على هذا التشكيل فمن شأن مثل هذا العمل إعطاء اللسايبات، في تاريخ الحصادات، دوراً لا يمكن لأحد اليوم حين مدى أهميته عندها يصبح تقييم درجة الاقتصاد اللعوي والتحصير والقلبية التحليلة والبساطة، التي تسلط دراسة اللغات العملية الهجينة الصوء على مدى أهميتها النظرية (انظر الفصل الثاني، ص ٥٠ وما بعدها)، المهمة الأساسية للسايبين وبالتالي لا يعود تصنف الفريه الصرفية الذي يستعمل نسخة معدلة من ثلاثيه الألسنة الإعراسة واللصقية والعربية أو غير المتصرفة (الفصل الثالث، ص ٨٨ - ٨٩)،

(٧) سلاصرف بولي (V Tauli) في «The Future Paradigm of Linguistics», in *Proceedings of the XIIIth International Congress of Linguistics, Tokyo, Gakushuin Univ 1983*, p. 889

(٨) انظر E. A. Moravcsik & J. R. Wirth, eds., *Current Approaches to Syntax*, New York, 1980, Introduction, p. 17

(٩) انظر A. Sauvageot, «Le langage et la pensée» *Vie et langage*, 103, 1960, p. 536-539

حقلاً معلماً للتقريب من رهاياً أساساً لقرار قيميّ نحن نختار أكثر
الألسنة مروية و"سهولة"

تستحق هذه النظرة المستعملة، بعد تعليم روائده الأسطورية،
ألا تقابل بالاردراء فهي تنصّص على الأقلّ أمراً يجدر تفحصه معاده
أن اللسان لا يتغير بحد ذاته وفق قوانينه الخاصة للعمياء، كما يردّدون
دور كل على المسامع، وإنما الإنسان المتحاور نفسه، هذا الجنس
الحقي، هو الذي يعيّر ألسنته، عن وعي أم عن غير وعي، كما هو
يعيّر كل شيء بدءاً من التقنيات التي ترشح علاقته بالطبيعة وحتى
الخواص التي تُعرّف به ومع ذلك يقدّم نصرف مصلحي الألسنة
قريبة ولا قلم بعضُ معظمهم، في مجال المفردات المعجمية
لمصروح أمامهم، الألفاظ المحلّة على الألفاظ المستعارة (انظر هنا
ص ٢٥٦)؟ ألس من الواجب، إن كانت الألسنة مصادر طبيعة
حالصة قابلة للتشكيل حسب الرعة، المكهن، وبعيات خطر
التكديب، بانتصار اللغات الاصطناعية كالإسبيرانتو (L'esperanto)
التي تسعى لتصحيح نواقصها، بوصفها محرّذ أدوات صنعها بريح
عرصي لإبداع جماعي لا يملك خريطة مفضلة ويؤاكن في مفرداتها
المعجمية وركيبتها الحوتي، وبعد انصرورة في كتابتها، مراحل
قدمة ومرحل لم تُهضم نقاهاها؟ إلا أن اللغات الاصطناعية لم تفشل
وحسب، بل حافظت المسيرة الإصلاحية قدر الإمكان على بقاء
أصلي يركّز عليه الأفراد والمجموعات إذ يفترض حلم توجيه
مجرى المفردات والقواعد، وهو حلم بعيد عن كونه تقليد أعمى
لمواقع، تملك اللسان بوصفه حيّراً رميماً ونعني السطرة على
لسان، نظر المصلح، صمان استمراره هو بالذات

يمكننا إذاً أن نحيل أنه بعد قرون وربما بعد آلاف السنين
سيأرحح مصير ألسنة الأكثر انتشاراً، وبالتالي مصير ألسنة لأخرى
التي نسيطر عليها بانتشارها الواسع، بين رعة أدواتية تعجز عن

تكييف اللسان مع الآلات وبين رمزية تمثل الثقافات المختلفة ألدهم
إلا إء تطابق هءن المصبران في يوم بعد من لأبام نظاماً على
مسوى الأمم، ودرهما على مستوى العالم كله ولن ينق هءاك، في
حان الاحتمال الأخير، سوى إسائية منصامه في وجه السحذي
المردوح للطبيعة وللأحتراعات البشرية نفسها من حقاً أن نحلم
وتأمل في الرهانات التي تحملها معامرة اللغة الحالية والمستقبلية
للإنسان ولمصيره ومهما يكن من حال، فالاستسلام لرمس التيه هء
لا يعنى على لإطلاق الوقوف إلى جانب أولئك المرعجين من تعدد
الألسنة والمتعطلين لنقلص أعدادها لا بل على لعكس، فإن
تصامماً حقيقياً بين الأمم من شأنه أن يرص لصموف في
مواجهة مشركة لما بحمله المستعمل من تحديات، وذلك في موقف
يحترم الاختلافات ومن بينها الاختلافات في الألسنة

حامي الألسنة، عدو الدولة

لا يكفى أن نقول بأن التاربج لا يشهد على هءا الاحترام
المثالي، إء لا سبل فيه إلى الوحدة اللسانية إلا العصف أو الإقصاء
المستند للتنوعات الطبيعية وإعلاء اللغة الفرنسية وترقيتها على سبل
المشال تم أولاً بمساعدة الحكم الملكي فاحتيار اللسان في عهد
المدس لويس (Saint-Louis) ومن ثم في عهد فيليب لو بل
(Philippe le Bel) كان حيار اسلطة فانتشار اللسان المحني في كليه
المجال للملكي بلارم ترسيح سبطه مركرية وحين استعد الملك
فرانسو الأول، بمرسوم فيلييه - كوترية (l'édit de villers-Cotterêt)
(١٥٣٩)، منعما أني لسان غير الفرنسية في القضاء فهو صادق
بكل ساطة على حالة واقعة ابتدعتها البرلمانات والإدارات المحلية
عن طريق العملاء المسؤولين عن شر لسان الملك. ثم جاء الثورة
ورسخت هء الوصع وحملت من اللسان القومي أداة للمصال

الساسى، لا صد الألسنة الإقليمية للعرب العربي المعادي للثورة وحسب وإنما صد جميع ألسنة لأقليات ولهجاتها سواء أكانت أدواء للتعسر عن معاداة الجمهورية أم لم تكن ولم يكن يُنظر إلى تلك اللهجات على أنها تعكس لتقسيمات الإقطاعية القديمة وحسب، بل على أنها عفات مهمة في وجه المواطنة فلكني تكون مواطناً صالحاً عليك أن تفهم بض المراسيم الصادرة، إذ كيف يمكن أن يساوى الجميع أمام القانون إذ هم لم يساؤوا في اللسان؟

لهذا السبب صدر تقريراً بارير (Barère) وغريغور (Gregoire) في العام الثاني للثورة الفرنسية في شهري pluviôse (المطر) و prairal (الحقول) (*) إذ يُعلن الأول أن «المرعة، الصيد، الصيد، والمعتقدات انباطة تنطوي باللغة الروتانية القديمة»، أما الثاني فبدعو إلى الطر في «ضرورة محو اللهجات الإقليمية والوسائل التي توصل إلى ذلك من أجل تعميم استعمال اللغة الفرنسية» لم يبق من مكان للألسنة الإقليمية في عهد هذا الحكم المطلق سوى المتاحف ولقد استمررت السياسة المركزية في عهد عودة الملكية وفي عهد لوي - فيليب (Louis-Philippe) مما أثار احتجاجاً قوياً لدى خُماء اللسان فلمعد كتب ش بودنيه (C. Nodier) عام ١٨٣٤ (١٠) بهم لوم يصرون باسم المدنية على تدمير الألسنة الإقليمية بشكل كامل () تدمير اللغة الروتانية، قد نقولون؟ () وأية وسيله سيستعملون لذلك؟ لكن هل يعرفون ما اللسان، وما هي حدوده، العميقة الصلبة في عبقريته لشعب، وما ألداه المساعدة لمؤثره في مشاعره؟ () إن الوصول إلى مثل هذه النظريات يعني الحاجة إلى املاك العجزة المقطيعه بحمل عوقفها إذ يعني ذلك هباء قري

(*) يحد شهر pluviôse وفق التقويم الجمهوري الذي أقر عام ١٧٩٢ من ٢٠ - ٢١ كانون الثاني / يناير إلى ١٨ - ١٩ شباط / فبراير، أما شهر prairal فيحد من ٢٠ أيار / مايو إلى ١٨ حزيران / يونيو (المترجم)

(١) انظر Notions élémentaires de linguistique op. cit t. XII, p. 256 et 261 des Œuvres complètes. Paris, 1832-1837

تكاملاً بالنار وإبادة السكان بالحديد»

إن حالة ألسنة الأقليات مهددة بالطريقة نفسها في الإمبراطوريات الكبيرة التي تعرض فيها اللغة المسيطرة للدولة نفسها على الجمع بثقلها وحده فاستعارة الألفاظ بأعداد كبيرة من اللغة الروسية ظاهرة واسعة الانتشار في القسم الأعظم من الألسنة المسماة ألسنة القوميات في الاتحاد السوفيتي، من اللغة الشرمسية le tchérémissse في حوض الصولغا إلى لغة القورياق (le konak) في الشمال السيبيري مروراً بالأسخارية (l'abkhaz) في أبخازيا، والقيرعيرية في جبال آسيا الوسطى وحدها تقاوم وتستعمل لغات مثل اللغة الجورجية واللغات البلطيقية في جمهوريات سوفييتية اشتراكية وتجتذر في تقاليد قومية ثقافية وسياسية ولقد أدى صدور العديد من المعاحم وكتب القواعد الذي تلا عملية محر شامل للأمم عند شعوب الاتحاد إلى تأكيد ضعف كافة ألسنة الأخرى أمام هيمنة اللغة الروسية المستعيدة الكبرى من تعميم الثنائية اللغوية لأنها لسان السلطة وبالإضافة إلى ذلك فقد حذمت اللغة الروسية بعض الإجراءات "الليبرالية" المتقنعة بالحرية فقانون عام ١٩٥٨ يترك للأبوين حرية اختيار لغة الترتيب^(١١)

إن الدول التي تعرض، في محاولاتها لصبط اللغة، همة لسان ما هي نفسها الدول التي تقوي، في أفعال أخرى تتعلق بالإصلاح والتحديث، أعراف وتقاليد المجموعات الاجتماعية والثقافية المهيمنة والفرنسية مثال للعبارة فإذا ما كانت الفرنسية تدين بهمتها السياسية والثقافية للإجراءات التي قامت بها الدولة، فدسها أقل تحاها في ما يتصل بسياسة المعجمية وتراكيبها على الرغم من كل ما يقل أو عبارة أخرى أدق، لم تظهر فعالية السلطة إلا حين تنافس

(١١) راجع C. Hagège. «Voies et destins de l'action humaine sur les langues», op. cit., p. 40-41

عمدها تماماً مع المبادئ لأيدولوجية التي صوّق صعطها، وهو الوحيد لحاسم، على كافة الإصلاحات الجبرية التي أكثر منها السلطة مد بروع فجر الدولة في القرن الرابع عشر. فهذه المبادئ هي مبادئ المجموعات الاجتماعية، المهيمنة، حراس اللسان الذين يعتبرون علاقتهم بالعربية امتلاكاً لإرث. ولا شك في أن عملهم الواعي كمؤسسين يتحكمون بالتدخل الرسمي أو يوحون به لم يكبح، على الرغم مما يعتقد انحصار، جماع^(١٢) التطور 'العقوي' للسان كما يشكله ويحوّله حمية، وفي الاستعداد اليومي للمُفعل، أولئك لمتكلمون العاديون بأعدهم الهائلة ممن لا سلطة سياسية لهم إلا أن إمكان تدخل السلطة وحده، وإن كان محدوداً، كافي لإظهار سطوة العلاقة التي يستطيع اللسان إقامة بين الأفراد ما أن يعيب، لاستجاء بين مواقفهم الاجتماعية إنها علاقة تقوم على السلطة

اللسان، تلك السلطة المُفَعِّلَة

ما سرّ اهتمام السلطة السياسية باللسان في دعمها للتساؤل لعلمي أو في تدويرها عنه؟ وما السرّ في أن ضبط اللسان وإصلاح معرّياته هما مشاهد سياسيان لا مجرد لعبة بريئة لعشاق الجمال، والكلمات؟ وما سبب تحوّل الألسنة إلى ساحة للمواجهات العيفة كما حدث مدياً في اليونان والهند وبنجاليكا، إذا ما اكتسبت بأمثلة من لفرق لعشرين؟ إن امتهان اللسان ليس حالياً من المحاطر فهي عام ١٩٤٦ اعتيل المؤرّج و لعالم بعقه اللسان الإيراني أ كسراوي (A. Kasravi) باعناؤه عدواً للإسلام، إذ كان قد اقترح برع الصفة العربية عن حرّ من الألفاظ المعجمية الإيرانية. وفي عام ١٩٣٦ أمر منليس بإعدام اللساني. د بوليفانوف (E.D. Polivanov) بحجة محاباته

(١٢) B. Quemada, «Les réformes du français», in I. Fodor & C. Hagège, eds. *Language Reform. History and Future*, op. cit., vol. III, p. 79-177.

للألسنة التركية ومعاداته لأفكار ن ! ماز (N I Marr) السائدة
 انداك كما يمكن أن نقرأ لتالين نفسه هذه الكلمات في بديّة مقال
 يعنى فيه عام ١٩٥٠، وبحجّة الرّد على أسئلة «مجموعه من لرفاق
 الشباب»، إلعاء أفكار ماز نفسها (انظر الفصل الحادي عشر،
 ص ٣٥٨ - ٣٥٩) «ما أنسى لست لسانياً، فأنا لا أستطيع بالطبع
 إشباع رغبة الرفاق بشكل كامل أما في ما يتعلّق بالماركسيه في
 اللسانيات، كما في نقيه العلوم الاجتماعية الأخرى، والقضية هنا
 تعيبي شخصياً»

به لتأكيد مدهش من متالين بوجود اهتمام شخصي منه
 باللسانيات فمن أين له هذا الاهتمام؟ إنه يأتي من اهتمام خاص
 بظاهرة اللسان بحثاً عنها فالظام السوفييتي، الذي وصف بنظام
 حكم الكلام^(١٣)، مثال مدقق في هذه المسألة والحق أنه من
 المناسب، وتعاير لسانيه، تحليل ذلك " لسان الحشبي " الشهير،
 الذي يُعرفُ هنا وهناك على أنه أسلوب يُمكنُ من السطره على كل
 شيء بإحفاء الواقع تحت قناع الكلمات ترمي إليه الجديدة التي
 تحدّث عنها أورويل (Orwell) في عمله الروائي إلى اسراع كل فكر
 غير تقليدي من العقول بإبعاد حتى الأسماء التي يمكن أن يستخدمها
 ذكيرة له إذ تصح الكلمات فيها المسد إليه نفسه يستتج من قراءه
 لخصوص السوفية استعمالاً للأفعال أقل بكثير من استعمال الأسماء
 المشتقة من الأفعال، وهو نمط من الاسمايه يوجد بوفرة في اللغة
 الروسية^(١٤) يتيح الاستعمال الاسمي بصوره واسعه في الخطابات
 تحث مواجهة الواقع الذي يقلله استخدام الأفعال إذ يمكن بهذه

(١٣) امطر A. Besançon, *Present soviétique et passé russe*, Livre de poche, coll
 «Pluriel», 1980.

(١٤) هذا ما يتوصل إليه بي سيريوت (P. Sériot) من تحليله للدين سيريوتي ب. خروتشوف و
 بريجيف أمام المؤتمر الثاني والعشرين والمؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي السوفي
 عامي ١٩٦١ و ١٩٦٦ في كتابه *Analyse du discours politique soviétique*, Paris,
 Institut d'Etudes Slaves, «Cultures et Sociétés de l'Est» 2, 1985.

لطريقة عرض م هو غير بديهي وغير مسجّر وكأنه بديهي ومسجّر
لأحد مثلاً على ذلك في اللغة الفرنسية فحين ينتقل من عبارة "إن
طروحاتي صحيحة" أو عبارة "نواصل الشعوب ضد الإمبريالية" إلى
عبارة "صحة طروحاتي" أو عبارة "نواصل الشعوب ضد الإمبريالية"،
فإن منتقل من التقرير إلى الإصرار فالمسكلم يتملص من محفل
المسؤولية ومن الاعتراض، لأن المستمع إن كان يستطيع لمقاطعه
عند نهاية عبارة "إن طروحاتي صحيحة"، فإن قدرته تلك تصح أقل
بعد جزء من جملة غير تامة مثل "صحة طروحاتي".

لا شك في أن الديكتاتوريات لا تحت أن تكشف هويتها
وكيف لها ألا تنالي باللسان؟ فإحدى الحواض المميرة لسان هي
بالحديد أن تكون سلطة حمية أفليست هذه السرية معربة؟ فممارسه
لللسان هي ممارسة غير معلنة لتعوق م، وبعض الكلمات تُفصح عن
ذلك صراحة فمن سمي بـ "الإمبراطور" في المكسيك كان يحمل
لقب tlatoani أي "هذا الذي يتكلم"، من الفعل tlatoa (تكلم)
ويحد الجذر نفسه في الكلمات المتعلقة بالكلام، مثل tlatoa (لغة)،
وفي تلك المتصلة بالسلطة والقيادة مثل tlatoxoyt (دولة) ويلقي
المعنيان في كلمة tlatoan التي تشير إلى المجلس الأعلى وهو
المقام الذي يتكلم فيه المرء وتصدر السلطة عنه فليس من باب
المصادفة أن يوضع الحاكم بـ tlatoan فهي أصل سلطه يوجد في
الكلام ونقشات المجلس الطويلة ومهده هذه الحطبات المحمة ذات
انصور المجارية ووقارها، والتي كان شعب الأرنبك بقدرها إلى
درجة كبيرة^(١٥)

حتى وإن لم تُفصح الأشكال للسان عن ذلك بوصوح كما
بعض لغة الأريك، فإن من يمثلك انسان يتقلد سلطه، يتملذ سلطة

(١٥) انظر J Soustelle, *La vie quotidienne des Aztèques à la veille de la conquête*
espagnole Paris, Hachette, 1945, p. 14

أكبر من سلطة من لا يسيطر عليها بصورة تامة فجاح رجل الدولة، كما فعل أتانورك في تركيا، بالسطر على محرى اللسان في إحدى مراحلها الحاسمة، يصيب إلى سلطته سلطة أخرى مُعَمَّلة وفاعلة لذلك فإن التوجيه اللساني والتصور الذي يرى اللسان مصدراً طبعاً (انظر هذا، ص ٢٥١ وما بعدها) ليسا برشيق وقد يكون التوجيه حجة قوية، خاصة إن كان ضد لصفائيه اللعوية التقليدية وضد تكريس أعراف أقلية محافظة فاللسان من الممتلكات السياسية وكل سياسة لسانية تدخل في نعمة السلطة وتدعمها بإحدى أحلص دعائهم فالقاعدة التي نغمها سياسة التوجيه ليست القاعدة بوصفها وصفاً، أي شكلاً من أشكال التعبير تشرك فيه الأعلى ويكتفي المرء بالالتزام به إنها قاعدة مثالية وهي تخدم مصالح الدولة في حار محنت طبيعتها الحسالية أثر الكلام المبدئية فوحده اللسان نهم السلطة، بينما يعطها التنوع، تنوع أساليب القوم الذي يعيق خط سير المال^(١٦)، وأبصاراً تنوع أساليب التفكير واللساني بمصادقته على العرف المهيمن قد يصحح، بعلمه أم من غير علمه، صمن السلطات القائمة

لهذا السبب يتوجب على العمل الإنساني الذي يتحد اللسان موضوعاً له أن يكون مستقلاً عن أية سلطة إذا ما أراد لنفسه تجاوز صورة "هوام السيد" فدور اللساني في تخطيط اللغة وإصلاحها هو، في ظرف يشترع هذا الدور، وإلى جانب تدريس الألسنة والترجمة والرد على تحذي المعلوماتية، هو أحد أهم السبل التطبيقية التي يمكن أن نعطي نشاطه تأثيراً حقيقياً على محرى الأشياء أما إذا لم يتدخل فيعني ذلك أنه يتحلّى عن مبادرته ويتركها للذين لا يهمهم مشاركته على أية حار للتدخل بأنفسهم وبشكل دائم، عن طريق

(١٦) يقول القس غريغور (l'abbé Grégoire) في "تقريره" (Rapport) تلك العبارة السديده الإيحاء «إن الدهجيات المحيية على اعتداد الأمة هي بمثابة عصيات تعيق حركة الجدار»

«لصحافة والتعلم ووسائل الإعلام السمعة والبصيرة والقوانين، في
مصير الألسنة» فالتحلي عن دوره للمهندسين والعلماء ورجال القانون
لذين يحترعون لغات تقية . وبصادقون عليها في معظم الأحيان
قد يدفع إلى الاعتقاد بأن الألسنة قضية من البجدية والخطورة بحيث
يجب ألا نوكل إلى اللسانيين والرهان يتعدى كونه مجرد قصة نعية
في التعبير اللساني وإسهام الألسنة الواسع في تشكيل الإحراء
الفكرية يعني أن التدخل فيها هو فعل غير مباشر في تلك الإحراءات،
وبالتالي في الثقافات معها

ولا شك في أن الألسنة ليست ملكاً لسانی إلا أن من حقه،
أن لم يقل من واحد، التعبير عن رأيه في مصيرها كما لا يُمع عليه
التدخل في مصيرها أحياناً وإن كان البحث القائم على الحاجة إلى
المعرفة يتميز في العلوم عن التطبيق العملي، فلأنه شرط مسبق لا
برعة إلى البقاء تعرض مع سلوك عبر بقي محطاً لعذرها يأتي من
الملوث الساجم عن الاحتكاك بالمادة حين يأخذ اللساني موقعه في
الجهد الرامي إلى إصلاح الألسنة فهو يساهم في وضع عمليات
مستقبلها، ولربما إلى حد ما مستقبل الشعوب التي نعتز عنها، على
طريق أكثر أمناً.

III

الغاية النظرية أو الإنسان المتحاور

الفصل التاسع

نظرية وجهات النظر الثلاث

الإطار العام

يتفق اللسانيون من مختلف الأصول تقريباً على وجود مجالات أربعة تقليدية في دراسة الألسنة علم الأصوات الوظيفي والمعجم والنحو وعلم الصرف (انظر الفصل الثالث، ص ٧٣ - ٧٤) وتنظيم الوقائع والمناهج بطريقة مختلفة عند النظر إلى الألسنة من خلال لإساح المادي للكلام إذ لا يعود نتعامل حينئذ فقط مع العاط نصيب معنى إلى أصوات، وإنما مع جمل ومجموعات من الجمل تشكل بصورة فنية هي المادة الظاهرة التي نتجها ولتفطها كل امرئ ويطلق اللساني صمم هذا الإطار من الجمل وصولاً إلى الكلمات ودراسة لأصواتها تتجاوز إداً حدود الكلمة، وشغل التسعم لدي شحج لجمل أو أجزاء الجمل إطاراً له مكانه هـ، مثله كمثمل الصوتيات بوصفها وحدات تميز للكلمات فيما سها

إن نظرية وجهات النظر الثلاث هي الإطار الذي يقترحه هـ لدراسة الألسنة في واقع مظهرها صمم خطابات^(١) وتعرف الجملة هـ وفق معيارين هـي أولاً مجموعة من الكلمات (وقد تقتصر على كلمة واحدة عند الاقتضاء) التي نقل بها انماطق باللسان بالولادة على أنها كامنة، أي مكتفية بذاتها ولا تحتاج لأية إضافة لتصبح مسمه نحويًا وقابلة للمأويل دلاليًا أم المعيار الثاني شكلي فالنعيم يشير

(١) حول الفرق بين نظرية وجهات النظر الثلاث وبعض المباحث الثلاثية الصريحة إلى حد ما، راجع C. Hagège, «Les pièges de la parole», op. cit.

إلى حدود الجملة، مهما اختلف شكله المادي من لسان لآخر وداحل
اللسان الواحد

ب. تعريف اللسان، بهذه الطريقة، يتيح النظر فيها وفق وجهات
نظر ثلاث تسمّى بعضها البعض فالأولى تدويناها في علاقتها بأنظمة
اللسان، فتدرس العلاقات بين الكلمات وكذلك أسلوب التعبير عن
تلك العلاقات إنها وجهة النظر الصرفية النحوية أو وجهة
النظر (١) أما الثانية فتربط الجملة بالعالم الخارجي الذي تحدثت
عنه، ولأشكال ليست هذه المرّة ما يؤخذ بعين الاعتبار وإنما المعاني
التي نحملها هذه الجملة، ومن هنا جاءت تسميتها بوجهة النظر
الدلالية الإحالية وهي التسمية التي يقترحها هنا لوجهة النظر (٢) أما
في وجهة النظر (٣) فيتمّ تناول الجملة في علاقتها بمن ينطق بها،
وهو يرتبط بدوره بمستمع ما إذ يختار المتكلّم استراتيجيّة ما أو
أسلوباً في العرض مستعملاً تراتبية هرمية بين منطوقه وما يبلغ عنه،
ومن هنا تأتي تسميتها بوجهة النظر المنطوقية الهرمية وهي تسميه
تقترحها هنا لوجهة النظر هذه

إنها وجهات نظر لا مستويات، كما يظهر بصورة أكثر دقّة في
الترسيمة (انظر ص ٢٧٧) حيث الترتيب ترتب مجاورة أفضيه لا تتابع
عمودي إذ ينصّب مفهوم المستوى والتقديم الموافق له علاقة هرمية
أو آلية تحويلية وبما يجعل المستويات قاسية للاشتقاق فيما بينها غير
أن مثل هذه الآلية لا توجد كواقع ظواهرية ولا أهمية عملية لها
ومن جهة أخرى، فإن كلاً من وجهات النظر الثلاث تلك تلقي صوّاً
مساوي لأهميه ولا يهيمن إحداها على الأخرى، بل هي تتشارك
معاً في تمثيل الألسنة في فعلها كسلوك بشريّ نموذجي أصلي

إن أية دراسة لواحدة من وجهات النظر هذه دون الأخرى هي
عمل مصطنع يتجاهل حقيقة الروابط التي لا يممص عراها بين
الثلاث فالألسنة من وجهة النظر الصرفية النحوية أعراض طبيعية

تتناولها مختلف المصاح من علم الأصوات الوطيفي، أي وصف
لأنظمة الصوتية التي تشكل الوجه الفريائي للكلمات، إلى الصرف
كدراسة لسيه الكلمات واحتمالات تعاقبها وامراتب التي تنوع فيها
بحسب اللسان، وإلى النحو بوصفه دراسة لعلاقات بين الكلمات أو
مجموعات الكلمات وسمات هذه العلاقات فالإقتصار على وجهه
النظر (١) يعني ساسي المعنى الناتج والعلاقات بين المتكلمين
والإقتصار على وجهة لنظر الصرفية السحوية يفقدنا، إذا ما نظرنا ملباً
في م ينصته ذلك، إلى شكله لظاهرة المعنى وللعميات التي تبح
سائه وبأوبته تقوم على مبادئ من نمط المبادئ المنطقية الرياضية
وفي لوقت دته نعب عن دائرة الاهتمام لقيود الصرفية السحوية التي
تسم لألسه وكذلك شروط الاستعمال في الحوار أما إذا اخبرك كل
شيء إلى وجهة النظر (٣)، فيمكن التوصل إلى تحديد سمات
لخصيات والعلاقات التفاعلية التي تنشأ بينها، لكن نمونا المكونات
الجوهرية للغة فالواقع الساسي بسيط وهو تلك الوجوه الثلاثة في آن
معاً، ومن الواضح أن على وجهات النظر الثلاث تلك أن تقس نظرة
واحدة بحتنص الحقول الثلاثة معاً وعلى الرغم من الوضوح غير
المرجح والمحفوظ بالمخاطر لنرتفع على قمة الهرم، فليس أمام
اللساني، لإبقاء تعقيد موضوع دراسته حقاً، من خيار آخر سوى
التفّل بنظره في الفضاء المحارتي لسؤاله ومعنقة لوجوه الثلاثة
لدراسة الألسه كما تحددها منحدرات الهرم الثلاثة منحدر علوم
الطبيعة، ومنحدر المنطق والرياضيات ومنحدر علم النفس
الاجتماعي

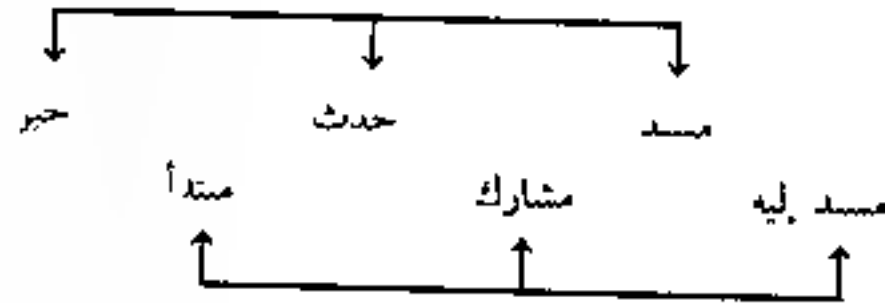
من لمعيد، لتسهيل هذه المهمة، أن بأحد بعين الاعتبار أحد
أصغر المنظومات البسيطة والموجية في معظم الألسه، وهو المنطوق
دو حائين فمطوق في الفرنسية من نمط Pierre chante (بير يعني)
يعني، من وجهة لنظر الصرفية السحوية، علاقة بين مُسند (انظر
ص ٧٤ - ٧٥) هو chante (يعني) [ويجب التفريق بين كلمة مسند

وكلمة إسناد وهي اسم تلك الطاهرة] ومُسْتَدٌ إليه يحدده وهو هـ
 Pierre (بيير) ويمثل بيير من وجهة النظر الدلالية الإحالية المُشارك
 أي من يشارك في الحدث، أما chante (يعني) فهو لفعل أي
 الحدث وأخيراً ومن وجهة النظر المسطوقية الهرمية، فإن بيير هو
 المستدأ أي من يحبرنا عنه المطوق، أما chante (يعني) فهو الحبر
 أي ما يحبرنا المطوق عن بيير

لا تكتفي نظرية وجهات النظر الثلاث بتوضيح هذه الأنماط
 الثلاثة للعلاقات بين الحدود، بل هناك أيضاً تكافؤ بين وجهات النظر
 هذه والحق أن الكلمة التي تشعل وطيمه المسد إليه من وجهة
 النظر (١) عالماً (لا دوماً) ما تكون نفسها الكلمة التي تمثل المشارك
 في وجهة النظر (٢) والمستدأ في وجهة النظر (٣) والتماثل نفسه
 موحود إداً، وبصورة متناظرة، بين المسد [وجهة النظر (١)]
 والحدث (٢) والحبر (٣) وهكذا نجد في الجملة Pierre chante
 (بيير يعني)، وil court (هو يركض)، وl'enfant bavarde (الطفل
 شرثر)، وles invités sont arrivés (المدعوون وصلوا)، أن كلاً من
 الكلمات أو مجموعته الكلمات Pierre, il, l'enfant, les invités
 هو، الطفل، المدعوون) في أي معاً مسد إليه من الناحية الصرفية
 النحوية ومشارك من الناحية الدلالية الإحالية ومسدأ من الناحية
 المسطوقية الهرمية وكذلك فإن chante, court, bavarde, sont arrivés
 (يعني، يركض، شرثر، وصلوا) يتم تحليلها كمسدي من وجهة
 النظر (١) وكنمير عن الحدث من وجهة النظر (٢) وكحبر عن
 المستدأ المُعتبر كأساس من وجهة النظر (٣)، ويمكن تعثيل هذا
 التقابل بالترسيمة أدناه

ومع ذلك يصدق أن يقابل المسد المسدأ كمصدر يحمل شحنة
 إخبارية صلبة ويعبر عن إطار ما، بينما يتطابق الحبر مع المسد إليه
 ويحمل عنصراً إخبارياً أكثر حدة إذ نجد في عبارة مثل il reste
 trois pores (بقيت ثلاث إحصيات) أو، عند سرد أحداث ما، مثل

وجهة النظر (١) وجهة النظر (٢) وجهة النظر (٣)
 صرفية - نحوية دلالة - إحالة مطبوعة - هرمية



survient un homme armé (ررر رجلٌ مسلّحٌ)، أد المسم لشي من
 لحملة يحمل معنومات أكثر من القسم الأول^(٢) ويرى ذلك في
 النحاه التي لا يعتر فيها المتكلم، بصورة مصمرة، إلا عن لمعنومات
 الأساسية. ولا يعني ذلك أن لمعنومة الأخرى عديمة لأهميه من ر
 إحاله يقوم مقامها، ومن ها تأتي نلاعات مثل /trois poires/ و un
 homme armé! والكلمات المدببة مثل il reste، و survient ليست
 هي لتي تحمل لمعنومة الأساسية على الرغم من أنها هي التي

(٢) مثل هذه البنية شائع بصورة أكبر في اللغة أخرى غير الفرنسية كالإيطالية مثلاً إذ تقدم هذه الفعل
 الحامل لمعنومة ثانوية ويرى المداوقة الناتجة عن ذلك في مشهد من مشاهد فيلم *La strada*
 لفيليني *Fellini* إذ يطلب البائع المنحوز من موقفه البسيطة أن تُعين عن قدومه إلى كل مدينة
 بمرع عن الطبل وبالدهاء *è arrivato Zampanò!* (جاء زامبانو) نكها تحطى وبادي بقرب
 الجمهه *«Zampanò è arrivato»* (زامبانو جاء) مما يسدعي تعييف معنوها بها فاسم القادم
 الجديد هو المعصر غير المتوقع وبالتالي يجب أن يأتي في آخر المنطوق أما إذ ابتدأ المنطوق
 به فيصح مبتداً أي المعصر الذي يحمل أقل شحة دعلاميه وبالتالي المعصر لأقل أهميه، إذ
 يصر من أن يكون المحيي معروفاً وأن يكون اسم القادم هو المعصر الحاصل لتبعا جاة
 ولا تقدم الفرنسية الدارجه الفعل على العامل بيساطة في السبب التركيبية وإنما يستخدم صيغة
celui qui ، *c'est* *celui qui* (الذي جاء هو) *celui qui est arrivé, c'est Zampanò*
 و زامبانو) بالإصاه إلى ذلك بعض أشكال الفرنسية المكتوبة وبخاصة من سبه الصحافه وبعض
 الحالات المنطوقة عند الأداء و "أسلوب العلوم الإنسانية" يميل إلى مثل هذا التقديم بضم
 الحاصل الأقل بالمعنومات كما في

تشعر وظيفة المسد ويعني ذلك أنه سواء تطابق المسد مع الحر
والمسد إليه مع لمبدأ أم لم يتطابق، فهناك دوماً علاقة تعاقب بين
الأمط الثلاثة الساتية للحمله

يجب قبل العودة إلى كل من هذه الأمط التأكيد على أمر
جوهري فظام ترسم وجهات النظر الذي عتمدياه هب يبدو متصفاً
نوعاً من الهرمية، أو على الأقل ترتيباً بحسب الأفضلية. والحر أنه
لا يوجد شيء من هذا القبيل فهناك اتجاهان يجب أحدهما بحسب
الاعسار فحين يتلقى مستمع باطق باللغة الفرنسية مرسله J'ai
acheté «L'éducation sentimentale» hier (اشتريتُ "التربية العاطفية"
أمس = اشتريتُ رواية "التربية العاطفية" أمس)، فهو يحلُ شيفرتها
إطلاقاً من الأشكال المتاحة في هذا الأسلوب وبحسب قواعد اللغة
الفرنسية للوصف إلى المصموم الذي أراده الباطق بتلك العبارة
وعلى العكس من ذلك، إذا ما كان الباطق باللغة الفرنسية هو
المستلم وشاء إعطاء معلومة عن شرائه لهذا الكتاب المحدد، فيشفرُ
وفق قواعد اللغة الفرنسية أيضاً المصموم الذي تشكل هذه المرسله
نفسها بصورة أخرى، لب أن يعمل إما وفق لسانيات المستمع
وبالنسبة مع مسيرة علم تطوّر دلالات الألفاظ أي من الأشكال إلى
المعاني، أو من المرسله بوصفها معطى إلى تأويل المصموم أو حلُ
لشيفرة أو أما بحذر لسانيات المتكلم وهي نطلق من بية الإدلال
ومن ترتيب هرمي للمعلومة المنفولة وتشفرُ المصموم نوعاً لظام

=
«I'inspirent plus particulièrement l'amour, le sexe, les mœurs, les fantasmes,
les angoisses de l'époque, le snobisme intellectuel la psychanalyse, la
drogue, l'âge, et, accessoirement, la mort» (Le Monde, 5 mai, 1979, p. 9).
(ملهمه بشكل خاص قضايا الحب والجنس والتعاليد والهوامات ومخاوف العصر والتدلكه
المعكره والتحليل النفسي والمخدرات والفس، وبصوره ثانويه الموت) وهذا الإيجز كبير
التكرار في بعض الأعمال العلميه حيث نفع على العديد من العبارات من مثل «Se pose le
problème de...» «Se présente alors une difficulté», etc (مشكله... إلخ)

لللسان، وبالتالي تتبع مسيرة علم المعاني أي من المعنى إلى الأشكال التي يعثر عنه ويعكس، في هذه الحالة الثانية، نظام وجهات النظر بالمقارنة مع النظام الذي تنبأه هذا فتصح وجهه النظر المبطونة لهرمية هي (١)، ووجهة النظر لصرفية النحوية هي (٣) ^(٣) بدلاً من خلال هذا النظام محل الأول يعني العوده إلى تصوير يرى مستويات منظمة وفق تراتبية منظمة، سماع سبق وفلما إن مفهوم وجه النظر لا تنصغر أية هرمية ومع ذلك يجب ألا نسي، إذا ما أصررنا على إصفاء معنى على الترفيم، أن لمسيرتين تتعادل بعضهما البعض بالبادل بين المتكلمين

يمكن للنظام المعتمد هنا أن يعكس دسماكباً، على أية حال، وصح الطفل الذي بدأ بالضرورة كمتسمع في فترة تعلمه إلا أن ذلك لا يعني بعد أن يريد الترويج للسانات المستمع رداً على لسانيات المتكلم التي تنقسم بها بيارات حديثة مختلفة ومع أن القواعد التوليدية تمنع عن اختيار أحد الاتجاهين، إلا أن الشروط معتدلة تطلق من الترجمات المستترة إلى البنى المحققة من دون أي لوعار يتم مظاهر ينيح الاشتقاق بالاتجاه المعكس، أي دراسة الرسائل المسبقة كنتائج تنتظر حل شيفرها لا سوء الرسائل كإجراء مشفر وحسب ^(٣) تنصغر ذلك إذا أولوية يجب استبعادها تماماً كالأولوية المعاكسة

وجهة النظر الصرفية النحوية

هناك وقائع مختلفة تعدي وهم الاستقلالية النحوية. يمكن إلى حد ما، كما في بعض الأعمال الأدبية (كرواية *Finnegans Wake* لج. جويس (J. Joyce, 1939)، تعكس المفردات المعجمية

(٣) رجع C Hagège, *La grammaire générative Réflexions critiques*, op cit p. 191 - 192

وتمجيز الألفاظ والإشادة بانعدام الاستجمام والتماسك الظاهري (مع نقل معنى ما على الرغم من ذلك) لكن لا يمكن حرق لقواعد السحوية حسب الرعية، وعلى الرغم من حجم الانحراف فمعص الألسنة نسمع أي حرق للتوافق بين المسد إليه والمسند أو بين المسند والمفعول، وبعضها الآخر يفرض مراعاة نظام الكلمات بحاصة عدم يتحكم بالمعنى. أما في الصرف فمحصر المعنى، فمن الأصعب أيضاً تعبير صيغة الكلمات التي تشير إلى الوظائف وتعير علامات لإعراب في الألسنة التصريفية وعلامات الرمن والصيغة، وعند الضرورة علامات الحس والعدد إلح فالمصنوع معي في المنطق يُدعى بالمعنى الدلالي، يُبقي العلامات السحوية الدالة على التحديد، والعطف، والإساع، والإسناد، لكن تقريباً من دور أن يحمل السلسلة الكلامية أي معنى، كما لو أنه بُقي على التركيب السحوي وبفقد المعنى يضاف إلى ذلك أن السحوية تقاوم أكثر من المفردات المعجمية ظاهرات الشداخل والاستعاره من سان أجبي فإحدى الحواضر الرئيسة للغات وهي حاصه عرمة من وجهة نظر "العقلية السليمة" السحنة - تكمن في فرض علّ السحو على التعبير العفوي إذ يمرّ المعنى تحت مظرفه القواعد لسحوية مع أن الكثير من الجمل غير المصاعفة بشكل جيد قابلة للتأويل وتبين مختلف التجارب أن الإنسان يكتسب في وقت مبكر من حياته وعياً بالصور السلبية كما يتركز نصحيح، لأخطاء المعربة التي يرتكبها لأجانب على السحو أكثر منه على المعنى، ويظهر السلوك المصنّح للأخطاء عند الطفل - العواعدي اعتباراً من سن الرابعة والنصف، وهو أوضح في حالة الطفل الشائتي اللغة^(١) وذلك كما لو كان وراء

(١) انظر S.I. Galambos & S. Goldin-Meadow, «Learning a Second Language and Metalinguistic Awareness», in *Papers from the Nineteenth Regional Meeting Chicago Linguistic Society*, 1983, p. 17-133

هد الاهتمام بالحو أكثر منه بالمصنوع نلث الأهلية للتعبير عن معنى
وحد تركيبى بحدوى، أى لسانين محتجين

وعلى الرغم من هذه الاعتبارات فالحو ليس غاية بحد ذاته
وهو إء يبدو أحياناً نظاماً معلقاً، يسمُ وجود أى لسان، فذلك يعود
جربياً إلى حمود فى علم الدلالة عبر الرمن غير أن الإنسان لا يتكلم
بتطبيع أو تمثى فو عد الحو، اللهم إلا فى المحاصرات الدراسية
ولكتب المدرسية حيث تنمهى الحوى (أحياناً عن وعى) مع الأمثلة
لنى بسوقها إنا نكلم لسق معنى ما، وندك تميز الألسنة جدرياً
عن الأنظمة المنطقية التى تشرك معها فى حو يُعتد أنه مستعمل فى
الألسنة أصلاً ولا نجد فى النموذج الثلاثى الذى نعتمده ما هذه
الاستعمالية للحو الذى توهم به بعض النظريات الحديثة كالقواعد
التوجيهية إء نسب قواعد بناء المطوقات مستعملة عن المعنى الذى
تعتز به ولا عن الحيارات التى تنظم المعنوية ويمكن، فى لسان
ما، قول الأخطاء الحويه التى قد يرتكبها انطعل أو الأجيبى أو الناح
لدى لم تتم درسته طالما هى لا بصراً بالمعنى أما فى أنظمة المظور
الشكلية، فأى خطأ بحدوى وانهاك للمتواليات وقت للحمل من شأنه
تدمير البناء بأكمله

وجهة النظر الدلالية الإحالية.

إنتاج المعنى وتلقيه

يمكن وصح بصيف للمطوفات الدنيا ذات الحذين وتنح
معانة عدد كبير من الألسنة الوصول إلى النموذج لتالى الذى يمثل
الحالات الأكثر شيوعاً والتى سنعبرها بمثانة فرصيات تجريبية بحب
التحقق منها فى عدد أكبر من الحالات (انظر الفصل الثالث، ص ٧٠

(٧٢)

مشارك	أنماط دلالية	
محدد الحدث	١ تشيبي معادل	غير فاعلة
بصفة الحدث	٢ بعتي	
يتحدد بطرفه	٣ طرفي	
معطى كموجود	٤ وجودي	
مصنم كمسرح للحدث	٥ وصفي	
يتمتع بتحكم ما ما يحدث	٦	معط فاعل

يربط المظوق الأصغر ذو الحدين، كما سبق ورأينا (انظر هنا ص ٢٧٣ - ٢٧٩)، بين الحدث والمشارك ويمكن تصور هذا الأخير نحووه عدده على أنه محدد أو قابل للتحدد (في المظوق التشيبي المعادل، كما في المثال Jean [est un] menteur (حان إسان كذاب) (تُعطي الفرنسية هنا، وهي ملزمة بالنعير عن أداء التعريف وفعل الكون être، أكثر من حدين))؛ وعلى أنه مركب للنعير (في المظوق البعتي، كما في المثال Jean [est] genereux (حان إسان كريم))؛ وعلى أنه محدد في مكانه بالمعنى الحقيقي للكلمة ("dans في"، "sur على"، "chez عند" إلخ)، كما في المعنى المحاري ("avec مع"، "pour إلى") (في المظوق الظرفي، كما في المثال Jean [est] là (حان موجود هنا))؛ وعلى أنه موجود (في المظوق الوجودي، كما في الفرنسية الدارجة ya [un] problème (= il y a) (بوحده مشكله) (في العدد من الألسنة التي لا تحوي فعل الملكية avoir كالفرنسية والعربية الكلاسيكية والروسية والبلغات الكوشية couchitiques، تُسعمل للنعير عن الملكية المظوق الظرفي ذو لسه 'ص هو عند من' أو المظوق الوجودي ذو لسه 'موجود ص' مع إلحاق مالت 'عند من'))؛ وعلى أنه موطن الأحداث (في المظوق الوصفي، كما في المثال Jean dort (حان نائم))؛ وأخيراً على أنه يتمتع بدرجة ما من التحكم

بالحدث، مما يعرض حالة من الوعي أو الإرادة تعارض مع
لأنماط الخمسة السابقة التي يظهر اشتراك فيها غير فاعل (في
لمنطوق لفاعل، كما في المثال Jean travail (جاد يعمل))

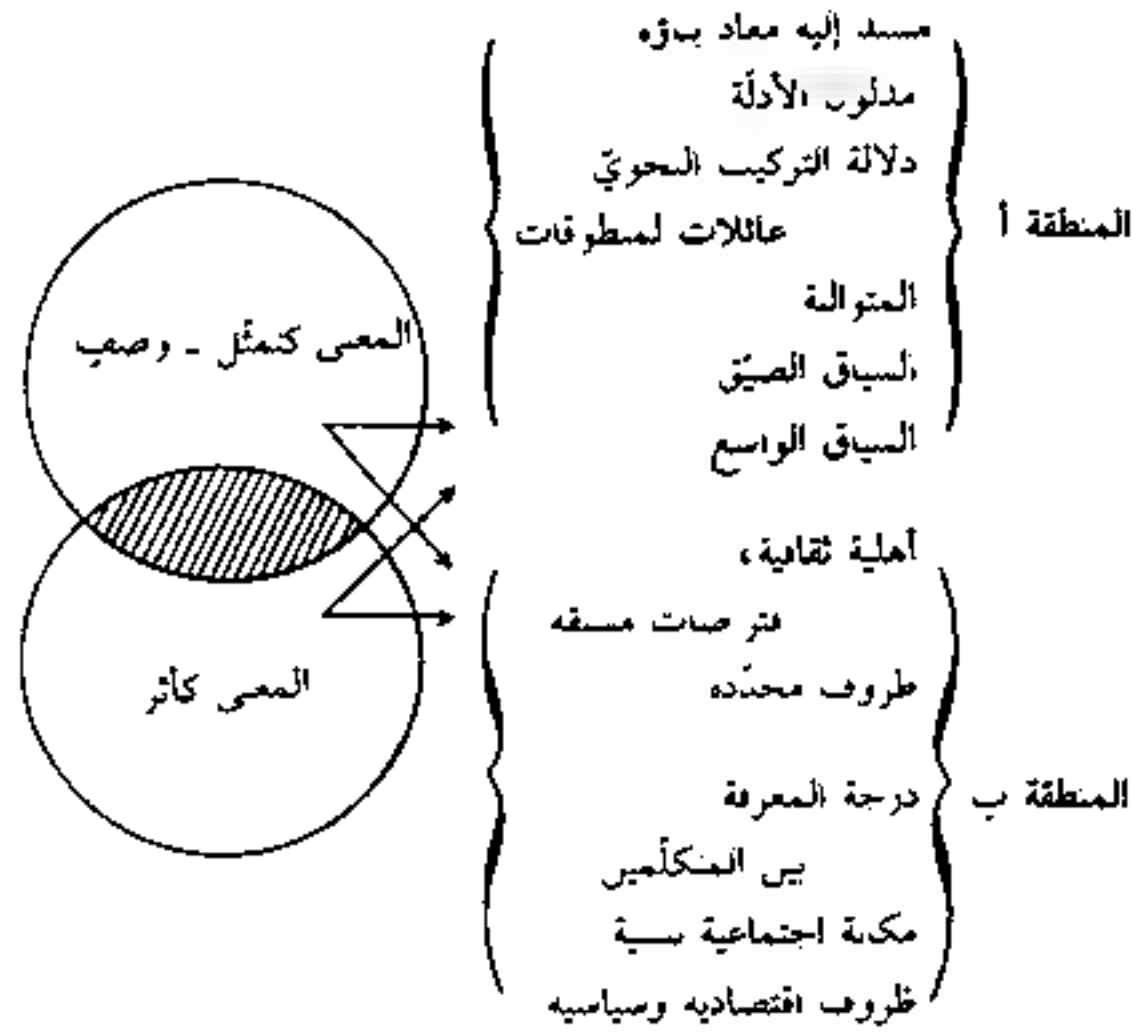
رأينا أن المنطوق الأصغر ذي الحدين تشكل إطاراً ملائماً من
وجهة نظر صرفية لحوية إذ يمكن داخل هذا الإطار، وسهولة،
ملاحظة التكرارات وأنماط العلاقات والتوافقات داخل فئات الكلمات
والمصطلحات وعلاقات المحدد ضمن كل نون كما يوفر هذا
المنطوق أيضاً إطاراً عملياً لبيان العلاقات الدلالة الأكثر بساطة
بمبيرتها عن حالة الحركات التي يشارك في بناء المعنى إلا أن
لمنطوق ذي الحدين ليس لوحدة لعملية الأساسية فالحيز الذي
تشكل فيه المعنى ليس المنطوق الأصغر المعزل، إنه النص بوضعه
مجموعه من الحمل (بمعنى مصطلح "لحملة" أكثر ملائمة من
مصطلح "المنطوق" عندما يتعلق الأمر بحرية من ضمن كل
متماسك) فالنص يعتبر عن مرسله متجاسمة، مفسمة إذا اقتضى الأمر
إلى إجراء (كالمقاطع في النص المكتوب) تتم فصل هذه المرسلة
عليها وقد نتجت الأمر بطبيعة الحال نص مكتوب أو نص شفهي
إذ تحتوي جميع الألسنة على كلمات للربط أو هي حوية أو متجاسمة
بعمية تدل على الإضافة أو تدزج الأفكار والخيالات امتتانة داخل
سهرمة المتخاطبة أو السردية ويمكن ملاحظة الترويض والتراكب لا
داخل لجمال وحدها، وحسب، بل أيضاً ضمن إطار المقاطع الشفهية
أو الكتابية كوحدة كلية متجانسة إذ توجد قرائن تدل على لربط
بين حمل النص كتكرار الصدارة، أي الكلمات التي تسعيد حراً
سابقاً، أو الأسبق، أي الكلمات التي نسق حراً لاحقاً. ملح
ويشيع في بعض لغات أمريكا الجنوبية وعيب الحديد، وداخل
لنص، دمج العبارات بعضها بعض باسم عمل حمل - محصلات
تسعيد حراً من لسياق السابق بالخرف أو بالجوهر كما توجد في
بعض لألسنة الأخرى (كلمة الإيع Pinga و الإنك Pica في كولومبيا

على سبيل المثال) وحدات سيوية صغرى خاصة تشير إلى تغير الحظ
الرئيس والى الاسفان من عرض الأحداث إلى وصف الظروف
المحيطة بها على سبيل المثال

يقول منطق العمل عند مستوى النص لا المسطوق لمعزل،
يبقى السؤال ما هي العناصر المكونة للمعنى؟ وإنه لسؤال حسوياً
فالأمر لا يتصل وحسب بمدلول كل دليل يُطلق عليه الدلالة لسمييه
عن المعنى بشكل عام، وإنما ظاهرة أوسع بكثير تشمل أي ما تريد
قوله أية حملة في النص أو أي سادل للجمل في الحوار أو أي نص
كامل شفاهي أو كتابي فالمعنى يسمى قانوناً إلى الدسنيات، على
الرغم من أنها ليست حصراً الوحيدة المحولة لمعانيته، وهذا ما يؤكد
الجميع ويذكرها ظاهرة ملفنة لا أكثر تنتمي إلى تطور الكائن المراد
ومعناها أنها ملاحظ في الطمولة المسكرة أن المنواليات الصوتية
والمعاني تشكل بصورة متوالية بحسب وجهة النظر العنصرية

والجدول على الصفحة المقابلة يجمع مكوّنات المعنى في
ثلاث مناطق، وصغة في حقل

فمن السمات الأساسية لمنطقة المعنى (أ) سمة تفسير
مكوّناتها ويعني ذلك أنها تقابل أدوات شكلية تدته تنتمي إلى
اللسان تُدكر صيغة "مسند إليه معاد ساوّه" (الفصل السادس،
ص ١٦٩ وما بعدها) بأن اللسان ليس نسخة مطابقة عن العالم،
بل على العكس إنه يعدّ تنظيمه أما لمكوّن انشائي، أي مدلول
الأدلة، فيشكل المساهمة التي تقدمها إلى المعنى إضافة وتوليف
مدلولات كل دليل، أي الدلالة ونحو المدلولات نفسها إلى
وحدات دلالية صغرى ويعكس التنظيم الدلالي في كل لسان
التطبيق العملي للمجتمع الذي يهتم المسند إليه بطريقة خاصه في
كل مرة بحث يمكن اعتبار الكلمات وحدات تطبيقية عملية
صغرى أو تعبيرات لسانيه عن هذا التطبيق العملي في موضوع



المنطقة ج الإدلالات، اللواعية

علم في التطبيق العملي مرتكز إلى الطبيعة الحقيقية للمفردات في
الأسس نسّم، مقابل سكونية دراسة الألفاظ المعجمية، باعتبار بحسب
لممارسة وبحسب التمثيلات التي تتطور بسرعة في المجتمعات
الحديثة وهالك، من جهة أخرى، استقلالية نسبة للمدلول، فهو
كان يُعطيه معرفة اللسان واستعماله ضمن سياق محدد فقد يظهر
المدلول ضمن سياقات غير اعياده أو بدخل في صرع معها من دون
أن يؤدي ذلك إلى عدم التعرف إليه

باعتبار دلالة لتركيب الحوئي بمثابة الإسهام في المعنى الذي

يشكله انتماء الكلمة إلى مقولة من مقولات الإنسان (اسم، فعل، ظرف، إلخ) والوظيفة التي تشعبها داخل النص الذي تظهر فيه (مسند إليه، مسند إلخ) فالأفعال وعلامات المفعول (السوابق والدواحق إلخ) تشير إلى العلاقة حلاًفاً للأسماء (انظر الفصل السادس ورأي B Russell)، ص ١٩٩ - ٢٠٠) وتدخل في دلالة التركيب الحرفي أيضاً المعاني الناتجة عن العلاقات بين المصطوفات التي تنتمي إلى عائلة واحدة كالسبيل كما في المثال
il est venu et j'en ai été heureux/j'ai été heureux de sa venue

(جاء وكنت سعيداً بذلك/ كنت سعيداً بمجيئه)

وكإعادة الصياغة كما في المثال

Jean a menti/Jean n'a pas dit la vérité

(كذب جان/ لم يقل حان الحقيقة)

والتصاّد كما في المثال

tu leur as prêté de l'argent/ils t'ont prêté de l'argent

(أدنتهم نقوداً/ استدب منهم نقوداً)

ظهرت لنا مشاركة المتوالية (نظام، الكلمات) في المعنى سابقاً (انظر الفصل السابع، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) في حان المعنى في اللغة الفرنسية، ويمكن إعطاء أمثلة أخرى على ذلك أما مشاركة السياق فأمر تظهره التجربة مع أن مدلول، لأدله، كما سبق ورأينا، كيان يمكن سببه بحد ذاته. فقد يتعلّق الأمر إما بكلمات متحاورة بصورة مباشرة أو تنتمي إلى الحملة نفسها، أي إلى السياق لصيق (مثال لا تحمل كلمة grand (كبير) المعنى نفسه أمام كلمة garçon (صبي) وأمام كلمة connaisseur (عارف))، وربما بمقطع أكبر كالسؤال qui as-tu rencontré? (من قابلت؟)، على سبيل المثال، فهو يرؤد بالعناصر اللارمه لتأويل إحانه مثل Pierre (بيير)، لا يمكن فهمها

معركة إن لإسان يتعلم في فترة الطفولة لسانه 'الطبيعي'، بينما هو يركب ألعاب مشكّلة إلا أنه يحب التأكيد لها على خاصية رئيسه من خواص الألسنة الطسعة فكلمات الألسنة الطبيعية، وحلّاف كلمات اللغات المعقّدة أي لكلمات تجعل لسانه نفسها في كافّة لسافات، تتأثر بالنساق وتتغير وفقه وتلك هي أحد شروط إمكانية لإبداع الشعريّ فهي الحطاب المتواتر كما في الحوار، بصورة أوسع، يُشكّل حجم المعلومات التي تقدّمها محتفّ المقاطع عبر لمكرّة مع كل حمله جديدة في نصّ من النصوص (المهمّ إلا في الحالات العرصة أو في لأساليب السردية كما في لغات أميرك الجنوبية وعسباً الجديدة التي سبق ذكرها) محروفاً دلالياً ضرورياً للسانهم من المتكلمين ويمكن تصوّره كمعرفة مشتركة ديناميّة ويضمّن سببه إلى المنطقة (أ) من المعنى أمر مفاده أن لأقسام السابقة من النصّ هي طواهر شكلية يمكن للسائبات العادية تحليلها

أما المنطقة (ب) للمعنى، وحلّافاً للمنطقة (أ)، فهي خير ما هو حائر الحدوث وهي لا تملك شيفرة محدّدة لارساط مكوّنانها بحالات تختلف على الدوام ولا يمكن التنبؤ بها ومعنى الأهلّة الثقافية هـ تلك المعرفة التي يشترك فيها المتحاطبون والمتعلّقة بالبيئة لغيربائة والاجتماعية والثقافية الخاصة بكلّ لسان وكلّ حالة حواريّة ولاسماء إلى عالم الإدراك الحسّي نفسه قد يكون شرطاً للمهمّ المبدل، وإن كان شرطاً غير كافٍ أو إن كان عدم الباطر بين الإرساء والتلقّي قد يشكل عقبة ومهما كان الأمر، فإن أفراد بعض المجموعة اللسانية متساوون في لأهلته الثقافية وبالتالي يستبعد العربيت غير النطق بذلك اللسان، فعدم أهليته قد تجعل من المتعبّر عليه فهم بعض حالات التماثل الشكليّ حتى وإن اسعان بصور منرحمة فهي لغة لشاوبي (shawnee)، وهي من اللغات الألغونكيّة (algonquienne) في أميركا الشمالية، تقابل لجمليّين الفرنسيّين لمحتلمتن je fais dévier la branche en tirant dessus (أحوّل اتجه

العص (شدة) و *r'ai un orten, supplementaire* (لدي إصبع إضافي في رجلي) جملتان متطابقتان تقريباً الأولى هي *ni i'θa-wa-ko-ite* أي «أنا - متزعج - بدوياً - فعل تعاضل على معنوي»، والأخرى هي *ni i'θawa ko ite* أي «أنا - متزعج - عص - إصبع»^(٥) لا تمتد هذه اللعبة بالطبع التعارض الاصطناعي - العفوي الحاسم، فما هو اسم في العربية أو الإنجليزية هو في هذه اللعبة لاحقة نصيفية (هي *-ko* - العنصر الذي يمكن تطبيقه على أي عرض به شكل العنصر) والمعلنة في هذا الشبه بين الجملتين في لغة الشاوي في نظر الناطق بالمرسنة، لا يكمن في اللفظ الصرفية النحوية وحسب، بل يكمن أيضاً في أن الشبه، في ثقافته، بين العنصر وإصبع الرجل هو مجازي في أحسن تقدير، بينما يبدو هنا بديهي

والحق أن المعرفة المشتركة بالبيئة الثقافية ليست عرصة عن معرفة الشيفرة اللسانية فلقد أظهرت بعض البحار^(٦) أن المتكلمين، في بعض الألسنة التي يقل الحطاب الشديد الاحترار كاليابانية، يقللون من عدد الاحترالات بحسب درجة الفهم مع المحاطب ويبلغ هذا التمهيل أعلى درجاته إذاً مع العرب، حتى وإن كان يتكلم اليابانية بطلاقة فالأهلية الثقافية والأهلية اللسانية وثبتت الارتباط ببعضهما البعض لقد أذى تركيز اللسانيات السبوية الشديد على الشيفرة المشتركة بين المتكلمين إلى إهمال التذكير بعدم كفايتها إذ على المحاطبين لاتفاق على ما يعنيه قول الشيء نفسه أو عدم قوله، أي يحب عليهم الاسماء إلى الثقافة نفسها أو إلى ثقافات شديدة التقارب ومع ذلك فمن الصحيح القول إن هذا لا يمنع

(٥) - علاء ب ن وورف (B L Whorf) في كتابه السابق الذكر *Language Thought and Reality*. op cit , p 233

(٦) - انظر J Hinds, «Shared Information in Japanese Conversation», Working Group 7 Shared Knowledge in Language Use, in *Proceedings of the XIIIth International Congress of Linguistics*, op. cit , p. 1315

حالات سوء التفاهم (ينظر الفصل العاشر، ص ٣٣٣ - ٣٣٤)

تدخل الافتراضات ضمن الأهلية الثقافية وأيضاً، بالنسبة إلى الافتراضات ذات القيمة النكالية، ضمن تحرره لعالم لحاضه بمجموعة الجنس لشري. إذ تفرص عبارة *il commence à dire maman* (بدأ يقول ماما) على سبيل المثال (وحارج الحالة الحاضة سأل همجي متوحد) "أه طفل" ثم تشارك ظروف التحاطب لدقيقة بعد ذلك في بناء وتأويل المعنى منحدرة حرفيه الكلام *il nous quittera bientôt* (سعادتنا قريباً) عند استخدامها في الحديث عن إنسان يحتصر لا تعي الشيء ذاته عند استخدامها في الحديث عن إنسان يستعد للسفر وتدخل في تأويل العديد من رسائل الحوار اليومي مكوّنة تنتمي إلى النواصل غير الكلامي كحركات الحسد، وبحاضة حركات الرأس واليدين، ومكوّنة أخرى خركية منوعة ووضعيات وأفعال ومن جهة أخرى، يرتبط المعنى أيضاً بدرجة معرفة المتكلمين لبعضهما البعض، أي كل ما يعرفه أحدهما عن الآخر أعماله وأيديولوجيه وحالاته النفسية لمتكررة وأسلوب حياته وعادته^(٧) في محالات مختلفة فإن كما نجهل لوجهات لسياسية للمحاطب، وبخاصة في بداية الحوار، فلا يمكننا أن نعرف بدقة ما تعي عنده كلمات مثل يسار، يمين، ديموقراطية، شيوعية، سوي السرعة إلخ، ولعرفة المصادلة للمشاركين في عملية التحاطب متغيرة مثل تعبير الأهلية الثقافية وانظروف اندقيقه وذلك بسبب تنوع الحالات

والأمر كذلك أيضاً في ما يتعلق بالمكوّنين الآخرين للمطعة (ب) المكانة لاجتماعية، النسبية والظروف الاقتصادية والسياسة كما يرى، فإن المكوّنات الخمسة لهذه المطعة ليست مُشتركة في نظام، وذلك على العكس من لمطعة (أ) (لهمم، لا، إذ اتصلت

(٧) يعود هذا المفهوم إلى بيير بورديو (P. Bourdieu) ينظر من بين أعماله الأخيرة *Ce que parler veut dire* Paris, Fayard, 1982, p. 83 s

مباشرة بالساحية المصرفية السحوية، كالصبيح الشخصية الدالة على الاحترام وعلى العلاقات الهرمية في عدد من ألعاب آسيا الشرقية وغيرها) إنها متعيرات، وباعتبارها كذلك فهي لا تمكن، وعلى الرغم من أهميتها كعامل في بناء المعنى وفي حل وموارة، من تطبيق قواعد تأويلية نعتز عن وفائع تتكرر بانتظام ويمكن التكهّن بها، أي قواعد في إنتاج/تنقي المعنى. أما العوامل التي يمكن إدراجها في اتسوعرافية دلالة للحياة اليومية، وتأتي على ذكرها الاتجاهات التفاعلية المعاصرة، فلا تُشفرُ منها وفق مصطلحات لسانية سوى تلك التي يشير إليها إ. غوفمان (E. Goffman)^(٨) على أنها "مطوقات فعلية" تتألف المادة السلوكية السهائية من بطارات وحركات ووضعيات ومطوقات فعلية يحقّقها الواحد باستمرار، عن قصد أو غير قصد، في الحالة التي يوجد فيها

ويستحيل تقريباً تشفير المنطقة (ج) من المعنى هي لأخرى ويمكن الحديث هنا عن إدلالات على اعتبار أن الأمر لا يتعلق بالدلالة (وهي ظاهرة حاضرة بالدليل) ولا بالمعنى (وهو ظاهرة حاضرة بالنص كتوليف للأدلة في ظرف كلامي محدّد) وبما أن الإدلالات متوارة في اللاوعي فهي تملّت من التشفير الذي يتسم بأنه توافق صريح والحق أن هذا التوافق حتى بالنسبة إلى مكونات المعنى التي تستجيب للتشفير (المطقة أ)، وبطبيعة الحال بالنسبة إلى تلك التي لا تستجيب له (المطقة ب)، نظري أكثر مما هو حقيقي فاللسن هو من مكونات التواصل اللساني كما يستن ب لاحقاً (انظر الفصل العاشر، ص ٣٣١)

أما صبعنا المعنى فالأولى منهما، وهي المعنى كمشتر - وصف، معروفة منذ زمن بعيد أما الثانية، أي المعنى كأثر، فم

(٨) انظر *Les rites d'interaction*, Paris, Ed. De Minuit, 1974 (tr. Fr. d'Interaction Ritual. Essays on Face-to-Face Behavior, New York, Doubleday and Co 1967), p. 1

تُدرس بشكل دقيق، في انصاف العشرى على الأقل، إلا من خلال أحد المقامات الملموسة لسادل الحوارى بعين الاعتبار ولا يعطى لمعى بوصفه تمثلاً ووصفاً المنطقة (أ) حصراً، وكذلك فإن لمعى بوصفه أثراً لا يعطى حصراً لمنطقة (ب) بدوره ويظهر الجزء المنطوق ونحوه الأسهم في الرسم الذى قدمناه في الصفحة ٢٨٥، أن صيغتي المعى تداحلان وأن كلا منهما، بالإضافة إلى ذلك، يعطى لمنطوقين (أ) و(ب) في أي معاً قد يمكن لإعاده بـ المعى كتمثل - وصف إدخال مكونات غير مشفرة، كالأهنية، لشفاها على سسل المثال وهكذا فهي سية صله لموصوف بسبب الصلة فصلة دوماً بلتحديد تطبيق القواعد على «رغم من أن حالتها تسمى مندثراً إلى الحو وهو مكوّن مشفر تحديداً» إذ لا يمكن تحديده في تلك الحملة الفرنسية «Il s'agit d'un ami de Flaubert, qui est l'auteur des "Convulsions de Paris" (يسمى الأمر بصديق لملوير، مؤلف "احتلاج باريس") إن كنت لا تعرف أن صاحب هذا انكتاب هو مكسم دو كامب (Maxime du Camp) وبس فلوير

وهناك مثال آخر هو الأمر، فهو مشفر بوصف في صرف معظم الألسنة سدا لا تُعرّ محزّد بقل لمعلومة إذ يوعر للملّقي الميام بأمر ما ومن الملمت أن الشفير اللساني للأمر يوفق، في العديد من الألسنة التي تُصَرَف لأفعال، مع الصبغة المجردة للمع والحوالة تُظهر بديهية هذا الإيعار إلى المحاطب، وبالتالي فالألسنة التي لا تُحدده تعرّ سداً بهذه الطريقة عن مشرّكه ظروف المحاطب في بناء المعى والاستعهاً مشفر هو الآخر في اللسان بواسطة محيى النعيم سواء باستعمال كلمات حاضرة أم لا (مثل «est-ce que» هل) في اسعة الفرنسية أو باستعمال منوالية محدّده أم لا (كالقلب في اللعبة الفرنسية العصبية كما في «viens-tu» أناني؟) ويستحوذ السؤال عى من هو موخه إليه، رمزياً على الأقل، إذ يتوقع منه أن يردّ عليه، كلاماً في معظم الأحيان يظهر السؤال كطلب معلومه ما،

إلا أنه أيضاً استيلاء على متكلّم آخر يجعله، مهما فعل، مجيئاً
افتراضياً وإن يكن لمجرد التعبير عن رفضه لدور على السؤال
فالسؤال مصادرة رمزية لجسد الآخر ولزمته ولكلامه، بمجرد تحطيمه
للصمت وفتح نغمة كلامي^(٩)

وجهة النظر المنطوقية الهرمية التداولية

إن المركز على معانية إشكالية المبتدأ والحبر، أي خيار
لمتكلّم/ والتقاط المستمع لهرمية ما في المعلومه، يحسب عوص
اللسانيات في محيط التداولية، على أنه يوضح أفقها ونشير التداولية
إلى تثار في البحث شهد مد عدة عقود نظوراً ملحوظاً في أوروبا
وأمركا لشمالية ومتدع التداولية المصير هو ش. س. بيرس (C. S. Peirce)،
إلا أن تلميذه السيميائي ش. و. موريس (C. W. Morris) هو الذي أدخلها ضمن إطار نظري يعني فيه هذا المصطلح
العلاقة بين الأدلة ومستعملها يتعلّق الأمر هنا في الحقيقة بمودح
لا ينظر إلى اللغة إلا بوصفها نظاماً للأدلة وينشئ على الحطاب
العلمي^(١٠) إلا أن التطورات اللاحقة لتداولية أدب، حول إشكالية
العلاقات بين اللغة والمنكتمس، إلى توسيع حدودها بصورة كبيرة
بحيث لم تعد ترى عاماً بوصفها أين تنهي مبادئ التداولية^(١١)

تقتصر وجهة النظر المنطوقية الهرمية، ضمن نظرية وجهات
النظر الثلاث وحللاً لانتفاخ التداولية التي بصعب السيطرة عليه،

(٩) انظر P. Encrevé & M. de Fornel, «Le sens en pratique», *Actes de la recherche en sciences sociales*, no 46, mars 1983, p. 7-8 (7-30).

(١٠) انظر C. W. Morris, «Foundations of the Theory of Signs», in O. Neurath, R. Carnap & C. W. Morris, *International Encyclopedia of Unified Sciences* Chicago, The University of Chicago Press, vol. I, n° ١, 1938, p. 1-59

(١١) ج. C. Hagège, «Les pièges de la parole», *op. cit.*

على القطبية التقابلية لامتداد والحر كما سبق وحددناه (ص ٢٧٦)
من هنا تأتي إمكانية تكامل وجهات النظر لثلاث في واقع واحد
بالربط لصريح للاستنتاجات المنطوقة بالحس وعدم لدلالة
وكمثال بسيط أيضاً على ذلك، فإن المنطوق *l'enfant s'est endormi*
(نام الطفل)، في اللغة العربية، يمكن تحليله بأصناف ثلاثة
مكافئة فالقسم الأول منه، أي *l'enfant* (الطفل)، مسند إليه من
وجهة النظر (١)، ومشارك من وجهة النظر (٢)، وامتداد من وجهة
النظر (٣) والقسم الثاني من المنطوق، أي *s'est endormi* (نام)،
هو على التوالي مُسند وفعل وحر فالامتداد والحر محدّد وحدهما
الأخر، ولا يكون ذلك بقيمة مطلقة فتح عن هذا أن الامتداد ليس
بالضرورة حاملاً لمعلومة قديمة أو مكسبة، وأن الحر ليس
بالضرورة أيضاً ناقلاً للحديد وغير المعلوم فالحر، في منطق ما،
هو بساطة أكثر إعلماً من المبدأ، مما لا يمنع هذا الأخير من حمل
معلومة جديدة إذا فنصى الأمر فالامتداد بصورة كلية يعني أنها لا
تكفي بالمعنى الظرفي أو بالساق السابق الذي يريد التعليق عنه،
بل يصفي عليه تعبيراً لسانياً يجعل منه ركيزة أو ركناً له فمن
المعتمد لتفريق بين معنيين على الأقل لهذا المفهوم أي الامتداد
كمصير محدّد لعالم الحطاب أو للموضوع لدى يحدث عنه،
والامتداد كمعلومة قديمة أو مستعادة مما هو معلوم تتأين مع الحر
كمعلومة جديدة أو مأخوذة مما هو معلوم أقل وتتضمن كلمة
"معلوم" هنا درجة من المعرفة أو الوعي لدى المتكلم عن الموضوع
لدى يتكلم عنه، والتي يفرض أن المستمع يشارك معه فيها

يمكن التحقق من التقارب الإحصائي بين الامتداد والمسند إليه
(ص ٢٧٦) بالنسبة إلى كل من هذين المعين لمفهوم الامتداد
تطابق المسند إليه عالياً مع تعريف الامتداد كركيزة لما تُحير عنه بنية
المنطوق، فقد يتضح لنا أن تتوقع أن العاصر التي تشعل وطيفة لمسند
إليه فبلا ما تكون، بالمقارنة مع غيرها، مراكز محدّدة لمختلف

المعلومات وإذا ما تطابق المسد إبيه غالباً مع تعريف المسد كـ معلومة قديمة، فهذا يتيح لنا أن نتوقع أن أنماط الكلمات المحيطة إلى ما هو معنوم، وبخاصة الصمائر منها، غالباً ما تشغل وظيفة المسد إبيه أكثر من أية وظيفة أخرى. وبقد تمّ التحقق من هذين التوقعين، في اللغة الفرنسية، في دراسة صدرت مؤخراً^(١٢) ومع ذلك نستعمل بعض الألسه وسَمير متميزين بحسب المفصود إن كان مسداً إله أم مستداً، وفي هذه الحال نُعتبر الاستعمال المبكّر لوسم لمستداً عن قصد ما فقد لوحظ في اليابان، وعلى كافة لغوات الإداغة والتلغربية وحلان فسر معينة، أن العنصر الأول في بشرات الأحيار وهذه السمة ملائمة تماماً لأنها نسلخ عن شيء جديد (مسداً)، شيء أكثر جدّه (حز) موسوم في نصف عدد الجمل المستعملة تعرياً بعامل الاسداء "wa" وعالماً ما يُترجم عمل الاستداء wa، في الألسه التي فيها العارض أدّه تعريف/أدّه تكبير، أداة التعريف (على اعتبار أنه يمكن تحديد هوية ما هو معنوم^(١٣)) إلا أنه كان على هذا العنصر الأول أن يوسم بصرية المسد إله ga (وتترجم عالماً بالعربية بأدّه التكبير ga) التي من شأنها الإشارة إله على أنه غير معنوم يمكن أن يستح أن الإجراء بدني قصداً ما هو تقليص المسافة الذهنية بين المعن والمستمع^(١٤).

(١٢) R. Jolivet, *Descriptions quantifiées en syntaxe du français-approche fonctionnelle* Genève et Paris, Slatkine, 1982, p. 184 et 282

(١٣) ومع ذلك يمكن لأدّه التكبير في هذه الألسه وعلى العكس مما يتمّ تعليمه بقطبه في معظم الأحيار، أن يوافق المبدأ على أن يكون مبدأ كوكيز (من غير الضروري أن يكون معروفاً) لا مستداً كـ معلومة قديمة، كما في تلك العبارة العربية «Une solution politique, d'accord pour la discuter» (حل سياسي، يوافق على مناقشته) (وهو ردّ سمّ به في إداغة فرانسيس A. Sauvageot, *Analyse du français parlé* معاً عن Paris, Hachette, coll. «Recherches/Applications» 1972, p. 6.

(١٤) Iyoko Hirata, «Ga or wa for New Referents in a Discourse». Working Group 28 Characteristics of Japanese Expressions in News Reporting, in *Proceedings of the XIIIth International Congress of Linguistics*, op. cit., p. 1387

إن محيى السعي والقلب سمان عالميتان للمبتدأ في تعارصه مع الخبر ونصاف إليهما في بعض الألسنة وحدات دلالية صغرى خاصة مثل wa في اللغة اليابانية كما يوجد استراتيجيات أخرى تتمتر عن القلب وفي العرسه بمطارد من المبتدأ في الحوار وللمبتدأ كمعنونة قدسة أو مسعاده مما هو معلوم بميل إلى أن يكون متأخر، بينما يتقدم لمبتدأ كركيره وهكذا تتعرض جملة ça s'élève tout seul, les enfants (إنهم يُربون أنفسهم بأنفسهم، الأولاد = يرني الأولاد أنفسهم بأنفسهم) أو جملة il n'est pas la, papa (هو ليس هه، نبي = أبي ليس هه)، والكلمات enfants (الأطفال) وpapa (أبي) متدرج تقابليتان مؤخران يحملان معلومة معطاة سابقاً، مع جملة les chiens mordent quand on les provoque (لكلاب تعض حين تستمر) (أسلوب فصيح مع ابتداء ضعيف الشرح بالمعلومات بكلمة "الكلاب") أو جملة les chiens, ça mord quand on les provoque (الكلاب، هذه تعض حين تستمر) (أسلوب اللغة المحكية مع ابتداء شديد الشرح بالمعلومات لكلمة "الكلاب" لمساعدته كمسد إليه عن طريق ça) ولاستراحته الأولى، أي تأخير المبتدأ لتعاني تكرار الصدارة التي نطوق على المسد إليه نفسه باستعمال كلمة مختلفة على الأعلى، هي من السمات التي تُعطي بحمله الروائي سيليس Celine طابع أسلوب للغة انشائية ونصفي عليها نصها الدرامي في آن معاً

«Je venais de découvrir la guerre tout entière. Faut être à peu près seul devant elle comme je l'étais à ce moment-là pour bien la voir, la vache, en face et en profil»

(كنت قد اكتشفت للنور الحرب بأكملها عني المرء أن يكون تقرباً وحده أمامها كما كتب حينها لراها جيداً، هذه القدرة، من الأمام ومن الجنب)^(١٥)

(١٥) منقطع من روايته Voyage au bout de la nuit (١٩٣٢) ملاحظة من ج. كريستيفا (J. Kristeva) =

لا يظهر النعروض بين الاستراتيجيتين في المروية بصورة مطلقة، وإنما هو يبين أهمية التمييز بين أنماط المبدأ^(١٦) تبدو أن اللسان هو وحده، من بين الشيفرات المعروفة، الذي تكون فيه ركيزة المعلومة (المبدأ كعنصر معطى) نادية صراحة

بـ الألسنة، وبالإضافة إلى دورها كأداة للسحب أو التأييد المنطقي، أو آليات متنوعة مستعملتها تتيح لهم تريب المعلومة هرمياً وحتى في الاستعمالات الأكثر اقتصاداً في اللسان، كما في الأسلوب العلمي، يوحد بصيف هرمي تقابلي للركائز وللمشاركات ينظم المعلومة تلك هي الحال بالأحرى في الحوار حيث يظهر التفاعل بين المتحاورين بصورة أوضح وبشكل واع إلى حد كبير ويجعل هذا التفاعل الاستراتيجيات أكثر تعقيداً فالمتطور الحظي السيط للمعلومة^(١٧) ليس الاستراتيجية لوحيدة الممكنة في الحظاظ إذ يمكن للمتكلم دورياً تغيير المظور والتشديد على هذه الحاجة أو تلك أو تعيينها حسب حاجاته وينطق الأمر بالطبع على مستوى المقطع بوصفه سلسلة متتالية من الحمل كما ينطق على الجملة الواحدة ويكتشف تحديداً، ما إن بناو نصاً أطول من مجرد مصوق معزل، أن تفصيل نظم ما في التتابع داخل إطار نمط ما من المظوقات قد يصير بوصوح وماسق نص ما مؤلف من سلسلة متتالية من المظوقات إن كان هذا النص هو الإطار ومن السهل، داخل نص محدد بهذه الطريقة، تريب عناصر المعلومة ترتيباً هرمياً إن كان

= في معالها DRLAV «Le sens et l'hétérogène, à propos du "statut du sujet"» (Université de Paris VIII), n° 30, 1984, p. 19 (25).

(١٦) انظر حول هذا التمييز وبشكل عام حول المسائل المتعلقة بنظم المعلومة، أعمال ج. بيررو J. Perrot وبحثه مقالته «Fonctions syntaxiques, énonciation informations».

Bulletin de la Société de Linguistique de Paris, 73, 1, 1978, p. 95-10.

(١٧) انظر M.-C. Hazaël-Massieux, «Support, apport et analyse du discours» Le français moderne 45, 2, 1977 p. 56-164.

لسانُ يتمتع شيء من الحرية في نظم الكلمات وفي هذه اللمعة
 دلالات تحد أن الشر الأدبي الفرنسي (لا لعبة المحكيه ولا حتى اثر
 لفرنسي الاقل أدسة) ينسم شيء من انصرامه تحايي النظم (المستقى
 في ما مضى ، "الطبيعي" ، انظر لفصل السابع) [مُسَد إليه + مُسَد
 فعني + مفعول] وقد تؤذي إلى حصاء لاستقلالات لمطابقة فعني
 المعاعيل، التي نحوي المعلومة، لحديدة في المنطوق لسابق، أن
 تتقدم لمنطوق للاحق لأنها تمثل، بوصفها مسدات، معلومة لم تُعد
 جديدة

نُصخي اللعبة لفرنسية الأدسة إداً بنظام الأفكار على مديح
 لتسلسل الحوتي لحت ومقدم المنقطع انبالي لموسير (Siècle de
 Louis XIV, chapitre 30) (عصر لويس الرابع عشر، الفصل ٣٠) (١٨)
 مثلاً على هد التحصيل

«Ce n'est point en effet l'argent et l'or qui procurent une vie
 commode, c'est le génie. Un peuple qui n'aurait que ces métaux
 serait très misérable; un peuple qui, sans ces métaux, mettrait
 heureusement en œuvre toutes les productions de la terre, serait
 véritablement le peuple riche. La France a cet avantage avec
 beaucoup plus d'especes qu'il n'en faut pour la circulation»

(الحصنه أب اندهب والمضنه ليه ما يصمن حياه رعبدة، بل هي
 العقيرة والشعب الذي لا يملك سوى هذين المعدين شعب مائس
 أما الشعب انعمي بحق فهو الشعب الذي يستعمل سحاح، من دون
 هذين المعدين، كل ما ينتجه، لأرض وتتمتع فرنسا بهذه الميرة مع
 مال كثير يهوى حاجه لتدوون)

تظهر مستويات المعلومه بصورة أوضح إدا ما حطمت انقيود التي
 تعرضها المتولياب إدا يكفي ندم لعصر الذي يمثل في كل

(٨) نقل عن هـ فايل (H. Weil) في كتابه السابق الذكر De l'ordre des mots dans les
 langues anciennes comparées aux langues modernes, op cit p 34

جملة، وكمبدأ، معلومة قديمة (لأنها قديمة للاستراح من الحمله السابقه لها)، أي تشكيل انتقالات transitions عن طريق المبدأ للوصول إلى نص مُرَضٍ في ما يتصل بهرميته (المعلومة، وفي الوقت نفسه غير مقبول في الفرنسية الأدبية، كالتالي على سبيل المثال

«Ce n'est point en effet l'argent et l'or qui procurent une vie commode, c'est le gène Ces métaux, un peuple qui n'aurait qu'eux serait très misérable, (ces métaux), un peuple qui, sans eux, mettrait heureusement en œuvre toutes les productions de la terre serait véritablement le peuple riche Cet avantage, la France l'a avec beaucoup plus d'espèces qu'il n'en faut pour la circulation».

(الحقيقة أن الذهب والفضة ليسا ما يصنع حياة رعيه، بل هي العنصرية فهذه المعدنان، الشعب الذي لا يملك سواهما شعب ثائس (وهذان المعدنان)، لشعب الذي يستعمل سحاح، من دونهما، كل ما ينتج الأرض هو الشعب العبي بحق هذه الثميرة، تتمتع بها فرنسا مع مال كثير يفوق حاجة التداول)

هذا النظام من الكلمات، الذي عالياً ما نتجته في الفرنسية المكتوبة حتى اليوم، هو مع ذلك نظام كلمات الفرنسية المحكية إذ يمكن، بمجرد ذكر مختلف النقاط داخل الحوز أو دخولها دثره لخطاب، دمجها بعضها البعض حتى أقصى حدود الفهم فهي عبارة مثل moi, mon copain, son père, il est pilote (أنا، صديقي، والده، هو طيار = والد صديقي طيار) تعتبر كلمة moi (أنا) متداً بالنسبة إلى بقية الجملة، مع أن في بقية هذه الجملة، التي تصح بمثابة الحرس، يبرز متداً آخر متداخل معه هو mon copain (صديقي)، كما يبرز عند مسوى آخر متداً ثالث هو son pere (ولده)

عالياً ما يقع على هذا النظام في المنزح، وهو يعكس بآماله مفصلات المشاركة والركيزة، في الصوص الوادية واللاتيه أيضاً

اللسان كنظام والكلام كشاط

وإن كان يمثل هذا الفصل مفعة مبهجة إلا أن غلوه أدى دوراً سلباً جوهرياً في مصر اللسانيات في القرن العشرين وصاحبت الصيغة الأكثر حدة كان ف. دو سوسور (F de Saussure) حين عبر أن «اللسانيات، اللسان» و«اللسانيات الكلام» هما «درتان لا يمكن سلكهما في وقت واحد» (Cours de linguistique générale, p. 38) محاضرات في اللسانيات العامة، ص ٣٨^(٢٠) ولقد أعس، حسماً للجدل، تمتكته «اللسانيات بحصر المعنى، أي بذلك التي تجعل من اللسان عرصها الوحيد» (المرجع نفسه، ص ٣٨ - ٣٩) ويشير سوسور فيما بعد، كاستمرار للحط الذي اعتمده، وفي حديثه عن مسأله مكانة الجملة إلى أنها «تتبع إلى الكلام، لا إلى اللسان» (المرجع نفسه، ص ١٧٢) ويكفي ذلك لإقصائها، إذ سبق ووقعنا في ص ١٤٨ على هذه العبارة حول الجملة «إن كانت الجملة تنتمي إلى الكلام، فلا يمكن لها أن تكون لوحدة اللسان»

إن هذا الإقصاء وهذا لتكافؤ لإجراء بين أولهما مؤجل لسانيات الكلام ولآخر يسعد الجملة سناً الكثير من الحرج لأنواع سوسور فلقد كان تاريخ اللسانيات من بعده، وإلى حد كبير، تاريخ حياة النحو الذي يتحد من لجمعة، بالتحديد، موضوعاً له، وأيضاً تاريخ إعلاء شأن لمتكلم الذي سبي احسن في نشاطه الكلامي فهناك تعيد عربق، تمثله بور رويال (Port-Royal) في لعصر الكلاسيكي والنحو الفلسفي حتى العقود الأولى من القرن التاسع عشر حيث ظهر الخلاف حول نظم الكلمات (انظر لفصل السابع)، تعيد أعطى أهميه نالعه للنحو وأعادب الموعد الوليديه إحصاءه في النصف الثاني من هذا

ap cit (٢٠٠)

انقر (٢١)، أو هي بالأحرى أعطت هذا الإحياء بريقاً جديداً (٢٢). لا أن استعراقها في الموضوع أذى إلى ناسي أمر معاده أن نحو لجمال لا يوجد في دته وأن الألسنة تنقل المعنى

ولقد تعاقب على لقواعد انتولنديه، وأحياناً كرد فعل عليها، مجموعته من المحاولات يصعوبها لوم، شيء من الحفظ في أعين لأحياء، تحت رايته التداولية (بعد أن سمع مرحلتها ونوسعي اعتباراً من موريس (Morris) انظر أعلاه)، والنطق هناك بقصة مشتركة بين نظريات الطق والتداولية ووجهة النظر (٣)، أي المنظوقية الهرمية، يكمن في أحد نشاط المتكلم أثناء ممارسة الكلام نحن الاعتد، أي معابة كل ما أهمله المتكلم لني يرى في اللسان نظاماً جانباً وحسب. إذ يرتبط الإنسان في نظريته وجهات النظر الثلاث ارتباطاً وثيقاً (انظر انترسيمية في ص ٢٧٧) بالعناصر لدلالي والعامل اللطفي، بحيث ينتهي وجود علميين في اللسانيات متفصليين كاللذين أقامهما سورور ومن ثم نفسيت (Benveniste) (٢٣) كل بدوره. ومما لا شك فيه أنه من المعقد منهجياً عدم الحفظ بين اللسان كظام والكلام كشاط. إلا أنه لا يمكن ملاحظة الأولى إلا من خلال الثاني الذي بدوره، يقوم على الأولى وتجاهل معظم النظريات اللسانية الحديثة هذه لوحدة استعمال مصطلحات متعايرة وبسحال أعداد محتتمه

(٢١) انظر N. Chomsky, *Syntactic Structures*, La Haye-Paris, Mouton, 1967 (trad Fr Paris, Ed. Du Seuil, 1969). Id. *Aspects of the Theory of Syntax*. op. cit

(٢٢) حول الأعمال التي خصصت مساحة واسعة للمعروف عام ١٩٥٧ من دالي (Bailey) حتى جاكوبسون (Jakobson) مروراً بفري (Frei) وبيير (Tessière) راجع C Hagege, *La grammaire générative*. op cit, p. 101 et s *Critical Reflections on* وكذلك *Generative Grammar*, p. 168-169

(٢٣) لا ينطبق تعاريف لسانيات الإنسان ولسانيات الكلام عند سورور مع تعاريف عدم الدلالة وعدم الميضية عند بنفيسيت. إلا أنهم أقرب إلى بعضهم البعض مما يقوله الكثيرون. انظر الفصل الخامس، ص ١٣٦ - ١٤٢ والملاحظة ٤

تعزو القواعد التوليدية في شكلها الأول، الذي ما فتئ يتطور مع أن الكثيرين ظنوا متمسكين به، إلى "الأداء"، أي فعل استعمال اللسان، كافة الانزياحات والاضرابات والاحتلالات الفردية وتسعى إلى إفصائها خارج "الكفاءة"، وهي مفهوم يحدّد معرفة مستخدم اللغة بالنظام اللغوي (انظر أيضاً لفصل الأول، ص ٢٩) كما يتمّ إقصاء الوقائع المرتبطة بمحدودية الذاكرة وتحوم الاكتشاف وقيود الإجراءات التكرارية وليس هناك إداً محظور بطرقي صدّ مراكمه المحدّدات الاسميّة، كما في جملة «l'am du frere du directeur de l'école de (صديق أح مدير مدرسة)»، ولا صدّ مراكمة صيغة الموصول، كما في جملة «voici le chat qui a attrape le rat qui a rongé le fromage qui (هذا هو القطة الذي أمسك الحرد الذي قسم الحبس الذي)» فحدود الأداء هي وحدها التي يفسّر شيوخ عيات هذه التراكمات ويعني ذلك تجاهل أن المبدأ الناطق لمثل هذه التي هو واقعة تتصل بالكفاءة فاللسان كظام يحوي في ذاته آليات التي تكثف القواعد أو تتيح انتهاكها عند التكلّم، إدا طالما أن الاسهاك لا يسمع ساء المعنى ويلقّيه فلا أحد يستطيع أن سكر أن المسحاطس يتكلّمون اللسان نفسه لا يمكن للسان والكلام إداً أن يشكلا محايين مستعملين

إن المفارقة الشومسكية نستعيد المفارقة السوسورية وإن بحث شكل آخر وعلى الرعم من الرقص الطاهري^(٢٤) فكلتا المفارقتين تعادي تصميم علم الاجتماع وبالتالي بدو ثمر تأسيس عرض علمي متجاسس فادحاً إدا لا يبقى بعد إفصاء التعيرات الفردية سوى الشيعة التي يشترك فيها أفراد المجموعة البشرية الواحد إداً أن التعيرات هي الواقع نفسه، وأية محاولة محترلة تتجاهلها لا شت ستوصل إلى لسانيات مفرّعة من محتواها الاجتماعي فالظرفه هي

(٢٤) انظر N Chomsky. *Aspects of the Theory of Syntax*. op. cit. p. 4

التي نحدد الهدف إذ يسبغ سوسور الفرد المتكلم، وبالتالي يهمل لتفاعل بين المتحاطبين لسانيات هذه الموضوع وحد وحقيقي هو اللسان في ذاته ولداته (وهي العبارة الأخيرة في محاضرات في اللسانيات العامة كثيراً ما يشهد بها وقد تكون إضافة تعود إلى بلامنته مدوني لمحاضرات) يبدو انسا وفوق هذا التصور وكأن لا أحد ينكلم به إذ يُحار كل من المستخدمين الأحياء للسان والعلاقة التي بسجها التبادل الطلامي إلى لسانيات الكلام، وهي لسانيات مؤجلة إلى أجل غير مسمى

وعلى العكس من ذلك، إذ انتقلت إلى وحد من الأمثلة العديدة التي يقدّمها لنا تاريخ العلوم، نجد أن التطور الذي سمّ تحقيقه في درامه أفعال الحطاب، موحى من أوستن (Austin)^(٢٥) وسيرل (Searle)^(٢٦)، أدى، وشكل حاضر عند لنداويلين، إلى أن بسوا أنه لا يمكن تصور الكلام خارج نظام اللسان الذي يدخله الكلام حيز المدرسة، وهو بيان عالما ما ينكرّر بسبب ردّ الفعل المفرط بالصيغ المثانة نتائج ولا يمكن فصلها عما نتج عنه، أي الشبهة وبالعكس، بجعل نشاط إنسان الحوار استعارة ظاهرة، فهو شكها حتى في مسيرة التاريخ، إذ يُحرّض عن طريق استعمالها التعرّبات التي نصيها بصورة دورية

تظهر في كل مكان وحدة الحصر الذي يحدّه القطبية الثنائية اللسان/ لكلام فيمكن لمعظم الكلمات ذات المعنى (أي عبر الأدوات الموعدية كأدوات التعريف والوصف) في المعجمه أن يصطلح بقيم تنصل بهذا الاستعمال إذ تتحكم في تطور المفردات، من بين أشياء أخرى، إضافة النصيبي، أي المعنى في علاقته بموقف

(٢٥) J. L. Austin, *How to Do Things with Words*, Oxford. Oxford University Press, 1962

(٢٦) J. R. Searle, *Speech Acts. An Essay in the Philosophy of Language*, Cambridge, Cambridge University Press, 1962.

حاضر، إلى حفل التعيين، أي المعنى الأول المعطى في المعجم
 فالموقف سدع بنفسه علاقته بالمدلول، وما أن يتيح تكرار الموقف
 نفسه ذلك حتى يدمج اللسان مدلولات جديدة يمكن، من بين
 الأمثلة العديدة الموقرة، ذكر السلسلة pondre, couvrir, muer, traire
 (على التوالي بصر، خض، تحو، خلب) في اللغة الفرنسية
 لقد أحدث هذه الكلمات في الظروف الخاصة المرتبطة بالحياة
 الريفية، الموجودة منذ القدم في فرنسا، معانيها الخاصة المعروفة،
 بينما كان لها في الفرنسية القديمة وفي معظم الأحياء المعاصرة التي
 تحملها أصوبها، للاتينية ponere, cubare, mutare, trahere أي على
 التوالي "وضع"، "استلقى"، "تحوّل"، "سحب" إذ ظاهرة
 مقلقة هي الاحتزال، تقع على الحد بين الحمل السحوي والحقل
 الدلالي وتشكل موضوع خلافات نظرية قديمة، أصبح قبلة للأويل
 بواسطة النظرة الموحدة التي يقترحها هذا إذ يمكن اعتباره تعريفاً
 بموقع على سلسلة الكلام لمحكي، خاصصاً لحواضر مكونة في
 الشجرة لا سرور وأهواء أو خيارات أسلوبية، لكن في لوقت نفسه
 يقوم به المتكلم أثناء النشاط الحواري فالاحتزال هو في ب معاً
 مشفر ومفترق أمام النشاط العملي للمتكلم، كالعديد من الوقائع
 اللسانية التي تشكل حيزاً لجدلية الميود والحريه (انظر الفصل
 العاشر) وبالتالي يلتقي الاحتزال هنا بظاهرة أخرى تشكل تحدياً هي
 اللبس وتشكل هاتان الظاهرتان رهناً لنظرية اللسانية، وهما بمثابة
 دليلين يسمولوجيين يقودان إلى طريق موحّد سيتنّدى ب في الفصل
 العاشر شكل مودح حوارِي للمتكلّم

وهناك ظاهرة جوهرية أخرى تُظهر بوضوح وحده وقائع اللسان
 ووقائع الكلام إنها التسليم الذي يمثل المعصر إلى إحقائه عند معاملة
 اللغة المكتوبة وحده بعيداً عن الظروف الحقيقية لفظ البصوي
 ويحسّ المختصون اليوم أكثر فأكثر تحليل محسّات التسليم ومعرفة
 تعيرات معامات الصوت، بدءاً من أدنى الحفص وحتى أعلى الحدّ

مروراً بكافة الدرجات لانفالية، سواء أنعلق لأمر بوحدة معينة
مسطحة رتيبه أم يلحن صاعد أو نازل أو مردوح الانحداء ومع ذلك،
فمن الصعب لكشف عن تشعير تحت هذه المنحنيات المتعددة
والحوار أن معاني منحنيات التسعيم - وهي معاني تختلف كل مرة ولا
يمكن توقعها بسهولة - ترتبط بالحالة، ما عد حالات محددة مثل
الاستعراض من المستند والحجر^(٢٧) أو الاستمهام (وهما مجالان لا
يحلوان من سوغات محتمله) ولما تكلمون لا يتفقون دائماً حول
مصامين لمنحنيات (فارر مع ص ١٤٩ و ١٥٠). لا أن ملاحظه
سلوكهم اللساني في الحالات التي يوجد إجماع حولها، وهي كثيره
لحسن لحظ، ملته بالدروس والتعبير بطبيعته لحل

يمكن لطهارة تقاضية في السلسلة الكلامية، كظاهرة التسعيم، أن
تدخل مع ذلك في نظام اللسان ويوجد الدليل على ذلك في مثال
بسيط في اللغة الفرنسية كمثال لسؤال «vous avez l'heure» (عندك
ساعة؟ = ما الوقت؟) قد يرى التذليلون أن في هذه الجملة ناقصاً
بين التركيب المحوي، لذي يبدو أنه يسأل عن امتلاك الساعة أو عدم

(٢٧) إن منحنيات التسعيم التي نعال من بين المبتدأ والحجر مشفرة إلى حد ما فالنطق بمطوق مثل «
mourrait sans elle» (قد يموت من دونها) وفي المنحني (١) أي أولاً بوحدة ممة منو سعه
سم مع sans elle بلحن حاد مازي، يحمل المعنى نفسه الذي في المطوق sans elle il mourrait
mourrait (من دونها، قد يموت) وفي المنحني (٢)، أي يلحن أوسي حاد نازل ثم مع «
mourrait بوقف مبسط حفيف pauer grave فالمعنى في الحالين هو «قد يموت بعيداً
عنها، خارج دائرة حضورها» وبالنظر بالنطق بالمطوق «sans elle, il mourrait» (من
دونها، قد يموت، وفي المنحني (١) يحمل المعنى نفسه الذي في المطوق sans elle
mourrait, sans elle (من دونها، قد يموت، من دونها) وفي المنحني (٢) فالمعنى في الحالين هو
هذه المرة «قد يموت إن لم يكن هنا (المنيا به، بمساعدته إلح)» أما خارج التمازج بين
المبتدأ والحجر فالحالات التوبعية الأخرى بين الضوايه والتسعيم هي أقل وضوحاً فكلما
المطوقين moi. le ski (أنا، التريج) و le ski moi (التريج، أنا) يؤوب
المطوق بالفرنسية، من طرح عليهم السؤال، بالمعنى التحقيري أو التحسيني محب التسعيم
فالتسعيم هو الذي يدفعهم إلى فهم حفيف المطوقين على أنهما يعيان إن «أنا لا أحب التريج» أو
«أنا أحب التريج»

امتلاكها، وبين الدلالة التي تتوقع ردّاً يُعطي الوقت، انهمم إلا يد، ردّ، المستمع، "لا"، لا يقول "نعم"، ويمكن إزالته انشاقص، صمّس هذا الإطار، بأحد البعد التداولي بعين الاعتبار، إذ يرى أن السؤال لا يطرح إلا في الحالات التي يعتر فيها المرء عن رعيته معرفة الوقت والواقع أن الأمر كلّ يتعلق بمسألة السعييم، التي اعتاد البعض على إقصائها لأنها تكثر انطلاقاً من مطوقات مصطلحه معرفة سطحها على سطح مستوي هو ستورة قاعة المحاضرات أو ورقة الكتابة وإن كان السؤال الذي ذكرناه يرسم محضاً عاماً صاعداً من الحصص إلى الحاد، فهذا المحض مشقّر في نظام كما يشهد عليه الردّ انشاقص الذي يُعطي الوقت إن كان معلوماً وبالعكس، إن كان السطو بالمقطع الثاني من avez بدأ بسعته حادة يديها لحن نازل سريع، وتُطَقَّت كلمه l'heure بمقام حيفص أو أدنى الحصص بعدها يفهم السطو بالهرسية أن الأمر يتعلق (وهي حالة نادرة) سؤال حول امتلاك ساعة وفي هذه الحالة قد يكون الجواب "نعم" أو "لا" فيكون "نعم" إن كان السائل لا يملك ساعة ويريد التأكد من أن بإمكان المستمع، الذي يملك ساعة، تحديد الوقت له فيما بعد عند الحاجة (في حال توقع حضور شخص ما أو وقوع حدث ما في ساعة محدّده)

وقد يصادف أن يكون السعييم عبر كافي حين يرتبط تصميمات المنطوق بالموقف وبالعلاقات التي نقيمها هذا الموقف بين المنحاضيين هنا تظهر من جديد تلك الإشكالية التي ذكرناها سابقاً حول دمج هذه العوامل في دراسة المعنى بشكل عام وبمفهوم التداوليون، أو بالأحرى الكثيرون منهم، بدمج محالف أي دمج علم الدلالة التداولية وبالتالي فإن الطرف هو الذي يتنح نأويل منطوق مثل «al fait froid, c'est» (الجو بارد هنا)، إن كان السطو به داخل عرفة مفتوحة النوافذ في عزّ الشتاء، على أنه دعوة إلى إغلافها وإذا قلنا بأن المستمع لدي لا يعلفها لم يفهم المنطوق، فالنظرة التي تصمّمها

هذا الموقف معدها أن إعاده بناء المعنى يرتبط أولاً بالمواقف ونحن نعلم (انظر ص ٢٨٦ - ٢٩٠ ولوحة المصاطق ص ٢٨٥) أن المنطقة (ب) التي تقابل هذه الظروف هي محالٌ غير العاقل للمنشعب، بينما يعطي المعنى أيضاً مكونات المنطقة (أ) التي هي مشفرة إداً هناك استقلاله لعلم للدلالة، وشكل غير مباشر للمنطوق - الهرمي - إذا تم توسيع هذا الأخير ليصبح التداولية ذات حقل وسع غير واضح الحدود فيصنم إليه المنطقة (ب)، بينما نجد في نظرية وجهات النظر لثلاث أن لتعارض بين المتداول والحصر، الذي يقتصر عليه المنطوق - الهرمي، مشفرٌ بشكل واضح إلا أنه يقتصر على معايير قطعية في مسألة تفويض المعنى المناسب، وبالتالي يقتصر إلى حل وحيد يمكنه، في ما يتخطى نوع لافراصات، تحديد إجماع م

وهناك ما هو أكثر من ذلك إذ لا نقول دوماً م نريد قوله، ولا نريد دوماً أن نعبر ما نعبر ونذكر عبارة ل كارول (L. Carroll) أن الأفعال الكلامية نفسها، والمسماة بـ "غير المباشرة"، وهي موضوع الدراسة المحيتر عند التداوليين، قد بدخلها النفس أو تقاتل معهم خاطئ ويثبت لنا المثال الذي سقاه أعلاه حالة لملاحظة لقادة لتأويل كطلب فهي ليست دائماً مفهومة، مثلاً مثل بقية الأفعال الكلامية فالأسئلة قد تُفهم كأمر محقق أو حذو، وطبقات المعمره قد تنكر ندوس التفسيرات. بلج والحق أن بعض الصع غير المباشرة تبدو واضحة مثل سدس انصمائر الشخصنة كما في عبارة maintenant nous allons nous laver les mains (نحن) [نحن] مضموم لأن بعض يدينا) حين يقولها معلّم لأطفال مشار إليهم بالصبر nous (نحن)، أو كما في عبارة on en vient à la conclusion qu'il y a là une erreur (يُستنتج أنه يوجد هناك خطأ) حيث on نُعشَلْ je (أنا) و il y a (يوجد هناك) تمثل vous avez fait (رتكبتم)، وكلاهما تم تحفيقه بشكره بلبوس مختلف بالإصاغة إلى ذلك، فصحيح بوجه عدم أن النلفظ بالمنطوقات المسماة بالأدائية، على هدى أوستن

(Austin)، يعني أسا سجر الشيء الذي يقول إسّا سجره من خلال طرف الكلام، كما في العبارات *j'ordonne qu'il s'en aille* (أمر برحله)، و *nous te permettons de revenir* (نسمح لك بالعودة)، و *la seance est ouverte* (افتتحت الجلسة) إلاّ أسّا سطلز في هذه الحالات تماماً كما في حالة الأسدوب غير المباشر الذي درسته المبطوقة، وهي الحدّ الأول لتداولية اليوم، من خلال دراسة الصور المحاربة والتعبير البيانيه كأدوات غير مباشرة لفعل المعنى وإفهام المحاطب والتأثير فيه^(٢٨) - من الوفائع اللسانية، أي من نقش المعنى في مائة الخطاب

سّا سلك درياً لا يؤذّي إلى العاية المششودة حين يعرض مفولات مفهومة من دون الاستناد إلى آثارها داخل السيج المادّي الحطائي، أنّا كانت هذه الآثار، كإثبات وصمات أما ابرعة في الإحاطة بكافة العوامل التي نشارك في ساء المعنى، أكذب مشقّة أم غير مشقّة، فأمر مستحيل التحقيق لأنه يعني املاك معرفة شمولية وقدره على التنبؤ لا حدود لها، وهذا ما أكده، عارف رمي بينهما بقدر خمسة وثلاثين عاماً، كل من ل بلومفيلد (L. Bloomfield) وأى إيكو (U Eco)^(٢٩) فلا علم إلاّ في محال المعلو، ولا يمكن لموطن اللسانيات أن يعرف في محيط التقديرات لى لا ترتكر إلى أشكال وليس للسانيات من مغرب بين علم الدلالة والتداولية نهتم به سوى المتكلم نفسه، فهو متع المعنى ومن يحلّ شقّه ضمن بيته اجتماعية هي بيته الطبيعية يبنى عليها إذ أن سطر إلى المتكلم ضمن هذا الإطار

(٢٨) يذكر من بين المفيد من الأعمال في المبطوقة أو البلاغة الفرنسية أحد أهمها وهو P

Fontanier *Les figures du discours*, 1821, réed Paris, Flammarion, 1968 انظر

M-C Porcher, «Théories sanskrites du langage indirect», أيضاً وفي لغاه أخرى

Poétique, 23 1975, p. 358-370

(٢٩) انظر L. Bloomfield, *Language* London, Allen & Unwin, 1933, p. 74, U Eco.

La struttura assente Milan, Bompiani, 1968

الفصل العاشر

اللسانيات الاجتماعية العملائية

أو نحو نظرية للتواصل

العلاقة التخاطبية

إن لمداولة في عزل اللسان عن الكلام، كما يفعل السويون لتقليدوني لدير يميرون الأول، والداولون الدس بعون من شأن الثاني، يؤذي إلى محافل لقيود التي يفرصها الأول والعلاقة الحوارية انسي بقيمها الثاني إذ يكاد التقليد السوي بجهل العلاقة الحوارية لاشعاله باللسان محد ذاته كما لو لم يكن هناك من يؤكد شيئاً أو بضمه أو بطرح سؤالاً أو بدعو إلى شيء أو يتعجب أو ينادي، وكل لو أن أحداً لا يتلقى الكلام فنجيت أو بلتي أو تدر عنه ردة فعل ما فتعيل السان داخل النشاط الكلامي الذي لا يمكن فصله عنه يعني بكيف نظامه مع العلاقة الحوارية إذ نعتق لأمر سلوك دي صيغة صيغة لا نشاط عملائي أو عقلاني صرف ولا ممكنا تجنّب دمج لحوصل المرتبطة بمهامات لمخاطب معروف اللسان فالإنسان حوارياً بطبعه

وعديا أن بأحد كلمة حوار هما معناها لوسع، أي لا وفق لثابته سؤال/ جواب وحسب، على الرغم من أهمية هذا المكون، وربما بمعنى التخاطب شكل عام أي بمعنى كل تفاعل لساني وحي سوجه، وهو أمر نعرفه انجس الشرقي وعلى الرغم من الاعتقاد الذي قد يدفع إليه الأصل لمخاطب للكلمة، فأنه مات حوارية ليست محددة بشرتكس ثمين. إذ يدخل تبادل الكلام بين أكثر من ثمين

(الحوار المتعدد الأطراف) في مفهوم الحوار كما براه هـ وعلى أنه
حال فائسء المتكاهل لمعنى ما هو اندي يميّر نشاط المشاركين
ويحتلّ السؤال و لطلب والهي مكاناً مهمّاً داخل هذا النشاط

نقيم السؤال علاقه وثقة بمقدار ما يستدعي ردّاً بصورة صبيغة
(انظر الفصل التاسع، ص ٢٩١ . ٢٩٢) إلا أنه يصح استنتاجه
في النجّس أو في استعادة السلطة حين يُستعمل هو نفسه كردّ،
بحسب ما تُعلّمهُ الحكمة الاحاطة الشهية القديمة بيهودي الحاصع
للاستجواب يستدعي الطلّ انكلامي ردّاً غير كلامي في معظم
الاحيان ويدحض الهي الحمة الصريحية، المسوبة إلى المشترك
عادة، أو برّد على سؤال ولفي عالماً، بحكم قيمته التحاطية ولأنه
يجب أن يكون مفهومّاً أي مسموعاً بصورة جيّدة لتجنّب لفهم
الحاطي له، فبعض صوبية إما عن طريق التكرار بعد العنصر المهي
(كما في الهي المنقطع في الفرنسية أي ne pas وفي لغة الموروو
(moore) في فونتا العلب - سوركيما فاسو، وفي اللغة الأفريقاسية
(l'afrikaans)، وفي لغة العواراني (guarani) في الساراعواي، وفي
اللغة البورمنة (birman) إلح، أي في حوالي ١٧ / من أسسة
العالم^(١)، أو بإضافة عناصر داعمة والهي بالإضافة إلى أنه مميّر
في بيته الصربية الخوية، يد محاح شكل عام إلى عدد من السمات
لهي الشيء أكثر من تلك التي يحاحها لتأكيد، يحوي في انوفت
بعض شحه أكثر، من التصميمات، كما به أكثر تعقيداً من الحاجة
المفسية وبالتالي يعطي الهي مثلاً منكاملأ عن تأثير الظروف
التحاطية في سية اللسان نفسه

يستعمل الحوار استراتيجيات أخرى أيضاً فالتوكيد لقوي يأخذ
عالمأ شكل سؤال، سمي بالسؤال الملاعي، يستدعي في اللغة
الفرنسية ردّاً "نعم" أو "لا" أو "نلي"، كما في

(١) انظر C Hagege *La structure des langues*, op cit , p 86

N'est-ce pas en France qu'on trouve les meilleurs fromages? - Si.

(أوليس فرنسا البلد الذي نجد فيه أفضل أنواع الجبن؟ - بلى.)

وبصم صيغة التمزج نوع من التعاون بين المشاركين، لا وفق المفهوم الهندسي لجيمس غريس (Grice)^(٢)، الذي توصي بتقديم المعلومة التي يتطأها الطرف وحدها وبكاملها، كما توصي بعدم الكذب وبوثاقفة الصلة بالموضوع وبالصوح، بينما يهدد استخفاف والدعاء والحدأ دائماً فرص الاستحاط الأسطوري، الذي تسيه هذه الحكم، وربما لأن لشركاء ملتزمون معاً ببناء المعنى^(٣) الذي هو أساس علاقتهم ومسؤعتها حتى عدم يستعملون كلمات التوقف (كنت لتي بعدها في لعرسية مثل ben ou eh bien, alors, c'est-à-dire, etc. لمنء لحظات لصمت والإبقاء على الاتصال باستعمال منوانيات لسانية يستوي في معاه تظهر تركيباً نحويّ للحوار في لحالات العديدة لتي يقصر فيها تعاون لمتحاطبين على عبارات استعادية تشكل صدى لبعضها البعض أو حتى على مناعة لقلب بالاعتماد على أجراء من الجم، كما في الحوار

A Ce type-là

B. c'est un voleur

A peut-être pas un méchant homme

B. mais dangereux tout de même.

(أ هذا الشخص

ب إنه لص

(٢) H P. Grice. «Logic and Conversation», ronéotype. Harvard, 1968.
 repris dans P. Cole & J. L. Morgan, eds, *Syntax and Semantics*, vol. 3
 («Speech Acts»), New York. Academic Press, 1975, p. 41-58.

(٣) مع على وجه نظر قريبه من هذه التي يقدمها في أعماله (F. Jacques)
 Différence et subjectivité. Paris. Aubier-Montaigne, coll.
 «Analyse et raison». 1982.

أ قد لا يكون بساناً حياً

ب لكنه حظير مع ذلك

وقد يقود السأويل الدقيق إلى اسباق الأسئلة محمل تقريريه تتجاوب مع ما هو متوقع، أو إلى إعطاء ردٍّ يمكنه، على الرغم من ابتعاده الظاهر، لكهر نصيب سؤال ما وعلى العكس من ذلك، يمكن لملص من الأسئلة إذا ما أردت تفادي المسئلة لتجنب الاستحواث، فأتى الردود موارنة، ولا يحول ذلك إصلاً فادون مقدم المعنى وإنما يوخه مع بتوافق مع نوع المعنومة التي يقبل كل امرئ إعطاءها ومع نمط العلاقة التي يريد إقامتها

سشط هنا هي كافة الحالات تفاعل خطابين يعتمد على عدد من الوسائل اللسانية التي تكاد القواعد الأكاديمية لا تذكر وجودها إلا تلميحاً، كما تتبدل وتصنف بعضاً من بين أربها كأدوات وبغتر ذلك عن رية قدمه ومستمره تجاه الكلمات الأكثر حضوره في المستويات الشفهية فلما نستعمل في الأسلوب الكسبي والواقع أن لألسة ذات لراث الشفهي بوحه حاصر هي التي نكثر فيها مثل هذه الكلمات النوحيرة وذات القدرة على الصط ولني لا نجد في الفرنسية ما يعادلها عبر كلمات حرفاء مثل *quant à moi* (أما أنا، في ما يخصني)، *vois-tu* (هل ندرا، أترى)، *en quelque sorte* (إدا صخ القول، مريباً)، *si on veut* (إدا أردنا)، *tout bonnement* (بساطه، بصراحه)، *c'est à peu pres sûr* (أكاد أكون منقياً من ذلك)، *c'est bien connu* (هد معروف جيد)، سيما هي في اللغات اللابونية *lapon* ولفلندية والسويدية^(٤)، ولشكية، على سبل لمثال، كلمات

(٤) هدم ج مماندير (M J Fernandez) درامه دبكة ومفصله للأدوار "المطوقه في بعد شمال أوروبا هذه، مع ملاحظات نظرية ميره للاهتمام حول علاقتها بظروف التعددية اللسانية في هذه المنطقة، انظر كتابه *M J Fernandez, Discours contrastif, oralite plurilinguisme l'espace communicatif some finnois. suédois (en Finlande); Thèse d'Etat déposée à l'Université Paris V 1984*

رشيعة أحاده لمقطع وتختصر مصوغات المتطوق هذه (والمسمي
بوطيصةها عن كلمات «توقف المذكورة انما» المستمع طرفاً أساسياً في
لحور

الناطق النفسي الاجتماعي

كيف يصح مفهومنا لهذا الإنسان الحور في طريقه يصح فيها
مباحاً بلسانيات تقديم مذهب حقيقة في العنوم الإنسانية؟ بدو من
لواضح أكثر وأكثر، في هذا لربيع الأخير من القرن العشرين، أن
الاهتمام باللغة يعني الاهتمام بالإنسان الذي يستحدث في طريقة
استعماله لها. إذ لم تهتم نظريات النطق ولا لدولته حتى الآن
بشكر كد بالعهد الاجتماعي والثقافي والتاريخي للشط الكلامي،
مع أنها تأخذ هذا النشاط بعين الاعتبار. فهل يعود الثمرة للحدث
لعهد التي تتجاوز السوية، والتي أبحاثها دراسة أفعال اللغة، إلى
نظرية في «شخصية» لا يمكن بلسانيات، وقد صح أن عليها لإصحاء
إلى علماء النفس بالإضافة إلى اهتمامها الدائم والأساسي بالبحاث
اجتماعية، لتتوزع في توسع مجال عملها الذي ينتج مداً الشائع
ما ينقل الاستمرار في الكشف عنه من دور أن يكون محكوماً عليه
بالتمام. «محاورات» لا نهاية لها فعلى لدات أن تكون في مركز
اهتمام البلسانيات، لكن بوصفها ذاتاً بطقه، لا ذاتية بحنة تتكلم
عرضياً. ويقترح وضع مفهوم لدات كنطاق نفسي اجتماعي

ولا علاقه هنا بمفهوم النفسي الاجتماعي بالأمكار لمسة
ر «علم نفس لشعوب» (Völkerpsychologie) انقديم لدي كان يعني
بعقديات لشعوب كما قد يعكسها أنستهم ولأمر يتعلق وحسب
بالتأكد على أن الإنسان بعقد وهو في موقف التحوار علاقه مع
أشياءه تتكامل فيها كافة مكونات نفسيته وطقته الاجتماعية لي يتج
له ذلك الموقف التعبير عنها. ونحن بأحد هذا «المنكلم» بمعنى

[المتكلم + المستمع]، لا بمعنى [المتكلم - المستمع] كما لو كان الأمر سعدو بكتابين بقلان تبادل الأدور فيما سهما ولقد ن أوان التحلي عن السراب المظمن لهذه الصيعة وفقد بدأت اللسانيات النفسية بهم العلاقة غير الفيلة للقلب بين الإحراءات العقلية لشعير ولك لشعير، وبدأت اللسانيات الاجتماعية أيضاً بهم المرفوعين المختلفين بمرسل وملتقي، والتدين بنقاطهم مع اختلافات المستوى الاجتماعي أو سموا عليها، وفق لحظت الحوار ولقد ان الأوان لأحد هذه النظورات في الحساس فالمتكلم النفسي الاجتماعي لس مثالياً ولا حيراً أسطورياً للساد بين متكلم ومستمع ينمغان بصفات وقدرات متساوية ويجب رفض الإعواء الدائم لحجب الأصول الذي يسيب أن الطعن بدأ، في مرحلة اكتساب اللغة، كمنمع بالضرورة وسقى النالغ مستمع بالمرجة الأولى ويعرف كل مستمع عدداً من مستويات اللغة أكبر مما يعمل كما بهم، إن كان على الأقل "ثاني اللغة"، بالإضافة إلى لغته لمحكية العائبة أو المحكية، اللغة المعيارية التي تكلم بها الطقة المسطرة والتي تعلمها المدرسة في مجتمعات لكتابه أو التي تعلمها الأولاد الإنسية حين يتعلق الأمر بلسان عرب عنهم قومي أو رسمي وقد لا يكون لسان سوسور سوى تلك اللغة المعيارية ومهما يكن من أمر مفهوم الناطق النفسي الاجتماعي يُقيم منمعاً ومكلماً ويعترف بعدم نظريهما، لكنه لا بوصي لسانيات لأحدهم تنقذ على لسانيات بآخر فمن المهم أن تشير إلى أن مفهوم الناطق النفسي الاجتماعي لا يعود على الإطلاق إلى مرج اللسانيات بعلم النفس أو بعلوم الاجتماع بل على العكس، فعدم قدره هذين الأخيرين على تقديم اقتراحات لسانية على وجه الخصوص أو على فرض طرائق عملابه فائلة للتطبيق المباشر على موضوع اللسانيات المحدد، هي التي نُحِتُ الاعراف بالطبعة النفسية الاجتماعية للناطق من أن تطعى على حصته الأولى، وهي أنه نطق تحديداً وبمك أن يكون لشيء ذاته

في لا يطبع لبيولوجي للأهلية لتعويه كجزء من الشجرة الوراثية
 فعدم لأحد، مع أنه معني مباشرة بالأمر، ليس مؤهلاً أكثر من
 العلوم الإنسانية لتوفير أساس للتأكيدات اللسانية البحتة حول اللغة
 وكيفية لذلك يرى أن استقلالية اللسانيات، كاستقلالية أي علم
 آخر، هي في مركز جدال إسميولوجي عربي فعلى الرغم من أن
 حاشاً من موضوع اللسانيات نقلت من يد اللساني، معجز للعلوم لبي
 تسند عيها لدراسة لكافة هذه العرص عن تقديم أساس ملائم لها
 يمكن أن تقوله اللسانيات دنها

ويجمع انطاق المسمي الاجتماعي في ذاته كفه أنماط ستخدم
 اللسان تبعاً للموقف لذلك فإن لتعبيرات ذات الطابع المنطقي -
 اندلالي ليست عمالية دائماً إذا ما أردت فهم هذا انطاق على حقيقته،
 أي من منظور لخطابي والنصي فهو معاً، وبحسب الظروف،
 المتكلم الذي يلعط، وانطاق الذي يعمل، كما أنه معاً، حسن لا
 يكون لمكلم، المحاطة الذي تتوخه إليه الكلمات والمستعمل
 لأفعال اللغة^(٥)، وهو أيضاً، يكتسب ميل إلى مثل هذه التصنيفات،
 مسروء له اندي بتوخه إليه السرد إن تعددية للسان أثناء العمل
 حواريه، كما يقول باحتين (Bakhtine)^(٦)، كصاق الكلمات المنطوقه
 ولأقوال المقولة، وكثباتك لخطاب المباشر والخطابات عبر
 المباشرة وتوجد في العديد من الألسنة التي تُشفر هذه التعددية صمة
 خاصة تعيد في الإشارة إلى (نظر ص ٣٢١ ٣٢٢) الكلام المنسرد

(٥) نجد صيررات منطقيه من هذا النمط في مختلف الأعمال المنسوحاة من فلسفة اللغة الأنجلو -
 اميركية كما في كتاب أ. دوكرت (O Ducrot) ومجموعة من الباحثين ، O Ducrot et al. ،
 ٩٨٠، Les mots du discours, Paris, Ed. De Minuit. ويهدد ارتباط هذه الصيررات
 بنظرية اوستن (Austin) وسيرن (Searl) حول أفعال اللغة مرج استقلالية اللسانيات بمفهوم
 قانوني - نفسي للمكلم بوصفه مسؤولاً عن فعل كلامي (Ibid p 44)
 ١٦، انظر M. Bakhtine, Esthétique et théorie du roman, 1963, trad. Fr. Paris, Gallimard, ١٩٧٨, p. 39-40

الذي لا يصطلح به الأما ويستحق الأسلوب المسقى بغير المباشر
الحز دراسة مفصلة في علاقته بالأسلوب غير المباشر بحصر المعنى
وبالأسلوب المباشر وكذلك أيضاً الحالات لحاضنة مثل صيغة
الاحتمال التامسة للقول في اللغة الألمانية وصيغة المسقى في
المعنى التي تصنفها في اللغة الفرنسية، كما في

Un type révolutionnaire d'ordinateur serait bientôt lancé sur le
marché

(ستشهد الأسواق قريباً نوعاً ثورياً من الحواسيب).

بعد تعريف مفهوم النطق النفسي الاجتماعي، يمكن القول إن
نموذج اللسانيات الاجتماعية العملية الذي يقترحه هو بعكس جدلية
القيود والحرية التي تربط اللسان بالنطق ويعرض لحدوث التالي
الخطوط العريضة لهذا النموذج

I مجالات القيود

١ نظام اللسان

- علم الأصوات الوظيفي
- علم الصرف
- علم النحو
- تنظيم مفردات اللغة
- عمليات
- إنتاج
- المعنى
- وتأويله

٢ الظروف الحوارية

٣ العوامل البيولوجية

(الكواشف الفرائض البيولوجية اللهجية انظر الفصل الحادي

عشر)

٤ الخيال اللساني والحالة

(الكواشف فرائض لرمزية والاجتماعية والسياسية اندهجه

انظر الفصل الحادي عشر)

II مجالات المبادرات

١ بناء نظام اللسان

(أ) عن طريق نطاق جمعي، لعمل اللاوعي لتعبيرات لطويله الأمد

(ب) عن طريق مجموعات من الناطقين تشكل مجتمعات ذات سمات تكون اللغات الكريولية، ولادة الألسنة الخاصة

(ج) عن طريق ناطقين أفراد في أوضاع واعية انتدع مفردات جديدة، نشاط شعري، تدخل في الألسنة محطّط له

٢ المساهمة في تشكيل الظروف

(أ) لمتغير (انظر الفصل الحادي عشر)

(ب) استعمال الكلام كأداة مدبغة (انظر لعص الثامن)

بطوي مفهوم العامل الاجتماعي لعملاني على أساس لا يستطيع
سوى عمليات المتكلم في طرف الكلام وحده حصراً ولا العمل
الاجتماعي الذي يمثله في أب معاً نظام اللسان لمتوارث وظروف
الحوار المتغيرة على الدوام إذ لا يمكن فهم عرى هذه
لمعطيات فالناطق هو الربط بينها كما أنه معيار درجه لصعوبة
والمبادرات وبطبيعة الحال فإن هذين المجالين، وقد تمّ تمييزهما
هنا بصورتي العرض، يتداخلان معاً في واقع الممارسة الخطابية
إذ لا توجد على الإطلاق حرية خالصة ولا قيود حصرية بل سريان
مبادل دائماً

مجالات القيود

يمكن تعريف قواعد اللغة بأنها ما هو مفروض ولحياز الذي
قد يوجد في بعض الحالات، كالمفعولية أو الإضافة إيج، في
ألسنة لتصرف، هو من الإمكانيات المفروضة بحسب القصد العرود
فالامر يتعلو إذاً بحياز دي صواب إذ لا يستطيع لناطق، وحسب

وعنه، رفض إرفاق اسم بأداته التصحيحية في لسان لا يصل بعس الشيء من دون سسه إلى فئة أو صنف (الفصل الثالث، ص ١٤)، أو عدم موافقه الفعل لماعله في لسان يعتبر التوافق قاعده مبرمة وقد سدو وحوه تلك القاعدة في أغلب الأحيان بالعه التعقيد لمن يراه من لحدوح إذ تعتبر صيغ التصريف في اللغة الهعارية بحسب ما يوفق الفعل مع المسند إليه في لعدد ولشخص (تصريف داني من دون مفعول أو مع مفعول نكرة) أو مع هدين الثاتين ومع مفعول معرف في أن معاً (تصريف موضوعي) ولإضافة إني ذلك هناك صبعة خاصة حين يكون المسند إليه هو مكلم مفرد ولمفعول هو المحاطب وأخيراً حين يكون المسند إليه شخصاً آخر غير المكلم فلا يوسم مفعول المحاطب (صبعة الفعل هي من حديد صبعة التصريف الدتي) فكلام الماطقين باللغة المجريه محفوف إدا بالعوتق، اللهم إلا إدا كانوا قد تعلموا جنداً كيف يتمنصون منها

يتعلق الأمر إدا، بالنسة إلى لناطق، بحقل مليء بالصوابط المبرمة لتي تحدد قواعد اللغة ومما لا شك فيه أن الإطباب، وهو في أغلب الأحيان فحوى القيود المحوية كالتوافق، لس عدم القاعدية على الرغم من أنه يهود لناطق إني إعطاء معلومات تريد 'مطيقاً' عما هو ضروري (وفي حالات أخرى، وعلى العكس من ذلك، يلزمه النظام إعطاء معلومات أقل مما هو يريد) وحق أن لإطباب هو بمثابة شرط للتنفس في الحطاب كما أنه يريد من تمسكه ويرتبط جهد اكساب اللغة بدرجة تعقيد فواعدها، على الرغم من عدم وصوح هذ المفهوم حين لا يطبق حصراً على المكلمين لأصلين بهذه اللغة^(٧) وتعتبر المفردات نفسها من ماطق اليهود، من دون ذكر الشبكة الصوتية التي، من جانب المتعيرات المهمة

(٧) انظر أيضاً الفصل الثاني حيث يوجد تقويم لبسطة اللغة ومن السباب المهمة (ص ٥٣)

لمرديه ولجمعية (انظر أدناه وأيضاً لفصل الحادي عشر)، تعرض على كل باطن بصوره موحدة تحليل الوجه الصوتي للكلمات إلى صريبات تعطي بعضها وعلاقتها الحد الأدنى الإلزامي ومما لا شك فيه أن كل امرئ "حر" في تكوين صورته الذهنية وبولبدها، إلا أن عنف الاصطلاح الحاضر بالألسنة يجمع لعرد من إعطاء للكلمات معاني غير معانيها الخاصة وسمى صوتية غير بها فانصور وانتمائل بين الأعرص المشار إليها والالاس والتداخل في الأشكال تقود كلها إلى سوء وتنظيم حقوق لا تحصى ولا يستطيع الباطن أمام هذه المادة سوى أن يصح بدوره، وعن طريق استعمال هذه المادة طيله حياته، العامل للاوعي لتعديرات التي نصيبها باستمرار وهناك مدارج ترتبط بدرجة الاستعمال فبعض الكلمات أكثر نواتراً من أخرى، وبالتالي فمعانيها انسياقة البضيه أكثر عدداً

كما لا يستطيع الباطن معادي فيود نمط من العبارات الجامعة التي ينحها الاستهلاك في كافة الألسنة بصورة مثيرة، وهي ما يسمى بالعبير الاصطلاحي فعلى الباطن تعلم وحفظ تلك الصنع المبروه التحفير ولا يمكن تطبيق النحلص العموي على تعبير فرسي مثل *casser sa pipe* (كسر حلقومه أو حنجره = مات) لا يأتي معناه من محضه معاني عاصره، أو على مركب في لغة ليورون *yoruba* (في سحبرنا) مثل *kpā ri* ("قطع - رأس" = أنهى) ولا شك في أن العبارات الاصطلاحية لا تتمتع بالدرجه نفسها من اللامعافيه فعبارة *passer l'éponge* (مسح بالاسفنج = سامح، عفر)، و *geter de la poudre aux yeux* (دز العار على العيبر = بهر، مؤه) في اللغة الفرنسيه هما عبارتان قسدتا للتأويل عند أولئك الذين لا يعرفون هذه التعبير غير أن أحداً لا يمكنه تعبير الصيغه إذ لا يستطيع الباطن لدخل شخصاً فيها، كما لا يمكنه التدخل في ظاهره المعجار الذي يجعل من عبارة مثل «*va voir à côté si j'y suis!*» (ذهب وانحث عني في مكانٍ حراً) لا يعني أمراً للسعيد حرفياً وإنما هي صريقه

للتخلص من شخص غير مرغوب فيه بتكليفه بمهمة عشية، تماماً
 كالعبارة اليابانية التي تعادلها ototoi ko: وتعني حرفياً «تعال أول
 أمر» وهي تموضع العث في الرمن بينما تموضعه الفرنسيه في
 المكان. إن صعب فبولة مختلف العمليات التركيبية المحونة اليه قد
 محاول تطبيقها تؤكد اصطلاحه التعسر فقد بحثت الباطون
 بالمرسية في الرأي حول صيغة لمطوفات قد يتفقون مثلاً على
 معنى on coupera, s'il le faut la poire en deux (إدراج) (سقسق
 الإحاصه نصين إذا لرم الأمر = سقسق الربح والحسارة إذا ما لرم
 الأمر)، سيما قد يعتر بهم بعض الشك حول «la hache de guerre
 sera difficilement enterree» (سي لمحبون) (نن ندفن فأس
 الحرب بسهولة)، ويكرر الشك، على لأقل خارج سياق بشير بي
 التمايل واستحرة، حول «c'est dans le plat qu'il a mis les pieds»
 (تبشير) (لقد وضع قدمه في الطبق يدخل شكل أحرق)، وكذلك
 أبصاً (وفي شمال فرنسا على الأقل) حول «des vessies, il ne faut
 pas les prendre pour des lanternes» (اسداء) (ظن المثبة فوساً =
 أخطأ خطأ فدحاً) إن الاعباطيه والتعريف يفرصان نفسيهما على
 السحرة والإدراك الحسن ما إن بسدرج هذين الأخيران صمن
 المفولات اللسانية فالألسة، المنتج للمعنى صمن أشكرك، تجعل
 تطوّر هذه الأخيرة أطلا من الأول

وهكذا يعد لناطق نفسه عاجزاً أمام مربية نظام اللسان إذا لا
 حل إلا بعلمه ويعلت المجال (I - ١) من الجدول أعلاه، وهو
 لمجال الوحيد «اللساني حصراً» وفق التصور اسيوي الأدبي، من
 سطره المتكلم على لأقل في الصيغة لرامية السحرة ويوحد
 لمكوّن الاجتماعي، في صيغه الاجتماعي - العملائي، في أساس
 وفي حنام كل شيء فالنظام، كاصطلاح محدد لأي مجتمع بشري،
 سابق للنطق الذي سيستخدمه أيأ كان هذا الناطق ومن جهة أخرى،
 فإن هذا النظام يعمل داخل البيئة الاجتماعية لمقامات الحوار، مما

مؤدي إلى تعدده هو بالذات بحسب تاريخه الجدلي وهذا يظهر
 ان عنصر العملاني ترافقه بعض الإجراءات كقوانين توليف انصوبات
 التي تعلم الناطق عند طهوله بمادحتها، والتركيب والاشتقاق وفرايين
 لسجلات الشكلية للكلمات، في الألسنة التي توحد فيها، أو عدم
 انتظام لتناوبات (قدرة الحدود الأربعة v-, al-, all-, ir- لفعل aller
 "ذهب")، وقواعد بناء المطفوفات، والعلاقات بين المطفوفات لكي
 تربط بعلاقات تدبيل داخل العائلة الواحدة

مجالات المبادرات

لا تحول كونه هذه القيود دون مبادرة لناطق يد تظهر مبادره
 في الماطق العديدة الصارمة في طهرها حيث يتلاعب بالقيود نفسها
 التي تعرضها عنه لأشكال لجاهرة، فيمكنه، في أساس فعل لقول،
 وسم فوه بما يشي بأنه نحقل أو لا يحتمل مسؤولية ما يقول
 وتعارض العديد من الألسنة (كالتركية، والبلغارية، ولغة الكيشوا
 ketchoua في البيرو وبوليفيا، ولغة الكواكيونل kwakwutl في غينيا
 الجديدة) بين اندواض أو اصيغ الفعلية وبين عمره، بحسب
 اصطلاح الناطق أو عدم اصطلاحه بمسؤولية المعلومات أو المصنص
 اسي بحر بها، أو بحسب إنطته بها تفاعل مباشر أو مجرد شاهر
 عليها حتى موهلة لغوية شديدة الدمج بالتصرعات لغوية، كحال
 لصيغة التي يدل بها لمتكلم على عمل الفعل الذي يستعمله في
 اللغات السلافية، سمي أداة شديدة المرونة وتسمح مستعملها بحرية
 كبيرة، وفي الحيرت التعبيرية في النصوص لحيته للخور الشههي أو
 "مكسوت"، لدرجة أن استعمالها يصعب انكهن به أحياناً وسمي
 بالتالي عبر مشفره شكل صارم كما تظهر معسمة النصوص
 والاهتمام بالحوارات مدى مرونة استعمال علامات الوحدف نفسها
 فقد يظن لبعض أنها تستعمل أكساً لأنها جزء لا يتجزأ من علم
 براكس المسمى إلا أن العلامة ko في اللغة البورمية (birman)

وبخاصة علامة *ra* في اللغة الفارسية، وهما قريبتان للمفعول الذي يُقابل "المفعول به"، تتعلّقان في استعمالهما إلى حد كبير بالحبار الذي يقدم عليه الناطق. والحال أيضاً كذلك بالنسبة إلى *la* في لدعه الإنسانية، وهي علامة يُطلق عليه بشك عربي ومنافقصر "المفعول المباشر الجزئي". ولكن كان عرض الكتب المدرسية أقلّ إيهاماً والمعلّم أقلّ حيرة، أمام تأرجح بين *defender la sociedad* و *defender a la sociedad* ("حمى المجتمع") في المقال الصحفي نفسه، هو يسمّ التسليم بأن الناطق يستطيع، عن طريق معنى مختلف أو أحياناً حتى عن طريق المعنى الشامل نفسه، اختيار إما الحد الأقصى (استعمال *a*) أو الحد الأدنى (من دون *a*) في تمييز المفعول وفي فعالة الفعل^(٨)

إن إدخال بعض المرونة والنسبة على انعراض الصارم بين تاريخ تطوّر الألسنة والحالات التي يمكن ملاحظتها ترميزاً، وهو نعراض ناتج عن تصلّب فكر سومور، من شأنه جعل أثر الناطق الشرطي قابلاً للإدراك في كل مكان بصورة واضحة لا يوصفه المستندع الواعي للنظام الذي يحثّه، بكل تأكيد، وإنما على الأقلّ كعامل انتقاليّ وطوعيّ إلى حدّ ما، في المراحل المتتالية، تتطوّرات شكّلها بمقاماته الكلامية فالرمز كهيل بدخالها في انسيج الصرقي ويكميها إعطاء أربعة أمثلة على ذلك من بين أمثلة كثيرة. يتصل الأول بالمحددات لكمية الكمية منها (مثل *tout* لكل) والوجودية (مثل *quelqu'un* أحدهم) فهي مُشتقّة، في ٧٦، من الألسنة، من صبح استهامة^(٩) أي من العلامات التي سمّ الأسئلة المطروحة في

(٨) انظر المقال الذي اقتبس منه المثال B Pottier, «l'emploi de la preposition "a" devant l'objet en espagnol», *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, LXIII, 1 1968, p. 83-95

(٩) انظر C Hagège, *La structure des langues*, op cit, p. 77. إن الروائع المذكورة هنا مستعاة من هذا المرجع

العلاقة انتحاطية. والثاني هو مثال الأنتروبولوجيا الإغرابية. ويترج هذه السمية للدلالة على العلاقات المكاسية ولرمادية، المعروفة عموماً إلى حد ما والقائمة كثيراً أو قليلاً للنحليل بحسب اللسان، من خلال أسماء أعضاء الجسم لشري. فحسب الماطق المسمي الاجتماعي حاصر في الحوار ويحدث عن العالم المحيط به والذي هو مقيسه (نظر لعصل الثالث، ص ٨٣) وشكل السلم التقييمي للكائنات في اللسان المثال الثالث. فهذا ما سطلفه على التمثل الصممي لمجموعة الأصناف، كالأصناف الثمانية التي في لغة أنكوي (le kawu)، وهي لغة قديمة في جزيرة جاوه (Java)، ولمستعمده في تحديد لأسماء المصنعة إلى ثمان فئات فتحتل فئة ابهرم، كما هو متوقع، كائنات يجعلها الماطق الشري كالآلهة ولقدبسي والأبطال والملوك ويحتل المخلوقات غير الشرية، وأيضاً أسماء لجمادات، لمرتب لسيا

أما المثال الأخير فيتعلق بعمليات التشعير التي يطع فيها «سطق» شاطه الكلامي في سيج لأكسته. إذ يستعمل بعض لأكسة في عسا لحدبة^(١٠) وكاليوروبيا، وكذلك الإنجليزية، الفعل لمساعد faire (فعل) للتأكد على واقعة (توكيد) أو عدم واقعة (نفي) ما يقول، ولدي تقدم بهذه الطريقة على أنه يتعلو بالفعل أو عدم الفعل وسيج الكشف عن عمليات التشعير فهم ظواهر أخرى مثيرة. إذ تستعمل كلمة tla في لغة لاهواتل nahuatl (في المكسيك) في رسم الفرصة وم بتعارض معها في آن معاً، أي التأكيد الصريح والحق أنه يمكن عتار أن السطق يعتمد في الحالات وجهة نظر شريكه في السطاطب نظر لإمكان اعتراضه (فرصة) أو عدم اعتراضه (مؤكد صريح)^(١١)

(١٠) انظر M. Lawrence, «Structure and Fiction of Oksapmin Verbs», *Oceanic Linguistics*, 1, 1, 1972, p. 47-66.

(١١) انظر S. de Pury-Touma «L'espace des possibles l'exemple du nahuatl», *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, LXXVI, 1, 1981, p. 359-379.

كما نلاحظ في العديد من الألسنة (كلروسية والمحورجية والياهويل والشامورو chamorro في جزيرة غوم Guam، ولأيسو anou في اليابان، واللغة التشوكتشية tchouktche في لاتحاد السوفييتي، والموجافية mojave في الوجه البحري من كاليفورنيا إلخ) تحانساً في السنة من اثنين أو أكثر من المصاميم، التالية للمجهول والانعكاس والتبادل والجمع ولكامر والمحافظة التسجيلية، وبمقدار التجانس الكثير من عرانيته عند أحد العمليات لمطوقته مع الاعتراف باستبعاد ذكر فاعل خارجي كمستحب لأمر م، باستعمال المسمى للمجهول، عملية تشبه الطمس لمهذب (ويستعمل في المحافظة التسجيلية) لتعزّد الساطق (استعمال لجمع) يوحي أبصاً عدم ذكر الفاعل بالعبوة، وبالتالي بالروع إلى إساح ادات (الكامر) من خلال الفعل الذي يمارسه المفعول على ذاته (الانعكاس) أو كردّ على الفعل الذي يتلقاه (التبادل)^(١٢) ويمكننا أخيراً إطلاق اسم نظام الإحالة إلى الأنا على هذا الساء العريض المميّز للألسنة، والذي يدفع طروف المكان والزمان وأسماء الإشارة وأدوات التعريف، وإذا اقتضى الأمر الإحالات إلى قسم آخر من النص^(١٣)، إلى لانتظام جمعاً حول مركز التعيين الذي شكّله المشاركون في الحوار المتحدون برابط لا يقصم في علاقة تميّز بالقلب بحيث تحدّد كلّ واحد نفسه على أنه "أنا" ويسمّي الآخر "أنت" ويكون على لسانيات بيته قادمة دراسة أسلوب إدخال الألسنة للمعالم "الطبيعية" المثقفة كالجهاز الأربع والخصائص الجغرافية ولساكن انثريه والعناصر الكونية

(١٢) انظر M. Shibata, «Passives and Related Constructions. A Prototype Analysis», expose présenté au VI^e Colloque International de Paris VIII, mai 1984.

(١٣) ومن بينها ما يسمى بـ les logophoriques التي تحيل إلى مؤ، أو فكر الأنا انظر C. Hagège, «Les pronoms logophoriques». *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, LXIX, 1974, p. 287-300.

سدرج عمليات الباطن الشرقي موصوح أكثر في التركيب
سحوي وهناك مثال عني بالدروس في الألسنة نصف المفعوليه
ونصف المتعدية التي تستعمل معاً اثني من بين أهم أبعاد بي
المصروفات المتعدية المعروفة في الألسنة فانظام المسقى بالمفعولي
هو نظام الذي لا يسم منه المبطون الذي يحوي على مشتركين،
يؤثر و حدهما في الآخر، سوى من يقاس المفعول وعلى العكس
من ذلك يكون الفاعل موسوماً في النظام المسقى بالمتعدي لكن
علامات لوسم (من أحرف انحر ومن حالات التأخير والعلامات
الإعرابية، أو توليف بين الاثنين، والظواهر السرية أو العمية
لح) أساس إعلامي فالمعلومة الأقل توقعاً هي التي توسم في
الأصل، وذلك يحدث لانتباه إليها، سيما تبقى المعلومة المتوقعة من
دون وسم وقد ما قلنا بأن موقع الأنا، وهو مصدر كل خطاب^(١٤)،
هو بصورة عضوية في قمة هرم لمولات وفئة السلطه، تكون النجوة
بشكل طبعي أن احتمال أن يكون لأن فاعلاً (معرفاً) لا مفعولاً هو
احتمال كبير، سيما هو أقل ناسية إلى "أب" ويفل تدريجاً وبانظام
وصولاً إلى لجماد ومروراً بحالات "هو" لمعددة ثم بالحق غير
الشرقي وبالتالي يمكن للسند ذات تركيب سحوي حين أن يظهر
لأن في حالة المفعول، أي من دون وسمه إن كان فاعلاً ومع وسمه
إن كان مفعولاً نلاحظ بعد الآن تأرجحاً في محور الشخصية بعد
تموضع الـ "أنت"، وبحسب الألسنة، قبل المحور أو بعده، أي أن
تعامل معاملة للمفعول أو لا يُعامل وكذلك أيضاً حالات "هو"
الشرية أو تلك التي ترتبط مع الأنا بعلاقات قوية ومهما كان من
أمر، والجمادات ومعظم الأحياء عبر لبشرية تأخذ بشكل عام حالة
لمعدي، أي تكون موسومة حين تكون فاعلات وغير موسومة حين

(١٤) بطبيعة الحال ينبغي الأمر دائماً أن ناس نطلب إلى "أب" لا "أنا" كمنهج إليه وحيد وكثير
العدرة

تكون معمولات فالناطق الباريجي الذي يسي حضوره الدائم التركيب
 السحوي يعبر أن من الطبعي أن تكون كلها معمولات لا فاعلات،
 لأن لفاعل ميره بشرية تلك هي الحال في العديد من لغات أميركا
 الشمالية وأستراليا

وبلاحظ في ألسه أخرى أوبوية تُعطى لك أنا أو على الأقل
 تقارباً بين مقولة الأشخاص ومقولة الفاعل الذي تُعتبر مكاتته ميرة
 شربة فالفعل المساعد في الصبغ الفعلية المركبة في الفرنسية، وهو
 الوحيد المُغرب سماً للشخص، يتوافق بالأوبوية مع الفاعل، بينما
 يتوافق اسم الفاعل أو اسم المفعول مع المفعول كما لو كان فعلاً في
 لغة متعدية وبالتالي نقول بشكل طبيعي je l'ai prise (أخذتها) أو je
 t'ai prise (أخذتك) (توافقان منقطعان من je/ai و t' أو t'/prise)،
 ولا نقول tu as été prise par moi (أخذت من فلي) أو «elle a été
 prise par moi» (أخذت من قتي) إلا في المخطوفات التي تُكرر على
 للمفعول كمشداً وتقع على حالات مشابهة في ألسه هندية أوروبية
 أخرى كلسه الماريفاري le marvari (في الهند)

من الواضح في كافة هذه الحالات أن خيارات الناطق قد أدت
 إلى استدع قسود، وبالتالي قد يبدو من الممارق وضعها في مجال
 المصادر عبر أن لألسه لا تتوقف عن التحوّن، وبالتالي محلّ
 القولب الجامدة محلّ الخيارات المُحقّرة في نهاية المطاف بانتظار
 إعادته لتجسير ولا شك في أن معاملة الفاعل في الألسه بصف
 المتعدية هي ظاهرة تركيبية نحوية، أي أنها قيد لكنها تحمل وسم
 نشاط فولي يعرّ الإنسان المحاور من خلاله، بالتأكيد على حضوره،
 عن أولوسه في الكون، ولهذا السبب بالذات يُعرّ هذ الإنسان إلى
 مبادرته ويمكن قول الشيء نفسه حول وفاته في المنزلية يظهر فيها
 نظام التصنّف للفاعلين الشريرين فالنظام في مختلف ألسه الأميركيه
 (كاللسه الألغونكويه algonquien والنافاهو Navaho) (بح)

ولأسرالية هو نفسه نظام لعبة الفرنسية في القوب «je le bats» (أنا هو صرب = أصريه)، إلا أنا لا سمح النظام نفسه في القوب «al me bat» (هو أب صرب = يصربني)، لأن أنا لم بغد يتقدم الحمنة يسما هو على رأس هرم الأقوال. إذ يكون على الإنقاء على المتولين الأولى لكن بعد إصافه وسم بشر إلى المحهون أو إلى لقلب، ويدل على أن "أنا" هو هذه امرأة معقول. يبرر تواردي وجهت لطر اثلاث (انظر الفصل التاسع) عند و صحاح إذ يقبل المعدل لأسمى في الهرمية، ولدي هو بالضرورة مستداً [وجهة النظر (٣)]، لمسند إليه [وجهة النظر (١)] أكان فعلاً أم معولاً [وجهة النظر (٢)]

بدو أحياناً مادرة الناطق، وشكل بدهني، كعامل من العوامل المحركة لتطور الألسنة وقد يستغرق ذلك فترات طويلة جداً. كما في بعض الألعاب لاصطلاحية حيث أدى الإيقاع التسريع للطور إلى تحويل لسة الصربية وحالة لغة البالو palau (في ميكرونيزيا) من الحالات الملمة، حيث أدى تغير مواقع السر لمتصل بهذا لإيقاع إلى تعبير مطي^(١٥) حصفي وقد يستغرق ذلك فترات أقصر (عن طرق تعبيرات يمكن ممارستها بالكارثة وفق معاد ر صوم R Thom^(١٦))، كحالة اللغة العبرية الإسرائيلية لني شكيب فعلاً بممكنة بالعبور من بنية مركبة على "فعل لكون être" إلى بنية مركبة على "فعل الملكية avoir" عن طريق احتداد المالك البشري وهكذا تم لاسفار من لصيغة لكلاسيكية (في لغة البورانية) lo haya -i et ha-kecef ha-daruš^(١٧)، ومعني حرفياً (بني كد لي ال -

(١٥) انظر C Hagege. *Les catégories de la langue palau / Micronésie une curiosité typologique*, op cit

(١٦) انظر R Thom *Stabilité structurelle et morphogenèse*. Reading, Mass Benjamin, 1972

(١٧) انظر H Rosén, «Quelques phénomènes d'absence et

ما ار = مطلوب = لم يكن معي المال المطلوب)، وهي بنية عربية
 تبدو فيها وسم المفعول *et*، مستعملاً بصورة طبيعية بعد فعل معتل
 وأمام الاسم الذي يحيل إلى مفعوله. فقد تمّ إبدأ التعامل مع 10-
 haya-la وكأني حق فعل "ملكية" متعلّ، على الرغم من أن بيته،
 لأن المسمى بتغير سرعة أقل من تغير المعاني، بقيت سنة فعل كون
 (haya = كان) دي مفعول شخصي مستفيد (ا = لي) إلا أن
 استعمال *et* يظهر بوضوح أن هناك عادة تحليل يؤكد احتمال
 صافي. إنه احتمال يساق المطلوب *am* (أ)، مما يجعله بنية
 فعل الملكية وبمسند مالك، تماماً كمعناه في الفرنسية «je n'avais
 pas l'argent nécessaire» إن بنية صيغة الملكية باستعمال فعل
 الملكية، مفاد البنية التي تتركز إلى فعل الكون، لا تحل في
 العرض الممدوك وإنما إلى المالك، وهو بشري في معظم الأحيان.
 تُظهر دراسة التطورات العنيفة تاريخياً، وبحث تتوقّر لوثائق أو
 لوقائع التي يمكن استعادتها بموثوقية عامة، وجود دورة صرفية
 صوتية دلالية نحوية وهي مسرّة بطنية من علم الدلالة إلى علم
 النحو، ثم من علم النحو إلى علم الصرف وإلى علم الأصوات
 الوظيفي. وما إن ستهي هذه المسيرة حتى بدأ مسيرة معاكسة بضعة
 نعتق اندوره بانتظار دورة جديدة. ونعتبر تطوّر الدعات لعملية لهجيه
 إلى لغات كربولية مثلاً رائعاً على ذلك (انظر الفصل الثاني، ص ٥٢
 - ٥٣) لقسم من كل مرحلة من مراحل الدورة

ونحمل الوقائع، هنا أيضاً، موقع اساطق الذي يعطي لسي
 طبعها البشري ونحن نتحدث مع ذلك بعظيمه وعساره مركز كل
 سلطه. إن الدراسة لتقليدية لأن المسة على ذات معاليه قد تمّ
 تجاوزها منذ أن وحد التحليل النفسي الفرويدي في اللاوعي السروي

= de presence de l'accord dans la structure de la phrase en hébreu», in *Comptes rendus du Groupe Linguistique d'Etudes Chamito-sémitiques*, t. X, 1964, p. 83 (78-84)

عتة تُربح المركز، ومنه أن مرجح لأبحاث لاجتماعية التكوينية داخلية "الأنا" بدينامية اجتماعية إن استطاع النفسي لاجتماعي حوارياً بطبعه، حتى حين لا يكون موقف لحطاب حورياً

مما حركات الكلام: الانقطاعات وازدواج المعنى

والتواطؤات التفسيرية والمخالفات التضمينية

تظهر مادرة الساطق لمسي الاجتماعي أوسع أيضاً إذا نظرت إلى ما وراء الأقسام لأكثر بدئية في المساء فهو أولاً حر في ترويع مسونات عنه فلا يعتمد لا الأسلوب نفسه ولا المفردات نفسها حين سطق بحطاب موجه لجمهور وحين سوح بصريح عاطفي أو حين يطلب الملح من حاره على مائدة لطعم ومن جهة أخرى فهو يعزّ سسمرور عن حصوره عن طريق "محالفت" سسر لاسمراريه لحطية للحصود بصوره عناصر تعيد النظر في لسي التأسيسية لأمثلة كتب انقواعد المدرسية إنها مقطّعات السلسلة الكلامية إذ تُفكّ هذه لأخيره التجاور كتجاوز لجاز والمجور [مثل sur (على)، mettons (فلمصرص)، te. ou te. pian (هذا المحطّط أو داك)، أو sans (من دون)، bien sur (بالتأكد)، intervenir (ندخ)، وتُفكّ لإدخال مصاص الفعل مع معنوه المرتبط [مثل il avait peut-être soif (هو كان ربما عطشاً ربما كان عطشاً)]، أو تؤكّد بالاستحرج و سكرر على عنصر سابق [مثل il a peur, entends-tu, peur (إله حائف، تفهم، حائف!)] أو ils ont disparu, je dis bien, disparu [نقد حصوا، أفول، اختفوا]]

تؤذي مقطّعات السلسلة الكلامية دوراً حورياً، فهي تحفّ من حدة وحد من لقيود الأساسية التي يعرف الشاط لحو.ي، ويعني به لتواقت، الذي لا يمكن تعاقبه، للطلق بالكلام ولتصميم لحصود سجمن وبمجموعات من الجمل فهي تُسهّل هذه التصميم بوصفها

عناصر استراتيجية برمي إلى تفادي تجاوز الكلمات في الحطاب، وفي الوقت نفسه تفادي صعط الرمز الذي يصفها بلا المقطع والمرة لا ينتهي دائماً من بناء جملة أو نصّ بشكل كامل في الحفظه التي تستعد للفظ بها. فالقول سبي من خلال إحقاقات واستعدادات أو من خلال استراحات متوالية بأحدتها مما قاله لوه، فيتشذّب النمط ويصحّد المشروع مع تقدّم الحطاب وتطوّره. معماره هـ فون كلايست (H. von Kleist) («أنتي الفكرة أثناء الكلام») تنطبق على حالات عدده وإن كانت غير صالحة لجميع الحالات ويصف فون كلايست في المقطع نفسه «يدعشي أن الحط عند نهاية الجملة أن المفاهيم تبدو واضحة تماماً» () ، فأنا أفرح في حطاني أصواتاً غير مترابطة وأظنّ روابط العطف والوصل وأدخل أحياناً حالات في لبّ دل رائدة وأنجا أيضاً إلى حبل أخرى لكسب الوقت اللازم لصنع فكرتي» (١٨)

وهكذا يرى أن مقطّعات السلسلة الكلامية هي من لأدوات السادة لا لإظهار لرمز، فالرمز لا يظن، وإنما لفرص درجاب عدده فهي لا تتيح وحسب تحديد صيغه النطق بإسماع صوب دنية الباطن الذي يُسمي على مسافة بينه وبين ما يقول وإنما هي أيضاً تمنحه بعض الوقت الذي يتيح له الإصغاء إلى نفسه بشكل أفضل

أ. انظر «Über die allmähliche Verfertigung der Gedanken beim Reden». 1805 dans *Sämtliche Werke*. 4. Teil. Deutsche National-Literatur vol. 50. Berlin. I & J Fonagy, «L'intonation et نقل عن Stuttgart Speeman, 878, p. 282s. , organisation du discours». *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, op cit., v p. 09, n. 37), p. 189 (16-209) بين عمله أحدي م. د ميرابو (Mirabeau) المشهور على التركيز دو درو بريري (Dreux-Brézé) في ٢٣ حزيران/يونيو ١٧٨٩ ويمكن أيضاً لمعرفة المزيد عن المسار التبعيات المعينة بالحطاب كما يدرسها الانجاعات المعاصرة، في تحليل النص، العودة إلى كتاب د. لاروش D Laroche-Bouvy *La conversation. jeux et rituels* these d'Etat déposée برفي a l'Université de Paris III

فعلى الناطق الإصغاء إلى ذاته مع بدم كلامه ونظوره وذلك لتأكيد من أن ما سبقوه يتوافق مع ما يريد قوله وعبارة الأمر هنري (Henri) في رواية *Mariages* لـ و. غومبروفيتش (W Gombrowicz) ليست بالعشبة التي تبدو عليها، إذ يقول: «لا أعلم ما عني أن أقول، لكنني سأعلم ما أن أقوله» بالإصغاء إلى ذلك، تُعطي مقطوعات سلسلة الكلام وقتاً كافياً لتطبيق القواعد الصرفية النحوية التي قد يظال التردد أمامها حتى الإنسان البالغ لكنها لا تكفي بطبيعة الحال لتجنب الأخطاء، وعلى الرغم من انحناء الذي تقدمه فإن المتكلمين يسون قواعد جديدة، مع النطق بعبارات غير سليمة وإنما مفهومة، ويظنرون الألسنة

وهناك ظاهرة تدخل في تكوين الألسنة وتُعتبر أيضاً رهاناً من رهانات حرية المتكلم، إنها اللبس أو ازدواجية المعنى هناك حالات في لسان معجمية تُشغل بالمتكلم بين محدودية المعردات والامحدودية أشياء العالم وأعراسه وقد لا يتعلو الأمر في النحو بمجرد حساسية تركيبية وإنما بحالات حقيقية من الحساسية الإحالية. فمفط سقراط في عباره «la maison de Socrate» (دار سقراط)، قد يعني المالك وقد يعني أيضاً البناء، أي من يذكر الدار في خطابه، أو من يرسل سُمه بذكر الدار وفي عبارة «la crainte de l'ennemi» (خوف الأعداء)، يمكن أن يكون العدو هو الحائف أو المحيف وقد ينطق لفظ *Anglais* (الإنجليزي) في عبارة «de marchand de drap anglais» (تاجر انقماش الإنجليزي) على النائع وعلى لقماش وهكذا فإن اللبس في كل مكان، ولا يمنع الناطق عن البلاعب في ذلك مهما كان مستوى معرفته باللسان أو قدرته على الابتعاد عنها ولدعت الميتافيزيقية موحودة في جميع الألسنة وفي كافة الأساليب

إن تفصيل موسور لـ "لسان اللسان" على حساب لسان الكلام لم يؤد وحسب إلى فصل منظومين متصامتين كان عليه الاكتفاء

بارت (R. Barthes) بعد مقطع بشر فيه إلى أن عدم السلاعة،
وبعد أن ساد قراءة قريب من لرمز، قد تقوَّص من نهاية امر
لتاسع عشر^{٢٠}

إن كان باستطاعة الساطق النفسي الاجتماعي تشفير الملتبس،
لا إرادياً أم عن قصد، فهو يسعى كمنتمع إلى الفهم، كحال المترجم
لدي عنه أن نجد موقفاً ولا ريب في أن الأمر ليس بهذه السهولة
فهل تبادل الكلمات الحدية من نفس، أي "النواصل لدجج"، هو
المقعد أم أنه فرجة من لصباء على حلقة دائمة من سوء الفهم؟ إذ
نكمس سوء الفهم في ما لم نُقل كما يكمن في ما قيل وقد يحمل أكثر
من معنى. وقد آن لأوان للسخلص من العكرة الموروثة عن مسح
صنقه من السبوية والتي ما تزال راسحة هنا وهناك ومفدها أن على
الرسالة أن تقول كل شيء، فإن لم تفعل تبقى قطعة دافئة فالرسائل
قدية للقل من سياق إلى سياق وتؤثر ترحالها في معانيها، ويحيل
بعضها إلى البعض الآخر ويوضح بعضها البعض الآخر، بصورة غير
متوقعة في معظم الأحيان، متحذيه فوري الرماد والمكان والشكوك
فقد يحمل رسائل متطابقة معاني معيَّنة، لا من منصاريه، بحسب
لساق البصيرة أو التماس في الحوار كما في الأعمال الأدبية، هو
الذي يوضح المعاني الحفية فحين الحمل إلى بعض البعص ويعطي
حوار نقطة من النقاط ما من شأنه "رفع" للنس المحيط بالحوار بضع
بعداً فده في الرمز أو بعده. أم سَنُ تشفير بصوص لظلال هذه،
وسيد حل شيفرها أيضاً، فهو الساطق النفسي الاجتماعي، عالم
ترميز المواظب والمناعب بالنس عن قصد ردة عن النس اندي
يفرصه لسانه أو الذي بعله عليه لاوعه

(٢٠) مداحه عليه يضم كتاب *Le bruissement de la langue. Essais critiques IV* Paris, Ed. Du Seuil, 1984, intr. Par F. Wahl, p. 21 (sous le titre de chapitre «Ecrire, verbe intransitif»)

ومع ذلك فالافتقار على إشكالية تدور حول الدرس حصراً قد جعلنا نرى دور الموقف في إنشاء وحدانية المعاني: إن أهلية لفهم المراسم لمختلف معاني كلمه ما ()، وبالتالي أهلية التلاعب بها عملياً، مقياس جيد للأهلية المنظمة الحادثة في التملص من الموقف^(١١) كما نرى علناً أن المحليات النعمة لمختلفة تقابل في معظم الأحيان نى مركبية بحويه متميزة لمنطوق "واحد" لا بدو ملتصقاً إلا إذا تم تناوله بصيغته المكتوبة حصراً إذ يمكن ليعود «c'est le français qu'il parle» (إنها الفرنسية التي ينطق بها)، وبحسب لتعليم، أن يعني "إنه أسلوب بطقه بالفرنسية" أو "إنه بطق بالدغة الفرنسية"، أي لا بالإنجليزية أو بالروسية إلح أما مهمة المستمع الأساسية، أحياناً وبشكل خاص وحتى وإن أعاق جهده للدرج الداحل في تكوين اللغة وعملها، فهي تمكيد المعنى الذي يتلقاه مبدئاً ويعني بحاجه الكبير في ذلك أن الدرس، وهو من المكتوبات الحتمية للغة، ليس مع ذلك سبب اللغة

بالأسسه أيضاً القدرة على إضفاء معنى وحيد على منظومات مختلفة في لشكل إذ تنجح إنتاج منظومات متعددة للمعنى الواحد هي بمثابة إعادة صياغة بالنسبة إلى بعضها البعض وتشكل بالتالي عائلة واحدة ويعود وجود أساليب متنوعة لقول الشيء نفسه إلى ظاهرة مردوخة وهي تعود إلى وفرة المترادفات المعجمية (التي لا تستبعد الجساسات اللغوية لأن الأسسه نى تاريخية وبالتالي فهي إشكالية إلى حد كبير)، كما تعود إلى وفرة التركيبات النحوية المختلفة وللمشاكله دلالية مع ذلك والحق أن نوع مراتب الكلمات والوظائف يبيح تناول موقف متشابهة بأصاليب لسانه متميزة ومعرفه لسان ما نعي، من بين حملة أشياء أخرى، القدرة على بناء حمل مختلفة من

(١٢) انظر مقال P. Bourdieu, «L'économie des échanges linguistiques». *Langue française*, n° 34, mai 1977, p. 19, n 4 (17-34).

حيث الشكل وإعطائها المعنى نفسه أو معدن فربة من بعضها، والقدرة على تحديدها فالشاهد المعبد للصباغة الذي يقوم به لناطق يدخل إذاً في مكوس أية نظرية في الدعة ويمكن ملاحظة احتمال كون إعادة لصباغة سمة ملازمة لنشاط المساني في الحوار العادي اليومي، نصبعه سؤال/ جواب على سبيل المثال كما في

«Est-ce qu'il est bien 9h 50? - Oui, il est dix heures moins dix»

(هل هي التسعة وخمسون دقيقة؟ نعم إنها الساعة لعاشرة، لآ عشر دقائق)

«Est il célibataire? - Oui, il n'est pas marié»

(هل هو عذرت؟ - نعم إنه غير متزوج)

يفتح استعلاال الناطق لمقصود تقاربت إعادة الصباغة محالاً ينمّغ بحرية سية وهنا يكمن رهن من رهانات البحث المعلوماتي في المنطق القريب والبعيد فاللس من الظواهر التي سرك شميزها إلى لسان محالاً لحرية اختيار النطق وهناك ظاهرة أخرى لها الخاصية نفسها هي الاستعادة، تكرار الصمير في الصدر، بعصر من عناصر لسو اللسان، سواء مع إحالة إلى هذا لعصر الشكلي نفسه أو إلى واقع خارج عن اللسان يشكل صدى له (قصه معبر لإحالة المشتركة اللسانية) وهناك ظاهره ثالثة من هذ النمط هي الاختزال وسيرنط، إلى حد كسر، نحاح الحواس كأجهزة باطمة بمدى قدرتها على استيعاب هذه الظواهر، وكذلك أيضاً صهره إعادة لصباغة، أي على التعامل طبيعياً مع هذه الحواض لتوويه للآلسه أما حالياً فيبدو أن لمكوبوحد، وبعد حساب الأمل انني سست بها آلاف لترجمه، نواجه هذ أيضاً تحدياً رباعياً

تعرّض المبالغة والقراءات المتعددة حقلاً محاوراً لحقل المجلس وسوء الفهم فيمكن الناطق عن غير قصد، وفي الوقت نفسه الذي يعيّن فيه المعنى بالكلمات ويجمعها في جمل في النص، أن يضمن أي أن ينقل بصورة موزونة سلسلة من المعاني تتحدث عنه وعن

باربعة وهو اجسه وانتمائه الاجتماعى فالجهد التحليلي هو وحده لقادر على الكشف عن الابدولوحيا الداحية في نكوس لكلمات ليومية لعادية، كانكشف على سبيل المثال عما وراء تعبير "سسط" مثل «mère de famille» (رثة البيت) بشير عصب ماضرات السرعة النسوية وبمكن اللاطق أيضاً أن يعرف عمداً من مجال التصمم ويكشف كلامه عن طريق نركم المعاني إذ تتصمم حمدة مثل «c'est un socialiste» (إبه، شراكي) معاني مختلف بحسب لتوجهات الافتراعية للمناطق بها ويمكن لمصادرة اللاطق أن تطل للمفردات المعجمية عن طريق ارتكاب محلفة ما نظام غير محكم الإغلاق إذ يمكن للمعاني لمتصممه، التي ترجع إلى مواقف ممكنة الحدوث، أن تندمج في المعنى الأساس وترشح بصورة تعسفات إبهأ جدي طرؤ بطور المفردات فكلمه bureau (مكتب) التي تعني عرصاً محددأ أصبحت نطلق أيضاً على أشياء محلله نوحى بها كنعرفه لي يوحد المكتب فيها أو الأشخاص المجتمعين حوله بلقيام بعمل بدري ويمكن في اللغة المدرسة الأدبية الرفيعه تطبيق تعبير «tel qu'en lui-même» (على حاله كما هو)، وهو مفتس من بيت مشهور للشاعر مالارمه (Mallarme) نتحدث فيه عن إدغار پو (Edgar Poe) الذي تحول أخيراً إلى ذاته في أندية الموت، على أني امرئ يريد أن نوحى بأن شخصيته لا تتغير

بدو خيار الأفراد أو المجموعات المعجمية أيضاً في نورة التمهيل التي تستخدم مختلف موزد لسان لكبت لمعاني والصور المرئطة بها وبموبها نوسل سحر لأسماء المورية فكثيراً ما يقال اليوم بالمدرسة longue et penible maladie (= مرض عصال) عوضاً عن cancer (السرطان)، وdemandeur d'emploi (باحث عن العمل)، عوضاً عن chômeur (عاطل عن العمل)، وأيضاً troisième âge (سن متقدم) و pays en voie de développement (بلد نام) و non voyant (عبر مصر = صرير) عوضاً عن شيخوخة وبلد متخلف وأعمى على

لتوازي^(٢٢) كما يُفان مد رمس بعد في اللغة العسكرية repli
 (انسحاب)، أو redeploiement (إعادة انتشار)، عوصاً عن fuite
 (هزيمة)، أو dérouté (اندحار) كما تستعمل عوصاً عن كنهه mort
 (موت) كلمات أخرى محققة مثل depart (رحيل)، و disparition
 (عبث) وتُطلق من القدم اسم belette (الحلوة الصغيرة) على
 الحيون (اس غرس) الذي تحشه الأرباب، كما يوجد في اللغات
 الرومانية أسماء أخرى محرفة لهذه الحيون كما في ليرسيه ويوجد
 في الثقافات الأخرى لأسلوب نفسه في طرد الفوى الشريرة باستبدال
 لكلمات المحطوره بأخرى تريبية تستشف منها ميل الداطق إلى
 لمصلحة بعد المعنى والفائمه طويلة في اللغة العربية الكلاسيكية
 حيث يقع، على سبيل المثال، على كلمات مثل سليم (معافى)،
 عقوق (حامل)، حافل (ممنلى)، للدلالة بالتسلسل على بيان لدعته
 أفعى و غرس لم تحب مد رمس وناقة صرعها حو^(٢٣)

يقع على أمثله عديدة لكلمات قديمة تدل على أعراض عربية
 دخلت اللسان بفعل الاحتكاك بين الثقافات وأصبحت مأثوفة
 واستعملت للدلالة عليها، بمدرة من الداطقين، ثم تظهر كلمه جديده
 أو بضاف إلى القديمة بعد فستعمل لابتداع اسم للعرض المحلي
 وهكذا يكون الداطق قد قاذ كلمه غير موسومة (أي شائع مع الشيوخ
 الشافى للعرض الذي تدل عليه) إلى معنى جديد فتصح الكلمة أولاً
 موسومة، ثم لا تدل بسب شيوع العرض الجديد الذي تدل عليه أن
 تنتقل إلى مكانه الكلمة غير الموسومة (مقابل الكلمة التي سم اختياره
 لتطلى على عرض الذي أصبح في موقع ثانوي) ولأمثله كثيرة
 على عمله وب لوسم هذه فهي لغة الهواستيك (huastec)، وهي

(٢٢) في اللغة الألمانية مثال معروف هو Entsorgungspark (بمعنى الكلمة حرفياً "مرآب النجس
 من المهم") أي "مصنع معالجة النفايات البرويه

(٢٣) عر D. Cohen «Adāḍ et ambiguïté linguistique en arabe», op. cit., p. 15

لغة لشعب المايا في شمال المكسيك^(٢٤)، بدأت تُستعمل كلمة bicim (أين) عبر الموسومة للدلالة على الحصان، وكان عندما أدخله الإنسان غير معروف بعد. أما اليوم فالكلمة الموسومة التي تدلّ على الأتل هي ic'a.ma وتعني حرفياً "دا الفرس". وهناك دلائل على أمثلة مشابهة في لغة السافاهو (Navaho) (في أريزونا) وفي لغة الكيوا (kowa) (في أوكلاهوما) وفي لاسكيمو، وفي ما مضى في العديد من اللغات الأوروبية.

الابتكار الفردي، اللغة الشعرية

يُمكننا وضع لغات الهلوسة، وهي ابتكار هيداني للألسنة (انظر الفصل الخامس، ص ١٣٧، عند المستوى الفردي الذي لا إجماع فيه وتتميز هذه الحالة مبدئياً عن طواهر إعداده الاسكار "الإعجارية" للألسنة موحودة مجهولة إلا أن معجزة عيد انعصرة كانت مناسبة لظهور تأويلين على الأقل^(٢٥) فيما أن تكون الأرامنة، وهي لغة الرسل، مفهومة عند جميع المؤمنين على الرغم من اختلاف أممهم، وإما أن تكون الرسل قد تكلموا لغة عالميه ما شفاقة وواضحة للجميع ويعتبر ما نوحى به تلك الحالات المنعيره في عدة اسكار ألسنة مجهولة من دوافع مسددة لغة الهلوسة. يد بحلم الجميع بلسان كسان آدم الأولى، بلسان ما قبل نابل، كنوع من الحين إلى فردوس مفقود وبالتالي فعلى الرغم من أن لغات الهلوسة تلك فردية ومرصية وقتياً، فهي تُذكر بكونه بأحد أقدم لأحلام البشرية (انظر ص ١٦٤ - ١٦٧) أي هدم حذر العسا للولوح في ذلك المجاز الذي يعنى سحره من وهم كونه يعوق الوصف ومن شأن هذا الحجم أن يدفع نزوة ما يمكن بيانها، وهي تشق لنفسها أقبية مسرّعه، إلى تجاوز

(٢٤) R. Witkowski & C. H. Brown, «Marking Reversals and Cultural Importance», *Language*, 59, 3, 1983, p. 572 (569-582).

(٢٥) M. Yaguello, *Les fous du langage*, op. cit. p. 3. انظر

حدودها فمواجهة المصائب بمصنوع الشخصية لنفسه والمحاكمات
اندھسه الحارحة عن السيطرة والتحديات العائنه لمعانيه، تنمي
جميعها إلى المقول مثلها مثل أكثر الحطانات عقلانية وأكثر النصوص
قابليه لتحليل فالباطن النفسي الاجتماعي لا يستطع الرّدّد ودحال
مقطعات السلسلة الكلامية والاستدراك ومراكمه الانقطاعات أو رلات
اللسان وحسب، بل يمكنه أيضاً انتهاك التركيب النحوي، في بعض
النقاط على الأقل، طالما أن هذا الانتهاك لا يحل بالمعنى

وهناك أيضاً حمل آخر معترج أمام رعة الباطن الباحث عن
لهروب من محس حطية الدليل ولطوق وحل هذه الإبداعات،
وهي استعارات أدبية لأفراد موهوبين، كحال دعاء لهلوسة التي لا
تصادق عليها الجماعة. ونحدث هنا عن الكلمات المركبة mots
valises^(٢٦)، وهي ترجمة لعبير port-manteau-word التي تدعها
ن كارول (L. Carroll) ويسمّيها لبعض الأحر الكلمات لهماجية
mots sauvages^(٢٧)، مشيراً بذلك إلى معانها الرائع، ومعظمها
استعارات لكتاب يتسوّون بتفكيك استمراريه الأصوات عن طريق تركيب
أو صعد كلمتين مشتركين بمقطع واحد أو أكثر في كلمة واحدة مثل
deliviciouse, coitcratlon, canaillarchie, bourreaucratie,
mélancornique, mecontemporain, hérésistance, etudiamante,
cosmopolisson, romansonge, prévoimcateur, melomanaque
(موران Morand)، وéléphantaisiste وennuiversel (لافورغ
Laforgue)، وnauséabondance (أودبيري Audiberti)،
ونostalgie (مونترلان Montherlant)، وpatrouillotisme (رامبو

(٢٦) راجع، من بين الدراسات الحديثة عن هذه الإبداعات الرائجة عند بعض تلاميذ لكان (Lacan)

من بين غيرهم دراسة أ. غريسون A. Grosillon, «Mi-fugue mi-raison. Dévaliser
des mots valises», DRLA, (Université de Paris VIII), no. 29 1983, p. 83.

107 بعض الأمثلة الواردة هنا مقبولة عن هذا المجال

(٢٧) انظر M. Rhems, Dictionnaire des mots sauvages. Paris, Larousse, 1969

(Rimbaud)، وridicoculiser (ر. رومان E. Rostand) ووجد في اللغة الألمانية، على سبيل المثال، كلمة Hakenkreuzotter، وهي مركبة من Hakenkreuz (الصليب المعقوف) + Kreuzotter (أفعى) وتُظهر جميع هذه الأمثلة على التصميمات الإيديولوجية والشخصية التي توظف في هذه الكلمات الخلاقية والتي تشعبها بالمعلومات سحوبها إلى ما يعاد المصنوعات السابقة وبعض هذه الإبداعات محصورة لعدة حطبة تحمل هي لأخرى مصامير متفاوتة في درجة تحريكها مثل constipation (constipation إمساك + passion شغف)، ensaignment (enseignement تعليم + saignement برف)، sangsuel (sang دم + sensuel شبع)، effervescence (effervescence فوران + essence بريس)، fainéantise (fainéantise كسل + hantise وسوس)، Alb'atroce (albatros طائر القطرس + atroce شيع)، serphonie (symphonie سمفونية + sein ثدي) لكن حتى أكثر الكلمات الهمجية عرامة لا يمكنها حرق النظام كسما انفق فيها شجرة ثلاثية فعلى أحد المكوس على الأقل أن يحضر لفائدة لا متدد الحطبي، كما تسمى كل كلمة مركبة بالضرورة إلى فئة من فئات الكلمات التي يعترف بها اللسان

وتوجد في جميع الثقافات ألعيت قلب المفطع (أو عند الاقتضاء قلب لعممة أو السرقة) أو إبحام مقاطع متعلقة أو المكرر والاستعادة، وأساليب أخرى عديدة في التلاعب باللسان، ويعرف بعضها (في تركيا وسرديا وغرويلاندا) مصادرات كلامية تمنح جائزة لأبرع المتلاعبين باللسان. شهد إدا مخلف أنواع الاسكارات الكلامية وانتوريات الحساسية ومصادر ابتداء كلمات جديدة لعبية لعبية وإحصاء لذات بالظهور بمظهر صاحب الدهن المرفف وبالخصوه لمتوحاه، كل هذا شهد إدا بمدى اساع حقل الاسكر الممتوح أمام الناطقين لأفراد في موطن الأعراف للعبوية المتحخر في طاهره

لا مكفي حدسُ الانتعاد عن العيود لمتدد لتعير شاط نووي
حر ملارم مند الأرب لإسار انحرار فلا شك في أن الشاط
الشعري جزء من الرعة في السطرة على للعة عن طريق هدم
قواسمها لكنه أكثر من ذلك بكثير وإحدى وسائله تكمن في إقامة
صلات مشتركة بين الأصوات عن طريق العويو ولتحاسن لصوتي
وتمائلات الأورد اشعرية إبح وهكد بشر لمعى بدلاً من
أن يتركز في الكلمات ويفترج النوارى وللمروحة وجود قرنه م
بين لمعاني حلف قرانه لأصوات إلا أن النوري ليس لشعر كله
حلافاً لما يقال، إذ يمدك التفاوت أيضاً وسائل أخرى من خلال
نوع الألسه وتتعاون جميع هذه الوسائل على بناء معنى القصيدة
عن طريق تمائل الأشكال، وتحدور آلية التدايعيات بين المعنى
والصوت التي يفرصها للسار ولحق أن لا عانة للصوت سوى
دانه، وحتى فصائد أحرأ الشعراء تسلك الطريق التي تحدث عنها
أأرنو (A. Artaud) «كأن لغة حقيقية هي غير قلبه للمهم» غير
أن هذه افكره نكد تلغ حد الاستلاب فحتى الرعة في تحطيم
وحدة لدليل بالنحني عما هو قبل لتوصيل لمحاولة الولوح في
حقن إعوانه، أي في النعه للصوبه النحنة، لا تسمح للباطو
بالمخلص بشكل كامل من استدد برعة لدليل فالشعر ليس
انموسيقى، على الرغم مما بينهما من تقارب فهي أعمال ل
بيريو (L. Berio) وكا پنديرمكي (K. Penderecki) وح كرومب (J.
Crumb) الموسيقية، يوجد مقاطع أو كلمات كاملة من بعض الألسه
مدموكة في المقطوعات لموسيقية، ستخدمت لحواضها كماده
صوتية نحنة وتم ربطها، على هذا لأساس، بالآلات الموسيقية
لكلاسيكية وتجارب مسوعة كحرف فوس لكمان على أكراب من
الكريستال وكالصون والصووح إبح لكن الموسيقى ليست
برسيمة معردة في التواصل ويمير الباطو النمسي الاجتماعي
بعبوله، لمستسلم أو لفاعل، يحاتم المجتمع لدي يشكل الاصطلاح

السيميائي فيه، وبعد بداية الحياة، أول تذبذباته وأشدّها صرامه
ومع ذلك فمن المعتقد استباح أن أحد أكثر منظري هذا القرن،
أي موسور بذاته، قاد سعيه في اتجاهين متعارضين، اتجاه الاعتناوية
الاجتماعية واتجاه تحطيمها. فهذا الذي يُدَوَّن عمله في الفصل النظري
ارتباط الدال والمدلول الوثيق، أمضى مع ذلك السنين الأخيرة من
حياته في أبحاث عيده (بداها، في الحقيقة، قبل ذلك بكثير في الفترة
التي كان يلقي فيها محاضراته) حول تماثل الأصوات في الشعر
اللاتيني والشعر اليوناني وكان موسور يعتبر هذا البحث غير
المشهور، ويُعرف اليوم باسم الحساسات التصحيحية ودرس أيضاً فيه
لشدود الحوي، غير كافٍ إذ استولت عليه الشكوك نفسها التي حالت
دون نشره لمحاضراته. لقد اعسر موسور بحثه هذا غير كافٍ لعدم
وفوعه على ما من شأنه، من وجهة نظره، جعل عرصه جراً ومع
ذلك فهو يُظهر بوضوح دور الأصوات كمكوّن مستقل في الشعر
بسب ما تبطله أسات شعر الحزن والكآبة من صلات بين نفس
الصوائب ونفس الصوامت، وهي صلات تتمسّ بالتكرارات انشائية
وبالحساسات التصحيحية التي تحمي أسماء شعوب داخل المسيح
الشعري وهكذا يشأ بض حسبي كمل، مستقلّ تماماً عن فود
لحظة، حققت عاليم موسور ميزته بمثابة معلّمة على مدى أجيال

الناطق و"وظائف" اللغة

بصفتي الساؤل حول وظائف اللغة، عبد أولئك الذين يكتفون
باعبار اللغة ملكة بشرية، تصوّرها بصورة محترلة واعبارها مجرد
أداة ولكن عدم اعتبار اللغة "أداة في سبيل" شيء ما، لا يقوّب
عليه لاسه إلى استعمالها وإلى الفائدة التي يحيها الجنس البشري
مها. فيشكالية وظائف اللغة ليست عديمة الحدود، شرط تربيتها
هرمياً وإظهار العلاقات النصيبية التي تربطها ببعضها البعض

يرى كل من أن اللغة تميد لتواصل فأدلة اللسان لواحد
 مشتركة بين جميع مستخدميه ولقد ظهرت بوضوح لفائدة
 الاستكشافية والمهجية لتصور اللغة، والألسنة التي تدعى من خلالها،
 كأداة تتواصل في السعي لبيوتى المظننى على التطور «تعاينى وعلى
 لتقنيات انترمية مد ثلاثيات هذه لقرن^(٢٨) إلا أنه من المناسب
 الاحتراز من وجهات النظر لمحتربة فالعاصر الحوارى لا يعنى
 مجرد نقل معلومة حيث إن لخطاب، وفيه تتجند الألسنة، يعنى
 نادى دي نداء نادلاً ينحكم في هرمية للمعلومة مرته بحسب الأهمية،
 وتتجاوز مجرد نقل الرسائل ثم إن توصيل هذه الرسائل يعنى أن
 لديها م بوضعه، وهو يسر ساح مجرد عمله فتطوع عنه من لعالم
 والحدث فالألسنة نمدح في النطق بما هو فاس للتفكير، تشكلها
 احياة الاجتماعية، ونعصر هذه النمدح نمتد تأمل قادر على تنظيم
 العالم وتنم هذه التجربة دفعه واحده، إلا أنها تتركب هرمياً بصورة
 حطه على امتداد الخطاب وهذه العملية، وبصورة حدلية، هي أثر
 لمكر، وهي أيضاً داك لدي يعديه في إن معاً والألسنة مباح في
 التحليل وفي الوقت نفسه عومل جوهرية في بناء الشخصية، عند
 «مرد وممد ولادته كما عند «حسن الشري عبر تاريخه

إن ما شكل المكر المَحَل هو ضرورة بقطع الحدث في
 كمات، هي معاً حاملة لمعنى وقابلة للنطق بواسطة «الجهاز الصوتي
 الشري وأيضاً قابلة للالتقاط بواسطة «الجهاز السمعي، أي عبارة
 أخرى شكله الرابط الذي لا يفضم عراء بين المعنى والأصوات د حل
 السنوك «جورى فالجس الشري استعمل لعابب لغويه أعصاء
 تُقطع المادة انسابه (تتوخه في الأسس إلى عديت حيويه منميرة عن
 التوصل كالطعام والنفس إلح)، قام شديدها خلال فترة طويله
 من التطور، بذلك فقد حلل البشر التمثل للسامي للعالم إلى وحدات

(٢٨) C Hagege, & A G Haudricourt, *La phonologie panchronique* op. cit

يمكن عزلها، أي إلى كلمات، بينما يقدم العالم نفسه لإدراكنا الحسني بصورة تركب موحّد لا كسلسلة من الأجزاء غير أن شدة الجهد الصوتي وكافة لأعضاء الواقع بجوار منطقة القشرة الدماغية يرتبط نفسه جدلياً بتكيف الحس، البشري المتنامي مع لأوساط لبيئة المحيطة به وبالتالي سواء الشخصيات لإصابته فاللغة هي صمم سابق لجماعة، منهج في الفكر وتتاح للفكر بالمعنى العام في ان واحد ولربما ولذات اللغة لخدمة عذب عمدة ومعان مشتركة، لكنها حسّت الجس، البشري وفي الوقت نفسه تحسّت بفصله ومن المثير ندعوت حقاً قدرة اللغة على ترجمة ثبات الفكر والمشاعر لفريده، إن لم يكن على تشكيلها إلى حد كبير

للغة إذاً منهج في النطق ومركز للقدرة المعرفية، على الرغم من بديهية عدم ملاءمتها من وجهة نظر لمطلق ومن استعابها لحالات متناقضة من المعرفة بصورة فوضوية ومتقطعة تاريخياً. يبقى كل عرص غير قابل للتسمية، أو غير قابل للاستيعاب داخل جملة لغوية تحدّده، خارج المعرفة العقلانية وعبرها ما عدا الحدسيه منها. رد على ذلك أن اللغة لا تمتلك تلك القدرة على الخلق الحقيقي التي تصفها عليها أسرار القديم للكلام الماطر للعالم (فالأسنة تتيح الكلام عن غير الوجود من دون القدرة على خلفه، إذ هي تنقش الكذب)، وإنما هي تمتلك قدره على إعادة تكرار العالم بتسيفه وفي المقولات الفلسفية وهي تمنح بحاصه، من خلال نشاط الحوارية، قدرة على التفاعل إذ بفعل لفظي النفسي لاجتماعي أو بفعل، حتى عندما لا يفهم الآخر سؤال أو طلب فالحطاط يفهم لحيّة أو بدحض أو يسعى إلى الإقناع ومن هنا فإن للغة أداة سلطة في يد أولئك الذين عايتهم التحريض على الفعل وعالم ما يعلم المرأة لسان الآخر للتعاظم معه، وعالم ما يفعل ذلك أيضاً لا يمتلك سلطة سياسيه أو دسليه عليه ومع ذلك لا معدو ذلك الاستعمال

السلطوي للسان أن يكون حانة خاصة، هي بمثابة انحراف، بوظيفته
بفاعله شبه طموسية^(٢٩) هي مصدر بواطز يربط بين اساطيف في
الحوار وينجاور سوء انهمم الحتمي أو المنحصر. وهذا يكون الحوار
شرط إمكانية فهم علاقه اجتماعيه، سواء بسببه، لشكلي أو بكافة
المكونات غير الشكلية التي تحيط به، بما فيها لصمت

وبما أن اللغة مؤسسة العلاقات، ولذا هو يعطي أثناء استخدامهما
شئ من نفسه. وبذلك تكون اللغة طريقاً مسمياً للتعبير عن نفسه،
لأن لألسه توافيق بين لإجراءات المعرفة والصور البروية. والتعبير
مستطاني في بهيه المطاف، وبذلك يستعمله العلاج الحديثي
النسي. أما لطرق لأخرى، من الفن بصورة كلية إلى مجرد النظره،
فلا مكفي ولا يوحد إجماع حول تأويلها. ومع ذلك يصح لقول بأن
بقد النعة، بوصفها أداة غير ملائمة يحصرها عدم كفايتها ما دور
التعبير لدقيق عن المشاعر المرهفة، هو موضوع يتكرر في الأدب،
وبخاصة في الشعر. إذ تعجز الألسه عن أن تعكس بدقة ما تُسقى
أحياناً ر "لواعج النفس". ومع ذلك فمن المناسب تمييز مستويات
من التعبير. فصحيح أن المستوى الأعلى يتعلق بالتعبير عن المشاعر،
لكن لغة العلوم، وبخاصة تلك لمسماة بالندفقه، هي بالضرورة
ملائمة لموضوعها المحدد دوماً بدقة بالغة. إذ يرفع الخطأ العلمي
إلى سبيل المبالغة، أو على الأقل يُفعلُ منها (لأنها لا تعب عنه
تدماً في واقع الأمر^(٣٠))، وهو يتوافق مع تعبير عن انقلا للعبس
وعن التحريبي. فشكالات الكلام. دأ لسب دائماً شديدة الخطورة،
بدور خطورها مع إرديد انشحة لعاطفية. لا أن حرراً على لأقل

(٢٩) راجع أعمال غصاة ال Collège invisible، وبخاصة G Bateson. *Vers une écologie de l'esprit*, trad. fr (éd. amér. 1972), deux vol., Paris. Ed. du Seuil. 1977 et 1980.

(٣٠) انظر C. Kerbrat-Orecchioni. *La connotation* Lyon, Presses Universitaires de Lyon, 1977.

يبقى قابلاً للتعبير، ولا تكفي أهمية الجرم غير القابل للتعبير بلشت
بوظيفته التعبيرية لبعده

والبعده، هي علاقتها بهذه الوظيفة، مرآة للحيال البشري
والاجتماعي فهي تعكس، على كافة المستويات، مزارع الدواب
المكلمة - الرعة وتلبي اللغة أحياناً حاجة أخرى محدّدة، الحس
الشعري من خلالها أيضاً إليها اللعب ويعبّر الابتكار والمشاط
الشعري (انظر ص ٣٣٩ وما بعدها) أعلى تدبّيات تلك الحاجة إعداداً
ونكوساً ولا شك في أن الشعر هو أكثر بكثير من مجرد تسليّة
مخاطبة، فالحاجة إليه تسع من أعماق الكيان الإنساني إلا أن
الرابط بين الشعر واللعب، على الأقل في بعض أشكال النشاط
الشعري، يبقى جوهرياً ويشهد على ذلك فصل بأكمله من الكتاب
لمهمّ الح هيرينغا (J Huizinga) وعنوانه *Homo ludens* (الإنسان
اللاعب) (١٩٣٨) من خلال ثقافات مسوّعة بعنّة من العالم
الإسكندنافي إلى أوقيانوسيا مروراً ببلاد الإسلام وإليانان وإلخ
حيوان لا يلعب وحسب، بل يعرف كيف يلعب لا بل وأكثر من
ذلك إن لديه موهبة اللعب وحاجته إليه وفق عائيه لعنه موري
العائبات لأخرى وتسقّل عنها يد توجد معاص عربره، التماسل
والأكل والحاجة إلى مأوى عرائر أخرى غير واجبة، ومع ذلك
حيوية عند مستوياتها، كالإثارة الحسية وفر الطمح وجمالية الهندسة
المعمارية كما نوجد مقبل الحاجة إلى التعبير، ومن الطمول
المسكرة، رعه شديدة في اللاعب بالكلمات فكيف لا يلعب الإنسان
بتلك الأهلية التي تميّزه عن بقية الكائنات الحيّة؟ يد يتجاهل مأخذ
"الكلام المزارع" تلك الرعة في السكّن لعبة أخرى عبر الصور
ويمكن للحظات الحالي من المصموم أن يكون لعبة تحدّ ذاته، كلعبة
في يد الطفل ولا يشكو جميع الكتاب من عقوق اللعبة أمام الرعة
بل على العكس، إذ نحب بعض مستكشفي القابل لدقون، من رابليه
(Rabelais) إلى ج بيريك (G Percc)، اللعبة لأفحاحها ولا بكف

انتهاجهم عن شق دروب جديدة فيها

هالك حيط يربط بين كافة هذه الممارع فما يصهر في كل
مسجم جميع هذه "الوظائف" المتنوعة في ظاهرها هو كون النعة
تسح معنى فهي مودح مولد لنصوص قاندة للتأويل ومع ذلك من
الأفضل أن نحترق من أوهام منطق لارموني وعرف اجتماعي للمعنى
ولحق أن ما "يكشف عنه" هذا المنطق هو المصفايات المسطقة
للفكر العربي، على اعتد أنه لا يستعير مادته إلا من ألسنة العرب
فإذا ما أراد السمي إلى المعنى نفسه أن يكون حصاً لعدم الإنسان
فمن يكون له ذلك إلا شرط اتوفيق بين البحث الضروري عن
الثوات، التي من شأنها تأسيس نظرية للغة، وعابه أنروبولوجية ذات
ركائر ثلاث هي التمثلات اللسانية، المحتمة باختلاف الثقافات،
والممارسات الاجتماعية التي يتم لتعير عنها نالسان، والخطابات
الواقعية التي يتحل فيها الحطات التحليلي الخاص بكل مجموعة
شربه. يد يسعى حساب المعنى إلى تقويم هذه المشاركة المردوحة
لتنوع وللتوات

حساب المعنى

المعنى إنه حقاً، الهاجس الذي تصطع به أية نظرية لسانية أو
سكنه فهو التحدي الذي يصعه اللسان أمام أولئك المحتصر
تحليلها، وإخراج الدائم لدي يعرض انكسارات العلمية في الوقت
بدي تعرض فيه التجربة لسيطة بقوة وقعه المستددة. إلا أن
اللسانيات، مروحتها عند هذه العتة، لا تعرف بعد كيف تعطي هذا
لشيز العاصر من الحذس ليومي والمعرفة العقلانية. فقد استعجل
العديد من الجيل لتجنب الحوص في المعنى بالانصر على لشكل،
كما فعلت السوية الأميركية في الخمسينيات^(٣١) وبا برداة العتة

(٣١) رجع بشكل خاص M. Joss, *Readings in Linguistics*. op. cit

«هل نمت هناك طرق لم تستعمل لجاهل لمعنى أو لاستعادة؟ ما من حدود، فرأس المبدور، ذلك هو دوماً في قلب الناس يسحر كل من بتأمله»^(٣٢) ولا مجال هنا للإفلات من هذه النظرة المحذقة على الرغم من محاطر المحذقة بل على العكس بحيث تتساقط حول العمليات التي يقوم عليها واحد من أكثر ألعاز اللعبة، ثدرة بحبرة يد يستطيع لاطق النفسي الاجتماعي أن يكون ما يشاء تقريباً، مع أن مآله لدعه وقوانين تنظيمها معروضة عليه مد يدانة تعلمها

إن العمليات التي يسجرها الناطق النفسي الاجتماعي لإبراح المعنى وتأويله معقده وغير معروفه بصورة جتدة فمع أن الألسنة تتميز بسوعها المودجتي الكبير (انظر الفصل الثالث)، إلا أنها شريك في جراء إنتاج المعنى وتلقفه ولا شك في أن فسماً من العمليات التي يسيطر من خلالها المعنى يرتبط باللاوعي، وبالتالي يفنى معناه على التحليل المباشر ومن جهة أخرى، فمن السابق لأوانه اليوم أن يعرف «الآثار العصبية» لهذه العمليات غير أنه من الممكن اقتراح حساب للمعنى بعماد وجهة نظر المستمع ففهم حمل نص ما يعني تطبيق سلسلة من العمليات لدوره على سلسلة منتظمة من المكونات كما تبدو في جدول مناطق المعنى وصيغته (انظر أعلاه، ص ٢٨٥)

إن تلك لعمليات دورية لأنه ما أن نسمح إحدى المكونات معناه حتى يعاود لعمده على المكون التالي بمعانيه ما يركبه العملية السابقة من غير تأويل، وهكذا على التوالي حتى المكون الأخير وهو لتربيب الذي يعطيه الجدول فالعمليات المصنفة على المصنفة (أ) من معنى نص ما تعين إداً، وعلى التوالي، المسند إليه المعاد ساؤه ومذلول الأدله ودلالة التركيب السحوي والمتوالية والساق الصنوي والسباق لو سع وتتعلق تلك الدورات العملياتية بمنطقة المعنى ويقابلها، كما

(٣٢) E. Benveniste. «Les niveaux de l'analyse linguistique». 1964, repr dans *Problèmes de linguistique générale* op cit., p 26 (1.9-13)

سدّكر، الآثارُ الشكّيةُ التي يمكن الاستدلالُ عليها، وهي وحدها التي
تتصلُ باللسانيات عند بعض المدرّس لسبويه أما البقية التي نطل
بعد تطبيق آخر العمليات على المنطقه (أ) فيجب أن تُعبر بدورها
بأن يدرك أن تسهّل عملية الفهم مكونات المنطقه (أ) فقط. فمكونات
المنطقه (ب) تنحصرُ إذاً بعد ذلك لعمليات تأويلية منطّمة وتعبير
تلك لعمليات دورياً، وفق مؤشّرات جدول مناطق المعنى، الأهمية
الثقافية و لافتراضات المسقة و لظروف المحددة ودرجه المعرفة بين
الناطقين والمكانة الاجتماعية لسانه، وأخيراً لظروف الاقتصادية
و لسانه (انظر ص ٢٨٥)

سدو أن بالإمكان تقديم دليل غير مباشر على الواقع انطواهري
لهذه العمليات التي هي ليست مجرد اصطلاح نظري افتراضي لعمليات
لفهم الطبيعية. إذ تُظهر الملاحظة اليومية لتضادلات الكلامية، في
حالات أحطاء التأويل واللسان وصعوبة التوصل، نظاماً في
الأولويات. فحقيقة الرسائل هي التي تُدرك أولاً، أي ذلك الجزء من
معناها المرتكر على مكونات المنطقه (أ)، على الأقل في الحالات
التي تكفي فيها هذه المكونات لإعاده بناء معنى فمن المعروف أن
لنوصف عن بُعد، عن طريق الهاتف على سبيل المثال، يُلعب بعضاً
من العوامل التي تدخل في مكونات المنطقه (ب)، وهي عموماً
حارجية بالنسبة إلى مسح الخطوط، لكنه لا بدعي تلك التي تنتمي
إلى المنطقه (أ) كما يمكن، بالإضافة إلى ذلك، صياغة فرضية لسان
بالإمكان، في الحالة الزمنية للبحث، لتحقيق منها تحريماً إلا أنه قد
نتمّ لتحقيق منها يوماً ما. إذ لا شك في أن "الآثار العصبية" لا
تتوافق مع الإجراء التأويلية الدورية وحسب، بل أيضاً مع تسلسل
نصفيها. فعلى الرغم من أنه لا يمكن لتسلسلها، بطراً لأسية الفهم في
معظم الأحيان، أن يسقط في فضاء رمزي قابل لقياس بصوره آلية
فهو يتم وفق مجربات خاصة بالمشطاط القائمة على أليات عصبية،
نقترح سميها هنا "الرمية لعملاية"

قد لا يستطيع سوى اعتماد مثل هذه الرسمية كإطار فمصر
الواضح أنها تحصر لآليات دماغية، وأن هناك حتمية ما في العمدت
التي تنطق على مبادئ المعنى أما إذا امتدّت طويلاً استحوذت
بحدود هذه الآليات وربما سيكون علينا عند القول مؤقلاً بأن حرية
المادى أكثر مما نتخيل ولا شك في أن الحالة الحسنة والعقيدة
للشركاء في الكلام، بالإضافة إلى تنوع الحالات، تخرج عن نطاق
السيطرة إلا أن لكل فرد طريقته الخاصة في تلقي نص ما إذ تظهر
المجارات التي تدرسها السلاعة الكلاسيكية بوصفها ماضى الشك
ولغة لا عدال في الكلام اللذين يهيمنان على أي نادل كلامي كما
يمكن للمرء أن يختار الاقتصاص في القول للإحياء بما هو أكثر (محار
الإيجار) والاستعظام بصيغة الاستنتاج والإيجار بصيغة الدعوى وقد لا
يرغب المتلقي الذي يحل الشبهة إلا في فهم حرفية هذه الصياغات
حتى وإن لم يكن أقل بقييداً من المنكلم تجاه تزيينات المعنى
ورلات اللسان المختلفة وحالات سوء الفهم واردة المعنى التي
هي، مثلها مثل النطق "الواضح"، سيج الحوار

بهذا السب فإن معاية الأفراد داخل حالة الحوار تتيح لنا قرّ
اللسان بالكلام، وهي مصالحة لا تنجح النظريات اللسانية في القيام
بها ويمكن بالنسبة أن يتمهد أمامنا طريق جديد للإفلات من
الإشكال الذي تواجهه علوم اللغة إذ يصح بالإمكان تعادي
المسائل التورية لسيولة متمسكة بشكل أعمى بنظام اللسان،
كمسائل المسطق التوسيعي الذي لا يأخذ سوى بالوظيفة الطبيعية
كما نتخلص أيضاً من الافتتان بالكلام الغرضي، وهو افتتان يحل
التره العينة للسان التي يستمد منها هذا الكلام أسس وجوده ذلكم
أحد أهم الروايات الجوهرية التي توضحها اللسانيات اليوم

الفصل العاوي عشر

تأرجح الكلام

الزمن اللساني والزمن الاجتماعي

يظهر لنا طوق، من خلال ما سبق كمبدع، لنظام اللسان، الذي يسمح كلاً له الحياة فيه، وكألعونة في أن معاً ويعني شك الحياة في نظام اللسان دافع التغيير الذي لا يقوّم فالتعبير من مكوثات تعريف العامل اللساني والعامل الاجتماعي معاً لكن عليا عدم اتّباع هاجس طموح ميبه (Meillet)، في بداية هذا القرن، الرامي إلى انكشاف الشامل عن أوجه المماثل بين اللساني واللساني والاجتماعية ولتمثيل بين اعتبارات السى في كل من هذين المجالين وعلى الإشكالية القديمة والحديثة للعلاقة بين اللسان والمجتمع أن نجد لنفسها موضوعات أخرى والعناصر المكوّنة لهذين المجالين لا علاقة لها تقرباً بعضها البعض، كما وأن إيماعات لتطوّر فيهما تحذف شكل كامل وسقّام مثلاً بين ذلك

هناك تشديد قديم، خاصة في البلاد الناطقة بالإنجليزية والفرنسية، مفاده أن اللسان يعكس تفوق المُدكّر أما الحركة النسوية فتستشهد بمصوح مثل هذا النص الذي يعود إلى أكثر من ثمانين عاماً حلت ويحمل مع ذلك طابع الحداثة «إن تأييد مرداب لسان أهم من إصلاح نظام صسط الكتابة، برأي لحركة النسوية» ود لا توجد ليوم كلمات تُعترّ عن الصفات التي تمنحها بعض الحقوق للمرأة فلا مدري ما إذا كان عينا أن يقول une témoin (شهدة)، une electrice أم une electrice (ساحنة)، une avocat أم une avocate

(محاميه)^(١) كما يُستشهد أيضاً بهذا، المصطلح المفتوح من داموريت (Damourette) وبيشون Pichon والذي يعود إلى الثلاثينيات في
على السهولة التي تصبح فيها اللغة الفرنسية المؤنث للتمييز، وذلك
سواء بتغيير داخلية للكلمة أو بلاصقه تُحقّق بها، أن ندفع النساء ممن
بمارشس مهياً كانت حتى فترة قريبة حكراً على الرجال إلى مجيب
جهودهن لجديرة بالتقدير مهرة اعتماد سميات مُذكّرة مثيرة للعرف
وللسحرية تال، في آن معاً، من عنفربة اللسان ومن أسط المصون
العظربة للشريفة ألا نجد ساء بصغر على بطاقاتهن Maître Gisele
Martin, avocat (المحامي جبريل مارتان) أو يتلقّين بريدهن على
العمود التالي Mademoiselle le Docteur Louise Renaudier (الآنسة
الدكتور لوس رينوديه)؟ إن الحقن الشعبي السليم يقوّم حتى الآن
التسميات المطبوعة، إذ يُقال une avocate (محامية) وune doctoresse
(طبيبة) لكن تُحشى أن يؤدّي عاذ المعينات بالأمر إلى حسارة هذه
المصيبة () أفلا يُدرك أن تمسّكهن لعبيد بالصيغة لمدكرة
لمهنتهن بجانب لقبهن المؤنث Madame (السيدة) أو Mademoiselle
(الآنسة) يعني، من وجهة النظر الاجتماعية، () أنهن يُنادى
بهذه لشاعات، وأن من الطبيعي، في مجتمع يرى ممارسهن لمهنة
المحاماة والعلّ والكنانة من لأمر العادّة، أن يكون للنساء ممن
يمارشن تلك المهن تسميات مؤنثة كتلك التي تُطلق على من يعملن
في مهنة التطريز brodeuses (مطرّزة) أو في صناعه السيجار
cigarières (صانعة السيجار)^(٢)

لبست الأمور بالساطة التي تروحي بها هذه البصوص فليس
صحيحاً، من جهة، أن القاعده الفرنسية اليوم (في لثمانينات كما في

١. انظر R. de Gourmont. *Le problème du style* Paris. Mercure de France. 1902. p 34

٢. انظر J. Damourette & E. Pichon, *Des mots à la pensée*, Paris. D'Arthey 9 1 1927, t. I, 277 (p. 120-121).

لثلاثيات) يصيغ المؤنث بمثل هذه السهولة ولا شك في أن الأمر
يهدف تماماً في الفرنسية المحكته وهي أقل مبدأ بالمحظورات
الأكاديمية وبالتالي ما تزال وفيه للتقليد ما قبل انكلاميكى، «إد فصل
العمل العقم للمتحدثين اللسان المكتوب []» وأوقف «بطلاقة
الأدب وبالتالي الامتداد السوي لصنع طبيعية ومصدرة»^(٣) إلا أن
صرامة اللغة الفرنسية الرسمية تجعل اشتقاق الجنس من اسم الفاعل
دي الصيغة الأساسية المدكرة أمراً مشكوكاً فيه. إد لا يقال *écrivaine*
(كاتبة)، *temoine* (شاهدة)، *policere* (شرطية)، *menuisiere*
(مخبرة)، *savante* (عالمة)، *ingéneuse* (مهندسة)، *professeuse*
(أستاذة)، *soldate* (جنديّة)، *metteuse en scène* (مخرجة)،
compositrice (مؤلفة موسيقى)، *autrice* (مؤلفة)^(٤) (ما يوجد من
بين هذه الكلمات هو يعوب مؤنثة لا أسماء)

ومن جهة أخرى، وحتى إن لم تثر هذه الكلمات حسنة
لثقافتين وعصبة ماضية صفاء اللسان فلم يكون اعتمادها مقدّمة
لإلغاء عدم المساواة. إد أحرر هذا لإلغاء تقدماً حدياً لوحده، ولم
ينظر المجتمع الفرنسي أن تحل كلمة *ministresse* (وريرة) محل
femme-ministre (= السيدة الوزير)، أو أن يقال *Madame la*
Mairesse (= السيدة العمدة) ليرداد عدد المهنة العديدة الجنس
كتتم ر دو غورمون (*R. de Gourmont*) عام ١٩٠٢ قائلاً «إن
عياب المؤنث في المعجم قد أُنح عاب الحقوق السوية»^(٥) ومع
أن فرنسا قد سبكت منذ زمن طويل دروب المساواة بين الجنسين، إلا

(٣) *Ibid.* p 317. نجاهن الفرنسية المحكته هذه العوائق ويمكن، من بين أمثلة كثيرة أخرى،
الحديث عن لسان بلاميد المفلس الذين يعيرون من دون أدنى صعوبة بين *le prof* (المعلم)
la prof (المعلمة) فهي، وعوضاً عن اشتقاق لجنس، يستخدم لأولاد بيساطة جنس «إد»
الترفيف أمام اسم صابر ثباتاً عن طريق الاختصار

(٤) انظر M. Yaguello. *Les mots et les femmes*, Paris, Petite Bibliothèque Payot, 1978, p. 118, 39

Loc cit (٥)

أن لصيغ المشتقة المؤنثة ما ترال قسدة لاسعمال (لهنم يلاً في اللغة المحكية كما سنذكرنا) حتى إنها لم تلتق الأثر المعاكس بلوقائع الاجتماعية المتغيرة ولا للإيديولوجيات المرتبطة بها، بحيث لا نستطيع أن نقول «طالما لم نعتبر العقلية واللسان سيئاً في المؤخرة»^(٦) فاللسان لا ينطوّر على الإطلاق وهو إيعاق العقيدة التي نعتبر سطر دورها أمام تعبير القوانس وليس الذي يجعل من اللسان شاهداً فتعاً على مراحل الحياة الاجتماعية وتمثالاتها هو ما تحدد ما تركه فيها حالات المعرفة والثقافة من بصمات متتالية غير أن كل مرحلة جديدة هي تجاوز، وبجعل ذلك من البصمات التي يحملها اللسان شاهداً على الماضي لا على الحاضر لهذا السب من غير المجدي، على سبيل المثال، انتقاد استعمال النساء لصيغ في التعبير تحمل حرفتها معالم جسد الرجل وبعتها بـ «الدكوره»، كما هي الحال في الفعل *fottere*^(*) (في اللغة الإيطالية *foutre*)، وفي التعبير *se ne fotte* elle s'en fout هذا لديها سواء^(٧) فاللسان يتميّز بقدره على برع التحفيز عن حرفية الكلمة بالاسعمال الشائع، وبالتالي على النملص من حطر لولاء للإيديولوجيا المؤسسه للكلمات عند استعمالها

إن التصميم السليبي بديهي في العدد من التعابير التي نحيل إلى النساء «والمرأة» في التعبير *une femme galante* هي امرأة سيئة السمعة، أما الرجل في التعبير *un homme galant* فهو رجل مهذب [] والمرأة في *une femme savante* هي امرأة متحدقة مثيرة

(٦) انظر M. Yaguello. *ibid.*, p. 136

(*) استعمال هذا الفعل في الأصل للدلالة على معاشرة الرجل بمرأة، ثم أصبح يعني 'مسيح' عجل' (المرحوم)

(٧) انظر N. Galil de' Paratesi, «Les mots tabous et la femme», in *Parlers masculins, Parlers féminins?*, éd. Par V. Aebischer et C. Foret. Neuchâtel-Paris, Delachaux et Niestlé, coll. «Textes de base en psychologie», 1983. p. 71 (65-77).

للسحرية، أما الرجل في *un homme savant* فمحترم وإذا ما شئت شخصية الرجل بعض الحقبة فهي حقبة في الدهر وحسب كما يقال *une fille ou une femme facile* (فتاة أو سيّدة سهلة) ولا يقال *un homme facile*؛ ويُقال *une femme de petite vertu* (امرأة عبر فاضلة)، ولا يقال *un homme de petite vertu*^(٨) والحق أن أساليب القول هذه تعكس عدم المساواة التي كانت سائدة بالأمس وسيطرة العصر للذكوري في المجتمعات المعاصرة على اللغة، وعلى أدوات السلطة لأخرى، ولا تعكس صورة العلاقات المعاصرة بين الجنسين وصحيح أنها قد تصدم المشاعر الرفيعة ولربما تسهم في تشكيل عقلية ما أو في تعديتها لكن إن كانت الحال كذلك فلا شيء في اللسانيات يعترض على إجراء إصلاح يبيح للرجل السوية، ولعبرها في مراحل أخرى، ترك بصماتها على اللسان فهذا بجحاً في إرله بعض حالات انلا مساواة باعتماد *historienne* (مؤرخة)، *avocate* (محامية)، و *actrice* (ممثلة) (لكن لم يتم بعد اعتماد *factrice* "ساعية بريد" اللهم إلا من باب الدعابة)، و *sculptrice* (نحاتة) (لا إجماع حول قبول هذه الكلمة من ناحية المعانيات بها أنفسهم)، و *étudiante* (طالبة) إلح إن حدود مثل هذا العمل هي حدود اللسان نفسه إذ لا يستطيع مستعمل اللغة تحويلها حسب رغبته (انظر لفصل الثامن) إذ يمتلك القدره على تعديل مؤسسات لمجتمع وقوانينه أو حتى، عن طريق الثورة، تغيير سة العلاقات التي تقوم عليها مجموعة بشرية ما لكنه لا يمتلك سلطة تحويل لطبيعة الاجتماعية للعلاقات بين الأفراد (ولا حتى الرعية الواعية في ذلك مكن تأكيد) والتي هي أساس لوجود الجماعي داخل كل مجموعة بشرية ويمكننا، بالواري، التدخل في المعجم وعلى سبل المثال في ألقاظ أسماء الفعل والمهن المؤنثة، لكنا لا نستطيع

(٨) انظر M. Yaguello, *Les mots et les femmes*, op. cit., p. 142

معدل السى لمتعلقة بوظائف الأصوات وبنسبها للصرفية المحونة
التي نعطي اللسان حواضه المطيه لتصميمه

وسعود سب هذه المقاومه للتعبير إلى قدم الشكل الحامد
والركيب السخوي حامد جرثماً، وتعود التمثلات التي بُحِثَها إلى
مجموعات في مراحلها البدئية فالشعوب التي تعيش بعداً عن
البيارات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى، ووفى أساليب غير صناعية،
هي أيضاً تلك التي تظهر في ألسنتها أعلى سسة من السمات البدئية
كالمطقطقات (انظر الفصل الأول، ص ٢٧ وما بعدها) في علم
الأصوات الوظيفي، وفي علم الصرف أنظمة العدّ الخمسي (أي على
أساس العدد خمسة) ولانتي عشري (أي على أساس العدد اثني عشر)
والعشري (على أساس العدد عشرين)، والشكبات الكثيفة والمعقدة
لظروف الرماد والمكان، وكثرة الروائد الصيفية ودقها انوصفة أو
العنى المحاري - وهي وحدات سيوية صغرى تدلّ على شكل الأشياء
(التي هي محدودة في تنوعها بسبب مداول الأشياء ذات، لأشكال
البسطة في المجتمعات البشرية، إذ لا يقع في ألسنتها على روايد
بصيمية تحيل إلى أشكال معرّجة غير منظمة القياس، أو إلى شكل
متعدّد الأصلاع ودي أصلاع غير متساوية، وأبنة أشكال أخرى غير
الأشكال الهندسية البسيطة)، وفي النحو على علامات لعلاقات الدراسة
والمكانية والفاعلية التي تدلّ بتفصيل شديد على من يقوم بالفعل وعلى
الفعل الذي يقوم به وعلى المفعول به وعلى الأداة المستعملة أو
الشخص المساعد (إما مع أو من أجل أو باتجاه) تتركز السمات
البدائية في هذه النمط من الألسنة، سيما هي لم تُدْ مش هذه المقاومة
في المظن التي نشكّل فيها مجتمعات صاعية أو شبه صاعية وفي
هذه الحالة النسة تتوزّع تلك السمات من الألسنة، فيبدو المركب
السخوي لكنّ منها متطوراً في بعض الميادين ومحافظة في أخرى إذ
يمى التعارض، في العبرية الإسرائيلية، بين المدكّر والمؤنث في صعه
المحاطب المفرد والجمع في الصمائر كما في التصريف الفعلية، في

كافة الأرملة والصبي، بينما اكتسب اللسان سبة الملكية *الحدث* مع فعل لصكيه (نظر لفصل العاشر، ص ٣٢٧ - ٣٢٨)

تُظهر هذه الاختلافات في التطور أن الرمن اللساني وثق الارسط بانرمن الاجتماعي، إلا أن الروابط بينهما دفقة تحليلها حالات من عدم اسدوق وشكل حاضر، فإن الشكيك المسادل للألسة وللمجتمعات خلال مئات آلاف من السنين لم يؤد إلى جعل الألسة مجرد انعكاسات للصراعات الطبقية، ولا للسبب العرقية بشكل عام. إن هذه الحقيقة لم تعرض نفسها دائماً، وذلك إذ ما أحد يعين الاعتبار الرمن المعروف لدى سادس فيه هدايات اللساني السوفستي ن : مـ (NI Marr) الذي صرح على سبيل امثال «مع ظهور الملكية لجماعية وبالتالي مع تقسيم التحدث إلى اسم شخص (فاعل) واسم نتيجة الفعل (مفعول)، ثم مع فقره لإسح إلى مستوى جديد، وبعد الفقر من السبب التركيبية إلى السبب التحليلية لمرافقة لتبدي لشكلي للعكر، انشطر المفعول إلى مفعولس متميزين هما المفعول به والمفعول به أو مه؛ كما انشطر الفاعل إلى اثنين هما الطوطم الجماعي والطوطم الفردي وذلك مع ظهور الملكية لجماعية ويربط بذلك أيضاً [] شطار [] لطوطم بدوره إلى [] مسد إليه جماعي [] ومسد إليه مفرد، وتطور مسد إليه المفرد مع ظهور الملكية لخاصة «هناك إدا علاقة سببية بين المفهوم العام والسبب التحتية المادية، أي الإنتاج وعلاقات الإنتاج والطابع لاجتماعي [] والمؤنث بس مفرد تفصيل شكلي به يُظهر بوضوح اسداع لكلمة في المرحلة التي كان فيها، وفي السبب التحتية المادية، صرع من لمدأ لاجتماعي لمؤنث وانمدأ لمدكر المنتصر إبه يعني هذا لأمر اسجر أن النظام الأمومي قد تحلى عن مكانه لصالح النظام الأبوي المدكر بالتحديد، والذي لم يكن بعد مدكر تماماً فالسواء كن يحتفظ بموقع مستقل

في الإنتاج حيث كان القانون الأمومي ما يزال يحتفظ بمكانته^(٩)

نعرف أن ستالين قد أنهى، بعد أن دافع طويلاً عنه في الماضي، عهد منهج ماز الذي ساد دون منازع في الاتحاد السوفيتي، وذلك في مقاله المشهور الذي ظهر في صحيفة البرافدا في ٢٠ حزيران/يونيو عام ١٩٥٠، أي بعد ستة عشر عاماً من وفاة ماز. كان لا بدّ إداً من الانتظار كل هذا الوقت قبل أن تعرض الحقيقة العدمية نفسها على لسان السلطة الرسمية. فالألسنة لا تنطق بلا قيد ولا شرط على السبلة الاجتماعية التحتية. ولا بدّ هب من الإشارة إلى أن التصريح التالي لستالين لم يكن بالتأكيد مستوحى من حرصه على الحقيقة العلمية وإنما من انتهازه السياسية. «مختلف اللسان جديراً عن البنية العرقية. وكمثال على ذلك لنأخذ المجتمع الروسي واللغة الروسية. فلقد نمت تصبغة القاعدة الرأسمالية القديمة في روسيا خلال الثلاثين سنة الماضية، وبناءً قاعده جديدة اشتراكية. بموجب ذلك، نمت تصبغة السبلة العرقية القائمة على القاعدة الرأسمالية وتشكلت سبلة هوفيه جديدة تتوافق مع القاعدة الاشتراكية. وبالتالي حلّت محلّ المؤسسات السياسية والقضائية وغيرها القديمة مؤسسات جديدة اشتراكية. ولكن على الرغم من ذلك، بقيت اللغة الروسية في جوهرها كما كانت قبل ثورة أكتوبر [] وحدها مفردات اللغة الروسية تعيّر إلى حدّ ما [] بمعنى أنها اعنت بعدد كبير من التعابير والكلمات الجديدة التي حدث حدود الاقتصاد الجديد الاشتراكي والدولة الجديدة والثقافة الجديدة الاشتراكية [] ولقد تعيّر معنى العديد من الكلمات والتعابير، واحتوى عدد من الكلمات القديمة من مفرداتنا. أما مفردات اللغة الروسية المعجزة الأساسية والبطام الحوي للغة الروسية، وهي تشكل ماهية اللسان، فقد

(٩) اسطر N. I. Marr, «Le langage et la modernité», Conférence prononcée à Leningrad, puis à Moscou et Tbilisi, in *Rapports de l'Institut de la Culture matérielle*, Leningrad. 60, 1932. p. 116s.

حافظت على نفسها بشكل كامل [] فاللسان لا ينوِّد من هذا الأساس لقديم أو الجديد في المجتمع، وإنما من كامل مسيرة تاريخ المجتمع [] عصر العصور وهو لا تندعه طبعه اجتماعية أبداً كانت، وإنما [] كافة الطبقات الاجتماعية ولا يحصى على أحد أن اللغة الروسية خدمت الرأسمالية و لثقافة النورجوارية الروسية قبل ثوره أكتوبر، وأنها تخدم اليوم النظام الاشتراكي [] كذلك لأمر تأسيسه إلى اللغات لأوكرانية والبيوروسية والأوريسكية والكراسية والجورجية والأرمينية والإيستونية والستونية والديتونية والمولدانية ولتتريه والأررية والبشكيرية والبركمانية وغيرها من لغات الشعوب لسوفييتية التي خدمت النظام لبورجوازي لقديم في هذه الأمم، وتخدم النظام الجديد الاشتراكي هذا ما هو عليه الأمر فلقد تشكل الإنسان [] تحديداً لخدمه أفراد المجتمع بعض النظر عن اهتمامهم لطبيعي^(١٠) بدأ لا يوجد لسان طبقي عني الرغم من أن اللسان يتح استعمالات طبقية به

من الثوابت التي يشير إليها هذا النص الفرق بين المفردات لمعجمية والقواعد، وهي أكثر مقاومه للتغيير العموي (ولتغيير المنطق عنه)، إلا أن الأمر يحتاج إلى بعض التوضيح إذ لا يعني ذلك أن الأجراء لأكثر انظاماً في لألسة غير قادرة بذاتها على التكيف مع لتطورات الاجتماعية الثقافية. إذ يقول إ. سابين (E. Sapir) مهتماً بتأثير معدل للعصرية كان ينتمي إليه بعض علماء لأنتروبولوجيا في العشرينيات «حين يتعلق الأمر بالشكل اللساني، يبدو أطلاطون مساوياً لراعي الحماير العفدوني، وكوموشيسوس مساوياً لصياد بري من مقطعه نسم^(١١) ومع ذلك يمكن ملاحظة تكيف القواعد مع الوسط الاجتماعي الثقافي تماماً كتكيف الأجهزة لعصوبة لحيته مع

(١٠) انظر J. Staline, «Marxisme et questions de linguistique», article paru dans la *Pravda*, 20 juin 1950.

(١١) انظر E. Sapir *Language*, op cit p 219

سنتها إذ يرزّ عالم الأحياء س ح غولد S.J. Gould على هجوم يستهدف النظرية الداروينية الجديدة في التطور مؤكداً أن سية الأحياء العنصرية نفسها تعطي معيار قسرتها على التكيف والحيوانات ذات الحرارة الثابتة تمتلك مذبذباً سة أكثر انتظاماً تتيح لها البقاء في حال حصص الوسط البيئي لتغيرات حرارية كبيرة^(١٢) وبالتوازي، فإن لسنة اللسان التكرارية، كتدحرج جمل صلة الموصول (كما في العبارة الفرنسية: l'enfant qui voulait acheter le jouet dont le camarade qu'il admirait avait parlé a fini par l'obtenir = الولد الذي أراد شراء اللعبة التي تحدث إليه عنها رفقه الذي هو معجب به استطاع أخيراً الحصول عليها)، خطأ أكثر في البقاء في لغة المجمع لكتبتني منه في الألسنة الشفهية، حيث لا يتوافق الجهد الذي تتطلسه هذه الحملة من الذاكرة مع ظروف الموصول وبمكنا بالتحديد أن يسمح شيوخ جمل صلة الموصول المتداخلة في الألسنة المكتوبة أكثر بكثير منها في الألسنة الأخرى وبالتالي لا يجب استبعاد تطور قواعد الألسنة وفق الترسيم الداروينية الحديثه

ورد يقول ذلك، يبقى صحيحاً أن تطور المفردات المعجمية أسرع ويُذكر بعض سنالين من حديث أن ديامنته وديامية المجالات الأكثر انتظاماً ليست واحدة ومن ها حديثاً تأتي القيمة الماريجة لهذه المجالات الأخيرة بوصفها حافظة للإيديولوجيات وأسماء المؤسسات الاجتماعية والشعاطات البشرية هي حطاب حور مارج المعجميات يمكن فك رموزه فهي اللعبة لداكو رومانية (daco roumain) إعلان بدلاً على الفعل "عمل" الأول هو a lucra وهو من اللاتينية ūcrāri "كسب المال"، وبحمل هذه الكلمة معنى "عمل" في المنطقة التي تعيش فيها جماعات مستقلة من الفلاح

(١٢) النظر S.J. Gould, *Ever Since Darwin. Reflections in Natural History*, New York W W Norton & Co., 1977, p. 45

Valaques لم تكن خاصته لإمبراطور بيزنطة؛ أم الفعل الثاني فهو a munci، وأصله السلافي القديم mončiti ويعني "نعدب" وقد تطور هذا للمعنى إلى معنى "عمل" من خلال لعلاقة مع التشريع الإقطاعي للعمل المصروع على النمط serf^(١٣)، كما في لهرسيه حيث الفعل travailler (عمل) يأتي من اللاتينية المتأخرة tripaliare و tripaum ويعني "الير، آلة نعدب".

إن حطاب الكلمات هذا حطاب تاريخي والحقيقة أن بعض لطواهر، الواقعه عند محوم المعجم والقواعد، نستطيع إلقاء بعض الضوء على التمثيلات الذهنية في مختلف المجموعات، لأن التحليل الصرفي ما يراى يعطيه حتى اليوم تماثلات شقافة إلى حد ما فالمعل nemi (نحرّك، ذهب) في لغة لاهواتل (nahuatl) (في المكسيك) بحمل، إذ ما أصبحت إليه معاً للاحقة lia التي توخجه إلى مشارك في العمل والساعة ta التي تشير إلى عيه غير محدده أو لساعة mo الانعكسيه أو مقطع مكرّر، معنى "فكر في" فكلمة ta-nemi lia تعني "يُفكر"، و mo-nemi lia تعني حرفياً "نحرّك نحو دانه" أي "هو مشغول البال"، و ki-nej nemi-lia (حيث ki ضمير معرف، و nej مقطع مكرّر) تعني "يُفكر فيه"^(١٤). لا أن رموز النصيح لسب دائماً دالة للمك مثل هذه لسهولة فهي "عذب لأحياء يرول بحمير" لكلمات عنها، كلما زاد فرق السرعة بين مسيرة الرمز اللساني ومسيرة الرمز الاجتماعي، تتحلصها من المضامين لإيديولوجية التي كانت يحملها في ماضي وتصبح مسأله نظير لأصل غير محدده

وبرجع انسب إلى أن اللسان يقوم بدمج العامل الطبيعي في الثقافة بحمله إثناء في حركته فهي لغة السامو samo (في فونتا

(١٣) A. Niculescu, «Roum. Lucra (a, munci, a) "travailler", *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, LXXVIII, 1, 1983, p. 325-335

(١٤) S. de Pury-Toum: «Y rester ou s'en sortir?», *Amérindia*, n° 9, 1984, p. 25-47

يصل لأمر هنا بنهج من نهج لغة الهواتل في تزيكاكبان (Tzinacapan)

الغيب - نور كينا فاسو) نجد أن للمفعول bégayer (تلعثم) الساء نفسه
الذي للمفعول tuer (قتل)، وللغيب oublier (نسي) الساء نفسه الذي
للمفعول mordre (عض)؛ وفي لغة السيموهي cemuh (في كاليديوسا
الحديدة) للمفعول oublier (نسي) نفس نمط المفعول الذي للمفعول
frapper (ضرب)، وللغيب se réjouir (استهيج) نفس نمط المفعول
الذي للمفعول mordre (عض)؛ وفي لغة العوارسي guarani (في
الباراغواي) للمفعولين dormir (نام) وpleuvoir (أمطرت) (وكلاهما
يُستعملون للكائنات الحيّة، لأن الأمر بالنسبة إلى الثاني يتعلّق بقوة
من القوى الطبيعية) الموافقات نفسها التي للمفعول courir (ركض)، بينما
يمكنُ معارضة المفعول avoir faim (جاع) في اللغة الجورجية مع المفعول
dormir (نام)^(٥) ولا تكفي هذه الوقائع للمقول بأن لدى شعب
الساموس (Samos) وشعب السيموهي تمثّل حركتي التلعثم والتسبيح
وللغرح، أو إن لدى شعب العوارسي نظره إلى الكون تنقي ما مدّت
فيه الحياة، على العكس من الجورجيين فالدلالة الحذسية التي
تؤسّر لمثل هذه الادعاءات ليست عشية، غير أنها لا تستخلص من
هذه الوقائع العروضية آية عموميّة إذ يختلف التعامل مع الفعل
dormir (نام) في اللغتين العوارسية والجورجية مع أن المجتمعين
اللذين ينفقون بهاتين اللغتين كانا في الأصل إحيائيين مثل بعضهم
العصر فهناك حلقة قديمة مفقودة، ظاهرة تاريخية ما هي ليوم
مسيّة، لربما كان موسعها "تفسير" مثل هذا الاختلاف

هكذا يرى أن حتى الأجراء الأكثر مقاومة للتعريف في اللسان
والأكثر قبولاً للمصادرات تسمى حقولاً حامدة نسباً كما لو أن
الألسنة، من خلال الاستقرار الذي توفره لمستخدامها، قد شكّلت
هكذا سحب تأثير لاوعي جمعيّ لتقيهم من مخاطر المعامرة، معامرة
كل ما هو حيّ، ولعبيهم على مواجعتها، وكأن الألسنة لشريه

(٥) انظر C. Hagège, *La structure des langues* op. cit p. 6.

وسيلة عون أو إرث وصي على الجنس البشري

ومع ذلك فإن الألسنة تتغير، وإن كان ذلك سطاء عدد مقدره
ديناميتها بالتغيرات الاجتماعية. فما من شك في أن الصدمات التي
تهز المجموعات البشرية، والتي تؤدي إلى قلب الأوضاع، لا تترك
في العالم كله أثراً مباشراً، إذ نبدو بعض لمجتمعات في حالة جمود
دائم إلا أن الألسنة أبداً أيضاً. وعلى الرغم من ذلك فالنمير جزء
من طبيعة تكوينها، ويحل في تعريفها وأنة نظرية لغوية تجهل
ذلك أو بسقطه من حسابها تسعد عن موضوعها والألسنة لا تتغير
وحسب، بل هي أيضاً أنظمة الأدلة الوحيدة التي يُعتبرُ، للنمير فيها
أكبداً ومُشتاً ومؤكدٌ والتغير هو في الأصوات كما في المعاني ولا
يعدم ما إذا كان البشر يقومون دائماً بالحركات نفسها للنمير عن
المصامين نفسها. نكتب نعلم عدم اليقين أن الألسنة لا تبي تغير عبر
فترات طويلة، ومن دون معرفة أصحابها في أغلب الأحيان. وهناك
فريضة بسيطة تدل على ذلك، ويمكن لجميع ملاحظتها إنها التبدل

الكلام المتغير

لا يوجد، حتى في المجموعات البشرية الأكثر تجانساً، شك
لسانی ثبت لا يتغير في أساليب اللفظ أو في التركيب النحوي أو في
المفردات، أو حتى في الصرف. إذ تُظهر لملاحظة الدقمة أن
الجماعة ليست وحدها التي لا تستخدم اللسان نفسه في كافة
الظروف، بل الفرد أيضاً. ففي الوقت الذي يكتسب فيه الأطفال لسان
الأساسية لسان فإنهم يكتسبون معها في الوقت نفسه الوعي بتغير
لمستويات فالأمر لا يتصل إداً بمجرد وصفا ذات عايه تربية ملحقه
يتعلم اللسان بوصفها كياناً متجانساً بل يتعلق الأمر بواقعها هي بمثابة
مواة رئيسية فالتغير من الخصائص الذاتية لعدة

لذلك، فمما يثير الدهشة أن لسانيات النصف الثاني من لقرن
العشرين لم نعر لاهتمام الكافي لدراسة لتغيرات إلا مد حوالى

خمس عشرة سنة، وذلك كرد فعل على علو المادح الشكلية حصراً
والتي كانت مهيمنة في الستيات. إذ كان موضوع هذه المادح اللسان
المصنوع من أية شوائب اجتماعية أو تاريخية، ذلك اللسان الذي تحدده
العواد التوبيدية الكلاسيكية بكفاءة "المتكلم - المستمع المثالي"
المشهور^(١٦) لكس حتى ولو سلمنا بأن على لطريقه اللسانية الفهم
محذرت، فمن شأن التحرير البحث واليهائي حجب واقع الألسنة
كأنظمة دينامية تعمل بالاستعمال النومي وبالذات لأن المفهومين
الشومسكيين في الكفاءة (وهي المعرفة الداتية باللسان) والأداء (وهو
الاستعمال الذي يمكن ملاحظته للسان)، وهما كمفهومين اللسان
و الكلام عند موسور، يقابلان صيغتين لواقع واحد لا أسس علميين في
اللسانيات متعارضتين، فإن دراسة المتغيرات لا تعرض بأي شكل من
الأشكال مع مفهوم النظم. فإن كان من سمات النظم انسجامه، الكمي
على الأقل، وتنظيمه في وحدات متميزة (يمكن مقلتها بعضها
البعض على أساس الاختلاف في طبيعتها لا في درجتها) مثل
الصوتيات، فذلك لا يعني أن هذه الوحدات ثابتة لا تتغير. فبما أن ما
يحدده هو الاختلاف بالذات، يمكن لمحوها أن يشوع شرط بقاء
هذه الاختلافات. إذ يرتبط التعير بمفهوم النظم على الرغم مما يبدو
عنه ظاهر الأمر

إن أشهر حالات التعير هي حالة اللهجات. فإذا اعتبرنا لهجات
لسان ما أنظمه لا تحول اختلافاتها، وإن كنت على كافة المسويات،
دون الشاذ، الكلامي، يكون لتعير في اللهجة القاعدة والتجانس التام
الاستثناء. وقد يصعب اتواصل في الحالات المتطرفة، عند الطرفين
المتقابلين لمجموعه من اللهجات. فالتعير في اللهجة يتعلق بأنظمة
لسانية كاملة. إلا أنه قد يوحد بعض التارجح الخاص بأحراء من
الأنظمة. وهذا تعدد المتغيرات المميزة الجنس والسن والمركز

(١٦) N. Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, op. cit. p. 3

الاجتماعي والهوية المهنية والموطن الأصلي والوسط التربوي ومط الحياة (مدني أم ريفي، حصري أم بدوي، تفاوت في الاستقرار أم تفاوت في لسفل) والانتماء إلى مجموعة عرقية أو سياسية، والحيال وسيمي السمات اللسانية التي تستوعب هذه المتغيرات بالقرائن، وسيميها ما بصفات تُلحق بها *lectal, lectaux* لتحديد أي مط من المتغيرات تُشفره كل فريه وهكذا يمكن الحديث عن قرائن بيولوجية لهجية في ما يختص بالجس ولسن، وهي متغيرات ترتبط بالعامل البيولوجي؛ وعن قرائن اجتماعية لهجية في ما يختص بالمركز الاجتماعي والهوية المهنية والموطن الأصلي والبيئة التربوية وأسلوب الحياة، وكلها متغيرات تعود إلى الأهلية الشربة على ماء علاقات بين الأفراد وبين الجماعات كما بين هذه لأخرة والبيئة المحيطة؛ وعن قرائن رمزية لهجية لتلك التي تعكس العلاقة المرمرية باللسان كما يعيشها مستخدموه؛ وعن قرائن عرقية لهجية في ما يتصل بذلك التي سم في اللسان اندماج الأفراد في كان عرقي، وأخيراً عن قرائن سياسية لهجية لتلك التي تسم المراكز والوجهات السياسية^(١٧)

تسمي المتغيرات التي نعر عنها لقرائن السولوجية لهجية، وبالعراض مع غيرها من المتغيرات، إلى مطقة مشفرة كياً ونظهر هذه القرائن في الألسنة العديدة الموسومة بتقسيم جسني ثنائي لشر وهناك حانة معروفة في محال الأصوات هي حالة إدغام انصوائت الصويلة أو المحركة عند النساء لماطقت بالروسية أو بالعربية كما نعلم أن المعوليات تملن إلى لفظ الصائتين *a* و *u* وكأيهما *u* وة من دون لخلط، مع ذلك، سنهم وبين هذين لصوس انددين تهمس خصوصيتهما على نظام الاستحام الصوتي (يدعى انصائتان *u* وة بالتحديد بل "صائتين مؤنثين" وفق للغة المعولية التقليدية) كما

(١٧) C. Hagege, «The Concept of Function in Phonology», in *Phonologica* 1980 *Akten der Vierten Internationalen Phonologie-Tagung* Innsbrucker Beiträge zur Sprachwissenschaft 1981, p. 187-194

نعلم أن للرجال وللنساء مجموعات من الأصوات تختلف بينهما في الألسنة التي يُقسَّم مستعملوها العمل بحسب الجنس (كصنادي السوكاغير youkaguirs الرُّحْل في سبيرو الشرفية إلح) كما تتعدد القرائن في الصرْف أيضاً، إذ تُمَيِّز اللغات السامية، ومعظم اللغات الكوشية (couchituques) والنشادية (tchadiques)، في صميم المحاطب وأحياناً في صميم المتكلم بين المدَّكَّر والمؤنَّث في الصمير المفعص، أو تُضيف قرية لاحقة بالفعل للتمييز بينهما في حالة الصمير المتصل وفي اللغة اليابانية العديد من الأحرف أو الأدوات التي تصوغ القول بحسب درجه التعريرية فيه أو درجه الشك أو الاستفهام، وهي تختلف بحسب جنس المتكلم والمحاطب أما ما يتعلَّق بالمفردات المعجمية، فهي العديد من اللغات الآسيوية والأوقيانوسية والأميركية الهندية، وبحسب ما يكون المسدُّ إليه في القول دكراً أم أنثى، سلاسل مميابة من أسماء القرونة وأسماء الأعراض السومية المتداولة (من أسماء الآلة والأدوات المنزلية والأسلحة والأجاس الحة) أو الأفعال الدالة على الأنشطة كما يبدو، أحرأ، الصدى اللساني للعوارق المتعلقة بالسر من خلال تحصيل بعض الكلمات وبعض أساليب التعبير للمتقدمين في السر، بينما تُخصَّص أخرى للشباب الأصغر سناً

إن المجالات التي سُمِّيها بالـ "طبيعية" ليست طبيعية تماماً إذا ما نظرنا إليها من الناحية الخطابية إذ يُدخِلها الكلام مجال الثقافة ولا تأتي أساليب النطق بالأصوات والاستعمالات الصرفية والمفردانية سبجة قيود فيريولوجية تجعل أحد الجنس عاجراً عن إنتاجها بطريقة أخرى فلا قيود هنا غير تلك المرئطة بالثقافات، ولذلك لا يمكن فصل المرائن البيولوجية الدهجية عن القرائن الاجتماعية اللهجية

يظهر هذا الربط أيضاً في كافة الحالات التي نسمُّ فيها المحاطبة (الصمائر أو المرائن الشخصية، أسماء الداء، الصبح

العملية) صريحة سمط العلاقة التي تنشأ بين أفراد ينتمون إلى أحيال مختلفة أو مراكز اجتماعية مختلفة. والحق أن الصيغ تتغير بحسب المدرج الهرمي للأعمار والمراكز الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والعلمية والسياسية داخل بني مثل الأسرة (الوالدان والأطفال) والتمول (السادة والخدم) والمدارس والإدارة والجيش والتنظيم الديني إلخ. ومع ذلك فالترسيمه لشائية ليست الوحيدة على لرعم من انتشارها فهناك تعيرات تأتي لمصاعف من تلك الأولى، وبعضها مُشفر. فهي اللعتين الرومانية والهنغارية، وبالإضافة إلى صيغه لألفة المفصلة للصمير tu (أنت) في الفرنسية، توجد صيغتان لا بل ثلاث، في بعض اللهجات، من صيغ المهديب بحسب درجة العوارق التي تفصل بين المتكلم والمخاطب. ودرجة العارق القصوى في اللغة الرومانية هي dumneavoastră وتعني حرفياً "سادتكم"، وستعمل، كما في الفرنسية (قارن مع vous أنتم)، سمه الجمع أي صمير الملكة (votre) voastră

إلا أن هذا السمط من لشفير متغير هو نفسه في استعمال جمع التمحيم مع المخاطب ليس سمه نوحده في كافة الألسنة. فالعارسنة والبركية ستعملان صمير الجمع "نحن" للإشارة إلى المتكلم الذي يدمج فرديته بجماعة مُعملة (هذه الصيغة تُقلل من فبمه المتكلم وبالتالي فهي صيغه مهذبة). وأخيراً، إن كان الصميران "أنا" و"أنت" شريكين في العملية الحوارية، فلا يعني ذلك عدم وجود أشخاص آخرين، كما يذعي تقليد يُسلم بوجود "علاقة ارتباط شخصية" مقابل الصمير "هو" لذي يعتره هذا التقليد "لأشخصاً"^(١٨) إن "هو"، تماماً مثل "أنت"، شخص يمكنه أن يأخذ سمات المراعاة الدسائية يد نوحده في لغة التيعرسي (le tigrigna) واللغة الأمهرية (في أثيوبيا)

(١٨) انظر E. Benveniste, «Structure des relations de personne dans le verbe», *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, XLIII, 1, 1946, p. 1, 2, repr dans *Problèmes*, op. cit. p. 225-236

والعربية الأردنية صغتان، وحتى ثلاث صيغ في بعض اللهجات الرومانية، محتلفتان بحسب درجة الاحترام المراد التعبير عنها تجاه الشخص المتحدث عنه وتقبل مثل هذه السمات، في لغات آسيا كالبنانية والكورية، صيغ فعلية أو لوصف خاصة تدل على احترام أو عدم احترام من يتم الحديث عنه في الحوار

كما أن هناك استعمالات أخرى يمكن اختيارها بكل حرية وصيغ الألفة، من استعمال tu إلى أسماء التصغير والأسماء العاطفية، لا تدل دائماً على الممرلة الأرفع لمن يستخدمها إذ يظهر بصورة طسعة جداً كصيغ للتعبير عن لفة والحد في الخطاب العشقي أو في محاطة الوالدين لأطفالهما ومن جهة أخرى، تُستعمل صيغ التهذب بصورة شائعة بين طرفين متساويين في مرتبتهما الاجتماعية كعلامة على المسافة بينهما أو على عدم وجود الألفة أو الحميمة وعلى العكس من ذلك، يحدث أن يستعمل أحد، بدلاً من لصعة التهذبية التي تدل على مرسته الاجتماعية الأدنى، الصمير tu (أس) لعدم اعباده على استعمال البى السابيه للتحاطب ويوجد استعمال أكثر إثارة للدهشة في اللهجات العربية السانية والسورية والأردنية حيث من الشائع^(١٩) أن يحاطب الأث، بة بكلمة "ما"، مساوياً في ذلك علاقته معه بالرفيه الشريمه لمن هو أدنى منه في الترانسة كما يمكن للتعبيرات، أحياناً، أن تتعارض في ما بينها عندها يبدو في معظم الأحيان أن فارق السن هو الذي يكسب على حساب الممرلة الاجتماعية إذ يُفضل استعمال صيغ التهذب مع المُحاور الأكبر سنّاً وإن كان ذا مرنة اجتماعية أدنى

إن افرائس البيولوجية اللهجية وملك لي عابها سابقاً من بين

(١٩) انظر M R Ayoub, «Bi-polarity in Arabic Kinship Terms», in G H Lunt, ed. *Proceedings of the Ninth International Congress of Linguists*, The Hague, 1964, p. 100-1106.

القرائن الاجتماعية اللهجية هي جميعاً، وعلى الرغم من أنها مشفرة، موضوع خيار على اعتبار أن المظهر الجسدي والاجتماعي للشريك في الحوار هو المعيار الواضح لاستعمالها. رُد على ذلك أن السمات الشكلية للمنتجات، المرتبطة بالهوية المهنية وبالموطن الأصلي وبالنسب وأسلوب الحياة والكيان العرقي والممثل الرمزي، لا تبدو واحة بصورة مباشرة. وتلك هي حال القرائن الاجتماعية اللهجية ذات الطابع لصوني، كما في نطق حرف الراء المُردّد (articulation roulée du r) في فرنسا وهو خاصٌ ببعض المناطق الجغرافية وبعض الأوساط الريفية، وإغلاق نطق حرف e وتحويله إلى é في المقطع الذي لا ينتهي بحرف صامت، وبالنطق المصحح لحرف o في المقطع الذي ينتهي بحرف صامت، وبالتالي مطابقه لعط pomme مع لعط paume، ولعط sole مع لعط saule، في جنوب فرنسا وفي بعض المناطق الشمالية والشرقية منها مقارنة مع نطق مناطق وسط غرب وعربها ومطقة باريس. إلا أن المنتجات تتداخل في ما بينها فقد تُعزّز أسدوت الحياه العادات المُكتسبة عند انطعولة إدا ما عاد الشط لمهني المرء إلى التثقل لمستمر وبالتالي إلى اعتناق العادات البطقية للمناطق التي يقيم فيها كل مره. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المودح لسر حقيقياً بالضرورة. إذ يتنى العديد من الناس نطقاً لم يسمعه من مناطق محددين ويعتبرونه أسس من غيرهم لوظفهم أو للدور الاجتماعي الذي يورون أداءه. يظهر هنا إداً، وعن طريق التداخل، متعيز آخر هو التمثل الرمزي الذي تُشفّره القرائن الرمزية اللهجية.

إن القرائن الرمزية للهجية لاوعة بشكل أكبر. فقد ترددت قسمة بعض الميراث الصوتية فنحن محل استعمال مكتسبة من انبيته الأصلية بعد أن يسم حجتها برفانة لإرادية. إذ مثل هذا العمل اللاواعي في لتكتف مع مدارس بطقية بعترها المرء ذات اعتبار هو ما يشعل بعض لاطقين بالفرنسية. إذ يدفعهم حرصهم على التكنم بلعه "لققة" إلى إحلال النطق بحرف é، وهو نطق حاد يُعتقد أنه

أكثر ساقطة تنطق به بورجوارية المدن الكبرى شمال فرنسا وبخاصة باريس، محلّ النطق بحرف *z* لاسم المفعول في أفعال الزمره الأولى ومحلّ *ez* التي تسمّ تصرّيف الفعل في صيغته جمع المحاطب وبالتالي يتمّ النطق بكلمتي *parlé* و *parlez* كما تُنطق كلمة *parlais*، أي كالنطق بصائت مفتوح وممدود *e* في نهاية الكلمة «كما يفعل أهل باريس»، بينما يميل أهل قسم كبير من فرنسا، على العكس من ذلك، إلى إغلاق المقطع المفتوح *e* في نهاية كافة الكلمات، بما فيها الصيغ الثلاث للمتكلم والمحاطب والعائب في حالة المفرد في زمن ماضي الديمومة ورمن صيغة الشرط (*parlais, parlais, parlait, parlerais, parlerais, parlerait*) والنطق بهذا المقطع المفتوح كما يُنطق الصائت المُعلّق وغيرُ الممدود *e*.

وهكذا فإن في عملية التحاطب، بوصفها ناء مشتركاً للمعنى وأيضاً مواجهة بين أشخاص يسعون إلى شقّ طريق كلامية للتواصل كما يسعون إلى تأكيد الذات، شقاً دنيأً بعمل نشاط والمُتكلم دت راعة، ويمكن للقارئ الرمزية اللهجية التي تتركز فيها رعبته أن سمو على بقية القرائن ونشي بالوجه الحمي للكلام فارصة نفسها ويجب الإقرار بأنه في الحالات العديدة التي لا يتحكّم فيها بالقرائن الدساية المتأرجحة لحسّ ولا السرّ ولا أيّ من المتغيّرات الاجتماعية تكون العوامل الحاسمة ذات طابع رمزيّ إذ يكون الساطور قد علّق في عملية بروية ترمي إلى التحرّر من شعارات أسماء اجتماعي غير مرغوب فيه أو إلى التماهي في جماعة مثالية عن طريق محاكاة صوته سواء تعلّق الأمر بعودة إلى استعمال أساليب في النطق كان قد تمّ هجرها أم باعتماد أساليب جديدة في النطق أم بحذلقة مفرطة للمثقفين وكمثال على هذه الحالة الأخيرة هناك الوصل غير المتسلسل، كلفظ كلمة *avait* في عبارة *il avait un plan* كما لو كانت *avète* بينما توحد وقعة واصحة تفصلها عن *un* وبالتالي كان

من شأن عياب التسلسل إبطاء الوصل كما لوحظ^(٢٠) أن أهم لحطانات السياسية في فرنسا، في فترة ما، كانت تحوي عدداً من هذه الحدلقات المفردة غير الملائمة يرداد كلما كان الموقع الذي يشعده الناطق داخل هرمة المناصب السياسية أعلى، كما لو كان حياته يعرض عليه اعتماد هذا المظهر المحترم لشخص صليح بصط الكتابه فيظهر ذلك من خلال نطقه إلا أن المسألة ليست مسألة في علم الأصوات وحسب والفصية فصية أسلوب يعكس تميز الفرد الذي يعتقه ولدي يقدمه لمستمع أو للمعاري من خلال اختيار مفردات موسومة بما بالحدث أو بالترام القديم، ومن خلال تركيب محوي إما فصيح منق أو طليق مراح^(٢١)

يمكن، من بين الفرائز الرمزية اللهجية بحصر المعنى، تمييز الدلائل، وهي إظهار للمشاعر يرادي أو لا يرادي وتقوم هذه الدلائل على معنى التعميم الذي لا يشكّل دائماً مادة لتأويل وحيد كما نعلم جميعاً فحين لا تقابل الآثار اللسانية للتأرجح متعيرات "موضوعه"، مثل الجنس والسن أو المركز الاجتماعي، وإنما لواعج العصر المتغيرة، فقد يلاحظ وجود أثر، هي نطقية بصورة كليته، من دون أن يكون من اليسير دائماً تحمين كل منها مصمواً ثانياً بصم، داخل وحدة الواقع الشكليه، تنوع أمرجه الإنسان لحواري دلدلائل، مثلها في ذلك مثل الفرائز الرمزية للهجية، تعكس تعلبات الذاب حسب احتمالات الكلام كما بطبع لإنسان اختلافه باستمرار في ثايا اللسان على الرغم من قيود قواعدها، فتأرجح كلامه هو أثر آخر لمميزه

يطبع الإنسان أيضاً في لسانه التأكيد على هويته العرقية وتُعطي

(٢٠) انظر P. Encrevé, «La maison sans enchainement», *Actes de la recherche en sciences sociales*, n° 46, op. cit., p. 39-66.

(٢١) انظر A.-M. Hondebine, «Sur les traces de l'imaginaire linguistique», in *Parlers masculins Parlers féminins*, op. cit., p. 105-139.

الضرورة التي تدفعه إلى ذلك مفتاح بعض التطورات غير القابلة للتفسير بطريقة أخرى إذ نأط بالقرائن العرقية اللهجية وطبيعته أطلق عليها وفق لغة مصطلحية، مختلفة عن تلك التي يقترحها هنا، اسم الوظيفة لعرقة التحديدية^(٢٢) إذ تطبع الجماعة المحددة في لسانها هم الاعتراف بها كجماعة مختلفة ويثار مثل هذا الهم عند الحدود المباحة حيث يريد الجوارز المباشر من صعود الحاجة إلى ثبات الهوية عن طريق المعارضة. لهذا السبب، على سبيل المثال، حافظ العاسكوبيون في جنوب منطقة الجيروند، بالعرب من الحدود القديمة التي كانت تفصل منطقة الأكوينيس (l'Aquitaine) عن السلتيس والستوريحيين (Bituriges)، على الحدرين -bir- و -tur، اللذين سم التحلي عهما في كافة المناطق الأخرى، في صيغة المستعمل للمعلن ténguer (أمسك) و vénguer (جاء) ويحد في العربة الإسرائيلية أرواجاً مثيرة من التعارضات السرية فمقابل xerut (حربة) و tukva (أمل) و bmaá (مشهد) ذات السر الواقع على المقطع الأخير نجد، على لتسلسل، xerut (الحرب السياسي حروت) و tukva (اسم النشيد الوطني الإسرائيلي) و bima (مسرح سما، الفرقة القومية) ذات السر الواقع على المقطع الأول. بل أن هذا السر الثاني من سمات لغة اليديش^(*) (yiddish) يسما الأول حاصر بالعربية الكلاسيكية وعلى اعتبار أن الكلمات المسورة على طريقة اليديش تشير إلى وقائع إسرائيلية نموذجية، فيبدو أن اليهود الماطقين باليديش في أوروبا يقيمون السر على الكلمات التي تشير إليها وفق لغتهم الأصلية ويمكننا سوق أمثلة أخرى من ثقافات شديدة الاختلاف عن هذا

(٢٢) انظر J. Aulères, «La fonction ethno-démarcative en linguistique», in *Actes du II^e Colloque de Linguistique fonctionnelle*, Clermont-Ferrand, C R D P 1975, p. 173-180.

(*) أو اليدي، وهي لغة عبرية متأثرة بالألمانية يطقها يهود أوروبا الوسطى والاتحاد السوفييتي سابقاً (المترجم)

لتأكيد اللساني للهوية الاجتماعية^(٢٣)

إن هذه النصة التي نصنعها الجماعة على لسانها فريه من فرض الوجود ومن هنا فقد تُعطي معياراً سلباً ولحق أنه توجد، في الجانب المقابل، شعوب لا تملك لقدرة على تأكيد اختلافها من خلال لسان بوصفها مصدراً من مصادر التنوع تطوع فيها هوسهم، لا بل نستعمل الكلام في هذه الأدنى وإنها لظاهره ملقطة في الحرمان اللساني، ملازمة للحرمان الاجتماعي. ويوجد أمثله عن ذلك في أوروبا نفسها «إن الملاحين المعدمين في بارسنتو (Basento) (إيطاليا) [] لا يعرفون الكلام بمعناه الحرفي فلقد تمّ إبعادهم عن استعمال اللغات المحنّة التقليدية عرقياً واجتماعياً عندهم، وقطعهم عن استعمال اللغات المحلية المتداولة في الوسط المهيم [] إنهم مصابون بمحر عميق وجذري في القدرة على التعبير لكلامي»^(٢٤) إن الجنس الشرقي حوري بطبيعته، وإذا ما أُعْلِفَت أبواب الحوار أمامه، سب صعوبات الشقاء والعزلة، بسحب الكلام ليحل محله لتدعئهم كما تتراجع الحياة ليحل محلها ما هو أشبه بالموت الاجتماعي

ومع ذلك، فلا يمكن لدراسة السعتر أو التنوع، بوصفه دليل حياة ووجود، أن تكون حجة بحجب التكرارات التي نصنع اللسان إذ يرتبط التميز بالنظام، كما سنرى وقلنا أعلاه كما يرتبط به بصورة أخرى أيضاً بحب إذا التحلي عن تصلب فكر العالم في اللسانيات

(٢٣) انظر C. Hagège et A. G. Haudricourt. *La linguistique panchronique*, op cit p. 154-158

(٢٤) انظر T. de Mauro. «Sociolinguistique et changement linguistique: Quelques considérations schématiques», in *Proceedings of the XIII International Congress of Linguists* (Bologna-Florence, 1972). Bologna, Il Mulino, 1974. t. II. p. 822 (819-824).

الاجتماعية و لاوف (W Labov)^(٢٥) الذي لا يسمح بسنسب الـسي التي يُعتقد أنها "مصحفة"، أو تسمي إلى "الكلام" أو إلى "اللهجة"، لعامل التعير أو التنوع، وذلك لتفحص منه والحق أن لهذه الـسي قواعد الحاضرة بها فتأرجحات الكلام، التي سي تارجح اللسان (كما سبق ورأسا في حالة صيغ التحاطب الصمائية على صيل المثال)، ليست على الإطلاق في خبر الموصى هناك نظام يصطها كما تدخل فيها جدلية القيود والحريه وملارمة التعير أو التنوع للمعيار ليست ملارمة حرية الاختيار للمرص فالأمر يتعلو بمكوس لا تفضل عراهما، وعاملهما اللسانيات الاجتماعية العمليه على أنهما متكافلان

(٢٥) انظر كتابه *Sociolinguistique*, tr Fr (Paris, Ed. De Minuit, 1976) de *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1972

الفصل الثاني عشر

حبّ الألسنة

من اللغة إلى الكلام، مروراً باللسان ولسانِ والألسنة

يتحدّث جميع اللسانيين عن اللغة واللسان والخطاب لكنّ الحاجة إلى اقتراح تعريفات صريحة تبدو كمحصنة لا كعاقبة ولا شك في أن المحصلة ضرورية، فمن دونهما يسود الاعتماد بأن اللسانيين لا يعايرون جميعاً المادة نفسها، تنقصهم هذه الروح أو ذلك من دون إعلان ذلك. يحبّ إدّاء، في حتام هذه المسيرة في موطن الكلام، بسط الحقول والأعراض والمناهج أي بعارة أخرى، عرض الطريقة التي تحدّث فيها المفاهيم الأساسية باتفاق صممي بين اللسانيين المعاصرين على خلاف مشاربيهم واللغة أول تلك المفاهيم، فهي أهلية تُعرّف بانجس لشريتي ودراسة اللغة هي النظر في العلاقة، منذ "لأصول" لأولي، بين الإنسان وتلك الأهلية التي فلم تحدث عنها للسباب إبه، على سبيل المثال، معابة لأشكال الأخرى غير اللعونة (اللغات الإيمائية ولغات الإشارات عند الصمّ إلخ)، أو الأمراض المتعلقة بالنطق (مختلف أعاط عني النطق)

هناك مقابل اللغة اللسان ولا تحدثت هب عن لسان ولا عن ألسنة وإنم عن مفهوم اللسان أي عن محار معقد تنوطف فيه لسماتّ لني تساهم في رسم ملامح الإنسان كما يتندى في علاقته لمحددة شيمته ويستعمله لها

كما يمكن لاهتمام لسان، لا باللسان، أي نظام للأنظمة يُستخدّم في علاقه التخطاط وبُفُسّم لأدله بوجهيها، الصوتي

والدلالتي، إلى فئات في الصيغ والوظائف. فستتح من هذا التوصيف
مختلف السمات التي تحقق من تطبيقها على الألسنة الحقيقية

أما إذا انطلقنا من هذه الأخيرة فعلياً، عن طريق الاستقراء،
درسه أكثر عدد منها وهو علم الأصوات الوظيفي وعدم السحر
الصرفي والمعجمية ولا يعود الأمر مقتصر على خواص اللسان
شكل عام، وإنما على أشياء حية في صلب السلوك التواصلية داخل
مجتمعات بشرية خاصة تساهم هذه الأشياء في تحديد خصوصيتها
ونشر الممارسة عندها إلى سُلّ البحث عن كليات تتميز على حقيقتها
مكونت تصنيفية معطية ما يساهم هذا الكتاب في الإشارة إلى
معالم هذه السُلّ كافة

كما يمكننا أخيراً الاهتمام بالحطابات، لكن بطريقتين على
الأقلّ: إذ لا يفصل البعض النصوص عن النظام اللساني الخاص
الذي يتبذ من خلالها فيقابلونه بنظام آخر من خلال تحويل
الحطابات إلى حطابات ثانوية يقول، من خلال شبكة جديده، الشيء
نفسه مع ذلك. هذا لنقول العاتق إياها بشوة المرجم إليه ميل مؤسّس،
محدّد للإنسانية، في قلب كل المعامرات التي ساعد فيها مصائر أمم
كاتب غريبه. وإنه لهوى مُصر، لكن بعد عن المعجانية، في قو
الشيء نفسه بكلمات أخرى بدلاً من كتاب هائل من الترجمات. وإنه
لتمس دُثم للغة نابل الوحيد الذي يراها أكثر الناس جنوباً على أنها
عاية داتها. ولا يعدو هذا الشعب، الذي يرضد أكمل أشكال التطابق
بين رسائل مسجّمه المعنى في نظامين متباينين، أن يكون وحياً آخر
من رجوه عشق الألسنة

لأن هناك طريقة مختلفة لتتولّد بالحطابات ولا يتعلّق الأمر
هنا بالإصرار على توظيف الجهد في حتواء به المعنى داخل الواحد
غير المنعقد بل على العكس، فما يحبه هذا هو تعصده وبعده عن
الشعافية في الانشاقات التي تجدّه باستمرار وبمصوص الشعافه

والكتبة هي مسرح هذا المعنى، إذ تعمل فيها جملة من العوامل على
نائه وتعكيكه.

وتبقى للغة شيئاً آخرَ خاصاً بين المحالات، الأخرى فهي ملكة
قد لا نعتك طبيعة مفهومها على الشعب، بيد يشكّل لسان ما
موضوعاً يمكن للإستمولوجيا تحديده أطره، فاستعمال صيغة البكره
هنا يشير، بشكل كاف، إلى أن هذا الموضوع يتوجه إلى العقل
المُصنّف، أكثر منه إلى الخيال، ويلتصّب الانشاء إلى العدم العام
يبقى اللسان (المعرّف بأداة التعريف) والألسنة، فهي حقاً مجالات
يوظف أموراً شتى وقد نوحى بأشكال متنوعة من الميول

شغف القول، وما يُقال

إن فعل القول ومعرفة النظام الذي يؤسّس له لا يمتصان عند
الممكنم لسان ما، وسمى حالات الفصل بينهما هدمشية، وبالتالي
فهي تُظهر موضوع أفضل مركبه هذه العلاقة الضامسة والعريب
الذي نعلم له أجنية وهو بالغ، أو الذي سمعها - أكثر مما نطق
بها - بشكل متورّ مع لحنه الأم منذ نعومة أظفاره، يفهمها عابثاً
بصورة أفضل من نطقه بها، إن مستعطي اللغة من هذا لفظ، وهم
أشخاص يُبدون ارتياحاً أكبر عند تلقّيها مما هي حالهم عند النطق
بها، يعرفون جوهر المواعيد والمفردات المعجمية من دون أن
يتمكنوا، مع ذلك، من التعبير عما يريدون بنفس القوة التي يعثرون
فيها بلسانهم الخاص. يشأ عند هؤلاء إداً اتصال يحمل ما تأكد
الكثير من الدروس ولعر - فما تمّ تلقّنه هو للسان وما سطو به
(كعما تفق) هو الكلام

إلا أن للسان والكلام، في الحالات المركبه وبعبارة عن هذه
الأطراف، وثيقا لصلة ببعضهما البعض، فالتصنّف باللسان، خارج
الحالة المرجسية السطية لمن «يصغي إلى نفسه وهو يتكلم» ويعرف

من كلامه متعة نشه التماس الذات، وطعمة صايطه مهمة فهو شرط من شروط الاستقرار الاجتماعي والنسبي. وما لا شك فيه أن هناك حالات من الانفصال عن اللسان القومي، إلا أنها فائدة للتفسير فأساء المهاجرين الذين يعتمدون، اعتماداً من جيل محدد، لساناً وحيداً أو أساسياً هو لسان البلد المُستقبل، يفعلون ذلك عندما تكسب القصة الرمزية لنظام بواصلي معاش كمرآة لمواطنيتهم الجديدة أهمية كبرى في نظرهم. لدرجة أنه يصحح مساوياً في أهميته لما كانت عليه اللغة الأصلية عند المهاجرين الأوائل الواقعين على الحد بين ثقافتين. وقد تنسّى بعض الجماعات لساناً محاوراً ما نظراً لعوده وأنه إلا أنه يكون عليها حينئذ كسر عزلتها السياسية والاجتماعية التي أدخلها فيها استعمال لسان تعتمد أقليته في دوله شديده المركزية. فقد يتحلون عن لسانهم القومي إن لم يحدوا في تدرجهم خوفاً فويح للدفاع عن لغة اصطلاحية خاصة بهم، وبخاصة إن كان وجود الكتابة نصفي على اللسان المحاور، بالتناوب مع لسانهم، أنه هي كدنة بقدر ما هي غير مبررة موضوعياً. تلك هي حال شعب البات (Bats) وشعب الأندي (Andis) في القوقاز أمام الألسنة ذات العود والأنه، وهي في نظرهم اللغة الجورجية (le georgien) واللغة الأقارب (l'avar) وتلك هي، في معظم الأحيان، حال البيلوروسيين أمام اللغة الروسية^(١) وهناك أحياناً حالات شبه مرضية تتمثل بانفصال عن اللغة الأم كشكل من أشكال الكراهية الموجهة إلى الأم ولطالما سبق المثال الذي يقدمه ونسون (Wolfson)^(٢) حول هذا الموضوع.

إلا أن هذه الحالات كافة تبقى حاسية، إذ يسود المستك باللسان في أغلب الظروف فاللسان قصاء استحواد رمزي وبحيا

١. انظر C. Hagège. «Voies et destins de l'action humaine sur les langues» op cit, p 40

(٢) انظر Le schizo et les langues, Paris, Gallimard, coll. «Connaissance de l'inconscient», 1970

الناطق من خلال لسانه علاقته بالجماعة التي تشترك معه فيه ويُفصحُ
المصطلحُ عن ذلك صراحةً فالناطق يتواصل مع الجماعة إنه يأخذ
من العامل الاجتماعي ميزته ليوظف نفسه في اللسان الذي هو أساس
هذا العامل

الاستيهام الميتالساني

يسمى لمتحضر في اللسان إلى الحديث عنه وكأنه خارجه
وعليه صمان تماسك خطابه عنه، كما عليه تجنّب حس نفسه داخل
دائرة الكلام - موضوع الدات - المتكلمة وعليه بالتالي بناء
"ميتالسان"، أي مودج وصفي يستعملُ كلمات اللسان، وفي الوقت
نفسه يُحفّف من حدة الآثار التي تنزع إلى إغلاق الدائرة على الدات
لده فعلى الميتالسان انتزاع الكلمات من تربة الخطابات المبرّدة
وإصفاء دقة، لأبية العلمية وصرامتها عليها. لكن إلى أي حدّ؟

فالتوسّط الدلالية، أو السمات الدنيا، وكليات المعنى التي
يقترح البعض الإقرار بها في كلمة jument (فرس)، على سبيل
المثال، تتمثّل بالتوسيمين «ÉQUIDÉ +» (+ فصيلة الحيليات)
و«FEMELLE +» (+ أنثى) وهما لا يستندان السمات الإحالية،
التي هي أكثر بكثير، والتي تنطق على مفهوم "الفرس"، لكنها تُعتبَر
كافية في الميتالسان لأنها تبيح معارضة كلمة "فرس" مع كلمة
"حصان" (+ فصيلة الحيليات، + ذكر) وكلمة "نقرة" (+ نقرات،
+ أنثى) في أي معاً شكل عام، يرّد أنصارُ هذا النوع من التحصيل
على الدوم الذي يوجّه إليهم بشأن المصباح الدائري (انظر لفصل
الثالث، ص ٨٢ - ٨٤) بأن هذه التوسيمات ليست كلمات من اللغة
الفرنسية بل هي مصطلحات في معجم ميتالساني تتعلّق بالخواص
الموضوعية لا نلج حدّ جراء أية عملية دمج في اللسان لكن كيف
نُشت أن الباحث اللساني لا يقوم بتأويل تلك المكونات الدلالية

معتمداً على فهم حدسي لعناصر معجبة مطابقة، في الشيعرة المكتوبة، نكليات كتبه الميتالاسية الاصطلاحية؟

قد لا يكون هناك من ميتالاس خارج ذلك المتوافق، مد ومن بعيد وفي العديد من الثقافات، بين يدي تمييد المدرسة السسيط، ونعي بها مجمل لمصطلحات لتقريب التي نجدها في قواعد اللغة العربية، على سسل المثال، مثل مفرد، متكلم، حرف جز، نعت، جملة متعلقة إلخ، إنها جميعاً كلمات ميتالاسية لا تنمي، على الرغم من أنها تحضر بالاستعمال النقي، إلى مينالعه مُشكلة وبالتالي فهي نعلت من المعصلة التي تعبق داخدا هذه الأخيرة ونعود هذه المعصلة إلى أمرين على الأقل ومن جهة نجد أنفسنا [] مصطرين إلى الإقرار بعقد الميتالاسية إما بسبب نوع الألسة أو بسبب نوع النظريات اللسانية ومن جهة أخرى، وحتى لو لم تكن هناك هذه الصعوبة، فالسائيات تنطلب بدورها، بوصفها لغة أولية مُشكلة، «لغة مُشكلة ثابتة للتحقق من قوامها» إلا أنه لا يوجد أي شيء من هذا القبيل «فالحطاب الطبيعي هو انماط به مهمة عرض اللغة المُشكلة»^(٣) ونعلت هذه الميتالعه الطبعية من النقي الذي عاناً ما يساق أن «لس هناك من مينالعه»، والموجهة إلى الميتالعه المطقية^(٤) وقد سمهم ما أوحى إلى لاكان (Lacan) بهذا النقي ويقبل به عندما يقرأ ما يصيغه قائلاً «لا يمكن لأي لغة أن تهول الحق عن الحق، لأن الحقيقة تقوم على ما نقوله ولا وسيلة أخرى لديها لذلك». كما يقول في موضع آخر «تحل الدلالة دوماً إلى الدلالة، ولا يمكن إظهار أي شيء إلا عن طريق دليل []» فنقدر ما يُشكك المحلل في داحله الحطاب الوسيط ويمتخ على

(٣) J. Roy Debove, *Le métalangage* Paris, Le Robert, coll. «L'ordre des mots», 1978, p. 8.

(٤) كما يسميها من «لغة» لاكان مظهر M. Arrivé, «Quelques notes sur le statut du métalangage chez J. Lacan», *DRLAV*, n° 32, 1985, p. 19.

سلسلة الكلام الحقيقي، يمكنه وضع تأويله الموحى^(٥)

إن كلية وجود مفردات معجمية ميتالسانية، على الأقل في الثقافات التي تمتلك تقليداً نحويًا، نحوي مصطلحات كذلك التي سبق وذكرناها تشهد على أن هناك، ومدد زمن طويل، أشخاصاً حاولوا وعي هذا الإجراء الطبيعي، أي التكلم، الذي يحدث بصورة لاواعية، وجعله موضوع خطاب مُنظَّم أي اعتماد نظرة علمية تجاه اللسان وبصورة مماثلة، أثرت طوًفُ إنسانية عموية أخرى، من أشكار السلوك الاجتماعي إلى تبادل السلع مروراً بأنواع لسلوك الذهني والعاطفي، تأملات فكرية أسست أيضاً للعلوم الإنسانية

إلا أن الباحث اللساني لا يمكنه دوماً بالعيبيات التقليدية لتكثبات اللسانية إذ يمكنه اعتماد ما يراه صالحاً للأخذ به وتصيف إليه إبداعه الحاضر، فيبي نظاماً في توصيف اللسان وتفسيره يُغَيِّرُ عن نفسه بصوره واصحة وبنقضية معتدلة من دون أن يمس ذلك بعمق عيبه هذا ما فعله بعض الكبار من سوسور إلى ليفي-ستراوس حينه إذا انتصروا على ذكر لسانيين كتسوا بالفرنسية بعدد هؤلاء أن اعتماد الثنائيات البارة والمقارنة في عملية إعادة تركيب نظام في النطق يتم التعبير عنهم في شر يتميز معاً بالأناقة والدقة والوضوح والخصب، لا يحتاج إلى أية شهرة مُنحفة تعين على فك رموزه

لكن الحبيب لي "علمة" يُعتقد أن علماً استعاره مطهره من العلوم البحتة، من دون امتلاك معلومات ملائمة عن مسائلها ومنهجها، يؤدي أحياناً إلى تصحُّم مشكل يُعثر اللسانيُّ صحته المصونة ومسئله الأكيد إذ بهوده عشقه للصيغ التي يسيها إلى إدمان لعبة الاشتقاقات الصعبة أو يقوده عشقه لحطائه لحاضر، الذي يعندين به بعيداً عن تشوش الواقع وعن مخاطر التكديس الذي قد يقابلنا به هذا الواقع مع كل خطوة، إلى توطيف كامل طاقته في

(٥) انظر J. Lacan, *Écrits* Ed. Du Seuil, Paris, 1966, p. 868, et, p. 352-353.

بلاعية تعث من التيارات الدارحة وترصى بالاعلاق داخل دائرة الداب
حيث نُحِتْ أن تتفوق كلُّ البلاعيات الحالصة

إنها استمداديات عابرة فلا شك في أنه يجب تحطيم
الاستمرارية ما قبل العلمية بين العالم المدروس والحطاب الانطاعي
الذي يتحدث عنه في علوم المعاصي القديمة وإن كان السعي إلى
ميتاعة بلبي هذه الحاجة، إلا أن علو هذه اللغة مجاني إذ لا دليل
هناك على أن تراكم الصيغ المعقدة من شأنه توليد تفسيرات أكثر
وصوحاً، أو حتى إتاحة اكتشاف وقائع جديدة وما من شك في أن
مثل هذا الاعراض مأخوذ به صمماً، بالنظر إلى تلك الممارسة
الشائعة التي تعتمد على شرح الصيغ المعتمدة والتي من المقترص أن
تمي وحدها بالعرض^(٦) أم في ما يتعلق بالدراسات الاستكمائية،
فأهميتها تأتي من تعييرها عن حث الحطاب حول اللسان وهذا إغواء
قديم في تاريخ التأمل في اللغة إذ يحمي الترخُّ الشكلي عتُّ بعض
المصنوعات والحظر الذي يحفّ مثلك السهجة القواعديه، التي
يُعذِّبها الميل إلى بهرج الحطاب الحميل، هو في اتحاد اللسان
كدرية وفي حجب الموضوع تحت سنار منعة القول الذي يحترسه
وقد بنى اللساني، المؤلّة بالميتالسان، فساق مع اللغة الكلامية
عوصاً عن إحكام السيطرة على الأداة الملائمة

إن كان عمل اللساني صعباً على الفهم فهو يبقى بالتالي غير
معروف إذ يصعب على من لا يمارسون مهنة البحث العلمي تصوّر
الأهمية الاجتماعية، وحتى الفكرية، لعمل تبدو برعته الباطنية وكأنها
تحمّله من أية محاولة لفهمه من الخارج لكن المعنى يعلت حتى من
فهم رجال العلم الآخرين من غير اللسانيين، وبخاصة من تُخطي منهم
حقول العلوم الإنسانية فالتحلي عن البرعة الباطنية المُشكلة تستطيع

(٦) لأخذ مال عن هذه الحال في بعض الأعمال اللسانية المعاصرة، انظر C. Hagège, La
grammaire générative Réflexions critiques op cit p. 177-178

اللسانيات مواجهة رومان أساسية فهي ترفضها أن تكون مجرد فلسفة كلامية مدرسية، لا يرى فيها الباحثون الآخرون ما يمكن أن يفيدهم في أبحاثهم الخاصة، يمكن لها أن تصبح ما يأخذها الكثيرون لأنها لم تلمح أي أن تصبح بهجاً قادراً على توصيح الحقائق الاجتماعية والتاريخية.

الألسنة موضوع عشق

هل بوخه لمتكلمون المتشوقون رعتهم نحو اللسان نفسه؟ هذه "الأداة" التي يُشككونها بصورة لاوعية عبر العصور، والتي تدخلون أحياناً في التحكّم فيها مدفوعين باستيهم لسيد (انظر الفصل الثامن)، ليست سطحاً محمداً من التجريد. فقد يكون للسان، فلسفه إلى المتكلم وبخاصة من بعتهن الكلام حول الكلام أي اللساني، موضوع عشق لكن هل يسوي بعلق الإنسان بلسانه، وكأنه موطن عبر قابل لسلار عنه يقع في مركزه هو بالذات، وبك المتعة التي نحن بها المحوي الذي اختاره اللسان وختاره هو لا لأن عليه أن يحيا من شيء ما وربما بعشفه ياها؟ أفلا بوحد أشخاص لا يأنهون بالألسنة أو بعادوبها، لا بل حتى لسانيس لا يختون الألسنة؟

إن الرعة في التعبير عن الذات تسكن نفس كل متكلم أما عشق الألسنة فليس عاماً فهو عشق تكمن عرائنه في موضوعه، إذ يتعلو بسلسلة من الأنظمة التي تُنبج الشيء نفسه تماماً وكان يكفي واحداً منها لقوله ولا تُستغذ اللغة الأم، أو اللسان المهيم، عن الرعة في التملك والحق أن ظروف ثنائية اللسان تحت على عشق الألسنة، على الأقل حين لا تنشأ تلك الظروف تحت ضغط ضرورة ساسيه أو اجتماعية كتلك التي تحط من قيمة اللغة الأم، في سوق لأسهم اللسانية، وتدفع مستخدم اللسان إلى دفع الثمن اللارم لتعلم لسان بعد أعلى ثماً لكنه أعلى مردوديه

فكثرة الشيء المطابق لا تُشكّل عقبة في نظر الألسنة سيما يرى آخرون أن هذا التكرار الذي لا نهاية له للمصنوع نفسه بحيث أقعة متعده حيث لا طائل تحته أما عنده، فالألسنة محطّ عشق، بالنظر للتداعيات التي تُشكّلها بين بعض الأصوات وبعض الدلالات، ولجمال التي تتيح ساءها، وللكلمات التي تُقابل بينها وفق شكاات محتفة في كل مرة وبارعه دوماً إنه يُصدر، لساء معنى ما، أصواتاً عربية بدات اللده التي شعر بها وهو يردد بها طعاماً محضاً أو التي يحسن بها طعل يرصع من ثدي أمه حيث الأم واللغة الأم ابلاغ الأول والطق الثانية، حركتان في اتجاهين متعارضين، أو هكذا تدون في الطاهر أولهما يُتيح النقي والثاني الإرسال فعلا عريبان متشابهان مع ذلك، والعلم هو مكاهما المشترك

يركز بعض العشاق عشقهم في الكلمات فيقدمون عنها قوائم جرد مذهشة، كما فعل ج بيريك (G Perec) مع كلمة Cinoc (سبما)^(٧) فقد مارس خلال خمسين عاماً، وفي دار لاروس التي نشر المعجم المعروف باسمها، مهنة عريضة جعلت منه "قائل لكلمات"، قدّم آلاف الكلمات لأنها استحال إلى مسحاثات وأتاح عيائها المجال أمام كلمات جديدة سعى إليها محررون آخرون وحين أُحيل على المعاش أحد الدم يستولي عليه شتاً شتياً لارتكابه كل هذه الجرائم بحق الكلمات فقرّر، تقوده قراءاته وتجميعه للمادة العلمية وليالي السهر في المكيبات، كتابة معجم كبير للكلمات المسسة التي هام يمتي آثاره في كل مكان إن مثل هذا التطواف لا يُقدم عليه في أغلب الأحيان إلا الهواة، أولئك المعامرون الذين تدفعهم الرعة إلى ذلك، ولا تعودهم فيها بالضرورة معرفه تقية فقد يفتر محث الكلمات إلى أن يكون فقيهاً لغوياً

(٧) النظر La vie mode d'emploi Paris, Hachette, 1978, Troisième partie, chapitre LX.

ومع ذلك يختلف عاشقُ الألسنة عن جامع الكلمات فهو أقرب إلى النحويِّ منه إلى الباحث في علم الاشتقاق الذي لا يطر سوى إلى التواريخ الفردية للكلمات من دون اهتمام كبير بالمعاجم المترابطة التي تسدرج صحتها هذه الكلمات أما محبُّ الألسنة الشعوفاً فيجمعُ توصيفات الألسنة بدهتمام رقيق ولا يكتفي بعضهم بهذا، بل تراهم يذأبون على تعلُّم كل هذه اللغات أو اللهجات المحليَّة، وبشكل متعمِّق، ليستطيعوا التواصل مع أصحابها الطبيعيين فتعلُّم لغة إصاوية يعني عندهم الإحساس بشوة انتصار جديد إن حوون التنوع الذي يتأبهم، إذ يحسُّون بالحياة لعدم قدرتهم على تعلُّم جميع اللغات البعيدة ظاهرياً عن مثال البراءة الأولى في بدانة الحلو الذي بعذي الحنين إلى ما قبل بابل وأحلام اللعة العالمية، قد لا يكون في الحقيقة سوى الوجه الآخر لتلك الرعة الدقية في الوحدة إلا أنهم يعيشون هذا الجنون كمحب من حصائص كل لغة وميراثها

وهناك عشاق آخرون مترقِّعون، يحسُّون الألسنة لا للزعة في امتلاكها فهم لا يذعون التواطؤ معها ولا السيطرة العلمية عليها إذ يكتفي هؤلاء العشاق المثاليون بمنعة الإصعاء إلى أصوات عربية وقد لا يربعون في فهمها فحبُّ الأصوات لذاتها يعني تحليلها من "تشويش" يُعتقد أن المعنى مسؤول عنه إلا أن ما تقوم عليه الألسنة هو بالتحديد تلك الشراكة التي لا تُفصم عراها بين وجهين لا يُشوش أحدهم على الآخر ولا ينطقن عليه لهذا السب يبقى عاشقُ الأصوات على هامش عشق الألسنة فذلك يتيح له الإحاطة بمكوناتها بصورة أفضل

هل لدى عاشق للمعجديات المعجمية 'موهبة الألسنة'؟ أليست تماثلات البنى، التي تتجاوز الاحتمالات الواضحة، هي التي تكفي لاكسابها إد، ما وُحد حافز الاهتمام القوي بها؟ فما مصدر هذا الميل، إن لم يكن من العتس إحصاع هذا السلوك إلى معجبة

'مفسرية' مع أن دواعيه تنتمي إلى الاستقصاء التحليلي؟ إن الرد الذي تقدمه 'المصطفى السليم' له ميره البصوح على الأقل فحتى عبد عشاق الألسنة، ممن يبدو أنهم لا يحنون الألسنة إلا بوصفها عانة لحد ذاتها وفي ذاتها، يُعزّي السعي إلى الاختلاف تلك الهجة التجميعية فما يفتن هو سحر تنوع الثقافات خلف هذا التنوع اللانهائي للألسنة لأن الألسنة تنتمي إلى المجتمعات التي تنطق بها وتدخل في تعريف هذه المجتمعات فالاختلاف في كل ثقافة هو مصدر الدهشة، سواء أثار عرائشها لاهتمام أو الرينة فعاشق الألسنة معرم بالآخر ولقد سعى هذا الكتاب، من جملة عايات أخرى، إلى تقديم تبرير عقلائي لهذه المعامرة

خاتمة

يهتمُّ كلُّ ناطق باللسان، بأي شكل من الأشكال وحتى بـ «مع»
عن ذلك فهو يهتمُّ بها اهتمامه بنفسه ومن يجعلون منها مهنتهم
بحررون لأنفسهم معرفة تقنية يسون حولها خطاياً مطعماً. فليدبرهم أكثر
من حجة قوية ليجعلوا منها حيزاً تساؤل علمي وهم يقدمون مساهمة
حادة في معرفة الإنسان من خلال نشاطه، اللغوي إذ تدفعهم إرادتهم
الطنة إلى البحث عن الخواص الجوهرية بعيداً عن الملاحظة الساذجة
وتطبيق التعاليم التقنيدية. وما وهم تطابق الأصوات والأحرف في
الألسنة الأنحدية التي تتعد فيها الكناية عن لفظ، كما في العربية
والإنجليزية، إلا مثال من بين العديد من الأمثلة لأخرى فهناك إذاً
أكثر من مبرر لتبوء اللسانيات مركزها كعلم

فما الذي جعل اللسانيات تعمد، في الربع الأخير من هذا
القرن، ألقها الذي كان لها في الماضي؟ ما الذي جعلها لا تهي
بوعودها؟ ولم يظنَّ البعض أنها مسؤولة عن الانحرافات اللطية
بماض أخرى لها علاقة باللغة، تتعلل بنصوّر معين للسجيل الأدبي؟
فعلى اللسانيات، وهي التي تهتمُّ بأهم أداء إنسانية لدى الإنسان، ألا
تتحول إلى مجال صيق حكر على أصحابه ويبدو أنها كانت صيحة
عدو أذت مراكمه لحدلفات لا طائل تحتها إلى إفساد بعض ما
أنجزه فقد قادها هاجس العلمية إلى صرامة مريّة، لا تحد مثلاً
عنها في أي مكان آخر ولا حتى في أكثر العلوم دقة وأدق الأقسام
بمختلف السروعات الشكلانية إلى حجبها داخل لإطار الصيق
بخطب تقني يصعب علينا أن نتخيل إسان الكلام موضوعاً له إذ لم
يتم وحسب إقصاء كل ما هو اجتماعي وتاريخي، بل تحول العنصر

الإنساني إلى تجريد نهائي ولم تعد الكلمات تقول أي شيء

إن الإنسان الحوارية هو نفسه القادر على تحرير اللسانيات فهو ليس موضوعها وحسب إنه يهتم لها مُلَمَّحاً، من خلال سلوكه الطاهر، إلى بعض القرائن المبهجة ولا يعني ذلك بطلان الحال أن علينا نصديقه حرفياً بغير دليل، وإنما يستطيع اللساني التعلم منه مجدداً أسلوب التفكير الجدلي كيف يسي الإنسان ألسنته ويحكمه ويعيد بناءه من خلال تنويع الأنماط على حلمية الثواب المرتبطة بطلسته على مدى تاريخ طويل أو تاريخ أقصر لبعض الألسنة الخاصة؛ كيف يستحود على الدليل ومن خلاله على العالم ويعيد الطق به موافقاً معه؛ كيف يُرْسَخ سلطته من خلال إصلاح ألسنته ومن خلال الكتابة بانتظار قدوم تقييات أخرى تتيح مرور مواهب أخرى يَلُكِّم بعض الدروب المنعرجة التي تحكي قصة الإنسان الحوارية والتي يحذر باللسانيات أن تصم رسمها للدينامي من دون أن تُفَلِّل، بطلية الحال، من فعاليتها كعلم محاكاة بذائيه لموضوع دراستها إن الإنسان الحوارية ساح متجدد دائماً لديالكتيكية القيود، التي سجه أشكالها المستغلية، ولدخرية، التي سيتحدد معيارها برؤيه على الحداثيات الكامنة في أفقه وهو يقترح، بطبيعته نفسها، بعض معالم خطاب يُتَقَرُّ الحديث عنه بالكامل، لا عن أفعته لكن يجب أولاً أن نقبل النظر إليه.

قد نكر الاهتمام الذي يستحقه أكثر في المستقبل وقد يستظر اللسانيات ومعها العلوم الإنسانية الأخرى التي رأينا كيف ترتبط بها بروابط عميقة، مستقبل واعد إذا كان الإنسان هو حقاً موضوعها الذي تتناوله من خلال دراسة لغاته فقد يعني الإنسان يوماً ما الخطر المميب المحقق بوجوده وسيشته الطبعية من التطبيقات المبهجة والأمانية للعديد من نتائج بحوث العلوم الرياضية وقد يعني أيضاً التصورات بين صعب تطوّر دماغه مد منثني ألف سنة وتطوّر معرفته

المداهل بالعالم ويستدعي هذا التماوت تساؤلات كثيرة، أخلاقية وفكرية على حد سواء ولربما استطاع الإنسان، إن قُسر هذا التصور حق التمييز ومن دون التراجع قيد أمدته عن الجهد الذي يوظفه في اكتشاف قوالب العالم العبرياني وقوانسه البيولوجية الحاضرة به هو بالذات (وما ترل غير معروفة جيداً) لكر مع التحكم بتطبيقاتها، بقول برنما استطاع الإنسان موازنة هذا الجهد ولا يكون ذلك إلا بالاهتمام السالط بطبيعته النفسية والاجتماعية التي هي موضوع العلوم الإنسانية وقد تكون حاجة الإنسان إلى مثل هذه التوازن أكثر بكثير من مجرد منطلقات ذهني كما نأمل أن يحسر التساعد من العلوم الإنسانية وعلوم الكون بشكل مطرد. فهل نعي الحدم بانسجامها مجرد بوليه بوهم؟ لا شيء يدل، على أية حار، على أنها يجب أن بحرم أنفسنا من مثل هذه المعجزة

الثبت التعريفي

اللسان *la langue*: بحسب سوسور، نظام من العلاقات، أو جملة من الأنظمة المتصلة ببعضها البعض لا تحمل عناصرها (الأصوات والكلمات...) قيمة ما مستقلة عن علاقات التكافؤ والتعارض التي تربطها ببعضها البعض. ولكل لسان نظام نحوي ضمني يشترك فيه جميع الناطقين به.

اللغة *le langage*: هي تلك القدرة على التواصل، عن طريق نظام من الأدلة الصوتية (أي اللسان)، التي يتمتع بها الجنس البشري وقدخل فيها مقدرات جسدية معقدة كما تفترض وجود وظيفة رمزية ما ومراكز عصبية متخصصة تنتقل وراثياً إلى البشر.

الدليل *le signe*: الدليل اللغوي، بحسب سوسور، هو الوحدة الصغرى التي يمكن تعريفها في الجملة وإن وُضعت داخل سياق مغاير، والتي يمكن استبدالها بأخرى وإن كان السياق مطابقاً. وللدليل اللغوي وجهان لا يفصلان هما الدال والمدلول.

اللغات العملية الهجينة *les pidgins*: لغات هي عبارة عن مزيج من الإنجليزية المحرّفة واللغة المحلية تُستخدم لأغراض محدّدة، تجارية على الأغلب، نجدها في الشرق الأقصى وفي ميلانيزيا. فهي تعتمد في الشرق الأقصى على مفردات إنجليزية وعلى قواعد اللغة الصينية، بينما تعتمد في ميلانيزيا على خليط من المفردات الإنجليزية والميلانيزية.

اللغات الكريولية *les langages créoles*: هي لغات سكان المستعمرات الأوروبية القديمة في جزر الأنتيل وهي، بحسب

الحالة، مزيج من اللغة المحلية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية أو البرتغالية أو الهولندية أصبحت اللغة الأم لسكان تلك المناطق وهي في ذلك تختلف عن اللغات العملية الهجينة.

التحفيز motivation: التحفيز في اللسانيات هو جملة العوامل الواعية أو نصف الواعية التي تدفع الفرد أو المجموعة إلى سلوك لسانى محدد. فهو تلك العلاقة اللزومية التي يقيمها المتكلم بين كلمة ما ومدلولها أو بين كلمة ما ودليل آخر. فالتحفيز إذاً هو عكس الاعتباطية. وإن اعتقد سوسور أن الدليل اللغوي يتسم باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، إلا أن بنفنيست يعترض على ذلك ويؤكد أن الاعتباطية تسم العلاقة بين الدليل (أي الكيان الذي يجمع الدال والمدلول) والمُحال إليه (أي الشيء أو الغرض أو الفعل الخارجي غير اللغوي)، لا بين الدال والمدلول.

الكليات les universaux: هي السمات العامة التي تشترك فيها جميع الألسنة وتدخل في التعريف بها.

صوت phonème: هو الوحدة التمييزية الصغرى غير الحاملة للمعنى والقابلة للتحديد في السلسلة الكلامية.

المورفيم (أو الوحدة الدلالية الصغرى) morphème: هو الوحدة الصغرى الحاملة للمعنى.

علم الأصوات الوظيفي phonologie: هو العلم الذي يدرس أصوات اللسان بحسب وظيفتها في نظام التواصل اللغوي. فهو يدرس أنظمة الأصوات المميزة للألفاظ وتراكيب هذه الأصوات في السلسلة الكلامية.

علم الأصوات phonétique: هو العلم الذي يدرس أصوات اللسان المنطوقة بغض النظر عن وظائفها اللغوية.

الكتابة التصويرية pictogramme: هي شكل من أشكال التعبير في مرحلة ما قبل الكتابة يتسم برسوم مختلفة تعيد إنتاج محتوى

رسالة ما من دون الإحالة إلى شكلها اللغوي.

الكتابة التصويرية *idéogramme*: هي شكل من أشكال الكتابة يعتمد على كتابة أحرف تقابل فكرة ما (أو مفهوماً أو تصوّراً أو فعلاً) كما في الكتابة الصينية أو الهيروغليفية.

الكتابة الصوتية *phonogramme*: هي، عند الحديث عن الكتابة التصويرية، الدليل الذي يمكنه حمل كامل قيمته التصويرية والذي يُستخدم لكتابة الأحرف الصامتة لكلمة تشترك مع أخرى في اللفظ.

المنطوق *l'énoncé*: هو سلسلة نهائية من كلمات لسان ما تصدر عن متكلّم أو أكثر. وتؤكد نهاية المنطوق فترة من الصمت نسبه وتليه تصدر عن الأفراد المتكلّمين، وقد يتشكّل المنطوق من جملة واحدة أو من عدّة جمل.

علم تراكيب البنى *morphosyntaxe*: هو العلم الذي يقوم بتوصيف قواعد تألّف الوحدات الدلالية الصغرى فيما بينها لتشكيل الكلمات والتراكيب والجمل، كما يقوم بتوصيف اللواصق الإعرابية (الإعراب والتصريف).